

تأليف المتنيح
القمص يوحنا سلامه



تأليف المتنيح

القمص يوحنا سلامه

وكيل البطريركية القبطية بالخرطوم (سابقاً)

الجزء الثاني

مكتبة مارجرجس

١٧ شارع المستشفي شبرا مصر

تليفون : ٢٠٢٣٢٤٣

الكتـاب : اللآلئ النفيسة فى شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة

المـؤلـف : القمص يوحنا سلامة

الناشـر : **مكتبة مارجرجس**

١٧ شارع شيكولانى ـ شبرا مصر ت: ٢٠٢٣٢٤٣

المطبـعة : شركة الطباعة المصرية ـ العبور ت: ٦١٠٠٥٨٩.

رقم الإيـداع بدار الكتب: ٥٣٨١ / ١٩٩٩

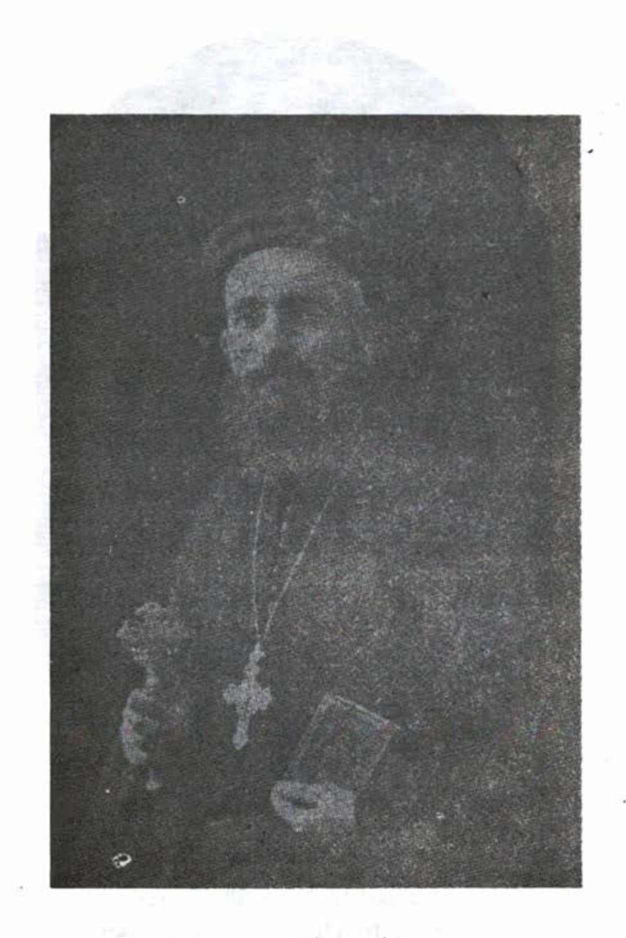
الترقيم الدولى : 8- 43 - 5305 - 977



صاحب القداسةِ البابا المعظم

الأنـبا شــنوده الثـالــث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



المتنيح القمص

يوحنا سلامة

وكيل شريعة الأقباط الأورثوذكس بالخرطوم

مقدمة

كلمة الناشر

يسرنى أن أرى شعور الأمة القبطية حياً قوياً فما أن أتممت إعادة طبع الجزء الأول من هذا الكتاب حتى وجدت إقبالا منقطع النظير من جميع أفراد الشعب القبطى على اختلاف طبقاتهم وتباين مشاعرهم لما لهذا الكنز الثمين من بحث عميق ودراسة وافية لطقوس وتعاليم الكنيسة القبطية الأرثوذكيسية.

والجزء الثانى الذى بين يديك الآن أيها القارئ العزيز ستجد فيه بنعمة اللّه وإرشاد روحه القدوس «شرح طقوس أسرار الكنيسة السبعة» وكيفية ممارستها وتفسير معانيها الروحية وأيضا شرحاً وافياً عن ترتيب جمعة الآلام وشرح معانيها فالأعياد فالأصوام تفصيلا وزمن وضعها والغاية من كل منها فالسجدة فالصلاة على الراقدين قبل دفنهم وغير ذلك مما سيأتى بيانه وتراه مفصلا فى مكانه وعلى اللّه حسن الختام وله الشكر والمجد فى البداية والنهاية.

الشماس

باسليوس ميخائيل

هذا وستجد فيما يلى طرس البركة التى تنازل غبطة البطريرك البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس إذاناً لنا بإعادة طبعه وتعميم نفعه ونفعنا الله بشفاعته لخير الكنيسة.

(هذه أكتبها الآن إليكم رسالة ثانية أيها الأحباء فيها انهض بتذكرة ذهنكم النقى. لتذكروا الأقوال التى قالها سابقاً الأنبياء القديسون ووصيتنا نحن الرسل وصية الرب والمخلص) ٢بط ٣ :١و٢

(تمسك بصورة الكلام الصحيح الذى سمعته منى فى الإيمان والمحبة التى فى المسيح يسوع) ٢تى١ : ١٣

(وأما أنت فاثبت على ما تعلمت وأيقنت عارفاً ممن تعلمت) ٢تى٣ :١٤

(وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً) ٢تى ٢ :٢

(وأما أنتم أيها الأحباء فاذكروا الأقوال التى قالها سابقاً رسل ربنا يسوع المسيح)يه١ :١٧

(ثم نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى أخذه منا) ٢تس ٣ :٦

وأنا لما أتيت إليكم أيها الأخوة أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة مناديا لكم بشهادة الله، وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة لكى لايكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله (١كو ٢ :١و٤و٥)

مقدمة

«عن الأسرار»

مما لاخلاف فيه أن جميع الكنائس المسيحية الشرقية والغربية تعتقد معنا بوجود سبعة أسرار فى الكنيسة مؤسسة من السيد المسيح يجب ممارستها فى الكنيسة بحسب النظامات والترتيبات الموضوعة لها من الرسل القديسين والآباء الأطهار وقد استعملت الكنيسة هذه الأسرار جيلا بعد جيل منذ قام الدين المسيحى ولاتزال تستعملها إلى الآن وتبقى كذلك إلى أن يأتى ابن الله فى سحاب السماء فى مجده وجميع الملائكة القديسين ليجلس على كرسى مجده مت٢٥ :٣١

ولا حاجة إلى القول بأن الكنيسة تعتبر هذه الأسرار من دعائم الدين القويم وأركان المعتقد المستقيم ولذلك وضع آباء الكنيسة وعلماؤها اللاهوتيون المؤلفات النفيسة المدعومة بالآيات البينات والبراهين الساطعة المأخوذة من الكتاب المقدس نفسه

(أولا) ومن أقوال الرسل وخلفائهم الآخذين عنهم والمقتدين بهم.

(ثانيا) ومن التاريخ والعقل.

(ثالثا) فهم أغنوا المتأخرين مشقة للبحث والاستقرار، وجمع الادلة والبراهين على إثبات الاسرار ووجوب إستعمالها وكتبهم لاتزال منشورة فى كل صقع وواد ومتداولة بين أيدى المسيحيين فائضة بالحجج التى لا تقبل ريباً ولا

تحتمل اعتراضاً مشفوعة بالغيرة المسيحية والاخلاص الصحيح فكل كتابة أو قول منا أو من سوانا بعد الذى كتب فى إثبات الاسرار المقدسة وضرورة استعمالها وفوائدها الخلاصية يعد تحصيل حاصل ولذلك رأينا أن نترك الكلام على اثباتها والاستدلال على حقيقتها اكتفاء بما كتب وتقرر من آباء الكنيسة وأبنائها السابقين واللاحقين أيضاً ونتقدم للكلام هنا على أهميتها وكيفية استعمالها وممارستها حسب طقس كنيستنا ـــ القبطية الارثوذكسية ـــ مع شرح مدلولاتها وما تشير إليه من المعانى الروحية وإيضاح ما أشكل فهمه على الكثيرين من عامة المؤمنين وكان سلاحاً بأيدى المعترضين المخالفين لنا والخارجين عن حضن كنيستنا يحاربون به سلامة إيمان قليلى العلم والسذّج من أبناء الكنيسة.

هذا وقد جعلنا لكل سر من الاسرار باباً خاصاً نتكلم فيه عن ماهيته وكيفية استعماله وشرح طقوسه وإيضاح معانيه الروحية إيضاحاً وافياً مدعوماً بالآيات الكتابية ومعززاً بأقوال الآباء القديسين وشهادات علماء الكنيسة اللاهوتيين وغرضنا من هذا إزالة العثرات من سبل أبناء الكنيسة وتنوير أذهانهم وتعليمهم حقائق معتقدهم القويم وتفهيمهم تعاليم كنيستهم المؤسسة على صخر الدهور الرب يسوع ورسله القديسين اف٢ :٢٠ ثم اقناع معثريهم إن ما تعتقده الكنيسة وما استلمته وتمارسه من الاسرار وغيرها لم يكن تعليما آخر تعليم ربنا يسوع المسيح بل هو حق صريح تكلم به أناس الله القديسين مسوقين من الروح القدس٢بط١ :٢١ ولنأمل الرجاء فى مراحم إلهنا أن يهبنا روحه القدوس روح الفهم والإرشاد روح الحكمة والسداد لنفصل كلمة الحق بالاستقامة ٢تى٢ :١٥ كما وأن يقوينا على العمل فى كرمه ويرافق خدمتنا بنعمته ويبارك

عملنا ليكون مفيداً وناجحاً ومثمراً ثمراً صالحاً إكراماً لاسمه القدوس «الذى نناذى به منذرين كل إنسان معلمين كل إنسان بكل حكمة لكى نحضر كل إنسان كاملا فى المسيح يسوع الامر الذى لاجله أتعب أيضاً مجاهداً بحسب عمله الذى يعمل فىّ بقوة كو١ : ٢٨و٢٩ ، له المجد إلى دهر الدهور آمين (٢تى٤ : ١٨)

الباب الأول

«شرح طقس المعمودية»

الفصل الأول

«جحد الشيطان»

أن الكنيسة تمارس بعد صلوات على طالبى العماد «أطفالا كانوا أو رجالا» إستعداداً لاتمام سر المعمودية المقدس. وبما أن هذه الخدمة التى تتممها الكنيسة تعرف اصطلاحاً «بجحد الشيطان» فلذلك رأينا أن نبدأ الكلام عليها لتفهيم بعض أبناء الكنيسة معناها والغرض منها فنقول.

لا يخفى أن السيد له المجد قبيل صعوده أمر تلاميذه أن يذهبوا إلى العالم أجمع ويكرزوا بالانجيل ويتلمذوا كل الامم ويعمّدهم بإسم الآب والابن والروح القدس ويعلموهم حفظ جميع ما أوصى به مت٢٨ :١٩ وقد خضع الرسل لهذا الامر الإلهى فجالوا يبشرون بالكلمة ويدعون الناس إلى الإيمان والتوبة «أى يتلمذونهم قبل التعميد» ثم يعمدون منهم المؤمنين فقط راجع اع٢ :٤١ ، ٨ :١٢ ، ٣٥ : ٣٨ ، ١٠ :٣٤ ــ ٤٨ ، ١٤ :٢١ و٢٨ ، ١٦ : ١٤ و١٥ ، ١٨ : ٨ ، ١٩ :١ ، ٢ وعلى هذا التعليم الإلهى سارت الكنيسة متبعة آثار الرسل فى دعوة الخلائق إلى الإيمان المسيحى القويم وتلمذة المعمدين ثم تعميدهم ــ بمعنى أنها تطلب منهم الإيمان بالمسيح يسوع قبل كل شئ ثم تتركهم مدة ــ قال بعضهم أنها تتراوح بين الأربعين والتسعين يوماً إلى ثلاث سنوات

بحسب استعداد المقبل إلى الاستنارة ــ بغير عماد يتأهبون فى أثنائها لقبوله فإذا رأت فى هذه المدة اصلاحاً من طالبى العماد قبلتهم وعمدتهم وإلا ردتهم أو أطالت مدة اختبارهم زمناً آخر وهى لم تصرف مدة الاختبار عبثاً بل خصصتها لتهذيب وتفقيه أولئك الطالبين وتعليمهم حقائق الدين وأصول الإيمان وبعد أن هيأتهم على هذا الوجه ورأتهم مستحقين نعمة العماد عمدتهم وضمتهم إلى أحضانها واعتنت بهم اعتناء الراعى الرحيم بقطيعه المحبوب كما جاء فى أوامر الرسل[1] وأثبته آباء الكنيسة. قال القديس يوستينوس «إن جميع الذين يقنعون «بمنادات الإنجيل» ويصدقون أن ما نعمله ونقوله حقيقى «عن موت المسيح وقيامته» ويعدون أنهم يستطيعون أن يعيشوا هكذا يعلمون أن يصلوا ويطلبوا من الله بصوم مغفرة خطاياهم السابقة ونحن نصلى ونصوم معهم وبعد ذلك نأتى بهم إلى حيث يوجد ماء وتعاد ولادتهم بأسلوب إعادة الولادة التى أعيدت به ولادتنا لأنهم يستحمون حينئذ فى الماءعلى اسم أبى الكل الإله السيد ومخلصنا يسوع المسيح والروح القدس. خطابه لتريفين[2] هذا وبما أن التلمذة للمسيح توجب على المؤمنين ترك الضلال ورفض الأباطيل والرجوع إلى الله الحى[3]

---

(١) ٧: ٣٩ و٤٠ وجاء فى المجموع الصفوى. من استعد للتعميد فليبحث عن سيرته «بدس١٩» فى الزمان الذى يعظون فيه هل أكملوا كل شئ حسناً فإذا شهد لهم الآتون بهم أنهم فعلوا هكذا فليسمعوا الإنجيل من اليوم الذى يقدمونهم فيه فإذا قرب اليوم الذى يعمدونهم فيه فليستحلف الأسقف كل واحد منهم لكى يعرف أنهم أطهار وإذا كان واحد ليس طاهراً فليعزل ناحية لأنه لم يسمع الكلام بأمانة وجه ١٦

(٢) الخريده النفيسة وجه ١١٤

(٣) راجع المجموع الصفوى وجه ١٥

وبما أن إبن الله أظهر لكى ينقض أعمال إبليس ١يو ٣ : ٨ ويجب على راغب الدخول فى عهد النعمة والانضمام إلى كنيسة المسيح بالمعمودية.

أولا : ــ أن يؤمن بالرب يسوع مر ١٦ :١٦ واع ١٦ : ٣٠ وأنه ابن الله اع٩ : ٢٠ ظهر فى الجسد ليبرر الخطاة ١تى ٣ :١٦ ويقدم نفسه كفارة عن خطايا العالم ١ يو ٢ :٢ وإن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا اع ١٠ :٤٣ ويحلول الروح القدس يتجدد قلبه ويولد ثانية ويصير عضواً فى جسد المسيح وحجراً نافعاً فى بناء كنيسته وهيكله غل ٣ :٢٦ ــ ٢٨ .

ثانياً : ــ ان يعترف بهذا الإيمان ويقربه علناً مر ١٦ : ١٦

ثالثاً : ــ أن يتوب عن خطاياه كما قال القديس بطرس. توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس . اع ٢ : ٣٨، ٣ :١٩ .

رابعاً : ــ أن يرفض الشيطان وكل تعاليمة المضلة ــ بأن ينكر تبعيته له ويجحد تعاليم أرواحه المضله ١تى ٤ :١ ، ٢تى٣ : ١٣ ــ ويعترف بذلك علناً مشهداً على نفسه امام الله وكنيسته بتركه أباطيله وكفره باضاليله ورجوعه من ظلمات الجهل والخطيئه والشر الى نور المعرفة والقداسة والبر الذى بالإيمان. على وفق قوله لبولس.

أنا الآن أرسلك إليهم «للأمم» لتفتح عيونهم كى يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالايمان بى غفران الخطايا أع٢٦ : ١٨

والكنيسة استناداً على تعليم الكتاب ترى من واجباتها قبل تتميم سر العماد.

أن تسمع اعتراف المتعمد بهذا الايمان علناً ليكون شهادة للآخرين كما هو شهادة عليه أمام الله وكنيسته كما تطلب منه التوبة اع ٢: ٨ والاعتراف بالخطايا مت٣ :٦ ولهذا تأمره أن يجحد الشيطان ويعترف بالمسيح مخلصا ويتلوا «قانون الايمان » بصوت مسموع بنفسه إن كان رجلا . او بواسطة اشبينه إن كان طفلا. ثم تصلى وتتلو بعض فصول من الانجيل ثم تدهنهم بالزيت وتعمدهم.

المراد بجحد الشيطان هو ـــ كما قال الآباء ـــ طرح جميع الخطايا والشرور والابتعاد عنها ورفض العبودية لسلطان الظلمة ـــ أى إبليس ـ واتباع المسيح والسير فى طريقه والسلوك بحسب شريعته كما يليق بأولاد الله . قال أحد العلماء «ومن اللازم أن يجحد المرشح للعماد الشيطان كما تعلمه أن يقول «لينتهرك الرب يا شيطان. أو اذهب يا شيطان زك ٣ :١ ١و٢ ومت٤ :١٠ وجحد الشيطان عبارة اقرار المرشح وإيمانه بالمسيح والكفر بالحالة التى كان يعيش فيها والوعد بالعيشه التى تخالفها لان الكتاب يطلب منه الايمان أولا ويأمره بالحياة الجديدة مر ١٦ :١٦ رو٦ :٤و٥ ـــ والعماد فضلا عن كونه يرسم صورة موت الرب وقيامته فإنه يمثل اجتياز الشعب فى نهر الأردن إلى أرض الميعاد فكما أمر الشعب وقتذاك بهجر الشيطان والكفر به وأعماله لا ١٩ :٣١ وتث ١٨ :٦ ـــ ١٠ كذلك أمر المرشح للعماد أن يكفر بالشيطان وأعماله وقد خضع لهذا الأمر اع ١٩ :١٩ والايمان بديهى يشترط له الكفر بالشيطان وإقرار بالمسيح إذاً يستحيل أن يجتمع هذا مع ذاك فى النفس الواحدة التى أمرت أن لا تخلط بينهما ١كو ١٠ : ٢٠ و٢كو ٦ : ١٥ وفى ٣: ٨ و ١٣.

فجحد الشيطان نتيجة طبيعية يوجبها الايمان وإلافلا إيمان. لأن من لا

يكفر بالشيطان وأعماله الخبيثة لا يؤمن بمن مات وقبر وقام والمرشح يعتبر قبل العماد بحالة مرض روحى والمرضى الروحى يلزم له دهن المصاب بالزيت كما أمر يعقوب الرسول ص٥ :١٤و٢٥[١].

وغاية الكنيسة أن تسمع إقرار المتعمدين وأن تعلن توبتهم وتعمُّدَهم أمام الله وكنيسته بالرجوع والاقلاع عن الخطايا وعدم الاشتراك فى أعمال الظلمة غير المثمرة ١ف ٥:١١ لقبول المعمودية والحصول على الولادة الروحية كما عمل القديس بطرس ١ ع ٢ : ٣٨ وفيلبس ١ ع ٨:٣٦ و ٣٧.

هذا هو «جحد الشيطان» كما تسميه العامة وهذا هو المراد منه وأنت ترى من هذا البيان الوجيز انه مبنى على تعليم الكتاب والكنيسة تمارسه من عهد تأسيسها كما تسلمته من رؤسائها ومؤسسيها بشهادة أبائها القديسين كالقديس اكليمنضس الاسكندرى فى الرسومات ٥:١١ وترتليانوس فى المعمودية ٢٠ وكيرلس الأورشاليمى عظة ١ :٣٥ والذهبى فمه فى مقالته الأولى على أفسس ٣ والتاريخ الكنسى أثبت ذلك[٢] وموسهيم المؤرخ البروستانتى شهد بهذه الحقيقة فقال فى تاريخه الكنسى وهو يشرح طقوس القرن الثانى ما نصه «وكان الأسقف والقسوس تحت أمره يعمدون مرتين فى السنه أى فى الفصح والأحد الجديد الذى بعد الفصح . فمن جهة الطالبين يظن أنهم كانوا يغطسون بالماء كليا مع الابتهال للثالوث الأقدس حسب أمر المخلص بعد أن يكونوا قد تلوا ما يسمونه القانون ويرفضوا كل خطاياهم ولا سيما الشيطان وجنوده وكان يرسم الصليب على المعتمدين ويمسحونه ويستودعونه الله

(١) الصواب فى ٤٦ جواب وجه٨

(٢) الخريده النفيسة ٦ وجه ١١٤

بالصلوات ووضع الأيدى وجه ٧٦ راجع أيضاً تاريخ الانكليز المطبوع بمالطه ف٤ ق٢:

أضف إلى هذا جميعه ان «جحد الشيطان» موجود ومعترف به وتمارسه وتأمر به جميع الكنائس على اختلاف مذاهبها بين أرثوذكسية(١) وكاثوليكية(٢) وبروتستانتية أسقفية أو مشيخية. فقد جاء فى الصلوة العامة للأسقفين ما نصه «بما أن هذا الوعد قد حصل من المسيح ينبغى هذا الطفل أيضا أن يعد بأمانة على يدكم «العرّابين» معشر كفلائه «إلى أن يبلغ فيتعين عليه وفاء ذلك» بأن يرفض الشيطان وجميع أعماله ويؤمن بكلمة الله المقدسة راسخاً ويحافظ على وصاياه مطيعاً وجة ٢٣٠ «ثم يسأل القس عن اسم الولد وبعد أن يذكره له العرّابون يقول القسيس : أبا لنيابة عن هذا الولد ترفض الشيطان وجميع أفعاله وزخارف الدنيا ومجدها الباطل وكل شهواتها المطعّمة وكل أشواق الجسد الشهوانية فلا أنت تتبعها ولاتنقاد إليها . جواب أنى أرفضها كلها. القس. أتؤمن بالله الآب الخ « قانون الإيمان » جواب أنى أؤمن بجميع ذلك يقيناً. القسيس أتعتمد إذا فى هذا الإيمان — جواب — ذلك مراد — أتحافظ على وصايا الله وإرادته المقدسة مطيعاً وتسلك فيها مادمت حيا. جواب نعم. ثم يصلى القس الخ وجه ٢٣١ راجع أيضاً وجه ٢٢٩و٢٤٧

أما البروتستانت الأمريكان فهم يسلمون به أيضاً ويقولون بوجوب ممارسة هذا التعليم للداخل حديثاً فى الإيمان وأخذا قراره وإشهار إيمانه بالمسيح المخلص «وأنه بواسطة سمع الانجيل والايمان بالمسيح المعلن فيه ينجو الناس من سلطان

(١) الأنوار فى الأسرار للروم الأرثوذكس وجه ٥٦

(٢) اللاهوت الأدبى جزء ٢ على المعمودية.

الشيطان ويطرحون نيره ويتركون طاعته والقيام بما يريد. وينتقلون من سلطان الشيطان وخدمتة إلى سلطان الله وخدمته راجع تفسيرهم الانجيل على مت ٢٨ : ١٩ واع ٢٦ : ١٨ ثم هم يشهدون بصحة تعليم الكنيسة ويطلبون من المعتمد ما تطلبه هى أى الاعتراف بالخطيه

وهو عبارة عن رفض الشيطان عندنا «والتوبة والإيمان ــــ راجع مغنى الطلاب وجه ١٥٩»

«ما هـى جحـد الشـيطان»

يعتبر بمثابة مقدمة مهيئة لقبول المعمودية كما كانت معمودية يوحنا مهيئة لقبول معمودية المسيح مت ٢ :١١ وكما كان يوحنا يختم على المتعمدين بمعموديته أن ينكروا أعمال الفجور والاثم ويتوبوا إلى الله معترفين بخطاياهم مت٣ :٢ ــــ ٩ استعداداً للدخول فى ملك ربنا يسوع المسيح وصولهم على الولادة الروحية ومغفرة الخطايا ولهذا السبب لم يكن يوحنا يعمد أحداً إلا إذا آنس منه التوبة الحقة والندامة الكاملة والانسحاق القلبى مت ٣ : ٧و٨ كذلك الكنيسة تطلب من المتعمدين التوبة أولا والإيمان ثانيا والاعتراف ثالثا ثم تعمدهم باسم الثالوث الأقدس لمغفرة الخطايا وقبول عطية الروح القدس اع ٢ : ٢٨ وقال بعضهم يأن الختان فى العهد القديم كان علامة ظاهرة للتطهير وكان عادة يسبق تقديم البكر لله فى الهيكل حسب الناموس بعد كمال أيام التطهير وتقريب الذبيحة عنه. كذلك «جحد الشيطان» هو علامة ظاهرة استعدادية للتطهير وللدلالة على رفض عبودية إبليس وتهيئته للدخول فى عهد النعمة

وقبول الميلاد الثانى بالماء والروح يو ٣:٥ الذى به نتطهر من الخطية ونتبرر ونصير أولاد الله».

أمامن جهة المتلمذين الراشدين فإن الكنيسة تلاحظ هؤلاء وتتعهدهم وتراقبهم بحذر لئلا يتقدم أحد إلى العماد بدون استحقاق فلا تسرع فى تعميدهم حتى تخبرهم قبلا وتتحقق صدق إيمانهم وإخلاصهم. ولما كان إرشادهم مقصوراً على الوعظ والتعليم فقد أطلقت الكنيسة عليهم اسم «الموعوظين» ولا يزال هذا لقبهم إلا أن يعتمدوا. والكنيسة كانت ولاتزال تُصلى لأجل هؤلاء وتطلب من المؤمنين أن يصلوا من أجلهم مستمدين لهم نعمة الاستنارة ببشارة الخلاص والثبات فى الإيمان بالرب يسوع ليستحقوا حميم الميلاد الجديد لأنهم بالنسبة إلى بقية المؤمنين أطفال فى الإيمان. قال الرسول وأنا أيها الأخوة لم أستطع أن أكلمكم كروحين بل كجسدين كأطفال فى المسيح سقيتكم لبنا لاطعاما لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن أيضا لا تستطيعون ١كو٣: ١و٢ لأن كل من يتناول اللبن هو عديم الخبرة فى كلام البر لأنه طفل. أما الطعام القوى فللبالغين الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر عب ٥:١٣و١٤ وفيهم قال القديس اغريغوريوس الثالوغوس فى مقالته يوم الخمسين « أنه لا يليق ولا يوافق للأعين الضعيفة أن تعاين الشمس ولا للرضع أن يتناولوا طعاما كاملا بل الأجدر أن يتدرجوا قليلا قليلا إلى ما هو قدام ويرتفعوا إلى الأمور السامية فنحن بهذا الصنيع نمنح هؤلاء نوراً بعد نور مبينين لهم من الحق يقينا.

وتطلب الكنيسة من رعاتها أن يهتموا بتعليم هؤلاء قبل عمادهم أهم عقائد

الإيمان المسيحى والوصايا العشر والصلوة الربية وأهم الواجبات الضرورية للحيوة المسيحية بدون إرهاق عقل الموعوظ بالمسائل العويصة باسيليوس ق ٩٦. كما تطلب من الموعوظين أنفسهم أن يدرسوا قواعد الإيمان ليحسنوا الإجابة على الأسئله التى توجه اليهم وقت العماد. وأن ينكروا ضلالهم السابق ويمارسوا الصوم والصلوة وسماع التعليم(١)



الفصل الثاني

«الاشابين (العرابين)»

الأشابين جمع اشبين وهى كما عرفها بعضهم كلمة سريانية كلدانية معناها الحارس أو الوصى أو القيم الذى عليه حراسة تلك النفس المعتمدة من الخروج عن الدين المسيحى والاعتناء بها إلى بلوغة الرشد.

« الغرض منهم » لا يخفى أن الأطفال لايدركون ماهية الإيمان ولا يفقهون معنى المعمودية ولا يستطيعون أن يعترفوا علنا أمام الكنيسة ويعلنوا توبتهم وإقرارهم بالايمان بالمسيح يسوع ولا يمكن أيضا تلمذتهم. فلهذا رأت الكنيسة أن تقبل إيمانهم وتعهدهم بواسطة تعهد «أشابينهم» أمامها أن يربوهم تربية مسيحية على قواعد الدين المسيحى ولا يجرى عليهم قانون الاختبار والامتحان الذى أشرنا اليه فى الفصل السابق ولا هو وضع لأجلهم كما لا يخفى وانما وضع لمن يؤمن من الأمم والشعوب التى عاشت بلا إله ولامسيح

---

(١) راجع الكنز الثمين وجه ١٦٩ وكتاب المعمودية وجه ٢٢و٢٣

بعيدة عن رعوية اسرائيل الجديد أولا تؤمن بصلب المسيح كفارة عن خطايا العالم فهؤلاء لا تقبلهم أطفالا ولا تقبل تعهد «الأشابين» أن يلاحظوهم ويربوهم على الايمان المسيحى وانما تقبلهم كباراً متى أدركوا فضل الدين المسيحى وقداسة تعاليمه وسمو آدابه وطهارة مبادئه وفائدة عمل الرب يسوع الذى عمله على عود الصليب لأجلهم . أما من مطالعة كتاب الله أو من اقناعهم بوعظ الواعظين وارشاد المرشدين من رعاة الكنيسة رسل الرب المبشرين بالسلام هؤلاء اذا اقتنعوا وآمنوا بالمسيح المصلوب وطلبوا العماد تبقيهم الكنيسة فى التلمذة تحت التجربة والاختبار أياما يتعلمون فى خلالها قواعد الدين المسيحى ثم تعمدهم بدون أشابين . أما الأطفال فلجهلهم بحقائق الايمان وعدم ادراكهم فوائد الصليب وسر الفداء كما أوضحنا فقد تسلمت الكنيسة أن تعمدهم اعتماداً علي إيمان والديهم وتعهد أشابينهم الذين ينوبون عنهم في جحد الشيطان وتلاوة قانون الأيمان والاعتراف بالرب يسوع ويتكفلون بتربيتهم عل مبادئ الايمان المستقيم وارضاعهم لبن التعليم المسيحى القويم وغرس بذور التقوى والفضيلة فى قلوبهم منذ نعومة أظافرهم(١).

وتعيين الأشابين قديم جداً فى الكنيسة ويرجع الى زمن الرسل أنفسهم ومأخوذة عن الكتاب المقدس فإننا نقرأ فى سفر الأعمال أن الرب نفسه قد عهد إلى حنانيا تربية وتعليم بولس الرسول وإرشاده إلى الطريق والحق والحيوة قبل عماده اع ٩ الخ وبعد عماده مكث فى دمشق عندّ حنانيا مع التلاميذ أياماً ع ١٨ . وكذا عهد إلى بطرس الرسول كرنيليوس القائد الرومانى ليعلمه قواعد الإيمان ويرشده إلى الخلاص الذى بالمسيح يسوع اع ١٠ الخ.

(١) اعتراف الرأى القويم ١٠٣ عن الأنوار فى الأسرار وجه ٥٧

وتدل شهادات آباءالكنيسة الرسوليين أولا. والأوامر الرسولية ثانياً. والتاريخ الكنسي. ثالثاً على أنه من وضع الرسل أنفسهم. أما شهادات الآباء فقد شهد القديس دينوسيوس تلميذ بولس الرسول إن هذه العادة مسلمة من الرسل ومرعية فى الكنيسة من ذلك الوقت بقوله «إن هذا الأمر افتكر به معلمونا الآلهيون «الرسل» ورأوا مواقفاً أن تقبل الأطفال على هذا الوجه الشريف أعنى أن يسلم الوالدان الطبيعيان ولدهما لمرب صالح من المسارين للإلهيات وأن يبق الولد فيما بعد تحت إدارته كأنه تحت عناية آب إلهى وكفيل لخلاص مقدس. فمتمم السر يرفعه وهو معترف الى الحيوة المقدسة طالباً رفض الشيطان والإقرار الشريف. فى رئاسة الكهنوت ٧:١١ » والقديس اغسطينوس يقول «اننا نؤمن ونصدق بتقوى وصواب ان ايمان الوالدين والأشابين يفيد الأطفال وعلى هذا الإيمان يعمدون فى السلطه الذاتية ٣: ٢٣ :٦٧ ورسالة ١٩٣ : ٣ » والذهبى فمه يقول «وان كان المعمدون أطفالا أو طرشاً لا يستطيعون استماع التعليم فليجاوب أشابينهم عنهم وهكذا يعمدون حسب العادة : على مز ١٤».

وهكذا جاء فى الأوامر الرسولية[1] أما التاريخ الكنسى فقد أثبت هذه الحقيقة وقال أنه كان يتكفل بتربية أو تهذيب الأطفال والفتيان بحسب الذوق المسيحى أشخاص فضلاء يدعون «أشابين» لكى يقوموا مقامهم بالاعتراف بالمسيح والكفر بالشيطان الخريدة النفيسة وجه ١١٤» راجع تاريخ موسهيم ك ١ قرن ١ ف٥ وتاريخ الانكليز المطبوع بمالطةف٤ ق٢».

«صفاتهم» بما أن وظيفة الاشابين سامية وهى من الأهمية بمكان فيجب حسب تعليم الكنيسة»

---

(١) إعتراف الرأى القويم ١٠٣ الصفوى وجه ١٥

أولا: أن يكونوا من أبنائها «ارثوذكسيين

ثانيا: أن يكونوا أتقياء خائفى اللّه ذوى تقوى ومتحلين بالخصال الكريمة والسجايا الحسنة ليقتدى الطفل بهم ويتمثل بإيمانهم وأعمالهم الصالحه ويحذو حذوهم لأن الطفل كشمعة تقبل أى صورة تنطبع فيها أو كمرآة يتخلق بأى خلق يراه أن مليحاً او قبيحا ناهيك عن أن التعليم بالمثال «تأثير القدوة» أقوى من التعليم بالمقال.

ثالثا: أن يكونوا على معرفة تامة من أصول الدين وقواعد الايمان المستقيم ومعرفة الأسرار حتى يتسنى لهم أن يربوا من عهدت اليهم تربيته مبادئ ايمانه وعقائد كنيسته متى بلغ رشده أولا . ولكى يمكنهم أن يجاوبوا عن الطفل ساعة عماده ثانيا .

رابعا: أن يكونوا راشدين ومن المشهورين بالحكمة والتعقل.

خامسا: أن يعينوا والدي الطفل أو بمعرفة الكنيسة إن كان الطفل يتيما ولذا قال بعضهم» يمنع من الشثبنة أولا. من كان حديث السن. ثانيا الأغبياء فى الايمان. ثالثا المشهورين فى الخطايا العلنية والمنغمسين فى الفجور وعلى الاطلاق الأشخاص الذين بحسب الرأى العام ساقطى الآداب. رابعا المنشقين . خامسا الغير المؤمنين.

«واجباتهم نحو الأطفال» لا يخفى أن الأشبين يعتبر كأب روحى أو كمعلم إلهى للطفل المعتمد كما قال القديس ديوناسيوس فالكنيسة تحتم عليه

(١) أن يهتم بتربية ممن عهدت اليه تربيته ، تربية دينية أدبية بأن يغرس فى

ذهنه بذور التعاليم المسيحية والأصول الايمانية الأرثوذكسية المسيحية حتى يشب وقد رسخت فى عقله وانطبعت فى ذاكرته فيحافظ من ثم على وديعة الايمان ويحيا مع الله حيوة الإيمان حسب الانسان الجديد الذى لبسه فى المعمودية بمعنى أنه يتبع نموذج السيد المسيح لأننا كقول الرسول « فدفنا معه بالمعمودية للموت حتي كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن ايضا فى جدة الحيوية لأنه قد صرنا متحدين معه شبه موته نصير أيضا بقيامته رو ٦ :٤و٥[١]

(٢) أن يربى فيه روح الشهامة المسيحية والشجاعة الأدبية والصدق والامانة ومحبة الفضيلة والخصال الجميلة والهرب من الكذب والخيانة واجتناب المعاشرات الرديئة التى تفسد الأخلاق الجيدة[٢]

(٣) أن يثبّت فى ذهنه روح المحبة للكنيسة حتى يشب عل محبتها فيغار على مجدها ويعمل عل رفع شأنها ويسعى فى تقدمها وكلما يؤول لخيرها وإسعادها. لا أن يكون «كما هو المشاهد الآن فى البعض» ضربة عليها وعضواً أشل فى جسمها بعدم محبته لها وتهكمه عليها وازدوائه بتعاليمها المستقيمة وهو يجهل حقيقتها.

إن الطفل متى ربى على هذه المبادئ الأساسية شب على الخصال الحميدة والأخلاق الكريمة والصفات القويمة بدون أن يحيد عنها أو يتخلق بغيرها أم ٢٢ : ٦ وأف ٦ :٤ ومن ثم يكون بركة للكنيسة وعضوا حيا عاملا فى جسمها.

(١)الكنز الثمين للأروام وجه ١٧١
(٢) راجع كتاب المعمودية وجه ١٣٩

أما الأشبين فانه إذا اعتنى بتربية الطفل على هذا المثال نال أجراً جزيلا بل عد فى ملكوت السموات عظيما مت ٥ :٢٠ أما إذا أهمل الواجب المطلوب منه والمفروض عليه كان مداناً أمام الله مت ٥:١٩ وللوالدين والمربين فى قصة عالى الكاهن أعظم عبرة وأكبر ذكرى ١ صم ٢ الخ.

هذا ويجب على الاشبين متى بلغ الطفل رشده أن يأخذه إلى الكنيسة ويسلمه أمام الله إلى خُدّامه ووكلاء سرائره كما تسلمه وحينذاك يخلى من مسؤليته وليلاحظ انه فى حالة عدم وجود اشبين فالكنيسة تجيز تعميد الطفل بدون عراب تمثلا بالرسولين بولس وفيلبس اع ٨: ٣٨ وفل ١ :١٠ أو الاستعاضة عن الأشبين. بالشماس أو المرتل أو أحد خدام الكنيسة ويمتنع جعل الأشبين من والدى الطفل.

هذا ومما يجب ذكره أن سائر الكنائس على تنوع مذاهبها متفقة معنا على وجوب تعيين الأشبين فى سرى المعمودية والزواج فقد جاء فى التعليم المسيحى للروم الأرثوذكس ما نصه. فالكنيسة منذ الأزمنة الرسولية قد حددت أن يتمم الأشابين ما يعجز عنه الأطفال فالاشابين يتعهدون ويعدون بأن يعظوا ويعلموا فى الوقت الملائم الأطفال المعمدين فالأشبين إنما يؤخذ فى المعمودية ككفيل يتعهد بان يتمم فيما بعد ما كان غير ممكن أن يصير قبلها وجه ١٤٩ راجع الأنوار فى الاسرار وجه ٥٧ والصلوة العامة للاسقفيين صحيفة ٢٢٧

❖❖❖

الفصل الثالث

«شرح طقس صلوة جحد الشيطان »

فى هذا الفصل نبين كيفية ممارسة طقس جحد الشيطان ونشرح مافيه من الاشارات وما تشير اليه من المعانى الروحية فنقول. يبدأ الكاهن برفع البخور ويصلى صلوة الشكر وبعدها يقرأ البولس فالمزمور فالانجيل.

البولس من عب ١ : ٨ ــ ١٣ والمزمور ٣٢ :١و٢ والانجيل من لو٢ :٢١ ــ٣٥ هذا إذا كان الطفل المراد تعميده ذكراً. أما إذا كان أنثى فيقرأ البولس من اكو ٧ :١٢ ــ١٥ والمزمور ٤٥ :٩ والانجيل من يو ٢ : ٣٨ ــ٤٢ وذلك لان الفصول رتبت على نسق يلائم كلا منهما.ثم يصلى الكاهن الثلاث أواشى وبعدها يتلو قانون الإيمان فالطلبة على أم الطفل المعمد واخيراً يدهنها بالزيت

بهذه الصلوة يطلب من الله أن يطهرها من أدناس الخطية ويقدسها بروحه القدوس ويجدده فى أحشائها لتكون مقدسة نفساً وجسداً وروحا لانها بالآثام حملته وبالخطايا ولدته مز ٥١ :٥ أما دهنها بالزيت المقدس بالصلوة فاشارة إلى تقديسها الباطنى بالنعمة.

بعد ذلك يقرأ الطلبات الموضوعة من الكنيسة على أم الطفل أيضاً ثم يصلى على الزيت لدهن الطفل به.. اذا كان المرشح رجلا يصلى أوشية الموعوظين. الخاصة بالداخلين فى الإيمان.

بهذه الطلبات يسأل الله أن يبارك الام التى حفظت شريعته وتاقت ان تدخل الى بيته مشتاقة إلى التناول من أسراره المحيية لكى يباركها ويطهرها من كل

ادناس الخطية لتشترك فى مائدته المقدسة بغير وقوع فى دينونه. كما أنه يبارك الطفل المولود منها ويجعله نامياً فى النعمة والقامة امام الله والناس لو١ :٨٠، ٢ :٥٢ ويصلى لاجل الموعوظين لكى يثبتهم الله فى ايمانه القويم ويضع مخافته فى قلوبهم ويمنحهم النعمة ليفهموا الكلام الذى وعظوا به وفى الزمان المحدود يستحقون حميم الميلاد الجديد لغفران الخطايا ويعدهم هياكل لروحه القدوس. ثم يصلى على الزيت ليكون مباركا ويتقدس بكلمة الله والصلوة ويكون نافعا للاستعمال ١تى ٤ :٥

بعد ذلك يستبرئ الكاهن حال الأطفال أن كان فى أذنهم حلق أو فى أرجلهم خلاخيل أوفى أيديهم خواتم أو أساور فيؤمر يخلعها ويبدأ يرشم الطفل «الذكر أولا وبعده الانثى» باسم الثالوث الاقدس فى جبهته وقلبه ويديه وظهره ثم يكمل بالصلوة:

جاء فى المجموع الصفوى. ويعمد الاطفال ومن قدر أن يتكلم عن نفسه وحده فليتكلم ومن لايقدر فيلقل آباؤهم عنهم أو واحد من جنسه ومن بعد يعمدون الرجال الكبار وأخيراً النساء ويحل شعورهن ويضعن عنهن حليهن. ولا ينزل أحد بشئ غريب معه الى الماء «بدس ١٩» وجه ١٥ أما الصلوات التى تتلى بعد دهن الطفل فيها يطلب الكاهن تقديس الطفل «يذكر اسمه» وجعل اسمه مكتوباً فى سفر الحيوة لو ١٠ :٢٠ وامداده بالنعمة لينموا فى الايمان أما اذا كان المرشح من الموعوظين فيصلى ليجعله أهلا أن يفوز بالنعمة التى تقدم اليها ويطهره من خطاياه ويعتقه من عبودية الفساد إلي حرية مَجد أولاد الله رو ٨ :٢١ وان يملأه من نعمته ليكون مشابها صورة ابنه الوحيد رو ٨ :٢٩ كما وينعم عليه بنقاوة العقل وطهارة الفكر وروح الهداية الى رجاء الحيوة الابدية

ويضيء قلبه بنور معرفته الأهلية ويهب له خلاصاً أبديا ويلده مرة أخرى بحميم الميلاد الجديد. وأخيراً يضع يده عليه ويباركه طالبا من الله أن يطهر نفسه وجسده مـن سائر الأدناس وان يبعد عنه ظلام الفكر وقلة الايمان وان يعتقها من كل أفكـار الشرير باسـم الابـن الوحيـد يسوع المسيح ربنا وأخيراً يبدأ بجحد الشيطان.

يعرى الطفل ويحمله والده أو أمه أو اشبينه. وينظر إلى الغرب ويده اليمنى مرفوعة « المجموع الصفوى وجه١٥».

يفعل الوالد أو الأشبين ذلك بأمر الكاهن لأسباب أو ضحها الآباء وهى لأن الغرب هو محل غروب الشمس حيث يكون الظلام كما لايخفى وبما أننا قبل مجئ الرب يسوع كنا جالسين فى الظلمة وكورة الموت وظلاله اش٩ :٢ واف ٥ : ٨ وبما أن الظلمة يعبر عنها فى الكتاب بالخطية والبعد عن الله كما أن أزمنة العهد القديم بالنسبة للعهد الجديد كانت أزمنة ظلام وليل كما يسميها بولس الرسول رو١٣ :١٢ لهذا يقف المتعمد ووجهه إلي الغرب إشارة إلي أنه كـان غريبـا عن اللـه اف٢ :١٢ وأنه فـي الظلمـة ظلمـة الخطيئـة القـاتلة النفـس والجسـد والروح اف ٤ : ١٨ ، ٥ : ٨ وخاضعاً لسلطان رئيس الظلمة اع ٢٦ : ١٨.

بعد ذلك يلقنه الكاهن وهو يقول. هذا إذا كان المرشح رجلا. أما إذا كان طفـلا فليقل عنه أبوه أو أمه أو اشبينه هكذا. أجحدك أيها الشيطان وكل أعمالك النجسة وكل جنودك الشريرة وكل عبادتك المرذولة وكل حيلك الرديئة والمضلة الخ راجع المجموع الصفوى وجه ١٥ وكتاب المعمودية.

يتلو الكاهن هذه الجمل ويكرر الاشبين تلاوتها بالنيابة عن الطفل. أو المعمد نفسه «إذا كان راشداً» معلنا بها رفض عبوديته لشيطان الظلمة وكل ضلاله وطرح جميع الخطايا والشرور وذلك للدلا له على الحالة التى يكون عليها الإنسان قبل إعتماده.

وهنا يوجد وجه شبه بين هذا القول وبين قول المسيح للشيطان وقت أن جربه على الجبل. إذ قال السيد له. اذهب عنى يا شيطان مت ٤ : ٨ . وأما المعتمد فلرغبته فى الخلاص التام من عبودية ابليس يقول هذه الكلمات «أجحدك أيها الشيطان». والكنيسة اليونانية تقول ان المزمع أن يعتمد ينتصب متجها نحو الغرب الذى هو رمز الى الظلمة ويرفض الشيطان وجميع أعماله وكل عبادته وينفخ : دلالة على أنه ينبذه ويقصيه. ويصق. دلالة على أنه يمقته ويمقت كل أعماله ويتقيأ كل شروره. التعليم المسيحى وجه ١٤٧»

بعد هذا ينفخ الكاهن فى وجه المتعمّد آمراً الروح النجس أن يخرج منه ٣ مرات باسم الرب ثم يتجه شرقاً ويتلو بصوت مسموع الاعتراف بالمسيح ويده ممتدة الى فوق .

يفعل هذا تشبهاً بالمسيح مر ٥ : ٨. ويتجه الى الشرق بناء لما جاء فى أوامر الرسل. والذى يعمدونه يحول وجهه الى الغرب ويجحد ابليس. ويمسك القس يده اليمنى ويحول وجهه الى الشرق ومن قبل نزوله الى الماء يعترف بأنه مؤمن بالآب والابن والروح القدس: وجه ١٥و١٦ الصفوى ولا يقف أن الشرق أولا محل شروق الشمس حيث يكون النور. وبما أن يسوع دعى فى الكتاب شمس البر التى تشرق على المتقين اسم الرب ملا ٤ :٢ وهو كوكب الصبح المنير

رؤ٢٢ : ١٦ والنور الحقيقى الذى ينير كل انسان آتيا الى العالم يو ١ : ٩ فالطفل يحول وجهه الى الشرق بعد أن كان متجها الى الغرب اشارة الى رجوعه من ظلمات «الخطية » الى نور المسيح ومن سلطان الشيطان إلى الله لينال بالايمان به غفران الخطايا ونصيباً مع القديسين اع ٢٦ : ١٨ وللدلالة على أنه كان قبلا فى ظلمة وأما الآن فنور فى الرب اف ٥ : ٨ بعكس الغرباء عن المسيح الذين لا يريدون أن يأتوا الى النور لتكون لهم الحيوة ولا يحبون أن يطلع كوكب الصبح فى قلوبهم ٢بط ١ : ١٩ ويبرهنون على أنهم فى الظلمة سالكون وانهم كما قال السيد احبوا الظلمة أكثر من النور لأن أعمالم كانت شريرة لأن كل من يعمل السيآت يبغض النور ولا يأتى الى النور لئلا توبخ أعماله وأما يفعل الحق فيقبل الى النور يو ٣:١٩ ـــ٢١. الذين فيهم آله هذا الدهر قد أعمى أذهانهم لئلا تضئ «لهم» انارة انجيل مجد المسيح الذى هو صورة اللّه ٢كو ٤:٤ اذهم مظلموا الفكر ومتجنبون عن حيوة اللّه لسبب الجهل الذى فيهم بسبب غلاظة قلوبهم اف٤ : ١٨ ثانيا بما أن الفردوس هو وطننا الأصلى وكان فى الشرق تك ٢ : ٨ فللدلالة على رغبة المرشح فى الرجوع الي وطنه السماوى بالاعتراف بالمسيح يسوع مخلصا يتجه الي الشرق ثالثا للدلالة علي رغبته في الرجوع من الأباطيل الى اللّه الحى ومن عبودية الخطية الى حرية مجد أولاد اللّه والدخول فى عهد النعمة وملك ربنا يسوع المسيح الذى هو النور الحقيقى. ولهذا فانه يعترف بالايمان به وبكامل اتباع وصاياه الإلهية وشرائعه السموية وكل أعماله التى وهبت لنا الحيوة. أما رفع يديه الى فوق فيشير برفع يده اليسرى على أنه كان من أهل اليسار وباليمنى على أنه صار من أهل اليمين مت ٢٥ وعلى اتجاه كل أفكاره نحو الله فى

السماء حيث يسوع جالس عن يمين الآب كو ٣:١و٢ جاء فى التعليم المسيحى للروم الأرثوذكس مانصه. «وبعد أن يرفض الشيطان وجميع أعماله وكل عبادته على هذا المنوال يتجه الى جهة الشرق حيث مطلع النور ويوافق المسيح أى بعد أن يكون تلميذا له وتابعا وأن يحفظ وصاياه ثم يعترف أمام الكنيسة بإيمانه ثالثا دستور الايمان صحيفة ١٤٧».

ثم يلقنه الاعتراف وبعده يتلو قانون الايمان راجع شرحه بأسهاب فى الجزءالأول

بهذا الاعتراف يعلن اقراره بالمسيح الاله وكل نواميسه المخلصه الخ وبتلاوة قانون الايمان يقر معترفا أمام الله وكنيسته بحقيقة ايمانه واقراره بوحدانيه الله وتثليث الأقانيم وبربوبية المسيح يسوع وتجسده وصلبه وموته وقيامته ومجيئه الثانى للدينونة وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، وبمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وبقيامة الموتى وحيوة الدهر الآتى كما اعترف يسوع الاعتراف الحسن أمام بيلاطس البنطي مت ٢٦ :٦٤ثم يسأله أمام الجماعة قائلا : هل آمنت أو أتؤمن على هذا الطفل؟

فيجاوب. آمنت:

يسأل الكاهن الأشبين أو والد الطفل لأخذ إقراره وشهادته فى حضرة الله أمام كنيسته نائبا عن الطفل برغبته الشديدة فى الاستنارة وبإيمانه وبوعده «الطفل عن لسان اشبينه» بأنه يؤمن بكلمة الله المقدسة ويعترف بيسوع المسيح مخلصاً ويثبت فى الايمان الى النفس الأخير.

بعد ذلك يتلو الكاهن الصلوات الموضوعة بعد الاعتراف والطفل معرى الثياب.

بها يطلب من اللّه أن يثبت طاعة عبيده حتى لا يعودوا إلى ماتركوه وأن يوطد إيمانهم حتى لا يفصلهم عنه شئ ويجعلهم أهلا لنعمته العظيمة وينزع عنهم الأنسان العتيق السابق ليستحقوا أن يلبسوا الجديد بحسب الله فى البر وقداسة الحق وأن يهيئوا أنفسهم ليقبلوا عطيةالروح القدس.

ثم يدهنه بالزيت وهويصلى قائلا ما ترجمته أدهنك «يا فلان ويذكر اسمه، بدهن الفرح مز ٢٢ : ٥، ٤٥ :٧ مضاداً لكل افعال الشرير لتغرس فى شجرة الزيتونه اللذيذة.

يدهن المعمد بزيت الزيتون الذى تقدس بالصلوة وكلمة اللّه بأسم الثالوث الأقدس بعلامة الصليب وذلك بناء لما جاء فى أوامر الرسل وهو «أيها الاسقف» أو «القس» قد رتبنا سابقاً والآن نقول أيضاً .. ينبغى أن تدهن بزيت ثم تعمد بماء وأخيراً تختم بالميرون ك٧: ف٢٢ ، وهذا الزيت غير زيت المسحة «الميرون» الذى يمسح به الطفل بعد خروجه من جرن المعمودية مباشرة. وهو لازم ، لأن الطفل المرشح يعتبر قبل العماد بحالة مرض روحى يلزم له دهن المصاب بالزيت كما قال يعقوب الرسول ص ٥ :١٤و١٥ ، ويشير.

اولا: إلى الطيب الذى دهنت به المرأة جسد المخلص مت ٢٦ :١٢ وقد صنعت المرأة ذلك لأجل دفنه كما قال المخلص. فإنها اذ سكبت هذا الطيب علي جسدي انما فعلت ذلك لأجل تكفينى ع ١٣

ثانيا : لأننا بالمعمودية ندفن على شبه موت الرب ودفنه كما قال الرسول رو ٦ :٤ وكو ٢ :١٢ وبما أن جسد يسوع دهن أولا بالطيب يوسف ونيقوديموس المؤلف من مر وعود وبعد ذلك دفن في القبر الجديد الجديد يو ١٩ : ٣٨ ـ٤٢

كذلك المعتمد أيضاً على شبه موت الرب يدهن أولا جسده بزيت ثم يدفن فى ماء المعمودية الذى يشير الى الدفن فى القبر أو يشير إلى القبر الجديد الذى دفن فيه الرب.

ثالثاً : لأن الدهن بالزيت له معنى آخر وهو الدلالة على أنفصالنا من الزيتونة البرية رو ١١ :١٧ الخ أى تحررنا من نير الخطية. وعلى تطعيمنا فى الكرمة الإلهية وصيرورتنا شركاء فى أصل الزيتونة الجيدة ودسمها أى اتحادنا فى الإيمان والقداسة بالرب . قال الرسول ، فان كان قد قطع بعض الأغصان وأنت زيتونة برية طعمت فيها فصرت شريكا فى أصل الزيتونة ودسمها... وهم ان لم يثبتوا فى عدم الإيمان سيطعمون لأن الله قادر أن يطعمهم أيضاً لانه ان كنت انت قد قطعت من الزيتونة البرية حسب الطبيعة وطعمت بخلاف الطبيعة فى زيتونة جيدة فكم بالحرى يطعم هؤلاء الذين هم حسب الطبيعة فى زيتونتهم الخاصة رو ١١ : ١٧ و٢٣و٢٤ هذا وقال بعض الاباء أن لهذا الزيت بما يتلى عليه من الصلوات وبتقديمه بالكلمة قوة طاردة لقوات الشرير الغير المنظورة.

بعد دهن المعمد يكمل الطلبات ويختم بالصلوة الربانية.

بهذه الطلبات يسأل الله أن يفتح قلوب المعمدين ليستضيئوا بنور أنجيله ويطرد روح الشر من قلوبهم ويجعلهم أهلا لقبول نعمة العماد وموهبة الروح القدس وان يلبسهم ثوب الخلاص ورداء البر ويقلدهم سلاح الإيمان الذى به يثبتون ضد مكائد ابليس وأن يجعلهم خرافاً فى قطيعه المقدس وأعضاء مقدسة فى جسده وأبناء نوره وورثة فى ملكوت السماء وان يصحب حياتهم بملائكة النور ليحفظرهم فى كل طرقهم مز٩١ :١١ لكى يجاهدوا حسب وصاياه ويحفظوا

أنفسهم من دنس العالم ليفوزوا بغبطة قديسية بالمسيح يسوع الذى له المجد إلى دهر الدهور أمين.

❖❖❖

الفصل الرابع

«وجوب عماد الأطفال»

إن الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية تعلم بوجوب عماد الأطفال ولها على ذلك براهين دامغة وحجج قاطعة من الكتاب المقدس ومن أقوال الآباء نجتزئ بذكر القليل منها.

أولا: من قول السيد لنيقوديموس. إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله يو ٣:٥ وكلام السيد هذا شامل لجميع النوع الإنسانى والاطفال من أفراد هذا النوع الذى يسرى عليهم هذا الشرط.

ثانياً: لأن الوعد بالغفران وعطية الروح القدس هو للاطفال كما لوالديهم اع ٢:٢٩ وبما أن الحصول على هذا الوعد لا يكون الا بالمعموديةوجب عمادهم لينالوه.

ثالثا: لأن المعمودية هى ضروية للخلاص مر ١٦ : ١٦ والله يريد أن جميع الناس يخلصون ٢تى ٢ : ٤ فهى إذا واجبة للجميع لا فرق بين الأطفال والرجال.

رابعاً لأن الأطفال مولودون بالآثام مز٥١:٥ وملوثون بمعصية آدم ولذا يحتاجون إلى التطهير من الخطية وهو لا يكون إلا بالمعمودية كما قال القديس بطرس اع ٢ : ٣٨.

خامساً: لأننا نقرأ فى سفر الأعمال أن الرسل عمدوا عائلات كثيرة وبيوتاً عديدة فبولس وسيلا عمّدا ليدية وأهل بيتها اع ١٦ : ١٥ وعمّدا أيضا حافظ السجن والذين له أجمعون اع ١٦ :٣٣ وكريسبس رئيس المجمع اعتمد وأهل بيته وعدد كثير من الكورنثيين اع ١٨ : ٨ وبولس عمد أهل بيت اسطفانوس اكو ١:١٦ وبالطبع كان يوجد بين هذه العائلات الكثيرة أطفال ولابد أن الرسل عمدوهم مع المعتمدين كما وأن الثلاثة آلاف نفس الذين آمنوا بالمسيح بخطاب بطرس واعتمدوا كان يوجد بينهم أطفال كثيرون اع ٢ :٢١.

سادساً : لأن الأطفال كانوا فى العهد القديم يدخلون فى عهد الله مع إبراهيم فيختتنون بعد ٨ أيام تك ١٧ : و١١. ومعلوم ان الختان كان رمزاً للمعموديه كو ٢ :١١و١٢. والرمز ظل المرموز إليه فإذا كان الله قبل الأطفال قديماً وأدخلهم فى عهده فهل يحرمهم نعمته الآن كيف لا وهو الذى قبلهم إليه واحتضنهم ووضع يديه المقدستين عليهم وباركهم بعد ان وبخ ما نعيهم من الاقتراب إليه قائلا «دعوا الأولاد يأتون الى ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات مت١٩ :١٣ و١٤ وأخذ ولداً وأقامه فى وسطهم ثم احتضنه مر ٩ :٣٦ قال . انظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار. لأنى اقول لكم إن ملائكتهم فى السموات كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات مت ١٨ :١٠» فالسيد بأقواله هذه أعلن أن الأطفال هم ورثة الحياة الأبدية فإذاً ماذا يمنع من أن يعتمدوا وكيف لا يجب عمادهم وقد جعلهم الله أعضاء كنيسته السموية.

هذه بعض آيات الكتاب ويحسن أن نأتى على أقوال آباء الكنيسة ثم نردفها بشهادات المخالفين لنا وها هى :

إن القديس إيريناوس يقول «إن يسوع المسيح أتى لكى يخلص جميع البشر أعنى الذين ولدوا ثانية لله سواء كانوا «أطفالا » أو شبابا أوشيوخاً «ضد هرطقة. ٢٢ف ٥ :١٥» وإريجانوس يقول «إن الكنيسة تسلمت من الرسل تقليد عماد الأطفال أيضاً. فالأطفال يعمدون لمغفرة الخطايا ليغسلوا من الوسخ الجسدى بسر المعمودية ك٥و٢ إلى رومية وم ١٤ على لوقا» والقديس اغريغوريوس الثاولوغوس يقول «هل عندك طفل فلا يأخذن فيه الشر فرصة بل ليقدس وهو رضيع وليكرس للروح منذ نعومة اظافره. انك تخافين أيتها الأم من الختن بسبب ضعف الطبيعة بما أنك ضعيفة النفس قليلة الإيمان ولكن حنة قبل أن تلد صموئيل وعدت الله به وبعد ولادته كرسته حالا وبحلة الكهنوت ربته ولم تخف من الضعف البشرى بل آمنت بالله خطابه فى المعمودية » وأغسطينوس يقول «إن الكنيسة كانت دائما تتمسكك وتعمد الاطفال متسلمة إياه من آثار السلف ولم تزل محافظة عليه إلى الآن وسوف تحفظه إلى الإنقضاء خطاب ١١٧» وقد قرر مجمع قرطجنة وحتم على عماد الأطفال بقوله «إن كل من ينكر إن المتعمدين من الأولاد الصغار المولودين حديثا من بطون أمهاتهم يعمدون لمغفرة الخطايا أو يعترف بذلك ولكنه يزعم أنهم لم يشتركوا بشئ من الخطية الجدية المحتاجة إلى التطهير بحميم الميلاد الثانى .... فليكن مفروزا ق ١٢٤ لأن عبارة الرسول القائلة «.... بانسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع رو٥ :١٢ لا يجب أن تفهم بمعنى آخر إلا كما فهمتها الكنيسة المقدسة الأرثوذكسية ــ أعنى أن الأطفال أيضاً الذين لا يستطيعون أن يرتكبوا بذواتهم خطية من الخطايا يعمدون بناء علي قانون الإيمان القائل نعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ق ١٢١ ،

هذه بعض شهادات الآباء والمجامع بشأن وجوب معمودية اطفال التى يؤيدها ويعترف بها البروتستانت أيضا بقولهم «إن التعميد هو استعمال الماء فى الروحيات إشارة الى تطهير القلب وختم عهد الله للمؤمنين وأعطي الله هذا العهد أولا لإبراهيم ونسله وجدده المسيح بعد قيامته. فهو في العهد الجديد بدل الختان في العهد القديم. ولذلك يسمح بالمعمودية للأطفال المؤمنين كالبالغين اع ١٦ : ١٥ و٣٣ والفرق أن الاطفال يعلمون بعد المعمودية والبالغين قبلها ولا مانع من إقتران التعميد بالتعليم عند الامكان » راجع تفسيرهم الإنجيل على مت ٢٨ :١٩ والصلوة العامة للأسقفين صحيفة ٢٢٧ ـــ ٢٣٤

هذه بعض البراهين التى اعتمدت عليها الكنيسةالأرثوذكسية فى وجوب عماد الأطفال وهى كلها مأخوذة من الكتاب المقدس أساس إيماننا القويم ومصباح كنيسة يسوع ولم نشأ التوسع فى هذا الفصل لأن الإجماع معتقد إعتقادنا ومؤيد لمذهبنا.

أما اللقطاء فقد حدد مجمع قرطجنة بشأنهم ما يأتى « إذ لم يوجد شهود حقيقيون يقولون بأن الأطفال قد اعتمدوا وهم أيضاً «الأطفال » لا يقدرون أن يجاوبوا عن السر المعطى لهم فقد تقرر بأنه يجب بدون أقل ريب أن يعمدوا لكى لا يحرمهم هذا الشك من التطهير الذى يمنح لهم بواسطة السر المقدس ق٨٣».



الفصل الخامس

«أصحاب السلطة فى تتميم سر المعمودية»

إن الكنيسة الأرثوذكسية المقدسه تمارس سر المعمودية منذ العصرالرسولى إلى الآن وإلى انقضاء الدهر وتمنحه للمؤمنين حسب أمر الرب نفسه مت ٢٨ :١٩ وقد وضعت له قداساً خاصاً ـــ أى صلوات وتضرعات وابتهالات لتقديس الماء الذى يغطس فيه المتعمد وبه ينال نعمة الروح القدس ويستحق الدخول فى ملك ربنا يسوع يو٣ :٥ واع ٢ : ٣٨ـ٤٠ وقد نهت عن استعمال غير هذه الصلوات أوحذف شيء منها بما أنها موضوعة بإرشاد الروح القدس قال القديس اغسطينوس «ماهي معمودية المسيح ؟ حميم ماء نقي وبعض عبارات تقال عليه فإن نزعتم الماء فليس تعميد أيضا. تفسير يو ١٥ :٤ » وقد أوضحت الكنيسة لخادم السر كيفية ممارسة وترتيب استعمال كما سنرى

أما حق إتمام هذا السر فقد خول وأعطى من السيد المسيح لرسله القديسين بقوله لهم اذهبوا وتلمذوا كل الأمم وعمدوهم الخ مت ٢٨ :١٩ ومر ١٦ :١٦ وبناء هذا السلطان كان الرسل يتممون سر المعمودية لكل من يؤمن بالمسيح يسوع كما هو واضح فى سفر الأعمال وقد منحوا هذا السلطان لخلفهم من بعدهم أيضا ـــ أى الأساقفة والقسوس فقط كما يتضح من القوانين الرسولية أولا : وشهادات الاباء ثانيا :

أولا: ـــ قد قيل فى القانون ٤٧ مانصه« كل أسقف أوقس يعمد ثانية من نال تعميداً الخ » وفى ق ٤٩ قيل. كل أسقف أو قس لا يعمد بثلاث غطسات الخ وجاء فى أوامر الرسل ما نصه « إننا لا نسمح بحق التعميد لأحد من

الاكليروسيين مثل القارئين والمرتلين والبوابيين والخدمة إلا للأساقفة والقسوس وحدهم الذين يخدم معهم الشمامسة ك٣ ف١١ راجع المجموع الصفوى باب ٣ وجه ١٤

ثانيا :ــ قال القديس أغناتيوس لا يسمح لكم أن تعمدوا بدون أسقف ولا أن تقدموا قرابين ولا أن تقدموا ذبيحة» وترتليانوس يقول « إن السلطة فى تتميم المعمودية منوطة بالأسقف ثم بالقسوس مع الشمامسة ولكن لا بدون رخصة من الأسقف لشرف الكنيسة. فى كلامه عن المعمودية.

نتج من هذا أن سلطان تتميم سر المعمودية خاص بالأساقفة والقسوس وحدهم .

أما الشمامسة فلم يعط لهم هذا السلطان . صحيح ان فيلبس الشماس عمد كثيرين اع ٨: ١٢و١٣و٣٨ وإنما كان ذلك لدواع اضطراريةوظروف خصوصية وهو مالا يؤخذ حجة ولا يجعل قاعدة والدليل على ذلك أن الذين عمدهم لم يحل عليهم الروح القدس اع ٨: ١٤و١٥ فهم كانوا يعمدون فقط وليس لهم حق منح مواهب الروح القدس ولا يزال ذلك جائزا فيما إذا طرأ على الطفل المعمد مرض فجائى منذر بالخطر وتعذر استدعاء الكاهن حالا لتتميم السر أو كان الأسقف أو قس غائباً ترتليانوس فى المعمودية ١٨ وكيرلس الأورشليمى عظة ١٧ :٣ وقد جاء فى الأوامر الرسولية «إن الشماس .. لا يعمد . ك ٨ ف ٢٨ وقال القديس ابيفانيوس «انه حسب النظام السائد لايتمم الشمامسة سراً من الأسرار لكنهم يخدمون خدام الأسرار غير أنه حينما تدعو الضرورة يسمح للعلمانيين أيضاً أن يعمدوا . فى المعمودية ف١٧»

على أن القوانين لم تصرح فقط للشماس فى هذه الظروف الحرجة الضيقة

بل لوالد الطفل أو والدته أيضاً حين الضرورة وبالرش أيضا وفي البيت مع لفظ صورة العماد أما في غير هذه الظروف فلا يجوز ولا يسمح للشمامسة ولا للرجال العلمانيين سيما النساء أن يعمدوا كشهادة القديس ترتليانوس ف٩ البتولية (١)



الفصل السادس

«عدم إعادة المعمودية مرة ثانية»

من الواجب ملاحظته أن المعمودية لا تعاد مرة ثانيه (١) لانها واحدة اف ٤:٥ (٢) لانها مثال موت الرب ودفنه رو ٦ :٤ : و١كو ٢ :١٢ والمسيح لم يمت إلا مرة واحده «١» لأن إعادتها صلب ثان للمسيح اف ٤ :٥ وعب ٦ :٦، ١٠ :٢٦ والدليل على ذلك رمزها فى العهد العتيق تك ١٧ :١٤ ـــ ١كو ١٠ :٢٠ ولذلك يقول الذهبى فمه «وقد دفنا معه بالمعمودية للموت. وكما أنه غير ممكن أن يصلب المسيح مرة ثانية هكذا لا يقدر من قد اعتمد مرة واحدة أن يقبل معمودية ثانية على عب م ١١ :٣».

إن الكنيسة بنوع استثنائى تعيد معمودية الأراتقة الغير قانونية كالبولسيين(٢) والأقنوميين (٣)كما حدد مجمع نيقيه بقوله «قد حدد أن يعاد

(١) راجع الانوار فى الاسرار صحيفة ٥٣و٥٤ وهو الكتاب الذى أخذنا عنه بعض أقوال الآباء

(٢) نسبة إلى بولس السميساطى «من سميساط الواقعة بين النهرين بقرب الفرات» الذى سيم أسقفاً على انطاكيه سنة ٢٦ بعد وفاة أسقفها ديمتريانوس وقد جدف =

بدون تردد عماد الذين يكونون بولسيين ثم يرجعون إلى الكنيسة الجامعة الخ ق ١٩ » وجاء فى قوانين الرسل مانصبه. «كل أسقف أو قس عمد ثانية من كانت معموديته حقيقية أو لم يعمد المدنس من الكفرة فليقطع بما أنه مستهزئ بصليب الرب وبموته وغير مميز الكهنة الحقيقيين عن الكهنة الكذبة ق ٤٧»

أما المعمودية التى تتم بصورة صحيحة بواسطة الشماس أو والد الطفل لا تعاد ثانية إذا عوفى المريض فقط يكمل الكاهن تنصيره حسب طقس الكنيسة بدون تغطيس وبغيرلفظ صورة العماد ثم يمسحه بزيت المسحة «الميرون »

إذا لم يكن كاهن الأبروشية حاضراً ووجد آخر من أبروشية أخرى جاز له أن يتمم السر إذا كانت حالة المعتمد منذرة بالخطر وليس فى الامكان إستدعاء كاهن الأبروشية حالا فقط عليه أن يثبت ذلك بشهادة اثنين أو ثلاثة موثوقا بشهادتهم .

على أنه من الواجب على كاهن الأبروشية أن ينبه رعيته أن ينبئوه حالا عند حدوث أقل عارض مرض للطفل.

= على سر الثالوث الأقدس ناكراً أقنومى الإبن والروح القدس زاعما أن اللّه مع كلمته واحدكما أن الإنسان مع كلمته واحد. الكنز الثمين صحيفه ٢٤٥

(٣) نسبة إلى افنوميوس الذى كان من أهل غلاطية وكان يعيد معمودية من عمدهم الأريوسيون أو من عمدهم الأرثوذكسيون أيضا بغطسة واحدة جاعلا أرجلهم إلى فوق ورؤوسهم إلى أسفل قائلا يعمد فلان باسم الآب الغير مخلوق والابن المخلوق والروح القدس المخلوق من الابن المخلوق. وقد نفاه الملك تاؤدوسيوس وأقام فى منفاه حتى مات الكتاب نفسه صحيفة ٢٤٩

أما إذا توفى الطفل بدون عماد[1] فيبحث عن السبب سواء كان ناتجاً عن إهمال الوالدين[2] أم الكاهن. فإذا كان من الوالدين فيعاقبا [3] مع مراعاة الاسباب التى ينجم عنها تأخير العماد شرعية أو غير شرعية. وإن كان من الثانى فللأسقف أن ينظر فى أمره أيضاً قانونياً إذا اتضح أنه علم بمرضه وأهمل فى عماده أو دعى وتأخر راجع المنشور البطريركى الصادر فى ٢٤ مسرى سنه ١٦١٥ ، هذا وقد حصلنا على المقالة الآتية للأنبا أثناسيوس أسقف قوص فى القرن ١٢ فرأينا إثباتها لما تحويه من التعاليم التى يحتاجها الكاهن فى ظروف

---

(١) تعلم الكنيسة الجامعة إن الاطفال الذين ينتقلون بغير عماد يكونون فى مرتبة متوسطة فلا يتنعمون بحسب قول المخلص إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يعاين ملكوت الله يو ٣:٥ ولا يعذبون لانهم لم يرتكبوا شراً وهذا ما قاله القديس أغريغوريوس الثاولوغوس «إن الاطفال غير المعمدين لا يمجدون ولا يعذبون من الديان العادل لانهم إن كانوا غير مستنيرين وغير مقدسين بالمعمودية لم يخطأوا خطية شخصية ولذا لا يستحقون كرامة ولا قصاصاً. الخطايا ١ :١٦

(٢) نهت الكنيسة عن تأخير العماد بعد الاربعين أو الثمانين أو السنه وإلا فيبحث عن السبب

(٣) فرضت الكنيسة عقاباً على الوالد إذا أخر عماد ولده تعمداً وهو حرمانه من الاشتراك فى جسد الرب ودمه الاقدسين مدة سنة كاملة مع الصوم والصلوة. وبالعقاب نفسه إذا احتج بعدم لياقة الكاهن تأديبا له فى الحكم على راعيه قبل اليوم. ولأن مفعول السر لا يتوقف على قداسة الكاهن .أو عدمها فقوة المعمودية واحدة متساوية وإنما يطلب ان لا يكون الكاهن غريباً من الكنيسة ولا من مذمته ظاهرة، الصفوى وجه١٥ أما اذا نذر عماد ابنه فى كنيسة اخرى فلا بأس من وفاء نذره فيها غير أنه لا يجوز للوالدين ان يهملا عماد ابنهما زيادة عن المدة المعينة وهى من ٨ أيام الى أربعين.

خصوصية عن العماد. قال أيها الحبر المؤتمن أمام الشريعة. المطلوب عن نفوس أولاد البيعة. إذا أحضروا اليك طفلا خشى عليه موت الحمام. وأنت فى ذلك اليوم محلول الصيام. فعمده سريعا واعتمد هذا الإعتماد وقم بالبيعة إلى ثانى يوم. قدس وتقرب بغير عناد . ولكن احذر ان تغطسه ثلاث غطسات . بل صب عليه ماء المعمودية ثلاث مرات. والحذر من الختان بعد المعمودية. فانه يقطع من درجته وعليه فى ذلك اثم وخطيئة.

وان وجدت كاهناً غيرك صائماً ذلك اليوم دعه يقدس ويقرب الطفل وليس عليك لوم . وان قضى اجل الطفل بعد الدهن الأول [1] فلا تخف بل احضر غيره وابتدئ من الأول . وتحقق انه حسب له بذلك معمودية ونال الخلاص بثبات النيه[2] وان غطست الطفل لعدم معرفة وقضى فى حال المعمودية

(١) يريد به الزيت الذى دهن به الطفل وقت جحد الشيطان قبل المعمودية

(٢) المعمودية خمسة أنواع.

أولا : معمودية الروح القدس ونار أو الماء والروح مت ٣ : ١١ ويو ٣ :٥

ثانياً : معمودية. العزم أو النية أو الايمان وهى التى تكون عند عدم وجود فرصة للعماد ومثلها اللص لو ٢٣ : ٤٢

ثالثا . معمودية الآلام مت ٢٠ : ٢٢

رابعاً : معمودية الدم أو الإستشهاد لأجل الإيمان وهى التى اعتمد بها اكثر الشهداء « أن يكن هذا لا يحسب عن بعضهم عماداً الا أنهم يعتبرون أن المسفوك دمه فى هذا السبيل من قبل أن يعتمد « يدفن مع الشهداء لأنه قد تعمد بدمه ، كما جاء فى ق ٩ لابوليدس وفى ٣٢ «رسطب» قد افصح ما يكون من أمر المتعظين إذ يقول «فاذا ظلم وقتل من قبل غفران ذنوبه فانه يتبرر لأنه قد تعمد بدمه » وفى باب ٢٧ من الدسقولية لأجل الشهداء الذين يلقون فى الحكم والذين يعاقبون باختلاف العذاب قيل « وإن كان موعوظا فليمضى بلا ألم قلب لأن الالـم الذى قبله لاجل المسيح يكون =

فباستهتارك تقنن ثقيلا ولا تقطع بالكلية . فلا تغطس من خيف عليه الموت ثلاث مرات. بل. أتبع ماذكر أولا وإمسح بالماء ثلاث مرات . وإن قضى أيضاً بعد المعمودية ودهن الميرون بغير قربان فاعلم وتحقق أنه قد كمل وحسب له بر الإيمان وان احضروا اليك طفلا يقصدون عماده قبل طهر أمه(١) فعمده عاجلا ولو أنه ابن يومه وأمرهم بام ولا ترضعه أمه بألا ترضعه أمه لكن الظئر(٢) إلى ثلاثة أيام. وإن لم يوجدوا مرضعا ترضعه غير ذلك اليوم. فحل زناره آخر النهار ودع أمه ترضعه وليس عليها لوم وعمده ولو كان غير معذور (مختون) فان ذلك هو الشرع المأمور. ولا تقف أبداً عند ختان . فإن ذلك ليس فرضا ولا سنة ولا هو من الايمان. وإن أتوا إليك بحامل (٣) فعمدها سريعاً يا

= له معمودية مصطفاة لانه يموت مع الرب لما نال مثال موته . الصفوى وجه ١٨ خامسا : معمودية التوبه والندامة التى بها يتصهر الخاطى الذى انغمس فى الخطية بعد المعمودية فيذرف الدموع الحارة والعبرات السخينة ويغسل بها نفسه وجسمه ، والنوعان الاخيران ذكرهما القديس اغريغوريوس فى عظته على العماد قال واعرف عماداً رابعاً ن هو ما كان بالاستشهاد والدم وعماداً خامساً هو عماد التوبة والدموع

(١) فى بعض القوانين «ان المولود إذا خيف عليه من الموت قبل طهر أمه من دم نفاسها فيدخل الكنيسة مع غيرها ويعمد لان المرأة التى تلد ذكرا تبقى بعيدة عن الموضع المقدس ٤٠ يوما أو ٨٠ إذا ولدت أنثى وإذا دخلت الكنيسة تصلى مع المتعظين بوليدس ق ٣٨)

(٢) (الظئر هى التى عطفت على ولد غيرها المرضعة له فى الناس وغيرهم وهو أعم من المرضعة لانه يطلق على الذكر والانثى كما جاء فى القاموس. الصفوى وجه ١٧ :

(٣) الحبالى لا يمنعن عن التعميد أى وقت شئن وليس بين الوالدة والولد شركة فى المعمودية لأن كل انسان يجب أن يظهر اقراره منفرداً دسق ٣٤. والاسقف يدهن رأس المرأة والشمامسة تدهنها كلها لانه لا يجوز أن يتأمل الرجال النساء. الصفوى وجه ١٦

أمين. ويحسب لها ذلك دون الجنين[1] والحذر ثم الحذر من عماد الضاحك (الحائض) بل أخرها إلى أن تطهر ولو كانت ذات نجاز مالك وإن أتوا إليك بعبد أو أمة لتصبغها بماء المعمودية. وعرف مواليهم إنهم عتقوا بالولادة الروحانية. ولا يجوز عماد الجوارى بعد عمادهن. لا ولا قبله فلا ترخص لهن. وإن أتوا إليك بمن رجع من أولى البدع، فعمده وله فى ذلك سبيل قد وضعه من وضع ومن أخر عماد ولده بعد الاربعين الى سنة. قانونه الصوم والصلوة و الامتناع عن الاسرار المقدسة مدة سنة. وأن أخره لملبوس أو لامر دنيوى. ضاعف عليه القانون ليرتدع غيره ويرعوى وان أخره لانتظار كاهن ملائكى السيرة. زده قانوناً ليحسن هو وغيره الظن فى الكهنة والسريرة وان أخره ليتوجه به الى بيعة معينة مفردة . شدد عليه القانون ليتضح للكل ان البيعة والمعمودية واحدة موحدة. ومن عمد وكرر معاً ابطله ومن كرزه ومن له سعى .واحذر أن تتهاون فى شئ من ذلك فتكون أمام باريك يوم الدين هالك. وان سارعت وبادرت تكون مغفور الخطايا. وتنال من سيدك اسمى العطايا.. والشكر لله فى الختام ولك من الله السلام ا.هـ



(١) الكنيسة الارثوذكسية إذاعمدت حبلى فانها تلزمها بعد أن تضع ولدها أن تعمده أيضا ولا تؤخر عماده بالقول أنهاهى قد اعتمدت لأن المعموديه هى ميلاد ثان ولادة الروح القدس ق٦ لقرطجنة. الصفوى وجه ١٨

الفصل السابع

«كيفية تكميل سر المعمودية»

كيفية ممارسة وتتميم سر المعمودية كما يأتى :

يبدأ الكاهن بالصلوة كالمعتاد ثم يتلو الطلبة المرتبة من الكنيسة وبعد رفع البخور لله تقرأ الرسائل فالثلاث تقديسات فاوشية الانجيل فالمزمور فالانجيل باللغة القبطية وترجمته

انتخبت الكنيسة فصولا من الانجيل والرسائل ملائمة للسر رتبت قراءتها وقت تتميمه وهى البولس من ١ تى ٢ : ١١ ــ ١٧ . والكاثوليكون من ١يو ٥:٥ ــ ١٢ والابركسيس من اع ٨: ٢٦ ــ ٤٠ والمزمور ٣٢ : ١و٢ والانجيل من يو ٣:١ ــ ٢١ والغاية من تلاوة هذه الفصول الانجيلية وقت تتميم سر المعمودية

(١) تقديسها لأن كل شي يتقدس بكلمة الله وبالصلوة تى ٤ :٥

(٢)تفهيم المعتمدين والسامعين عظمة السر وأهميته من أقوال الله الدالة على شرف المعمودية وفوائدها الخلاصية ونتائجها الروحية

(٣) وعظهم وحثهم على التمسك بالايمان الحى فى المسيح يسوع وليزدادوا نشاطا لا تمام هذه الفريضة الإلهية الضرورية للخلاص وقيل فوائدها التى سمعوها فى الفصول التى قرئت عليهم كما قال ابن المقفع. وهذا ما أمرت به الرسل إذ قالوا «عند إتمام المعمودية يجب أن تقرأوا فصولا من الانجيل المقدس للتعليم والارشاد ».

بعـد قـراءة الانجـيل يصلى الكاهن السـبع أواشى الكبـار. ثم ⲕⲉ ⲉⲗⲉⲏⲥⲟⲛ ٣ مرات فالطلبة ⲫϯ ⲛ̀ⲧⲉⲛⲓⲡ̀ⲣⲟⲫⲏⲧⲏⲥ آله الانبياء، وما يليها. ثم يقول المرتلون ⲥⲱϯⲥ ⲁⲙⲏⲛ خلصت حقا باللحن. أما الكاهن فيتلو سرا الصلوة التى مطلعها ⲡⲓⲛⲁⲏⲧ أيها الرؤوف».

بهذه الطلبة والتى قبلها يلتمس الكاهن من اللّه عن نفسه وعن المعتمد. أما المتعمد فلكى يهبه اللّه نعمته ويمنحه قوته المقدسة ليستحق الصبغة المقدسة والتطهير من الخطايا السالفة والحصول على الرجاء المبارك الموضوع أمامه. أما هـو فلكـى يهبه الله نعمة الاستحقاق ليتمم هذه الخدمة الإلهيه وتكون مقبولة لديه.

ثم يصلى هذا الكاهن الثلاث أواشى الكبار فقانون الإيمان وبعدها ينضح ٣ مرات من الغاليلاون على الماء بمثال الصليب وهو يقول ϧⲉⲛ ⲫ̀ⲣⲁⲛ ϧ ⲙ̀ⲫⲓⲱⲧ باسم الآب الخ» ثم يقول المرنم ⲕⲉ ⲉⲗⲉⲏⲥⲟⲛ

«الغاليلاون» هو زيت قسطنطينى تغلى به اثقال الطيب التى تبقى من الميرون بعد تصفيته، أما نضحه ٣ مرات فذلك على اسم الثالوث الأقدس أما رشمه بمثال الصليب فللدلالة على أن المعمودية رسم لموت الرب الذى تم على الصليب

ثم يتلوا الكاهن الطلبة التى بدءها ⲫ̀ⲣ ϥⲥⲱⲛⲧ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲙⲱⲟⲩ يا خالق الماء.

بهذه الطلبة يلتمس الكاهن من الله الذى قدس المياه بمس جسده الأقدس فى نهر الأردن ومنحها القوة الأدبية لتلد الناس ثانية « بعد رسمه المعمودية كما قال الذهبى فمه » ان يقدس ماء المعمودية بقوة ونعمة روحه القدوس لكى

يحل الروح القدس على الماء بعد التضرع والدعاء لينال المعتمد نعمة التجديد ويحصل على الولادة الروحية الجديدة كما نال القديس يوحنا الدمشقى.

ولنلاحظ هنا

(١) أن الماء هو المادة أو العلامة الخارجية المنظورة اع ٨:٣٦ ، ١٠ :٤٧ التى لهذا السر والتى عينها الرب بقوله. إن كان أحد لا يولد من الماء والروح يو ٣ :٥ وقد عين الله الماء عل ما قال الآباء أولا. لتكون نسبة بين المادة المنظورة «الماء» والعلامة الغير المنظورة «نعمة الله » فان الماء يغسل الأقذار الجسدية والمعمودية تغسل النفس من أوساخ الخطية الجدية ا كو ٦ : ١١ ، ابط ٣ :٢١ .

(٢) لأنه يدل على مفاعيل النعمة ونتائجها

(٣) لأن الماء يطهر الجسد ويجددها والمعمودية تطهر النفس وتجددها وتلدها ولادة جديدة فان الرسول يدعوها حميم الميلاد الثانى تى ٣ :٥ وبما أن التجديد هو بمنزلة غسل النفس من أدناس الخطية فيحسن كثيراً الأشارة اليه بغسل الماء.

(٤) لأن الماء هو العنصر الوحيد الذى به نستطيع أن ندفن على مثال دفن الرب فى بطن المعمودية رو٦ : ٣و٤ . وكيف ندفن على شبه موته؟

ذلك بالماء وقال القديس باسيليوس «لكون الغاية من المعمودية مضاعفة وهى أن يبطل جسد الخطية كى لا يثمر فيما بعد للموت وأن تكون الحيوة بالروح ليكون لنا الثمر بالتقديس يكون الماء ليرسم صورة الموت إذيقبل الجسد بمثابة القبر وأما الروح فيدخل القوة الميتة مجددا نفوسا من موت الخطية إلى الحيوة الأولى »

ويجب أن يكون الماء قراحا غير ممزوج بشيء من السوائل الأخري كما ولا

يجوز قانونا أستعماله أو مزجه بالماء الذى يصلى عليه فى عيدى الغطاس والخميس الكبير بطقس خاص بهما ولغير المعنى الذى ــ لماء المعمودية

ثم ينفخ الكاهن فى الماء ٣ مرات بمثال الصليب وفى كل مرة يقول ⲁⲣⲓ ⲁ̀ⲍⲓⲁⲍⲓⲛ ⲙ̀ⲡⲁⲓⲙⲱⲟⲩⲫⲁⲓ قدس هذا الماء ينفخ الكاهن في الماء هذا وهو يتلو كلمات التقديس ليباركه بالدعاء الذى ينحصر فى قوله « قدس يارب هذا الماء » وذلك على مثال الرب يسوع الذى لما بارك تلاميذه نفخ فى وجوههم يو ٢٠ :٢١ .

بعد ذلك يرشمه أيضا بمثال الصليب وفى نهاية الرشم الثالث يخاطب الشماس الشعب قائلا Ⲡⲉⲟⲩⲏⲥ ⲧⲉⲗⲓⲁⲥ صلوا من أجل السلامة ثم يصلى قداس المعمودية كما هو مدون الكتاب الخاص به ويختمه بالصلوة الربانية فالتحاليل الثلاثة وفى ختام تحليل الأبن يقول الشماس Ⲥⲙⲏⲓⲥ ⲁⲙⲏⲩ ⲗⲁⲓⲧⲱ ⲛⲛⲁⲧⲓⲥⲟⲩ خلصت حقاً ومع روحك أيضاً »

ثم يسكب الكاهن على ماء المعمودية من دهن المسحة « الميرون » ثلاث نقط بمثال الصليب ويرشم بسم الثالوث الأقدس

تسملت الكنيسة منذ القديم أن يسكب من دهن المسحة « الميرون على ماء المعمودية وذلك لتقديس الماء وتكريس المعمودية ثم لتقديس جسد المعتمد كله. وقد أمر بذلك القديس بطرس فى رسالته لا كليمس والقديس باسيليوس ق ١٠٥ . وأيدته آباء المجمع الأول المسكونى ق ٧٤ من ٨٠. ومن مراجعة قوانين مجمع قرطجنة نستدل على أن ذلك تسليم رسولى . إذ جاء فيها يجب على النساء أن يضبطن نفوسهن وقت المعمودية لأن الروح القدس يحل على الماء الذى يغطس فيه الطفل وعلى الكاهن الذى يصلى قداس المعمودية وعلى

الأطفال الذين يعمدون فى ذلك الماء المقدس بدهن « الميرون » وقد سئل القديس باسيليوس . عما إذا وقع شئ فى جرن المعمودية هل تبطل فأجاب هذه الأمور وأمثالها لاتبطل المعمودية فان تكريسها كل يوم يتجدد بنضح الميرون عليها، على أنه إذا كنا نرشم بعض أعضاء الجسد بالميرون المقدس لتنتفع بعض الأعضاء الظاهرة فلا مانع من سكب جزء منه على الماء نفسه الذى يغطس فيه المعتمد برمته ليتقدس الجسد كله وتنتفع سائر الأعضاء كما قال ابن المقفع.

ثم يتلو هذه المزامير وهى مز ٢٩ : ٢و٤، ٣٤ : ١١، ٥١ :٧ــ ١١، ١٢٢ :١٣ ثم المزمور ١٥٠ باللحن بعد ذلك يأخذ الكاهن الطفل من الشماس وينزع عنه ثيابه.

فى ذلك إشارة إلى خلعه الانسان العتيق الفاسد مع أعماله وكل غروره وضلاله أف ٤ : ٢٢ وأنه سيلبس فيما بعد ثوب الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق اف ٤ : ٢٤ ثوب النعمة والتبرير ثوب السرور الموضوع أمامه عب ١٢ : ٣ وقد علل بعضهم لذلك تعليلا آخر فقال : كما أن المسيح عند موته نزعت عنه ثيابه مت ٢٧ : ٢٨ كذلك المعتمد عند اقترابه من المعمودية التى هى رسم لموت الرب ودفننا بها معه رو ٦ :٤ تنزع عنه ثيابه . الأولى أرجح وأصوب.

ثم يمسكه بيديه الواحدة (اليمنى) على رأسه والأخرى (اليسرى) برجليه ويغطسه فى الماء



الفصل الثامن

(وجوب العماد بالتغطيس)

إن الكنيسة المقدسه منذ العصر الرسولى تتمم سر المعمودية للمعتمدين بالتغطيس ولها فى ذلك براهين كثيرة منها.

أولا : من الكتاب المقدس. فإن الرب يسوع نفسه اعتمد من يوحنا سابقه بالتغطيس مت ٣: ١٦ ومر ١: ١٠ ففى هذه الآيات صرح الإنجيليون بأن المسيح صعد من الماء وهو دليل على نزوله فيه وما صعد إلا لأنه نزل أولا.

وإن الرسل أنفسهم كانوا يعمدون بالتغطيس. ففى سفر الأعمال نقرأ عن فيلبس والخصى أنهما فيما هما سائران أقبلا على ماء فقال الخصى هوذا ماء فماذا يمنع أن اعتمد فامر أن تقف المركبة فنزلا كلاهما إلى الماء فعمده ولما صعد من الماء خطف روح الرب فيلبس اع ٨: ٣٦ ــ ٣٩

قد أشار إلى ذلك بولس بقوله أم تجهلون إننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت رو٦ :٣ و٤و٥ وقوله . مدفونين معه في المعمودية التى فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذى أقامه من الأموات كو ٢ :١٢ . وقوله لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة اف ٥: ٢٦ ...وقوله بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس تى ٣ :٥ فمن هذه الآيات الرسولية نستدل على وجوب العماد بالتغطيس لأن الاعتماد ليسوع على شبه موته والغسل بالماء لا يتم إلا بتغطيسنا فى الماء. والدفن أيضا لا يكون عادة إلا بموارة الجسم كله لا بعضه فى بطن الأرض. كذلك العماد لا يحسب عماداً إلا بتغطيس الانسان المعتمد كله لاجزءاً منه فى

جرن المعمودية: ثم إن لفظه ـــ معمودية ـــ تعنى إصطباغا ومعلوم أن الأصطباغ أو الغسل لا يكون إلا بغمر الشئ كله فى الماء المطلوب الأصطباغ به لا بعضه لأنه كما إن الولادة هى خروج جسم كامل من آخر كذلك لايقال عن المعتمد أنه اعتمد إلا إذا تم تغطيسه فى الماء وهذا ما تدل عليه اللفظة اليونانية«فابتزما» فقد عرفها أباء الكنيسة اليونانية (أنها صيغة مبالغة من فعل «فابتن» الذى معناه الصبغ أى إدخال الشئ فى السيال مع كبسه إلى أسفل أواصبغ الشىء بتغطيسه بالسائل» كما تقضى المبالغة وهذا لا يكون إلا بالتغطيس

وعلى هذا المثال كان يوحنا يعمد الآتين إليه وهكذا اعتمد منه المسيح مت ١٣ :١٦ وهكذا كان الرسل يعمدون اع ٨ :٣٦و ٣٩

هذه بعض الأدلة الكتابية « أما شهادات الآباء والمجامع فهى كثيرة ومؤيدة لهذه الحقيقة بناء على ما جاء فى قوانين الرسل ق ٥٠) فالقديس ترتليانوس يقول لأننا لا نغطس مرة واحدة الخ والقديس باسيليوس يقول: فبثلاث غطسات تعمد الخ فى الروح ق ١٥ وإن هذا « التغطيس» تقليد رسولى ق٩١ وهذا ما جاء في الدسقولية ٣٤ راجع المجموع الصفوي وجة ١٥ ويؤيد ما يوجد في الكنائس (القديمة) من اجران المعمودية ومما يجب ذكره إن جميع الكنائس الرسولية حتى البروتستانت أنفسهم يسلمون معنا بذلك راجع تفسيرهم لا نجيل متى ص ٢٨ : ١٩ والصلوة العامة للأسقفين صحيفة ٢٣٢.

ولا بأس من أن نأتى بشهادة أكبرمشاهير انكلترا غلادستون فى كلام له عن عماد الخصى قال أن الكنيسة الباباوية تعمد بالرش غير ناظرة إلى قول السيد المسيح القائل. إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت

الله يو ٣ :٥ والولادة من الماء لا تتم بالرش سواء بمعناها الحرفى أو بمعناها الاصطلاحى والسيد المسيح لما قبّل العماد من يوحنا لم يكتف بالرش وهو على ما نعلم فى الثلاثين من عمره بل نزع ثيابه ونزل إلى النهر.. وأكبر شاهد لنا على أن الرسل الأطهار ما كانوا يعمدون إلا بالتغطيس ما جاء فى اع ٨: ٢٦ ـ٢٩ وذلك أن فيلبس الرسول كان بإشارة الملاك ذاهب إلى غزة عن طريق الجنوب فرأى فى طريقه خصياً حبشيا وهو وزير لكنداكة ملكة الحبشة هذا جاء إلى أورشليم ليسجد وبينما هو راجع إلى وطنه فى عربته كان يقرأ فى سفر أشعياء فقال الروح لفيلبس تقدم ورافق هذه المركبة ففعل وبادر فيلبس إلى الخصى وسأله أن كان يفهم ما يقرأه فقال الخصى من أين لى ذلك ولا أحد يرشدنى وطلب من فيلبس أن يصعد ويجلس معه فى المركبة ففعل وكان الحبشى يقرأ نبوة أشعياء ص٥٣: ٧ وهى كشاة تساق إلى الذبح الخ فقال الخصى عن من يقول النبى هذا. عن نفسه أم عن واحد أخر ففتح فيلبس فاه وبشره بيسوع. قال الوحى. وبينما هما سائران فى الطريق أقبلا على ماء فقال الخصى هوذا ماء. ماذا يمنع أن اعتمد فقال فيلبس إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز. فأجاب وقال أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو أبن الله. فأمر أن تقف المركبة فنزلا كلاهما إلى الماء فيلبس والخصى فعمده ولما صعدا من الماء خطف روح الرب فيلبس فلم يبصره الخصى أيضا وذهب فى طريقه فرحا، فلو كانت المعمودية تجوز بالرش لما كلف فيلبس ذلك الخصى الشهير.. أن ينزل إلى تلك البرية القفرة ويأمره بخلع ثيابه ويغطسه فى الماء بل لا كتفى بقليل من الماء الذى يخل ذلك المسافر الجليل منه وهو دليل قاطع على أن الرش بدعة من جملة البدع آه ».

على أن الكنيسة تجيز العماد بالرش وتعتبر صحيحا ولكن فى ظروف

خصوصية ولدواع اضطرارية مثل أن يكون المراد عماده فى مرض مخطر أو فى سجن اللذين يتعذر معهما التغطيس وما عدا ذلك فهى لاتسمح بالرش ثم أنها أجازت العماد فى البيت إذا استدعت الظروف ولكن فى إناء جديد أو وعاء بيتى نظيف ونهت عن استعمال الاناء الذى استعمل لا تمام العماد فى شئ آخر والماء يطرح فى البحر أو فى مكان آخر حيث لاتطأه الأقدام . الكنز الثمين وجه ١٦٧



الفصل التاسع

« شرح تغطيس المعمد ثلاث دفعات»

يغطس الكاهن الطفل فى ماء المعمودية ثلاث مرات ثم ينشله ثلاث مرات أيضا وفى كل مرة ينفخ فى وجهه يتلو الكلمات الآتى بيانها بعد

تسلمت الكنيسة من رؤسائها ان تغطس المعتمد ثلاث مرات وقد نصت عن ذلك الأوامر الرسولية إذا جاء فيها مانصه. كل أسقف أو قس لايتمم ثلاث غطسات فى السر الواحد بل غطسه واحدة تعطى لموت الرب يقطع لأن الرب لم يقل عمدوا الموتى بل قال فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس مت ٢٨ :١٩«ق ٥٠» وقد أثبت ذلك الآباء فقال القديس ترتليانوس « لأننا لا نغطس مرة واحدة بل ثلاث مرات باسم كل واحد من الأقانيم الثلاثة. حين نأتى إلى الماء نغطس ثلاث مرات ، وفى الأكليل ٣. وذلك

أولا: أشارة إلى الثلاث ليالي والثلاثة أيام التى مكثها يسوع فى القبر

ثانيا: لكى يتصور رسم الموت كما قال القديس باسيليوس الكبير «فبثلاث غطسات ودعاء مساو لها فى العدد يتم سر المعمودية العظيم لكى يتصور رسم الموت وتسستنير نفوس المعتمدين بتسليم معرفة الله فى الروح القدس ف٥ وقال أيضا . أن غطاسنا فى الماء هو أنا نشارك موت المسيح. والصعود من الماء هو مثال انعاشنا معه أيضا. ق ١٠٥ راجع المجموع الصفوى وجه ١٥. وقال بعضهم أن التغطيس ٣ مرات بإسم الثالوث الأقدس هو إشارة من جهة الدفن للمخلص ومن جه أخرى لقيامته. التعليم المسيحى للروم الأرثوذكس وجه ١٤٧

ومن هذه الأقوال ينتج أن من يعمد بغطسة واحدة لموت الرب فالقانون الرسولى ٥٠ يقول أنه يقطع لأنه عمل بخلاف تعليم الرب وللبروتستانت يسلمون معنا ٣ غطسات راجع تفسيرهم لانجيل مت ٢٨ :١٩.. وهذا قولهم وهى ، المعمودية تقوم باستعمال الماء إما بالرش أو بالسكب أو بالتغطيس مرة واحدة أو ثلاث مرات « بذكر اسمه »

إن الكاهن يغطس المعتمد وينشله ٣ مرات وهو يتلو صورة العماد ففى الغطسة الأولى والأنتشال الأول يقول ϯⲱⲙⲥ ⲙ̀ⲙⲟⲕ ⲡⲁⲛⲓⲙ اعمدك يا فلان بإسم الآب آمين»

هنا يذكر اسم الطفل الذى وضع له من والديه لإن هذا خاص بهما فهما يختار ان أى اسم يريدانه لولدهما. وأما الراشدون فلهم الحق أن ينتخبوا لأنفسهم اسما جديدا وإلا فيعين لهم الكاهن اسما ومن المستحسن أن يعين المعتمد «إذا فرض اليه ذلك «اسم القديس الذى تحتفل الكنيسة فى ذلك اليوم بعيده أو الذى عيدت له يوم ولادة الطفل. وليس من المستحسن أن يسمى الطفل باسم أوربى أو أمريكى كما يفعل البعض الأن، بل فلتحفظ الأسماء المصريه المسيحية

ثم يقول فى الغطسة الثانية والإنتشال الثانى اعمدك يا عبد الله فلان باسم الابن آمين. وفى الثالثة باسم الروح القدس آمين.

تتمم الكنيسة العماد باسم الثالوث الأقدس امتثالا لامر الرب القائل فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس مت ٢٨ :١٩ وطبقاً لأوامر الرسل التى جاء فيها ما نصه كل أسقف أو قس لا يعمد باسم الآب والابن والروح القدس حسب أمر الرب بل باسم ثلاثة «أباء» أزليين أو ثلاثة بنين أو ثلاثة معزين يقطع ق ٤٩

وأباء الكنيسة يثبتون ذلك، فالقديس كبريانوس يقول، أن الرب ذاته أوصى بان نعمد باسم الثالوث الأقدس، ر٧٣ والقديس أثناسيوس يقول، من يرفض هذا الأقنوم أو ذاك من الثالوث الأقدس ويعمد باسم الأب فقط أو الابن وحده أو الآب والإبن خلا الروح القدس فذاك لا يشترك بالسر أصلا لان الكمال والخلاص هما فى الثالوث والقديس باسيليوس يقول.. لأننا كما نؤمن بآب و ابن وروح قدس هكذا نعمد أيضا باسم الأب والابن والروح القدس ف ١٢ فى الروح القدس .

اما الاعتماد باسم المسيح فليس المقصود منه نفى التعميد باسم الثالوث الآقدس بل معناه الاعتماد بمعمودية المسيح التى أسسها وأمر بها دون غيرها كمعمودية يوحنا مثلا التى كانت مشهورة وقتئذ لدى الجميع وكانت هى الوحيدة . فذكر الرسل ـــ معمودية المسيح ـــ الغرض منه تمييزها عن معمـــودية يوحنا ونسبتها الى المسيح واضعها ومؤسسها والآمر بها .

وتتضمن المعمودية باسم الثالوث الاقدس خمسة امور

(١) ان الله جوهر واحد فى ثلاثة أقانيم

(٢) بأمره تعالى وسلطانه

(٣) تعهد المعتمد بخدمة اللّه ووقفه نفسه لتلك الخدمة

(٤) الاعتراف بدين المسيح علانية

(٥) الفوز بالفوائد المقترنه بالتعهد للّه .

والإعتماد بإسم الآب اقرار بكونه خالقا معتنيا متسلطا ديانا محسنا تمجيده غاية الانسان العظمى: والأعتماد باسم الإبن اقرار بكونه إلهاً ونبياً وكاهناً وملكاً ووسيطاً بطاعته وموته: والاعتماد باسم الروح القدس اقرار بانه إله وأنه يقدس وينير ويرشد ويعزى

وليلاحظ هنا أن الكنيسة تؤمن وتعلم أن فى البرهة التى يغطس فيها المعتمد فى جرن المعمودية ويلفظ الكاهن خادم السر هذه الكلمات ــ التى هى صورة العماد ــ أعمدك يا (فلان) بإسم الآب الخ ، يحل الروح القدس عليه كما حل على المسيح مت ٣: ١٦، وتفعل النعمة الإلهية فى المعتمد بحال غير منظورة وبهذه الغطسات وبعدها استدعا آت يتم سر المعمودية المقدس وتستنير نفوس المؤمنين كما قال القديس باسيليوس ف١٥ فى الروح القدس.

ثم يخرج الطفل من جرن المعمودية وبذا ينتهى العماد

ذلك يشير الى قيامة المسيح من القبر، وكما اننا دفنا معه بالمعمودية كذلك نهضنا معه كقول الرسول رو ٦ :٥ وكما أن المسيح قام حيا ناقضاً أوجاع الموت اع ٢ :٤٢ كذلك المعتمد يخرج من الماء يعبر عنه بالنهوض مع المسيح وقد تجدد بالروح وتبرر بالنعمة. وكما أن جسد المسيح بعد قيامته صار منيراً ممجدا غير قابل للآلم والفساد رو ٦ :٩ كذلك المعتمد بعد خروجه من الماء

(١) يولد ثانية ولادة روحية وينال التجديد الداخلى الروحى يو ٣:٣ و٥و٦ وتى ٣:٥

(٢) يصير غرساً جديداً فى بيت الله وعضواً فى جسد المسيح ١كو ١٢:١٣ و٢٧ متقدساً متبرراً ١كو٦:١١ وأف ٥:٢٦ ولابساً المسيح غل ٣:٢٧و٢٨ لانه أن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته رو٦:٥

(٣) يتمتع بنعمة الخلاص مر ١٦:١٦ وابط ٣:٢١ وبمغفرة الخطايا اع ٢ : ٣٨، ٢٢:١٦و اكو ٢:١١ باستحقاقات موت المسيح

(٤) يدخل فى عهد جديد مع الله ويعيش ما بقى له من الحيوية فى عبادته تعالى رو ٦:٣

قال الذهبى فمه « أن معمودية النعمة تطهر كل انسان سواء كان فاسداً او زانياً عابداً للاصنام أو غير ذلك لانه مهما كان غارقا فى الخطية فحالما يدخل مياه المعمودية يخرج من هذه المياه الإلهية أنقى من أشعة الشمس نفسها وليس نقياً فقط بل قديسا بل باراً أيضا لان الرسول لم يقل «اغتسلتم » فقط بل و(تقدستم) وتبررتم باسم الرب يسوع (اكو ٦:١١) ثم اننا فضلا عن نوالنا بالمعمودية صفح الخطايا و التنقية من المآثم والمظالم نولد بعد المعمودية ولادة ثانية ونخلق ونصور بها عظة ٣»



الباب الثانى

« الكلام على سر المسحة »

الفصل الاول

(إن المسحة سر مؤسس من الله واجب تتميمه لكل معتمد)

سر المسحة هو السر الثانى من أسرار الكنيسة السبعة به ينال المعتمد مواهب الروح القدس لتثبيته فى الإيمان وتقويته فى النعمة ونموه فى الحيوة الروحية وهو مؤسس من الرب يسوع ورسله القديسين كما يتضح من آيات الكتاب ومن أقوال الآباء والمجامع المسكونية وشهادات الطوائف الاخرى.

أولا : من قول السيد وهو. من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه انهارماء حى . قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين ان يقبلوه. لان الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد. لان يسوع لم يكن قد مجد بعد يو ٧ : ٣٨و٣٩ وأجمع الآباء على ان كلام الرب هذا يعنى به مواهب الروح القدس التى تمنح لجميع المؤمنين دون إستثناء وأن هذه المواهب هى ضرورية لكل واحدٍ منهم ونرى ذلك واضحا فى سفر الاعمال فان الرسل باشروا هذا السر للمعتمدين ورأى المؤمنون فى صدر المسيحية ثماره المجيدة الروحية وفوائده الخلاصية كما نرى فيما كان بعد وضع الرسولين بطرس وبولس ايديهما على المعتمدين من أهل السامرة حيث حل الروح القدس على أولئك المؤمنين بعد التثبيت الذى تم بوضع ايدى الرسل قال كاتب سفر الاعمال. ولما سمع الرسل الذين فى أورشليم ان السامرة قد قبلت كلمة الله أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا اللذين لما نزلا صليا لاجلهم لكى يقبلوا الروح القدس .لانه لم يكن قد حل

بعد علي أحد منهم غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع حينئذ وضعا الأيدي عليهم فقبلوا الروح القدس اع٨:١٤ـ١٧. وكذلك فيما فعل بولس فانه لما قدم إلي أفسس فاذ وجد تلاميذ قال لهم هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس. فقال لهم فمباذا أعتمدتم فقالوا بمعمودية يوحنا. فقال بولس أن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلا للشعب أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده أى بالمسيح يسوع فلما سمعوا وإعتمدوا باسم الرب يسوع ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم اع ١٩:١ـ ٦

فمن هذه الآيات الكتابية نستدل

(١) على أنه يوجد فرق بين المعمودية وسر التثبيت وهذا بين من قوله «لان الروح القدس لم يكن قد حل على أحد منهم غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع

(٢) ان العلامة الظاهرة التى بها كان يمنح الروح القدس هى وضع اليد

(٣) ان وضع اليدضرورى بعد المعمودية لإعطاء مواهب الروح القدس لكل من اعتمد باسم الرب

(٤) أن نتائج هذا السر هى حلول الروح القدس بوضع اليد على المعتمدين

(٥) ان هذا السر كان يتمم من الرسل فقط.

أما الرسل فقد تكلموا فى رسائلهم التى كتبوها للمؤمنين عن المواهب التى نالها المؤمنون بسر التثبيت واضحوا بصريح اللفظ ان تلك المواهب التى أعطوها انما كانت بالمسحة قال القديس بولس ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا أيضا وأعطى عربون الروح القدس فى قلوبنا ٢كو

١ :٢١و٢٢ وقال القديس يوحنا . واما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شئ... وأما أنتم فالمسحة التى أخدتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شئ وهى حق وليست كذبا كما علمتكم تثبتون فيه ١ يو ٢ :٢٠و٢٧

ومن مراجعة ما قيل فى سفر الاعمال عن الذين عمدهم بولس من أنهم طفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون بعد وضع يديه عليهم اع ١٩ :٦ يتضح أن كلام الرسول هذا يشير ولا شك إلى مواهب الروح القدس التى منحت للمؤمنين وأن هذه المواهب إنما أعطوها بالمسحة التى من القدوس وهى حق وتعلمهم كل شئ

ولا يفتكرن انسان أن ذكر المسحة فى هذه الآيات هو شئ آخر خلاف وضع اليد فإن التثبيت الذى كان يتم بواسطة وضع الأيادى صار بعدئذ بالمسيح بالزيت « الميرون » فإن الرسل الذين كانوا يمنحون مواهب الروح القدس للمؤمنين بوضع الأيادى لم يؤمروا حرفيا بعمل تلك العلامة إنما أمروا بالإلهام الإلهى وبالتالى بارشاد الروح القدس الذى كان يعلمهم كل شئ وهذا الروح نفسه أمرهم أن يعوضوا عن هذه العلامة (وضع الايادى) على المعتمدين بعلامة أخرى هى المسح بالميرون وسترى تفصيل ذلك فى الفصل التالى

هذه اقوال الكتاب فى سر المسحة ووجوب تتميمه لكل معتمد أما أقوال الآباء فستراها فيما يلى ــ ويلاحظ هنا.

اولا: أن جميع الكنائس الرسولية تعتبره سراً مقدساً وتمارسه بعد المعمودية للمعتمدين بل أن الطوائف البروتستانتية تعتبره كذلك وهاك أقوالهم نقلا عن كتبهم « الكنائس اللوثيرية والانكليزية الاسقفية والمصلحة الجرمانية تقبل سر

التثبيت (الميرون) نظير عمل يضاف إلى معمودية الاطفال بعد تعليمهم التعليم المسيحى. نظام التعليم فى اللاهوت القويم صحيفة (١١٧) أما الكنيسة الاسقفية فتتممه ولكن بوضع الأيادى على الذين اعتمدوا وبلغوا سن التمييز وله عندها طقس خاص ذو صلوات خصوصية راجع الصلوة العامة صحيفة ٢٥٣ ــ ٢٦٢

ثانيا : أن هذا السر لا يعاد كالمعمودية إنما الكنيسة تسمح باعادته

(١) للذين إرتدعوا عن الإيمان ثم رجعوا مرة ثانية

(٢) للذين لم يحافظوا على الخلافةالكهنوتية الرسولية الضرورية لمنح مواهب الروح القدس للمؤمنين أما الذين خرجوا عن الأرثوذكسية ثم رجعوا فهؤلاء يكتفى باعلان اعترافهم بالعقيدة الأرثوذكسية وبعد ذلك يشتركون فى سر الافخارستيا ، دون مسحهم ثانية

ثالثا: لا يسمح لغير الكهنة أن يتمم هذا السر ولو كان المعتمد فى خطر الموت



الفصل الثاني

«الميرون ومواده وواضعه وتاريخ استعماله»

الميرون كلمة يونانية تعنى «طيب» وفى اصطلاح الكنائس المسيحيه سواءكانت شرقية أو غربية تطلق عل مزيج سائل مركب من نحو ٣٠ صنفاً أو جنساً من أصناف الطيب منها المر والعود والسليخة مز ٤٥ : ٨ وقصب الذريره وعود اللبان والقرنفل مع كل أنفس الأطياب نش ٤ :١٤ مضافاً إليه زيت الزيتون الصافى ومدافا من الأفاوية التى أمر الله موسى أن يركب منها دهن المسحة خر

٢٢:٣٠ــ٢٣ وغير هذه من بقية المواد التى يتكون منها المزيج أو السائل الذى أطلق عليه كلمة «ميرون» وهوالمادة المنظورة أو العلامة الظاهرة لعمل الروح الخفى فى تثبيت المؤمنين وتأسيسهم على صخر الحياة يسوع وإعطائهم المواهب الروحية التى تقويهم وتؤيدهم فى الإيمان والنعمة.

وأول من صنعه واستعمله تلاميذ المسيح ورسله الأطهار فقد أثبت العلماء من أحبار الكنيسة فى مؤلفاتهم وكتبهم أن الرسل أخذوا الحنوط الذى كان على الجسد المقدس مع الحنوط والأطياب التى ابتاعتها النسوة لو ٢٣ : ٥٧، ٢٤ ::١ وأضافوا عليها من زيت الزيتون الصافى وغيره مما مربك ذكره وقدسوا الجميع بكلمة الله والصلوة ١تى ٤ :٥ وجعلوه «ميروناً» أوطيبا مقدساً خاتما للمعمودية ووزعوه عندما ذهبوا للتبشير بالإيمان بإسم الفادى وإذاعة بشرى الخلاص لجميع الناس فى أقطار الأرض تبعاً لأمر سيدهم الرب يسوع مت ٢٨ : ١٨ ومر ١٦ :١٥ وبه كانوا يمسحون المعتمدين كما أثبتنا فى الفصل السابق. وأمروا معاصريهم وخلفائهم أن يُستعمل دائما فى الكنيسة ليكون مادة منظورة وعلامة ظاهرة فى سر التثبيت الذى ينال به المعتمدين مواهب الروح القدس. كما أمروا أن يمد دائما بزيت الزيتون والحنوط والأطياب لئلا ينقطع. ومازال الرسل وخلفاوهم ومن أتى بعدهم يستعملونه ويمسحون به المعتمدين فى الأنهار والعيون والمعموديات إلى يومنا هذا ويبقون كذلك إلى مجئ الرب الثانى: ربما يقال أن الرسل لم يذكروا شيئاً فى رسائلهم عن هذه المادة بلفظها الصريح. نعم ولكننا نستدل من أقوالهم التى أتينا بها فى الفصل الأول من رسائلهم ذاتها ان الميرون من وضعهم بدليل أنهم عبروا عن فعله الداخلى ونتائجه الروحية بقولهم «وأما المسحة التى أخذتموها. وأما أنتم فلكم مسحة من القدس. والذى يثبتنا فى المسح وقد مسحنا هو الله الخ، ومعلوم أن المسح إنما يكون بالدهن أوالطيب

الذى هو الميرون كما يفهم ذلك من قول النبى. أحببت البر وأبغضت الإثم من أجـل ذلك مسحك الله بدهن الابتهاج « أو زيت البهجة» أكثر من رفقائك مز ٤٥ :٧

على أننا نرى فى أوامرهم ذكراً صريحا له ومن ذلك قولهم « أيها الأسقف أو القس يجب أن تمسح بزيت ثم تعمد بماء وأخيراً تختم بالميرون ك ٧ف ٢٢، وقولهم بعد ذلك فليعمده الكاهن وليمسحه بالميرون ف١٤٣ والآباء أثبتوا هذه الحقيقة فى مؤلفاتهم فالقديس ديونسيوس تلميذ بولس الرسول قال «توجد تكملة أخرى معادلة لهذه «للشركة» يسميها معلمونا الرسل تكملة الميرون فى الرئاسة الكهنوتية ٤ :١» ثم اثبت بعد ذلك «ان مسحة تكميل الميرون» «تمنح حلول الروح القدس ٤ :١١، ٢ : ٨ والقديس ترتليانوس قال» بعد خروجنا من المعمودية مسحنا بزيت مقدس فى المعمودية ف٧: والقديس كبريانوس قال «من اعتمد ينبغى أن يمسح أيضاً لكى يصير بواسطة المسحة ممسوحا لله الخ رسالة ٧. نتج من هذه البراهين القوية إن استعمال الميرون فى سر المسحة مأخوذ عن الرسل. أضف إلى ذلك جميعه إنفاق الكنيسة العام. هذا وإن إجماع الكنائس المختلفة المذهب والمتباينة الاعتقاد له أقوى دليل على صحة ذلك أن محافظة الكنيسة على تعاليم الرسل بحرص وتدقيق لا تجعل مجالا للشك بأن خلفاءهم احدثوا تغييراً فى سر المسحة أو أنهم استعاضوا عن وضعه بعلامة أخرى غير التى تسلموها من الرسل وإلا لرأينا لذلك أثراً فى كتب الآباء ومؤلفات العلماء فى القرون الأولى أو ما بعدها ولكن الآباء أثبتوا برأى واحد أنه موضوع ومسلم من الرسل أنفسهم كما رأيت من أقوالهم السابقة.

أما ماحذا بالرسل لاستعمال الميرون عوض وضع الأيادى

أولا : لأن المسح يشير إلى المسحة الروحيه فانه كما أن المعمودية لها علامة ظاهرة« الماء» مشابهة لفعلها فى الجسد تمام المشابهة لفعلها فى النفس هكذا المسحة الخارجية أو الظاهرة مشابهة لفظاً ومعنى للمسحة الداخلية الروحية التى من القدوس.

ثانياً أن اسم المسيح مشتق من كلمة المسح أو من فعل مسح وكان المسح واجباً على رؤساء الكهنة والملوك الاسرائيليين قديماً قبل أن يتبوأوا مراكزهم العالية راجع خر ٢٨ :٤١ ولا ٦ : ١٢ و١صم ١٠ : ١ ، ١٢ : ١٣ قال القديس ترتليانوس، إننا مسحنا بزيت مقدس تبعاً للتكملة القديمة كما كانواقديماً يدهنون بزيت القرن لنوال الكهنوت فى المعمودية ف٧ وقال غيره. أن اسم المسيح يدل على الممسوح وهو اسم لائق موعب من المطربات ومستحق لوقار عظيم جداً فإذاً لهذا السبب تدعى مسيحيين لأننا نمسح بزيت إلهى .

ثالثاً: أن وضع اليد كان خاصاً بالرسل وحدهم فى صدر الكنيسة اع ٨: ١٤ ـــ ١٧ ، ١٩ : ٦ ولكن لما اتسع نطاق الكرازة وإمتد إلى كل المعمورة رو ١٠ : ١٨ لم يكن فى وسع الرسل أن يجوبوا المدن والقرى ويطوفوا كل الأقطار لوضع أيديهم على المعتمدين ومنحهم مواهب الروح القدس ولهذا رأوا بإرشاد الروح القدس أن يعوضوا عن وضع الأيدى بالمسح بالميرون فصنعوه وخولوا للقسوس الذين أقاموهم ١تى ٤ :٤و٢تى١ :٣ حق مسح المعتمدين به كما سترى فى الفصول الآتيه: ولا ريب أن عمل الرسل هو عمل الرب نفسه لأنهم ليسوا هم المتكلمين بل روح الله المتكلم فيهم ولاكانوا هم العاملين بل الله العامل فيهم ومعهم فعلهم إذا عمل الله نفسه كما ترى من اعترافهم بقولهم، لأنه قد رأى الروح القدس ونحن الخ اع ١٥: ٢٨

أما أنهم فضلوا الميرون على سواه فذلك لإستعماله فى العهد القديم فى مسحة الملوك والكهنة بأمر الله نفسه كعلامة منظورة وكانت الكهنة والأنبياء يستدعون مواهب الروح القدس على الممسوحين راجع خر ٢٨ :٤١، ٣٠: ٣١و٣٣ و١صم ١٦ :١٣و١مل ١ :٣٩و٤٥، ١٩ :١٦ وفى ذلك قال القديس كيرلس الأورشليمى من الضرورة أن تعلموا أن رسم هذه المسحة هو فى العهد القديم لأن موسى جاء بأمر الله إلى أخيه لا ٨ :١و٢ وجعله رئيس كهنة بعد أن غسله بالماء وكان يدعى مسيحياً من المسحة الرمزية لا٨ :٦ «وشاول دعى مسيح الرب لأنه كان ممسوحاً بدهن المسحة ١ صم ١٦» وهكذا رئيس الكهنة مسح سليمان ملكا ١ مل ١ :٣٩ غير أن هذه الأمور جرت على أولئك رمزيا ولكنها عليكم ليست رمزية اكو١٠ :١١ بل حقيقة لأنكم مسحتم حقيقة الروح القدس فى الأسرار ٣ :٦

هذا وقد استمر الميرون الذى أتى به القديس مرقس الرسول مما صنعه الرسل أنفسهم إلى زمن القديس أثناسيوس الرسولى العشرين فى عدد البطاركة الذى جلس على عرش الخلافة المرقسية فى أوائل الجيل الرابع الميلاد والكنيسة تستعمله فى سر المسحة إلى أن نفذ أكثره ولم يبق منه إلا قليل. أما فى كنائس رومية والقسطنطينية وانطاكية فلم يبق منه شئ حتى اضطرت لاستعمال زيت الزيتون بعد تقديسه مدة ولكن عندما علم رؤساء هذه الكنائس بوجود بقية باقية من الذخيرة المقدسة بكنيسة الاسكندرية بعثوا برسالة إلى بطريركها آن ذاك الانباء أثناسيوس يرجونه إمدادهم بجزء منها. ولما لم يجد لديه ما يكفيه ويكفيهم عرض عليهم عمله من الاقاوية التى أمر الله بها موسى مضافا إليها من زيت الزيتون الصافى مع أطياب أخرى وبعد تقديسها يضيف إليها ما عنده من الذخيرة. فأجابوه إلى ما طلب بارتياح وانشراح عظيمين ومن ثم بعثوا إليه

برسالة شكر عن يد مندوبيهم من كهنة ورؤساء كهنة وسألوه الاسراع بعمل الميرون المقدس فاعتمد على الرب وباشر عمله وتقديسه بحضور لفيف من الاساقفة ورؤساء المجامع ووكلاء الشرائع وغيرهم من الآباء القديسين. وبعد تقديسه أضاف إليه الخميرة الأصلية التى كانت فى الكنيسة من عهد القديس مرقس ووزع منه على الكنائس وكذلك على مندوبى تلك الكراسى الثلاثه الذين بعث معهم أيضاً بصورة العمل لتكون مثالا يسيرون عليه فى عمل الميرون كل ما فرغ من عندهم. وحالما وصلهم ذلك الدهن المقدس استقبلوه بمزيد الفرح والابتهاج وذهبوا به إلى الكنائس بالتراتيل الروحية والألحان الكنائسية. أما كيفية عمله فستراها فى الفصل التالى.



الفصل الثالث

«كيفية عمل الميرون»

إن آباء الكنيسة فى الأجيال الاولى وفى مقدمتهم القديس دينوسيوس شرحوا كيف يجهز الميرون وها نحن نلخص ما جاء فى كتبهم:

قلنا فى الفصل السابق أن الميرون يركب من أصناف كثيرة ذكرنا بعضها:والآن نقول أنه بعد تجهيزها «مع دهن البلسان وزيت الزيتون الفلسطينى الصافى» تسحق سحقاً جيداً » وفى نسخة أخرى تنقع فى الماء مدة ١٢ ساعة» بمعرفة الآباء الكهنة ثم توضع فى مرجل ويطبخ بتأنى بواسطة الاساقفة أنفسهم.

«ومواد الإيقاد من أغصان الزيتون أو خشب القندول أو خشب الصورة التى عفت منها الرسوم والآثار وتهشمت فأصبحت بلا فائده ولا قيمة».

«زمن طبخه» كان فى الزمن السابق يعمل فى يوم الجمعة من الجمعة السادسة من الصوم الكبير وبقى الحال كذلك إلى زمن الانبا مقاره ال٥٩ فى عدد البطاركه الذى مارس صنعه فى أسبوع الآلام إلا أنه لم يثبت عمله فى هذا الأسبوع إلا أنه فى عهد الانبا آفرام السريانى ال٦٢ فى عدد الآباء ومن ذلك الوقت إلى الآن لم يزل يُستعمل فى أسبوع البسخة إلى يوم الأربعاء ويطبخ مرة كل يوم إلا يوم الثلاثاء فيطبخ مرتين لتكون جملة طبخه أربع مرات فى كل مرة يصفى الزيت ويحفظ فى أوعية ثم يطبخ بعده الغاليلاون « وهو زيت قسطنطينى تغلى فيه أثقال الطيب المصفاة من الميرون من الاربع طبخات».

ويتلى على الميرون أثناء طبخه أغلب أسفار الكتاب المقدس ولاسيما سفر المزامير الذى يتلى مرة فى كل يوم من الايام الثلاثة « وهذه صلوة البسخة» وفى صبيحة نهار الخميس بعد صلوة البسخة يحتفل بتقديسه الآب البطريرك والاساقفة عقب عمل اللقان وقبل تقديس القربان وبعد إنتهاء القداس يترك فى الهيكل حتى يقدس عليه الآب البطريرك أيضا يوم سبت الفرح وليلة عيد القيامة المجيد « ويحفظ فى الهيكل إلى ثالث يوم العيد حيث يقدس عليه مرة ثالثه» وفى نسخة. «يبقى أسبوع العيد إلى أحد توما» وبعد إنتهاء تقديسه تُضاف إليه الخميرة الأصلية وتمزج مزجاً ومن ثم يوزع منه الأب البطريرك عل الكنائس لاستعماله فى سر المسحة المقدس للمعتمدين.

هذا هو الميرون وكيفية عمله « ولكن انظر واحترس من أن تظن ذلك الميرون بسيطاً لانه كما أن خبز الشكر بعد استدعاء الروح القدس ليس خبزاً

بسيطاً بل هو جسد المسيح هكذا الميرون المقدس أيضاً ليس ميروناً بسيطاً ولا عمومياً بعد الدعاء بل هو موهبة المسيح وحضور الروح القدس فاعلا فعل ألوهيته. كما قال القديس كيرلس الأورشليمى فى تعليم الأسرار ١٣:٣ ، وقد نهى الرسل المؤمنين عن لمسه كما حرموا كل من يستعمله فى غير ما وضع له من الكهنة ويفرز كل من يحمله «تعمداً» من الشعب حتى الشمامسة من شركة الكنيسة . رسالة بطرس لاكليمس وليست هذه الأوامر والنواهى على شئ من الصرامة فى جانب العقاب الذى توعد الله به كل نفس تمس دهن المسحة قديما بقوله «على جسد انسان لا يسكن. وعلى مقاديره لا تصنعوا مثله. مقدس هو ويكون مقدسا عندكم كل من ركب مثله ومن جعل منه على أجنبى يقطع من شعبه خر ٣٠ : ٣٢ ـــ ٤٢

هذا ومما يحسن ذكره أن الميرون عمل ٢٩ مرة فى الكنيسة من عهد القديس مرقس إلى الآن «١»

---

(١) وهاك بيانها مع تواريخ زمن عملها وأسماء البطاركة الذين عملوه نقلا عن كتب تاريخ الميرون

عدد	الإسم	عدد البطاركة	تاريخ
(١)	الرسل	سنة ٣٤ للميلاد	سنة صلب المخلص
(٢)	الأنبا أثناسيوس	ال ٢٠ فى عدد البطاركة.	أوئل الجيل الرابع
(٣)	الأنبا مقاره	ال٥٩	
(٤)	«ثاوفانيوس	ال٦٠	
(٥)	« مينا	ال٦١	
(٦)	«آفرام السريانى	ال٦٢	
(٧)	« كيرلس	ال٦٩ بحضور أنبا يعقوب بطريرك أنطاكيه	
(٨)	« مرقس بن زرعه	ال٧٣	٨٩٤ للشهداء

الفصل الرابع

«شرح طقس قداس الميرون»

أثبتنا فى الفصول السابقة أن الميرون من وضع الرسل أنفسهم وأنهم

---

(٩)	« كيرلس ابن لقلق ال ٧٥	٩٥٣ ومعه ١٨ أسقفاً
(١٠)	« أثناسيوس بن كليل ال٧٦	٩٧٣ للشهداء
(١١)	« غبريال ال ٧٧	
(١٢)	« يوأنس ال ٧٨	
(١٣)	الأنبا تاودوسيوس ال٧٩ ومعه ١٢ أسقفا	١١٠٥
(١٤)و(١٥)	الانبا يوأنس ٨٠ ومعه ١٨ و٢٤ أسقفا	١٠٢١و١٠٣٦
(١٦)	الانبا بنيامين ال٨٢	١٠٤٦
(١٧)	الانبا بطرس ال٨٣	١٠٥٨
(١٨)	« يوأنس المؤتمن ال٨٥ ومعه ٢٠ أسقفا	١٠٧٥
(١٩)	« غبريال المحرقى ال ٨٦ « ١٠ «	١٠٩٠
(٢٠)	« يو أنس ٨٩ بحضور باسيليوس بطريرك السوريال	١١٤٦
(٢١)	« متاؤس ال ٩٠	١١٧٧
(٢٢)	« يوأنس ال ١٠٣	١٤١٩
(٢٣)	« يوأنس ال ١٠٧	١٥٠٢
(٢٤)	« بطرس ال ١٠٩	١٥٢٩
(٢٥)	« يوأنس ال ١١٣	١٦٤٦
(٢٦)	« كيرلس السادس ال ١١٦	١٦٨٤
(٢٧)	« شنوده الثالث ال١١٧	الأولى ١٦٩٧
(٢٨)	« شنوده الثالث ال١١٧	الثانية ١٧٠٣
(٢٩)	« شنوده الثالث ال١١٧	الثالثة ١٧٠٩

أستعملوه عوض وضع الأيدى فى سر التثبيت وأذنوا لخلفائهم من الأساقفة والقسوس إستعماله أيضا. وأبنا كيفيه عمله وتاريخ إستعماله. على أن الكيفية التى شرحناها لم تكن تقديسا للميرون بل تجهيزا. له أما تقديسه فله قداس خاص وضعه آباء الكنيسة وهو الذى خصصنا هذا الفصل لشرحه.

عندما يتم تجهيز وطبخ الميرون على الكيفية التى مر بيانها يقام مذبحان من خشب فى الهيكل أحدهما فى الجهة القبلية «جنوب مذبح القربان، والآخر شمالا، فى الجهة البحرية. ويوضع على الأول الميرون وعلى الثانى الغاليلاون ثم يلبس الاب البطريرك ومن معه الملابس الكهنوتية ويبدأ بتقديس الميرون على الكيفية الآتية:

يفتتح الصلوة بتمجيد الثالوث الأقدس والصلوة الربانية ثم يصلى صلوة الشكر ويرفع البخور.

إن تقديس الميرون خاص بالأساقفة وحدهم دون سواهم وذلك لأن الرسل الذين منحوا حق مسح المعتمدين لخلفائهم حفظوا لأنفسهم حق تقديسه. فلا يجوز لغير الأساقفة أن يقدسه. ويستدل على ذلك من أقوال مجمع قرطجنةوهو « لا يصير عمل المسحة من القسوس ق ٧» وعليه أجمعت سائر الكنائس الرسولية.

وسارت الكنيسة فى ذلك بناء على أمر الله لموسى بأن يعمل دهن المسحة ويقدسه بنفسه خر ٣٠ :٢٥ كما أنه فوض إليه وحده حق مسح هرون أخيه وبنيه والمسكن وكل ما فيه خر ٤٠ : ٩و١٣ وكذلك الانبياء الذين أتو بعده خص بهم هذا العمل دون الكهنة فصموئيل مسح شاول ملكا ١ صم ١٠ :١ وداود أيضا ١٦ :١٣ وناثان النبى مسح سليمان ملكا على إسرائيل ١ مل ١ : ٣٤

وإيليا مسح حزائيل ملكاً على آرام وياهوبن نمشى ملكا على إسرائيل واليشع ابن شافاط نبيا عوضا عنه ١ مل ١٩ :١٥و١٩ فمن هذه النصوص يفهم أن تخصيص تقديس الميرون بالأساقفة دون غيرهم هو من الله ومنها يعلم أيضاً أن حق المسح كان خاصاً بالأنبياء والكهنة أحيانا لكن لا لوحدهم بل بالاشتراك مع الأنبياء وكذلك أجازت الكنيسة اشتراك الكاهن مع الأسقف فى مسح المعتمدين ولكن بإذن منهم وبسلطان منحوه وقت رسامتهم

ثم يتلو صلوة الاستعداد

بها يلتمس من الله أن يمنحه نعمة وقوة وبركة ليكمل هذه الخدمة المقدسة حسب مسرة صلاحه وأن تكون مقبولة لديه ومباركة منه تعالى.

ثم يُقراء فصل ٦١ من نبوة أشعياء الخ وبعده ص ٣٠و٤٠ من سفر الخروج.

اختارت الكنيسة هذه الفصول ورتبت قراءتها وقت تقديس الميرون فنبوة أشعياء تتضمن مسحة المسيح من الروح القدس التى هى رسم لمسحنا بالميرون الذى به تعطى مواهب الروح القدس وينبئ عن البركات والنعم التى ينالها المؤمنون فى عهد النعمة والتغيير الذى يحصلون عليه داخلياً إذ يعطيهم جمالا روحياً يزيل تشويه النفس ودهن فرح عوضاً عن الحزن : إما قراءة ص٣٠ و٤٠ من سفرالخروج فلأن الأول يتضمن أمر الله لموسى بعمل دهن المسحة وذكر المواد التى يتركب منها والغاية التى عمل لأجلها وعمله فى الممسوحين. والثانى يحوى الأمر لموسى بمسح هرون وبنيه والمسكن وكل ما فيه فى يوم معين.

وغرض الكنيسة من قراءة هذين الفصلين

(١) لإعلان بنيها أن عملها فى تقديس الميرون هو عمل الله نفسه كما إن تجهيزه وطبخه لم يكونا من ذاتها بل عن إعلان الله

(٢) للدلالة على أن المسحة قديماً كانت رمزاً لمسحة الروح القدس فى العهـد الجديـد التى تتمم بالميرون المقدس على وجه أكمل وغاية أسمى وغرض أفضل

(٣) للتعليم بأن تقديس الميرون والمسح به إنما هما خاصان برجال الله الذين اختارهم وأقامهم لتدبير رعيته وسياسة شعبه وبنيان كنيسته التى هى جسده .

بعد قراءة تلك الفصول تقرأ الرسائل وهى البولس من عب ١ :٥ الخ والكاثوليكون من ١يو ٢ :٢١ الخ. والابركسيس من أع ٨ :١٤ الخ .

انتخبت الكنيسة فصولا من العهد الجديد ملائمة لتقديس الميرون كما انتخبت أيضاً من العهد القديم ورتبت قراءتها للدلالة على أن سر الميرون له النتائج والتأثيرات التى جاء ذكرها فى هذه الفصول ـــ أى أنه به تعطى مواهب الروح القدس المعتمدين وبه يثبتون فى الإيمان ويحصلون على النعمة اللازمة لتقويتهم وإنارتهم والتى تعلمهم كل شىء وإن المسحة تتمم بهذا الدهن والميرون المقدس الذى جعل علامة ظاهرة فى سر التثبيت عوضاً عن وضع الأيدى.

بعد قراءة الرسائل تتلى تسبحة الثلاث تقديسات فأوشية الانجيل فالمزمور ٨٩ :١٩ ثم الانجيل باللغة القبطية وترجمته من مر ١٤ : ٣ ـ ٩

هذا العدد من المزمور وهذا الفصل من الانجيل رتبتهما الكنيسة لأن الأول دال على اختيار الله لداود عبده ومسحه بدهن قدسه. والثانى لأنه يحوى خبر

تلك المرأة التى سكبت الطيب على المخلص الذى مدح صنعها وأمر بإذاعة عملها فى أقطار الأرض تذكاراً لها لأنها إنما فعلته لأجل تكفينه.

وغرض الكنيسة (١) أن تبين أن المسح قديما كان بالدهن أو بالطيب وإن الدهن الذى تقدسه الآن وإن تم بواسطة رعاتها إلا أن الفاعل فى تقديسه هو الله (٢) إن عمل المرأة كان يوم الخميس قبل صلب المخلص على ما قاله بعض الآباء وهو السبب الذى لأجله تقدس الكنيسة الميرون فى يوم الخميس الذى هو ينبوع الاسرار.

ثم يقول رئيس الشمامسة ما ترجمته. لا يجلس هنا موعوظ ولا من به عيب ولا من لا قوة له نحن نطلب من بعضنا أن نعرف كل استقامة. لا يجلس هنا موعوظ. بما أن تقديس هذا الميرون خاص. بالأساقفة وأنه يعطى للمؤمنين المعتمدين فقط. وبما أن الكنيسة لم تسمح لأحد من الغرباء أن يطلع على أسرارها طبقاً لتعليم المخلص لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا جواهركم قدام الخنازير مت ٧ وبما أن الموعوظين هم تحت الدخول فى الإيمان ولم يقبلوا العماد بعد والقدم تثبت الكنيسة من معرفة نواياهم تماماً ولئلا يرتدوا أن يرجعوا عن عزمهم رأت واستصوبت عدم وجودهم وقت ممارسة أسرارها التي يجهلون قيمتها ولا يدرون قوتها ولا يفهمون فائدتها. ولهذا تأمرهم بلسان الشماس أن يخرجوا: وقد لبث هذا الترتيب مرعيا إلى الآن وإن قل الموعوظون أو عدموا. وما يقال عن هؤلاء يقال عن المدنسين بأقذار الخطايا. والملوثين بحمأة الرذائل فإن المسيحى الشرير لهو أشر من غير المؤمن الذى لم يأخذ معرفة الحق بعد. أما الجملة الثانية فيراد بها الضعفاء فى الإيمان الذين بسبب ضعف إيمانهم قد يشكون أحياناً فى قوة الاسرار لانهم لا يستطيعون فهمها إذ أنهم بعد جسديون.

والإنسان الجسدانى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحيا ١كو ٢ :١٤,٣,٢:٢ راجع رؤ ١٤، ١٥و ١كو ٨ وأخيراً ينبه الشماس الحضور على أن يفحصوا ضمائرهم. هل هم فى الإيمان ؟ وهل لهم ضمير صالح أمام الله؟ وهل هم حاصلون على الإستقامة أمام الله وأمام الجميع ؟ لأنه من الواجب حقاً أن يعرف كل واحد الإستقامة ويسير فيها وإلا إذا انحرف عنها بميوله لم يحسب بعد مسيحياً ولا يكون مستحق الاطلاع على أسرار الله الخفية التى لا يطلع عليها إلا ذو الاستقامة و فى ذلك إشارة إلى أننا بهذا السر نعطى معرفة الأسرار كما سيأتى:

وبعد ذلك يحمل الآب البطريرك البخور بيمينه وكتاب المستالوجية. «الأمانة» ويخرج من الهيكل ويطوف الكنيسة محاطا بالأساقفة والقسوس والشمامسة والمرتلين حاملين بأيديهم المجامر والصلبان والشموع مرتلين فى قلوبهم للرب ومنشدين أغانى الروح وتراتيل التسبيح والتمجيد والتقديس للإله الذى منح الكنيسة نعمة تقديس الأسرار : ثم يعود إلى الهيكل ويوضع المستاغوجية على «السترونس» أى «الكرسى» ثم يحمل الميرون على يمناه وكبير الأساقفة يحمل الغاليلاون ويجرى الطواف السابق ويعود مرة ثانية إلى الهيكل وهناك يضع الميرون على المذبح الخاص به وكذلك الغليلاون ومن ثم يلبس بدلة أخرى كهنوتية ويباشر عمل اللقان وبعد غسل الأرجل يعود إلى الهيكل ويبتدئ بقداس الميرون فيخاطب الشماس الشعب قائلا: «اسطومين كالوس. قفوا حسناً».

« اسطومين كالوس » كلمتان يونانيتان الأولى معناها قفوا والثانية وتعريبها حسناً أو جيداً . وبهما يحرض الشماس الحضور عل الإصغاه والانتباه والوقوف أمام الله بهيبة وورع وخوف وخشوع.

ثم يصلى الآب البطريرك الصلوة الابتهالية الافتتاحية لقداس الميرون بها يلتمس من الله أن يبارك الميرون ويجعله مقدساً صالحاً للاستعمال فى سر المسحة ويمنحه قوة فعالة لينال به الممسوحون مواهب الروح القدس.

ولما ينتهى منها يخاطب الشماس الشعب قائلا ما ترجمته « احنو رؤوسكم للرب[1] ثم يتلو الآب البطريرك طلبة أخرى فالمزمور ٤٥ :٧ معنى هذه الطلبة كسابقتها. أما المزمور فهو يتضمن المسحة التى بها مسح الله الآب ابنه وجعله قدوس القديسين دا ٩ :٤١ ودعى مسيحياً وصار حبراً عظيماً ونبياً جليلاً وملكاً سامياً أعطى كل سلطان على كل ما فى السماء وعلى الأرض وأخذ المجد الذى كان له عند الآب قبل كل العالم وغرض الكنيسة من قراءته للدلالة على أن المسحة التى تتمم بهذا الميرون هى رسم المسحة التى مسح بها المسيح كما قال القديس كيرلس.

ثم يصلى الثلاث أواشى الكبار فقانون الإيمان فطلبتين بهما يلتمس من الله الذى أنعم علينا بالخلاص بابنه ومسحنا وأعطى عربون الروح فى قلوبنا وأقامه راعياً على شعبه ووكيلا لأسراره وأميناً على كنيسته أن يمده بنعمة لنستطع تتميم خدمة العهد الجديد كما منح موسى وصموئيل قديماً لكى بهذا الميرون تعطى مواهب الروح القدس بواسطة رعاة كنيسته ويكون للممسوحين به حرزا للحياة وخاتماً غير منحل ودرعا قوياً ليستطيعوا أن يثبتوا ضد مكائد إبليس ويتمتعوا بشركات ميراث القديسين فى النور.

ثم يكمل القداس إلى أن يقول أوشية الروح القدس وبعدها يقول الشماس بسلامة من الرب نطلب.

---

(١) راجع شرح هذه العبارة وما بعدها فى الجزء الأول

هذه عبارة ينبه بها الشماس الشعب أن يطلبوا من الرب النعم الآتى ذكرها فى الطلبات الآتية وهم حاصلون على السلام. والمقصود بالسلام هنا وفى الطلبات التابعة هو أن نكون فى سلام مع الله حتى نحصل على الإجابة منه تعالى وإلا فبدون السلام لن يرى أحد الرب عب ١٢ :١٤ وهذا البركات التى ينبه الشماس الشعب إلى طلبها. من أجل سلام العالم من أجل تعضيد رعاة كنيستة من أجل تقديس الميرون . من أجل فاعلي السلام وعاملي الخير والإحسان . ومن أجل العبادة لتكون مقبولة لديه تعالى.

يتضح من هذا أن الكنيسة تطلب عن جميع شعب الله بل عن العالم أجمع السلام وخلاصه وحسن ثباته لكى يجتذبهم الله إليه بنعمته حسب وعده ، وأنا إن ارتفعت عن الأرض اجذب إلى الجميع يو ١٢ :٣٢ وهو الأمرالذى علمنا إياه الرب فى الصلوة الربانية. ليأت ملكوتك» وبما أن هذا السر يمنح الثبات للمؤمنين فى الإيمان فهى تطلب عنهم وقت تقديسه ليكون لهم عوناً على التجارب والأعداء كما تطلب عن الجميع ليجذبهم الله إليه.

ثم يتلو الآب البطريرك الطلبة الآتية وفى كل جملة يتلوها يرشم على الميرون بعلامة الصليب وهو يقول: ميرون مقدس. زيت البهجة. لباس النور. ثوب الخلاص. حرز الحياة. ودرع القوة. تجاه كل فعل شيطانى. وسر نبوى وختم بنوى. وعلامة ملوكية الخ.

كل هذه أسماء للميرون فهو ميرون مقدس. لأنه تقدس بكلمة الله والصلوة. وزيت البهجة كما دعاه النبى مز٤٥ :٧ ولباس النور لأننا به نُمنح نعمة الإنارة الروحية وثوب الخلاص كما يدعوه القديس كيرلس الكبير. وحرز الحياة. لأننا به نستظهر على إبليس ونغلبه. ودرع القوة لأنه يصوننا ويقى أنفسنا

من سهام الشرير كما يصون الدرع جسم لابسه كما يقول كيرلس الأورشليمى وختم بنويا لأنه به ننال الروح القدس التبنى رو ٨ :١٥ وغل ٤ وسرا نبويا وعلامة ملوكية إشارة إلى أننا به نعطى معرفة الأسرار كما يقول الذهبى فمه « إن الذين يمسحون فى العهد القديم هم إماكهنة وإما أنبياء وإما ملوكاً . أما نحن المسيحيين أصحاب العهد الجديد فنسمح لكي نصير ملوكا متسلطين على شهواتنا وكهنة ذابحين أجسادنا ومقدمين إياها ذبيحة حية مقدسة مرضية عبادتنا العقلية رو ١٢ :١و٢ وأنبياء لاطلاعنا على أسرار عظيمة جداً » .

ثم يقول الشماس طلبتين. وبعده يقول البطريريك الطلبة وفى آخرها يصلى المرتلون قائلين ⲂⲰⲖ ⲈⲂⲞⲖ ⲬⲰ ⲈⲂⲞⲖ حل واغفر»

بهذه الجملة تلتمس الكنيسة رحمة الله وحلنا من أربطة خطايانا ومنحنا نعمة الغفران والصفح عن آثامنا التى فعلناها بمعرفة وبغير معرفة التى صنعناها بإرادتنا وبغير إرادتنا من أجل اسمه القدوس الذى دعى علينا.

ثم يقول بعدها صلوة شكر لله الآب وأخرى تضرع وابتهال.

بالأولى يشكر الله الذى أهله لتقديس الميرون الذى رسمه قديماً لمسح الكهنة والأنبياء والملوك من موسى إلى يوحنا المعمدان وكذلك جميع الذين ولدوا بحميم الميلاد الثانى .

وبالثانية يلتمس جعل هذا الميرون مقبولا لديه ومقدساً . فاعلا بروحه القدوس فى قلوب المؤمنين الذين تمسح به سائر أعضائهم وأن يكون طيباً إلهياً يعطى رائحة الحياة الذكية للممسوحين به فى المسيح يسوع الذى هو دهن مهراق نش ١ :٣ وطيب فائق يفوح شذاه فى أرجاء العالم ويتضوع أريحه فى أقطار الأرض كلها بل رائحة حيوه الذين يؤمنون به وينالون مسحة الروح

القدس. مثل الدهن الطيب على الرأس النازل على اللحية لحية هرون النازل على جيب قميصه مز١٣٣ :٢

ولما ينتهى منهما يصلى الشعب الصلوة الربانية ثم يقول رئيس الشمامسة للشعب Ⲡⲣⲟⲥ ⲭⲱⲙⲉⲛ ⲑⲉⲟⲩⲙⲉⲧⲁⲫⲟⲃⲟⲩ صلوا بخوف الله».

وأخيراً يقرأ الآب البطريرك الطلبة الختامية ويختمها بالصلوة الربانية وهى مسك الختام لقداس الميرون وبعد نهاية القداس يترك الميرون فى الهيكل ثم يبتدئ يقدس القربان وقبل قراءة انجيل القداس يقرأ كبير الأساقفة «المستاغوجية» على مسمع الاكليروس وكل الشعب وبعدها يقرأ «الآب البطريرك» إنجيل القداس باللغة القبطية وبعد ترجمته للشعب وتفسيره يباشر خدمة قداس القربان كالمعتاد وبعد إنتهائه يترك الميرون محفظاً عليه إلى ثالث يوم العيد أو إلى أحد توما حيث يوزع منه بعد القداس على الآباء الأساقفة وسائر الأبروشيات وعموم الكنائس كل منها بحسب ماتحتاج إليه أما قداس الغاليلاون فلم نر لزوماً لذكره لمطابقته لهذا فى المعنى والمبنى.



الفصل الخامس

«شرح طقس سر المسحة وكيفية تتميمه»

سر المسحة قائم بذاته مستقل بنفسه عن سر المعمودية وتباشره الكنيسة لكل معتمد بعد خروجه من المعمودية حالا. مستندة عل ذلك ببراهين قوية.

أولا: من الكتاب فإن القديس بولس لما قدم إلى أفسس وعمد التلاميذ وضع

عليهم الأيدى حالا فقبلوا الروح القدس اع ١٩ :٥و٦ وقال ولاتحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء « أى المعمودية » اف ٤ :٣٠ ولما سمع الرسل الذين فى أورشليم أن الشماس فيلبس عمد السامرين ولأنه شماس أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا حالا لكى يتمما هذا السر لأولئك المتعمدين حديثاً لأنه لم يكن قد حل بالروح القدس » بعد على أحد منهم غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع حينئذ وضعا الأيادى عليهم فقبلوا الروح القدس اع ٨ :١٤ ــ ١٧

ثانياً : من التقليد. فقد جاء فى أوامر الرسل ما نصه » وبعد هذا فليعمده باسم الآب والابن والروح القدس ويمسح بميرون ك ٧ف ٤٣و٤٤».

ثالثاً : من أقوال الآباء. فالقديس ترتليانوس قال « بعد خروجنا من جرن المعمودية مسحنا بميرون مقدس فى المعمودية ف٧ » وقال القديس كيرلس الأورشليمى «ولنا أيضاً بعد خروجنا من جرن المجارى المقدسة أعطينا مسحته وهى رسم المسحة التى مسح بها المسيح. فهذه هى الروح القدس. مقالة ٣ فى الأسرار » وقرر مجمع اللاذقية ما يأتى « يجب على المشتركين أن يمسحوا بعد المعمودية بمسحة سموية ويشتركوا بملكوت المسيح ق ٤٣ » .

وذلك على مثال ما صار للرب يسوع بعد عماده فإنه لما صعد من الماء حل الروح القدس عليه مثل حمامة مر ١ :١٠ وكذلك حالما يخرج المعتمد من جرن المعمودية يمسح حالا بزيت المسحة « الميرون المقدس الذى به يهب الله نعمة التثبيت للمعتمد ويمنح مواهب الروح لتلك النفس التى كانت مائتة بالخطية لتصير حية بواسطة نعمة روح الحياة الذى وهبته. وعليه قال الذهبى فمه. إن الحمامة ظهرت وقتئذ لهذه الغايه أعنى لتكون بمثابة أصبع تشير للحاضرين

وليوحنا عن ابن الله وليس لتلك الغـايه فقـط بـل لكى تعـلم أنت أيضـاً أن الروح يأتى عليك عندما تعمد.

هذا تعليم الكنيسة الجامعة فى كل زمان ومكان إلا أن الكنيسة البابابوية لاتمسح المعتمدين حالا بعد المعمودية ولاريب أن هذا مخالف لتعليم الكتاب كما أثبتنا ويكفى دليل على مخالفتهم إن هذه العادة لم يكن لها أثر عندهم قبل القرن الثانى عشر بشهادة علمائهم فقد جاء فى كتاب اللاهوت الأدبى إن المسحة كانت تتم على المستنيرين حديثاً بعد المعمودية مدة ١٢ جيلا جزء ٦ صحيفة ١٧٣ ، وكذلك البروتستانت ـــ إلا أنهم أخيراً اعتبروا مسح المعتمدين بعد المعمودية حالا واجباً وهم يستعملوه أيضاً راجع تعليم اللاهوت صفحة ١١٧ والفائدة نشرح كيفية تتميم هذا السر للمعتمد ـــ :

بعد خروج الطفل من المعمودية يأخذ الكاهن وعاء الميرون بلفافة نقية ويصلى عليه قائلا Ⲡⲟ̅ⲥ̅ ⲉ̀ⲧⲉ ⲟⲩⲟⲛ ϣϫⲟⲙ ـــ أيها الرب ϣϫⲟⲙ ⲙ̀ⲙⲟϥ القوى الخ.

فى هـذا العمل ملاحظتان الأولى. أخذ الكاهن الوعاء. والثانية يصلى قائلا Ⲡⲟⲥ الخ.

الملاحظة الأولى. أننا فى الفصل السابق أن تقديس وعمل الميرون خاصان بالأساقفـة دون غيرهم ممن هم أقل منهم رتبـةمن رجـال الكهنوت. ولكن استعماله فيما وضع له. وهم مسح المعتمدين . جائز لمن حظر عليهم تقديسه وصنعه. فهو إذاً حق مشترك بين الأساقفة والقسوس على السواء ـــ ذلك لأنهم منحوا هذا الحق وقت رسامتهم وأعطوه من الرسل أنفسهم الذين أقاموهم فى كل كنيسة. ونرى فى أوامر الرسل وأقوال الآباء بيانا واضحاً لذلك إذ قيل أيها

الأسقف أو القس، قد رتبنا سابقاً والآن نقول أيضاً ينبغى أن تدهن أولا بزيت ثم تعمد بماء وأخيراً تختم بالميرون ك ٧ :ف ٢٢ . وقال القديس امبروسيوس « أيها الكاهن، وعند ما تتقدم بعد هذا «أى بعد المعمودية» تأمل. ماذا يتم؟ أليس ما قاله داود مثل الدهن على الرأس النازل على اللحية لحية هرون مز ١٣٢ :١ هذا هو الميرون والدهن الخ فى الأسرار ف٧، وقال الذهبى فمه بم يمتاز الأساقفة عن القسوس اليس بالشرطونية فمن هذه الأقوال نستدل عل أن حق تتميم سر المسحة أعطى القسوس أيضاً.

ورغماً عن هذه الأدلة فإن الكاثوليك يحصرون حق المسحة بالأسقف فقط دون القس. على أن البروتستانت يشهدون بأن سر الميرون كان ولا يزال يتمم من الأساقفة والقسوس منذ العصر الرسولى فقد قال موسهيم (إنه لما انتظمت الكنائس المسيحية وترتبت تحت قوانين كان يحق للأسقف وحده بأن يعمد كل الداخلين حديثاً إلى الكنيسة غير أنه على تمادى الأوقات حين اتسعت حدود كنيسته كان يمنح هذا الحق للمشيخة (القسوس) والأساقفة القرى والمزارع حافظاً لذاته تثبيت المعموديات (الميرون) التى مارستها المشيخة ولا يمكننا أن نقول شيئاً عن يقين نظراً لتلك الطقوس التى كانت تضاف إلى المعمودية لأجل الترتيب واللياقة ق١ قسم ٢ف ٤وجه ٤٢).

الملاحظة الثانية : «صلوة الكاهن» قلنا فى مقدمة هذا الفصل أن سر المسحة هو غير سر المعمودية وبالحرى هو سر قائم بنفسه ذو صلوات وطقس خاص منفصلا عن المعمودية. والكنيسة تمارس الصلوة قبل تتميم هذا السر حسب تعليم الكتاب إذ جاء فى سفر الأعمال إن بطرس ويوحنا لما أرسلا إلى السامرة لكى يوضعا الايدى على المعتمدين ليقبلوا الروح القدس « صليا أولا » وحينئذ وضعا الايادى عليهم فقبلوا الروح القدس اع ٨ :١٥ وجاء فى أوامر

الرسل ما يأتى وبعد هذا فيلعمده باسم الآب الخ ويمسح بميرون مصلياً (١) هكذا..... ك ٧. ف٤٣و٤٤ وقال القديس كبريانوس « كما أن الرسولين بعد صلوة واحدة استحضرا الروح القدس عل سكان السامرة بوضع الايدى هكذا فى الكنيسة أيضاً من ذلك الحين جميع المعتمدين ينالون الروح القدس ويختمون بختمه عند دعاء الكهنه ووضع أيديهم رسالة ٧٣، والقديس امبروسيوس يقول «المعمودية يتلوها الختم الروحى لانه بعد الينبوع يحصل الكمال وبدعاء الكاهن ينسكب الروح القدس فى الأسرار ٣ : ٢ ـ ٨ ».

ثم بعد الصلوة يبدأ الكاهن بمسح المعتمد عل الترتيب الآتى :

يمسح أولا الرأس فالجبهة فالانف فالاذن فالعين اليمنى فاليسرى فالاذن اليسرى على هيئة صليب وهو يصلى قائلا ⲞⲨⲐⲰⲌⲤ ⲚⲦⲈⲠⲒ ϨⲘⲞⲦ ⲚⲦⲈⲚⲒ ⲚⲚⲈⲨⲘⲀ ⲀⲘⲎⲚ مسحة نعمة الروح القدس آمين.

يمسح الكاهن رأس المعتمد وجبهته الخ على هيئة الصليب (١)للدلالة على أن الله ختمنا بروحه وجعل على جباهنا راية صليبه وفى قلوبنا سمة نعمته (٢)للدلالة على أننا عابدوالرب وجنوده المحاربون للشيطان والخطية والعالم تحت رايته كما قال القديس أغسطينوس على ايو(٣) للدلالة على أننا ما أهلنا ولا حل الروح القدس علينا إلا بعد أن تمجد يسوع بصليبه. قال القديس امبروسيوس. « ويمسحك الله ويختمك المسيح وكيف ذلك لانك تختم برسم صليبه وآلامه. فى الاسرار ٦ :٢ ــ ٧).

أما الكلمات التى يتلوها الكاهن وهى «مسحة نعمة الروح القدس»فهى من

(١) راجع الصلوات التى تتلوها الكنيسة وقت تقديس الميرون.

الكلمات السرية المستعملة فى تتميم سر المسحة وهى تشير إلى أن المسحة التى بها فى الخارج بالميرون المقدس هى دليل المسحة التى تنالها من الروح القدس فى الداخل . وإن هذه المسحة هى مسحة الروح القدس نفسه راجع مز ٤٥ : ٧ واش ٦١ : ١ قال القديس بطرس فى كلامه عن المسيح إن الله مسحة بالروح القدس اع ١٠ : ٣٨ وتدل على ذلك أقوال الآباء ومنهم القديس كيرلس الإسكندرى الذى قال أن الميرون يشير حسناً إلى مسحة الروح القدس على حز ٢٥ ».

ثم يرشم ثانيا الصدر فالقلب فالسرة فالظهر فالصلب وهو يقول Ⲟⲩⲉⲱⲥ ⲛ̀ⲧⲉⲟⲩ ⲁⲡⲁⲣⲭⲏ ⲛⲧⲉ ⲑⲉ ⲉ̀ⲑⲙⲉ ⲧⲉ̀ⲧⲣⲟ ⲛ̀ⲡⲓⲫⲏⲟⲩⲓ ⲁ̀ⲙⲏⲛ مسحة عن بور لملكوت السموات ».
هذه الجملة تدل على أننا بالمسحة ننال الروح القدس الذى هو بمثابة عربون على الميراث السماوى . ولا يخفى أن العربون هو ما يدفع من ثمن البيع ضمنا لإستيفائه. كذلك الروح القدس للمؤمنين فى سر التثبيت هو عربون على الميراث الأبدى . قال الرسول .. إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس الذى هو عربون ميراثنا الخ اف ١ : ١٣ ، ١٤ وقال أيضا. ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا أيضا وأعطى عربون الروح فى قلوبنا ٢كو١ :٢٢و٢٣ ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخا يا أبا الآب إذاً لست بعد عبداً بل ابنا وإن كنت ابنا فوارث لله بالمسيح غل ٤ : ٦و٧ راجع رو ٨::١٥ ـــ ١٧ وقد علمت الآباء بهذه الحقيقة فقال القديس اغسطينوس «إن إسم المسيح من المسحة فكل مسيحى يقبل المسحة إنما ذلك ليس للدلالة على أنه صار شريكا فى الملكوت فقط بل صار من المحاربين للشيطان» ونلاحظ أن مسح المعتمدين فى الصدر والقلب الخ يشير روحياً إلى

النعمة والقوة وروح التأييد الذى يناله المعتمد بسر المسحة وهو بمثابة سلاح يحارب به قوات الشرير ويثبت ضد مكايد إبليس ويطفئ جميع سهامه الملتهبة اف ٦ :١٧» كما قال القديس كيرلس «وبعد ذلك يمسحكم على صدوركم لكى تلبسوا درع العدل وتثبتوا لدى حيل الشيطان وكما أن المسيح بعد المعمودية وحلول الروح القدس خرج وحارب المعاند هكذا أنتم بعد المعمودية المقدسة والمسحة السرية تثبتون لدى القوة المضادة لابسين سلاح الروح القدس الكامل وتحاربونها قائلين مع الرسول أستطيع كل شئ فى المسيح يسوع الذى يقوينى فى ٤ : ١٣.

يرشم ثالثا الكتف الأيمن فوق الإبط ومفصل الكوع الأيمن ومتنية ومفصل الكتف الأيمن وأعلاه وهو يقول Ⲟⲩⲟϩⲥ ⲚⲦⲈ ⲞⲘⲈⲦ ϢⲪⲚⲢ ⲚⲦⲈ ⲞⲨⲰⲚϨ ⲚⲈⲚⲈϨ ⲠⲀⲐⲘⲞⲨ ⲀⲘⲎⲚ — مسحة شركة الحيوة الأبدية الغير مائتة آمين ».

هذه جملة ثالثة يتلوها الكاهن فى الرشم الثالث للدلاله على أننا بهذه المسحة نصير شركاء الروح القدس واهب الحيوة الابدية عب ٦ :٤ ونعتق من ناموس الخطية المميت كقول الرسول. لان ناموس روح الحيوة فى المسيح يسوع قد اعتقنى من ناموس الخطية والموت رو ٨ :٢ وقال القديس كيرلس الأورشليمى « انظروا كيف صرتم مشاركى اسم المسيح كهنوتياً وكيف أعطى لكم ختم شركة الروح القدس عظة ٨ :٢٣ ».

ثم يرشم رابعاً الجهة اليسرى كالرشم السابق وهو يقول Ⲟⲩⲑⲱϩⲥ ⲈϤⲞⲨⲀⲠ ⲠⲒⲈ ⲠⲬⲤ ⲠⲈⲚⲚⲞⲨⲦ ⲚⲈⲘ ⲞⲨⲤⲪⲢⲀⲅⲒⲤ ⲚⲀⲦⲂⲰⲖ ⲈⲂⲞⲖ ⲀⲘⲎⲚ مسحة مقدسة للمسيح إلهنا وختم غير منحل ».

يسمى سر المسحة ختما للدلالة على أنه يطبع فينا موهبة الروح القدس وكلمة ختم هذه مأخوذة عن القديس بولس إذ قال : وقد مسحنا هو الله الذى «ختمنا الخ » ٢ كو ١ :٢١و٢٢ وقال إذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس اف ١ :١٤ : وقال ولا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء اف ٤ : ٣٠ وهذا التعليم نفسه نجده فى كتب الآباء وقرارات المجامع المسكونية. فآباء المجمع الثانى المسكونى قرورا هكذا» أننا نقبل الهراطقة الراجعين إلى الكنيسة ويختمون أولا بالميرون وعند ما نختمهم نقول « ختم موهبة الروح القدس الخ ق٧» والقديس افرآم قال «إن جميع قواكم النفسانية قد ختمت بختم الروح القدس.. وقد وضع الملك عليكم رسالته خاتماً إياها بختم النار لو ٣ :١٦ لكى لا يقرأها الغرباء ويحرقوها . تعليم الإيمان ف٥ ».

يرشم خامسا الورك الأيمن ومفصل الركبة اليمنى وأعلاه ومفصل عرقوب الرجل اليمنى وأعلاه هو يقول Ⲡϫⲱⲕ ⲉ̀ⲃⲟⲗ ⲙ̀ⲡⲓϩⲙⲟⲧ ⲛ̀ⲧⲉ ⲛⲓ ⲡ̀ⲛⲉⲩⲙⲁ ⲉ̅ⲑ̅ⲩ̅ كما نعمة الروح القدس . ودرع الإيمان والحق آمين ».

ثم يرشم سادسا كالرسم السابق فى الجهة اليسرى وهو يقول Ⲟⲩⲑⲱϩⲥ ⲙ̀ⲙⲟⲕ ⲡⲁ ⲛⲉⲙ دهنتك يا فلان « يذكر اسمه » بدهن مقدس باسم الآب والابن والروح القدس الخ.

وفى الرشم الأخير يقول دهنتك بإسم الآب الخ. دلالة على أن المسح وإن تم بواسطة الكاهن إلا أن العلة الفاعلة فى السر هى الثالوث الأقدس وبما أن مصدر الأسرار هو الله فبإسمه الكريم المثلث الأقانيم تمنح كتعليم الرب مت ٢٨ : ١٩ وإشارة إلى عمل الثالوث الأقدس فى الممسوح. قال القديس امبروسيوس

« ختمك الله إلهك. وثبتك يسوع المسيح «ومنحك عربونه الروح القدس اهـ» .

أما رشمه بعلامة الصليب وهو يتلو إسم الثالوث الأقدس فللإشارة إلي نتائج السر ذاته وهى نيل قوة الله الضرورية المحاربة جنود الشر الروحية التى هى علامة مختومة بالنفس ويشير إليها برشم الصلييب وتدل عليها هذه الكلمات وهى أدهنك بإسم الآب الخ.

بهذا الرشم الأخير تنتهى الرشومات المعينه ويكمل مسح سائر الأعضاء الرئيسية فى المعتمد ولذا يقول الكاهن « قد كمل » .

نلاحظ هنا أن الكنيسة تمسح هذه الأعضاء المعينة كما تسلمت من رؤسائها وأثبته الآباء والمجامع المسكونية فالقديس كيرلس الأورشليمى تكلم عن مسح الأعضاء وذكر منها. الجبهة والأعين والآذان والأنف والصدر فى الأسرار ٣ :٢ وفى ف٤ يقول فتمسح على جبهتك وسائر حواسك. والقديس افرآم يذكر مسح الحواس كلها وسائر الأعضاء بقوله أن جميع أعضاء جسدكم قد ختمت بالمسحة ف٥ فى تعليم الإيمان والمجمع الثانى المسكونى قرر قبول الراجعين إلى الكنيسة. وختمهم أولا بالميرون المقدس على الجبهة والأعين والأنف والاذان الخ ق ٧ وق٩٥ من م.م٦ .

أما مسح هذه الأعضاء الظاهرة فيشير إلى مسح قوى النفس وحواسها الروحية بالروح القدس وقال بعضهم « إنه رسم لآلات القوى النفسانية فيتقوى بنعمة الله قسما الطبيعية البشرية النفس والجسد معاً لأنه متي ختمت أعضاء الجسد بالميرون المقدس تختم معها جميع قوى النفس بزيت البهجة دهن الفرح مز ٤٥ :٧ أعنى بالروح القدس « الأنوار صحيفة ٦١و٧٩» (١)

---

(١) يرشم الطفل ٣٦ رشما بالميرون ذلك كما يقول ابن المكين لأن الطفل يكمل=

بعد الانتهاء من مسح المعتمد عل الكيفية السابقة. يتلو الكاهن الصلوة الموضوعة من الكنيسة وعند ما يقول ⲠⲬⲤ ⲒⲎⲤ ⲠⲞⲤ ربنا يسوع المسيح » ينفخ في وجهه وهو يقول أقبل الروح القدس:

تؤمن الكنيسة وتعلم أن المعتمد بهذه المسحة وبدعاء الكاهن ينال مواهب الروح القدس التى تنير عقله وتقويه فى النعمة وتثبته فى الإيمان وتعلمه كل شئ حسب تعليم الكتاب ٢كو ١ :٢١و٢٢ ،١ يو ٢ :٢٠ و٢٧ الذى علم به الآباء قال القديس ديونسيوس «إن مسحة التكميل بالميرون المقدس لمن استحق سر الولادة الثانية تمنحه حلول الروح القدس ذى العزة الإلهية رئاسة لكهنوت ٤ :١١، ٢ : ٨ » والقديس امبروسيوس يقول المعمودية يتلوها الختم الروحى. وبدعاء الكاهن ينسكب الروح القدس روح حكمة وفهم روح مشورة وقوة روح معرفة وتقوى روح مخافة اللهّ اش ١١ : ٤ التى تبنى وتقوى إرادة الإنسان لعمل الصلاح اعتراف الآباء ٧٣ ـــ ٨٠ وقال القديس كيرلس الأورشليمى. « هذه المسحة احفظوها طاهرة لأنها تعلم كل شئ إذ لبثت فيكم كما سمعتم قبل برهة يسيرة أقوال يوحنا المغبوط الذى قال أقوالا حكيمة كثيرة فى هذه المسحة لأن الروح القدس حرز للجسد وخلاص للنفس فى الأسرار ٣ :٧».

أخيراً يمسح وعاء الميرون بلفافة نقية ثم يلبس الطفل ثوب جديداً أبيض وهو

= تكوينه فى بطن أمه جنينا بعد ٤٠ يوما منها ٤ أيام تنقضى فى عقد الجنى فى خلايا التكوين وبعدها يأخذ فى التكوين تدريجيا إلى أن يكمل كل أعضاء الجسد وذلك إلى الأربعين ولما كانت المعمودية هى ولادة جديدة وبها يولد المعتمد من الروح القدس يمسح بالميرون علامة التثبيت والكمال وللدلالة على كمال الخليقة الجديدة وصيرورته عضواً كاملا فى جسد المسيح».

يقول ⲁ̀ⲣⲓϩⲉⲃⲥⲱ ⲛ̀ⲧⲉ ⲡⲓⲱⲛϧ لباس الحيوة الأبدية الغير فاسد
ⲡ̀ⲉⲛⲉϩ ⲟⲩⲟϩ ⲛ̀ⲁⲧⲧⲁⲕⲟ

يلبسه الأثواب وهو يتلو هذه العبارة إشارة الى ثوب النعمة الذى لبسناه فى المعمودية بالمسحة الإلهية بعد أن كنا لابسين ثياب الخطية وبه صرنا وارثى الحياة الأبدية بالمسيح يسوع بعد أن كنا أولاد اللعنة وأبناء الغضب حيث أفاض علينا الله الروح القدس كقول الرسول لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح غل ٣ :١٧ وأما الان إذ عتقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله فلكم ثمركم القداسة والنهاية حيوة أبديه رو ٦ :٢٢ أما كونه جديداً فإشارة إلى الإنسان الجديد الذى لبسه فى المعمودية المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق اف ٤ :٢٢ و٢٤ أما كونه أبيض. فلأن الأبيض يرمز.

(١) إلى النقاوه والبرارة والطهارة وإذ نحن اغتسلنا بالمعموديه بل تقدسنا بل تبررنا فأننا نلبس أثوابا نقيه بيضاء علامة التبرير والتطهير راجع اش ٦١ : ١٠ ورؤ٨ :١٣

(٢) إلى الثوب الملكى ثوب الفرح الروحى والتجديد العديم الفساد المغسول والمبيض بدم الخروف رؤ ٧ :١٤ الذى نلبسه إذا اغتسلنا بالمعموديه من وسخ الخطيـه الجديه وبالمسحة كما أن الإنسان بعد غسل جسده بالماء يلبس عادة ثياباً نقية.

(٣) إلى النور والنور أبيض والأبيض بهى ساطع ومشرق لامع فالمسيح فى تجليه ، أضاء وجهة كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور مت ١٧ :٢ لهذا يلبس المعتمد ثياباً بيضاء إشارة إلى الاستنارة الروحية التى حصل عليها بالمسحة الإلهية وإلى النعمة التى هى نور روحانى رؤ ٧ :٩

سارت الكنيسة فى ترتيب الأسرار على الترتيب الموضوع من الله نفسه بقوله: « فحممتك بالماء وغسلت عنك دماءك ومسحتك بالزيت والبستك مطرزة وكسوتك بزاً وحليتك بالحلى..... وأكلت السميذ والعسل حز ١٦ : ٩ ـــ ١٣ وعلى هذا : فهى تعمد

(١)بغسل الماء حميم الميلاد الثانى.

(٢) تمسح بالزيت وتلبس الثياب البيض للمعتمد.

(٣) تطعمـه من الوليمة السموية وتغذيه من سميذ السماء جسد الرب ودمه الأقدسين .

بعـد ذلـك يصلـى طلبة أخرى ويلبسه بقية ثيابه وأخيراً يشد وسطه بزنار من حرير .

شد الوسط بالزنار يشير إلى القوة التى أوتيها بالمسحة فإنها «القوة» كالزنار الوثيق تشدد عزائمه وتزيده نشاطا وتكفه عن الرذيلة وتربطه مع الله وبشريعته الإلهية راجع اف ٦ :١٤ . وإنه على ما قال بعض الآباء. يدل على الوفاء . فكما أن الزنار يشد الأحقاء كذلك الوفاء فإنه يربط صاحبه ويدعوه إلى إتمام ما وعد والقيام بما تعهد. وبما أن الميسيحى قد تعهد أمام الله وكنيسته باتباع المسيح والإنخراط فى سلك جنديته . فالكنيسة تشده بهذا الزنار محرضة إياه على انجاز ما وعد ابط ١ :١٣ ومذكرة « المعتمد» بأنه صار جنديا فى جيش الرب وعضوا فى الكنيسة التى هى جسده فوجب عليه إذاً أن يتهيأ ويستعد لخدمته والقيام بواجباته لو ١٢ :٣٥و٣٦ .

يحل الزنار بصلوة خصوصية للتعليم بأننا قبلا كنا مربوطين من جهة خطايانا مع الشيطان والان فكت عنا قيود الخطيه رو ٦ :٢٢ وتحررنا بالمسيح

يسوع وصرنا أولاد الله فنعيش فى الحرية التى حررنا المسيح بها راجع غل ٣ : ٢٦و٢٧.

بعد ذلك يتلو الكاهن الطلبة الختامية.

بهذه الطلبة يلتمس الكاهن من الله أن يؤهل المعتمد للاشتراك فى جسد ودم مسيحه الرب يسوع وقد تسلمت الكنيسة منذ القديم أن تعمد الأطفال وبعد أن تمسحهم بالميرون تقدمهم للتناول من الأفخارستيا لكى يتحدوا مع فاديهم . أوامر الرسل ك ٧:ف ٢ وقد أشرنا إلى ذلك فى الجزء الأول والان نريد القول إيضاحا مماجاء فى أوامر الرسل وأقوال الاباء «وناولوا المعتمدين من الأسرار الإلهية» وقال ابوليدس « لا يذوق المعتمدون شيئا إلى أن يتقربوا ق٩ وقال ابن المقفع . إننا ندخل المعتمد الكنيسة ونصلى عليه صلوة المعمودية ونسأل من الله باسم ابنه يسوع المسيح أن يطرد منه الروح النجس وكل ضلاله وندهنه بزيت ثم نصلى على الماء ونسأل أن يحل عليه الروح القدس كما حل على المسيح يوم عماده ونغطسه ثلاث مرات على اسم الثالوث الأقدس ونمسحه بالميرون ونطعمه جسد المسيح ودمه عربون الحيوة الذى به يحيا حيوة أبدية[1] مقالة ٤ على الفصح: على أنه إذا لم يتقرب الطفل المعتمد وقد تحرر من الخطية ولبس المسيح وصار عضواً فى كنيسته وابنا لله ترى أى وقت يصلح

(١) اقمنا الدليل فى الباب الأول ف١و٣ إن هذا هو تعليم الكنيسة منذ العصر الرسولى ونذكر هنا أن البروتستانت يعترفون بذلك بشهادة مؤرخهم موسهيم إذ قال «وكان الأسقف أو القسوس تحت أمره يعمدون مرتين فى السنة ـ أى فى الفصح والأحد الجديد الذى بعد الفصح ـ فمن جهة الطالبين يظن أنهم كانو يغطسونهم بالماء كلياً مع الابتهال للثالوث الأقدس حسب أمر المسيح بعد أن يكونوا قد تلوا ما يسمونه القانون ورفضوا كل خطاياهم ومعاصيهم ولا سيما الشيطان وجنوده وكانوا يرشمون الصليب على المعتمد =

للتناول أفضل من هذا وأى طهارة يكون عليها الإنسان كطهارة الطفل الآن . لعمرى أنه إذا لم يستحق التناول من الجسد والدم الأقدسين فلن يستحقه أبداً . ولنلاحظ هنا ان الكاثوليك يحرمون الأطفال من مناولة الأفخارستيا محتجين بعد أدراكهم البركات الناتجة عن سر بيد أنهم يعمدونهم وبديهى أنهم لا يدركون فوائد سر المعمودية ونتائجه الخلاصية. وقد تبعهم البروتستانت فى ذلك ولا ريب أن هذا مخالف لتعليم الكتاب الذى أجمعت وسارت عليه الكنيسة الجامعة منذ العصر الرسولى بشهادة موسهيم المؤرخ البروتسانتى الذى قال «لما مارس المسيحيون العشاء الربانى وذلك كان علنا يوم الأحد كانوا يقدسون بعض خبز قرابين الشعب وخمرها بصلوات معلومة يتلوها الرئيس أسقف الجماعة وكانت الخمر ممزوجاً بماء والخبز يقسم فتاتا وكان يرسل حصص من الخبز والخمر المقدسين إلى الغائبين والمرضى شهادة بمحبتهم الأخوية لهم وكان هذا الطقس الاقدس يعتبر عندهم ضروريا لنوال الخلاص. والبراهين على ذلك كثيرة

= ويمسحونه ويستودعونه لله بالصلوة ووضع الأيدى صحيفة ٧٦. وكانوا يظنون إن فاعليتها غفران الخطية ويعتقدون أن الأسقف بوضع الأيدى والصلوة يمنح مواهب الروح القدس اللازمة لقضاء حيوة مقدسة. أنظر سبريانوس رسالة ٧٣و١٣١ولم يقبل أحد إلى الجرن المقدس ما لم يكن المقسم أشهره بتقسيم رهيب نهديدى أنه معتوق من عبودية رئيس الظلمة والآن عبد الله وجه ١١١ . ولاجل سهوله ممارسة المعموديه أقيمت أجران مقدسه أو معدات فى أروقه الهياكل فكان دائما يمارس هذا الطقس المقدس فى ستارات الفصح والعنصرة والشموع المضيئة فى أياديهم ومعهم الأسقف أو القسوس الذين يكون الأسقف عينهم لهذه الغاية ك٢ق ٤ قسم ٢ف ٤وجاء فى كتاب اللاهوت ما نصه. أى قسما من الانجيليين يفضل التغطيس بل يحسبه ضروريا للمعمودية الحقيقة. مجلد ٢ وجه ٤٢١ وان المعمودية تغفر الخطايا وجه ١١٣

ولهذا لا اجترى أن أغلط الذين يعتقدون أن العشاء الربانى كان يعطى فى هذا القرن «الثانى» فى شمال أفريقيا للاطفال ك١ق ٢قسم ١ف ٤ صحيفة٧٥ وفى وجه ١١١ يقول أنهم جميعا اعتقدوا بأنه ضرورى جداً للحصول على الخلاص ولهذا رغبوا أن يشترك به الأطفال . أنظر يوحنا فم الذهب موعظة ٢٢ك٥

وأخيرا يقرأ على الأشبين أو والدى الطفل «أو على المعتمد ذاته أن كان راشداً» بعض الوصايا والتعاليم الواجب حفظها والعمل بها من نحو تربية الطفل المعتمد على المبادئ الأرثوذكسية. والواجب على الآباء أن يسمعوا التعليم ويحفظوه ويسيروا على مقتضاه فى تربية أولادهم لأنهم منذ البرهة التى يستلمون فيها الولد يصبحون وحدهم المسئولين فاذا أهملوا فتبعة الأعمال عائدة عليهم أمام الله.

الباب الثالث

«سر الزواج[1]»

الفصل الأول

«الزواج وغايته»

الزواج سنة إلهية لاقيام للعمران بدونها . وناموس من نواميس البقاء عليه مدار حفظ النوع البشرى تتميما للشريعة الأبدية التى سنها الله فى خلقه للنمو والاكثار كقول الكتاب «فخلق اللهّ الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى وباركهم وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض تك ١ : ٢٧و٢٨

وأول زواج على سطح الغبراء عقده الله بوجود الذكر الأول مع الأنثى الأولى «آدم وحواء فى جنة عدن إذ قال الرب الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده فاصنع له معنياً نظيره: فاوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما. وبنى الرب الاله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى ادم .فقال «وقد استنار بالوحى الالهى» هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى ..هذه تدعى امرأة لأنها من أمرئ أخذت . لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً تك ٢ : ١٨و٢٢ ــ ٢٤

ومنذ خلق العالم إلى اليوم لاتزال هذه السنة محفوظة عند جميع الأمم مقدسة فى جميع الأديان شاغلة المقام الأول فى الهيئة الاجتماعية. وهى عند كل أمة وطائفة قاعدة الألفة وركن الاجتماع ومبدأ النظام الأدبى . إلا أن

(١) سترى كلاما فيما يلى عن البتولية والرهبنة وسبب عدم زواج القسوس المترملين.

ناموس الزواج قد اختل نظامه وانحلت روابطه وانفكت عراه بل قد فسد بفساد الانسان وتغير بتغيير طبيعته وخرج عن وضعه الاول ومازال هذا حاله حتى جاء مصلح الانسانية العظيم الرب يسوع فحدده وأعاده إلى منزلته الاولى بل سر فجعله سراً مقدساً فى كنيسته المقدسة وذلك فى عرس قانا الجليل اذ باركه بتشريفه وملأه نعمة وبركة بحضوره يو٢ :١ ــ ١١ وفى جوابه على سؤال الكتبة والفريسيين فى أمر الطلاق مت ١٩ :١ ــ ٦ وعلى رأى فريق ــ بعد قيامته لتلاميذه الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوما ويتكلم عن الامور المختصة بملكوت الله اع ١ :٣

ونرى فى أقوال الرسل ما يؤيد أن الزواج سر مؤسس من الله فقد قال الرسول . أن هذا السر عظيم وإنما أقول عن المسيح وكنيسته اف ٥ :٢٢ ويقصد الرسول بهذا القول وما قبله الزواج وارتباط الرجل بالمرأة «واتحادهما الذى وضعه الله تعالى انما هو السر الذى يمثل اتحاد المسيح بكنيسته كما أن قوله أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم ذاته لاجلها ٢٥ يريد به أن اتحاد الرجل بامرأته يجب أن يكون شبيهاً باتحاد المسيح بالكنيسة والاتحاد على هذه الصورة لا يمكن أن يتم إلا بنعمة ملازمة خاصة بالسر وهذه النعمة لا يتصور تعقلها الا بوضع إلهى أى برسم المسيح يسوع كما أجمع الاباء والمفسرون ومايزيد القول تأكيداً شرح الرسل واجبات الزوجين «الرجل والمرأة» نحو بعضهما راجع اكو ٧ :٣، ١١ :٩ ــ ١٢ اف ٥ :٢٢ الخ وكو ٣ : ١٨ و ١تى ٤ :١١ و١٢ وابط ٣ :١ ــ ٦.

واستناداً على هذه الاقوال الإلهية والتعاليم الرسولية تؤمن الكنيسة وتعلم أن الزواج سر كباقى الاسرار موضوع من الرب. وعلى هذا أجمعت سائر الكنائس الرسوليه فى العالم . ونفس البروتستانت يعتقدون ويسلمون بهذه الحقيقة وهم

يعقدون الزواج بطقس خاص بواسطة رعاتهم. وله عند الكنيسة الاسقفية رتبة خصوصية ذات صلوات وطلبــات وفصول انجيلية معينة تتلوها وقت تتميمه وهــى لا تكاد تختلف فى جوهرها عما فى كنيستنا راجع الصلوة العامة صحيفة ٢٦٣ ــ٢٧٣

غاية الزواج ــ للزواج غايتان ذكرهما الكتاب أحدهما أدبى وهو تعاون الزوجين وتعاضدهما معاً وتضافرهما على أمور الحياة ومساعدة كل منهما الاخر تك ٢ : ١٨ والثانى طبيعى معروف وهو التناسل واستبقاء النوع الانسانى على وجه الارض تك ١ :٢٧و٢٨ وهناك غاية ثالثة نتجت عن فساد الطبع البشرى وهو صيانة المرء من المروق عن الحدود وضبط أمياله وتحصن كل من الزوجين من الإنفعالات الجسدية وبعدهما عن الاقتران المخالف لشريعة الله ١ كو ٧ : ٢و٨و٩و١تى ٥ :١٤و١٥

حقيقة أن الزواج من قبيل الغاية الثانيه كسائر النواميس الطبيعية التى وضعها الله للحيوانات والطيور والاسماك لحفظ أنواعها وكثرتها واستبقائها فى العالم ما بقى الوجود بدون انحلال تك ٧ :٣ ونواميس التناسل «سواء كانت فى الانسان او الحيوان أو الطير ، قاعدتها وأساسها الجاذبية التى جعلت أساساً وقاعدة نواميس المخلوقات الأخرى وأن أختلفت قوتها ونوعها من كل جنس من أجناس الموجودات وكل نوع من أنواع المخلوقات وعليه فيكون الزواج طبيعياً يميل اليه الانسان بفطرته وبالجاذبية النفسانية المخلوقة فيه .

على أن الكنيسة وبالأحرى الشريعة المسيحية لا تعتبره طبيعياً فقط ولا تجربة لكونه متمما الأغراض النفسانية ومنفذا الشهوة البهيمية. بل فضلا عن أنها تعتبره ناموساً وضعياً وسرا إلهياً فهى تنظر اليه من الوجه الكمالى وتراعى فى

إتمامه تربية الفضيلة والتقوى وإيجاد نسل طاهر يمتاز عن بقية الأنسال البشرية في قيامه بالغرض الذى خلق لأجله وهو عبادة الله وتمجيده وتعميم البر والرحمة والعدل بين بنى الانسان والتعاون والتكاتف على متاعب الحيوة وعلى الشرور التى ملأت العالم حتى تقل أو تبيد. بل تريد إيجاد أعضاء طاهرة فى كنيسة المسيح التى هى جسده. عاملة لمجده وامتداد ملكوته وانتشار إيمانه. ولذا تتممه الكنيسة للزوجين بالصلوة والبركة والدعاء حتى ينالا نعمة الله التى تقدسهما وتساعدهما على المعيشة الطاهرة والقيام بالواجبات المفروضة عليهما نحو باريهما ونحو بعضهما ونسلهما وهى لاجل الوصول إلى هذا الغرض الحميد والقصد المجيد تبالغ فى الاحتفاظ به وإتخاذ الاحتياطات الدقيقة قبل الخطبة والاكليل . كما أنها تسهر على حياة الزوجين وتتعهد سلوكهما وتعمل على تقريبهما إلى الله وإلى العمل بما يرضيه وما يطلبه من شعبه.



الفصل الثانى

(الخطبة)

الخطبة «بكسر الخاء» ــــ كما جاء فى الناموس ــــ مصدر وخطبة الرجل المرأة التى يخطبها من خطب المرأة خطباً وخطبة دعاها إلى التزوج. وفى الإصطلاح الكنسى هى إتفاق إختيارى صادر عن حب طاهر لغاية مقدسة بين الخطيب ومخطوبته مباشرة أو بواسطة والديهما أو من ينوب عنهما.

والواجب أن تكون الخطبة عن حب طاهر ولغاية مقدسة مطابقة لمشيئة الله لا بحسب الشهوة كخطبة شكيم بن حمور لدينة أبنة يعقوب تك ٢٤ :٢و٣

أما كون هذا الاتفاق يتم بين الخطيبين مباشرة فلأن الشريعة المسيحية والقوانين الكنائسية تأمران بضرورة الاتفاق بين الشاب والشابة بأن يقبلا الاقتران ببعضهما عن رضى وإختيار لا عن كره واضطرار.

لأن الخطبة الحقيقية هى المؤسسة على رضى وإتفاق الشابين «والمخطوب له أن لم يكن تحت ولاية غيره صحت خطبته لنفسه أما بنفسه أو بكتابته أو بمن يرضاه واسطة . والا صحت خطبة وليه أما بنفسه أو بكتابته أو بمن يرضاه واسطة. المجموع الصفوى ب ٢٥ ف ٢ :٢٦»

ولكن وجوب اتفاق الخطيبين وأختيارهما أحدهما للاخر لا يمنعان نيابة أبائهما عنهما إذا أراد وإذا قضت ظروف تلك النيابة. فأن الوالدين أخبر طبعاً بالشؤون البيتية وأعلم بأحوال وظروف الزواج وأدرى بما ينفع ويضر من أخلاق وصفات الزوجين وابعد عن التأثير الشهوانى الذى يقود الشاب لاختيار الجمال وتفضيله على الأدب والحشمة والكمال والانسان بحكم الطبع البشرى يميل إلى مصلحة ولده وفضّلها على مصلحته الشخصية.

على أنه لا يجوز قانوناً للوالد أن يستعمل حقه المخول له بأن ينوب عن ولده فى أختياره زوجة فاضلة عاقلة ذات خلق كريم وأدب ودين فى العبث بحقوق ومصلحة ولده وتعريض عائلة عن بكرة أبيها للنكد الدائم والشقاء الأبدى أوبعبارة أخرى أن هذه النائبة لا تخول للاباء حق إرغام أولادهم علي الاقتران بمن لا يريدون وكل زواج بنى على إرغام «باطل شرعا[1]فقد جاء فى

(١) كما ولا يجوز للوالد الزام ولده بالتزويج إذا كان الولد عفيفاً وتحت سلطانه فان كان مفرطا فى سيرته فليس له أن يمتنع عنه .

مجموع القوانين لابن العسال ب ٢٤ف ٤ وهكذا أمر الرسول ١ كو٧:

المجموع الصفوى. ما نصه «عدم رضى كل واحد من الرجل والمرأه بزيجة الآخر ورضاه إغتصابا بأحد وجوه القهر. وذلك ضربان.

الأول بغير رأى الذى هو تحت الحجز لا يكون أملاكه ولا يكون تزويجه الابتراضى المقترنين والذين هما فى حجرهم وهذا يمنع من التزويج والأملاك ولا يمنع من الخطبة.

الثانى لا يجوز لرئيس ناحية ولا لواليها ولا أولاده ولأحد من خواصه أن يملكوا على أحد منها بعناية وكذلك عدم بلوغها وهذا لا يمنع من الخطبة ب٢٤ ف ٢ :٤٦ ق١٥»

وإنما القوانين الكنائسية أو بالأحرى الشريعة المسيحية تأمر الابناء أن يأخذا رضى وأذن والديهم أو متولى أمورهم فى الزوجات اللاتى يريدون الإقتران بهن باسيليوس ف ٤٠ و٤١ وقد كان الحال كذلك فى العهد القديم راجع تك ٢٨ :١ وقض ١٤ :٢ ولنلاحظ هنا:

اولا: ـــ ان الخطبة واجبة شرعاً اذ بدونها لايتم زواج وفى العهد القديم ما يؤد ذلك كما فى ارسال ابراهيم عبده ليخطب زوجة لابنه اسحق تك ٢٤

ثانيا: ـــ أن الخطبة كانت تتمم بواسطة الاشخاص أنفسهم اصم ٢٥ :٣٩ أو بواسطة من ينتدبوهم تك ٢٤ :١٣ وكان الآباء ينوبون عن أولادهم فى إختيار الزوجات لهم راجع تك ٢١ :٢٠و تك٢٤ الخ و٣٤ :٢ ـ٤ و را ٤ وقض ١٤ :٢

ومتى تم الاتفاق وحصل الوفاق بين الزوجين أو من ينوب عنهما بل متى تمت الخطوبة وجب على الخطيبين أو والديهما أن يعلنا ذلك لكاهن الأبروشية ويستدعياه لاجراء عقد الخطوبة بصفة رسميه شرعية أمام الكنيسة.

الفصل الثالث

«عقد الخطوبة ـــ قراءة Ϫⲉ ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ»

عقد الخطوبة هو خدمة كنائسية تتمم بواسطة رعاة الكنيسة أنفسهم لتكتسب الخطوبة الصفة الشرعية . ويجب أن يكون أمام شهود من المسيحيين الأتقياء الأمناء .

وتعتبر الخطوبة الشرعية ختما يختم به الاتفاق الذى صار بين الخطيبين ومقدمة لمصاهرة شرعية بل عربوناً على الاتصال الروحى والاقتران المقدس الذى يجعلهما جسدا واحداً . ولذا تطلب الكنيسة من الرب يسوع أن يسر باتمام الخطوبة ويباركها بنعمته من السماء وأن يقرن خطبتهما بحسن الاستقبال ويجعلهما كغرسين مرتبطين بأصول كرمة الإيمان والفضائل وأن ينعم عليهما باتمام عقد الاقتران فى ميقات السرور .....

والخطوبة مشفوعة بالصلاة علانية واجبة

(١)لتقديسها بكلمة الله ودعاء وبركة الكاهن.

(٢) لتثبيتها وصيانتها ومنع العبث بها لعدول أحد الخطيبين عنها لغير داع شرعى .

(٣) لتكون معلومة للجميع وشهادة منهم على صحتها فلا يقدم بعد هذا أحد على خطوبة أحد العروسين اللذين تقدست خطبتهما وتثبتت بصفة شرعية ورسمية.

«وتقديم الخطبة وعقد الاملاك على التزويج ليكون الرضى به بروية تامة وعن فحص كاف فى هذه المهلة المشترطه ولتأكيد المحبة مع الرضى وليضبط الشخص الموافق إلى حين بلوغه كى لا يسبق اليه . وليكون رجاء الزيجة

الطاهرة مساعدا على حفظ العفة بصرف الاهتمام فى مدة المهلة إلي إعداد ما تدعو الحاجة اليه للزيجة وليقوى الشوق إلى الاتصال والافتداء بتدبير الحكيم تعالى لانه قال لا يحسن أن يترك الرجل وحده» فلنجعل له معينا نظيره فوعد ثم فعل . المجموع الصفوى ب ٣٤ ف ٢ : ٤٨»

والخطبة من الوجهة الروحية تشير إلى خطبة المسيح للكنيسة وهى تتقدم الزواج كما أن المسيح خطب الكنيسة لنفسه أولا بواسطة أنبيائه ورسله الذين أرسلهم ليخطبوها له.قال الرب و يكون فى ذلك اليوم يقول الرب أنك تدعينى رجلى .. وأخطبك لنفسى إلى الأبد وأخطبك لنفسى بالعدل والحق والاحسان والمراحم وأخطبك لنفسى بالامانة فتعرفين الرب هو ٢ :١٦و١٩و٢٠

هذا العمل الذى تقوم به الكنيسة أو هذه الخدمة التى تمارسها بواسطة رعاتها هى عقد الخطوبة أو هى أيضا التى يسميها العامة قراءة ϪЄ ПЄ NIѠT أبانا»

وقد دعيت هكذا لانها تفتتح بالصلوه الربانيه لربط العهد الذى صار بين الخطيبين وتحذيرهما من العبث به لانه قد تثبت بكلمة اللّه وبالصلوة التى علمها لنا يسوع عريس الكنيسة والا إذا قالها الخطيبان أو والديهما أو من ينوب عنهما بقلب غاش فيجلبا على أنفسهما غضب اللّه لان القلب الغاش يرذله اللّه مز٥١ : ولانهما استشهدا اللّه على الكذب وجعلاه فى مقام البشر يجهل ما تبطنه القلوب والضمائر وهو علّام الغيوب و السرائر .

والواجب على الكاهن قبل أن يباشر عقد الخطوبة رسمياً أن يسأل

(١) عن اسم الخطيب وخطيبته ومركز إقامتهما .

(٢) عن رضى الطرفين وأتفاقهما.

ومن مراجعة تاريخ رجال الله فى العهد القديم يستدل على أن الاعتراف كان لديهم من الأمور المحتمة والواجب شرعا القيام بها حسب أمر الله فموسى وهرون طالما إعترافا للرب بخطاياهما وشعبهما خر ٣٤ :١٤ولا ١٦ :٢١ وكذلك عزرا الكاهن ص ٩الخ ونحميا ١ :٦ ، ٩ :٢ وداود النبى مز ٣٢ :٥ وأيوب البار الذى قال إن كنت قد كتمت كالناس ذنبى لإخفاء إثمى فى حضنى أى ٣١ :٣٣ وكذلك حزقيا اش ٣٨ :١٣ وأشعيا ٥٩ :١٢ ، ٦٤ :٦ وأرميا ١٤ :٢٠ ودانيال ٩ :٤و٢٠

هذا ولذلك فإن الأنبياء وشيوخ الشعب والكهنة والملوك كانوا على الدوام يحثون الشعب على الاعتراف ويأمرونهم به عند سقوطهم فى الخطايا لينالوا صفح الله . فيشوع بن نون أمر عخان الكرمى أن يعترف بخطيتيه بقول. يا ابنى أعط الآن مجداً للرب إله إسرائيل واعترف له يش ٧ :١٦ وكذلك عزرا الكاهن أمر قومه لما سقطوا فى الخطايا الغريبة بقوله. اعترفوا الآن للرب إله آبائكم واعملوا مرضاته ص ١٠ :١١ وكذلك داود النبى مز ١١٨ :١وسليمان أثبت فى صلواته إن هذه الفريضة كانت واجبة على كل من أخطأوا إلى الرب بقوله إذا انكسر شعبك إسرائيل أمام العدو لأنهم أخطأوا إليك ثم رجعوا إليك واعترفوا باسمك وصلوا وتضرعوا. فاسمع . وأغفر خطية شعبك امل ٨ : ٣٨ .

ثالثا: ـــ من العهد الجديد . فإن يوحنا المعمدان كان يطلب من الآتين إلى معموديته الاعتراف بالخطايا حينئذ خرج اليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن واعتمدوا منه فى الأردن معترفين بخطاياهم مت ٣ :٥و٦ . وبعد صعود الرب كان الرسل يطلبون من المؤمنين التوبة والاعتراف بالخطايا اع ٢ : ٣٨ ، ٣ :١٩ بدليل أن المؤمنين كانوا يأتون إليهم مقرين ومخبرين بأفعالهم اع ١٩ : ١٨ . وفى رسائل الرسل نجد أوامر صريحة بذلك فقد قال القديس

إقراره يفتح له باباً للتوبة ويمهد له الطريق للاعتراف بخطيته وطلب العفو عنها ونيل الصفح منه تعالى بقوله«هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لاتأكل منها تك ٣ :١١» فهنا نرى أن الله أقام نفسه مقام قاض يريد استطلاع الحقيقة والوقوف عليها فسأل آدم المجرم «هل أكلت» وذلك ليس لأنه تعالى يجهل عمله. حاشا فهو بكل شئ عليم بماكان ويكون وبما هو كائن ولا شيء خاف عليه . وإنما كما قال القديسان أغسطينوس واغريغوريوس ليمهد له الواسطة للإقرار بالخطية والإعتراف بذنبه وهذا قولهما «إن الله سبحانه وتعالى سأل الأب الأول والمرأة الأولى قبل أن يحكم عليهما لما خالفا ناموسه وذلك ليقدم لهما سبباً للإقرار بذنبيهما فينا لا الغفران بإعترافهما الدليل الوضيع وهذا أمر لم يصنعه مع الشيطان لأنه لم يكن يريد أن يغفر له» ثم سأل قايين لما قتل أخاه هابيل «ماذا فعلت» وهكذا نراه سبحانه كلما أراد أن يصفح عن شعبه ويغفر لهم خطاياهم دعاهم إلى الاقرار بخطاياهم والاعتراف بذنوبهم لا ٢٦ :٤٠ وامل ٨ :٣٣، ٣٥و٤٧، نحيا ٩ :٢ دا٩ :٣و٤ ولو ١٥ :١٨.

ثانياً ــ «من الشريعة الموسوية» فقد قال الله تعالى«وإذا أخطأ أحد. أو إذا مس نجاسة إنسان . أوإذا حلف . فإن كان يذنب فى شئ من هذه يقر بما قد أخطأ به لا ٥ :٥ راجع٦ :٦و٧ وقوله لموسى قل لبنى إسرائيل إذا عمل رجل أو إمرأة شيئاً من جميع خطايا الانسان وخان خيانة بالرب فقد أذنبت تلك النفس . فلتقر بخطيتها التى عملت عدد ٥ :٧ وقال بلسان الحكيم من يكتم خطاياه لاينجح ومن يقر بها ويتركها يرحم ام ٢٨ :١٢ فمن هذه النصوص تستدل على أن الاعتراف مأمور به من الله وممارسته واجبة وإن من يخالف أوامره تعالى بعدم الاقرار بخطاياه أو كتمها فلا ينجح . وتبعا لهذه الأوامر الإلهية سار شعب الله قديماً فكان الاعتراف أمرا واجبا على كل إسرائيلى وقت تقديم الذبيحة.

وأوجبتها على بنيها لتكون توبتهم مقبولة أمام الله وأهم تلك الشروط وأخصها الاعتراف الشفهى أمام الآب الروحى وهذا ما نريد الكلام عليه الآن.



الفصل الثاني

«الاعتراف ووجوب ممارسته»

الاعتراف لغة الإقرار بالشئ والتصريح به علنا. وقد أطلق فى الكتاب المقدس

(١) على الاعتراف بالإيمان بالرب يسوع مخلصاً وفادياً مت ١٠ :٢٢ وروميه ١٠ :١٠، ١يو٢ :٢٣

(٢) على الإعتراف بالشكر لله على نعمائه وبركاته والآئه مز ١١١

(٣) على الاعتراف بمديحه وذلك بإذاعة عظمته وإشهار كمالاته العلية على الملأ مز ١٣٦ :١

(٤) على الاعتراف بالخطية مز ٢٢ :٥ وذلك حسب تعليم الكنيسة يكون بإقرار الإنسان بخطاياه على يد كاهن الله المؤتمن على أسراره المقدسة وموضوع بحثنا فى هذا الفصل. إنما لأجل الفائدة سنتكلم أولاً عن وجود الاعتراف بوجه عام فنقول .

أما إن الاعتراف مطلقاً واجب فذلك صحيح والبرهان على ذلك:

أولا : ـــ «من الشريعة الطبيعية» فإن آدم لما أخطأ و خالف الوصية ورأى نفسه عرياناً أراد أن يهرب من وجه الله فاختفى بين الأشجار كأنه يريد إخفاء جريمته الشنعاء ولكننا من جهة أخرى نرى أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يأخذ

الباب الرابع
«سر التوبة أو الإعتراف»

الفصل الاول
«التوبة وشروطها»

لما كان الإنسان بطبيعته يميل إلى الشر أكثر منه إلى الخير كان من المحال أن يبقى على نقاوته بعد المعمودية ـــ أى أنه يعيش طاهراً نقياً من كل شائبة ـــ ذلك لانه مائل إلى الخطأ والخطل، معرض للنقص والزلل ، ولا إنسان صدّيق فى الأرض يعمل صالحاً ولا يخطئ جا٧: ٢٠ ، ١ يو ١: ٨ و١٠ ولما كان الإنسان بسقوطه فى الخطية يسقط من النعمة ويعرى من ثوب التجديد الذى لبسه فى المعمودية وبما أن المعمودية لا تعاد ثانية لتجديد الخاطئ وتطهيره شاءت مسرة اللّه أن يتلا فى حالة الإنسان الساقط رحمة منه وشفقة عليه فأسس فى كنيسته سر التوبة المقدس ليكون معمودية ثانية به يغتسل الخاطئ من أقذار الخطية ويتطهر من نجاستها ويصيرإنساناً جديداً وذلك يتضح من قوله لتلاميذه فى مت ١٦: ١٩ ، ١٨: ١٧ويو٢٠ : ٢١ ـــ ٢٣

وقد اعتقدت الكنيسة فى كل جيل وعلمت أن الرب يسوع بكلامه هذا أسس سر الاعتراف فى الكنيسة وهى تبعاً لهذا التعليم الإلهى تقبل الخطاة التائبين وتحلهم من خطاياهم وتربط من كان مصراً على الخطية أو غير أهل للحل منها كما قال القديس كيرلس الاسكندرى «وقد وضعت للتوبة شروطاً

السماوى ليتحد بالكنيسة عروسه. فأنت يجب عليك أن تتحد بامرأتك لأنك صرت معها جسدا واحداً »

لما ينتهى الكاهن من تلاوة الوصايا يطلب إلى الله أن يباركهما وينميهما فى المحبة والسلامة ويحرسهما بالألفة والإتفاق ويمنحهما نعمة ليعيشا فى خوف الله كل أيام حياتهما وأن يرزقهما نسلا صالحاً ويكثرهما بحسب صلاحه. وأخيراً يختم الإكليل بالصلاة الربانية وهى تاج الإكليل وحسن الختام..



عليها وهى صارت وإياه جسداً واحداً غير آسفة على ترك والديها إذ يكون لها عوض الآب بنون وستصير بنعمة الله أما لأولاد كثيرين.

(٢) لأن النبى فيه يذكر جمال عروس المسيح الروحى وهو البر والكمال وزينتها الروحية التى هى مجموع الفضائل والكنيسة تتلوه مذكرة العروسين بأن يتجملا بالفضائل ويلبسا ثياب التقوى والبر على مثال عروس المسيح .

بعد ذلك يتلو الكاهن البركة وبعدها يرتل الشمامسة نشيد السلام ثم يسلم الكاهن العروسين لبعضهما بأن يضع يد العروس فى يد العريس وهو يقول «سلام سيدنا يسوع المسيح الخ» .

تسليم العروسين لبعضهما بوضع يد الواحد فى يد الآخر عادة قديمة جاء ذكرها فى الكتاب لأنها علامة القبول والرضى أمام الكنيسة «الرعاة والرعية» وعربون الأمانة الزوجية والارتباط الروحى وفى العهد القديم نرى أن رعوئيل التقى لما أراد أن يزوج طوبيا الصغير أخذ يمنى ابنته سارة وسلمها ليمنى طوبيا وقال . إله إبراهيم وإله يعقوب يكون معكما وهو يقرنكما ويتمم بركته عليكما ٧: ١٥ والكنيسة الأسقفية تفعل كذلك راجع الصلوة العامة صحيفة ٢٦٦ .

ثم يتلو على مسمع العريس الوصايا الإنجيلية.

تتلو الكنيسة هذه الوصايا على العريس وقت تسليمه عروسه التى تم اقترانه بها وصار وإياها جسداً واحداً بأن يعرفها امرأة له من لحمه وعظامه محرضة إياه على محبتها والإتحاد معها والعمل على راحتها والإعتناء بها كجسده كما أن الرب أيضا للكنيسة اف٥: ٢٩ كما أن المسيح ترك أباه «معنويا» وأتى إلى العالم ليتحد بالكنيسة كذلك يجب عليه أن يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته تك ٢: ٢٧ ومت ١٩ :٥ وقال الذهبى فمه «وعلى ذلك أرى المسيح كأنه قد ترك أباه

بها بسر الزواج المقدس ولذا يتلوا الكاهن وقت تكليلهما هذه العبارة ضع يارب عليهما إكليل نعمة: والكنيسة تحرضهما على الاحتفاظ بنعمة الزواج وأن يتوجا حياتهما بإكليل العفاف والطهارة ويعيشا كل أيام حياتهما بارين أمام الله سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم لو ١ :٦

ثم يصلى الكاهن الصلوة الربانية ويقرأ التحليل ثم يبارك العريس راشماً إياه بعلامة الصليب قائلا ⲪⲎⲈⲦⲀϤ̀ⲤⲘⲞⲨ ⲘⲠⲈⲚⲒⲰⲦ ⲀⲆⲀⲘ يا الذى بارك أبانا آدم «وكذلك العروس وهو يقول ⲚⲈⲘ ̀ⲈⲨ́Ⲁ وحواء» ثم يلقى أخيرا على مسمع العروس ⲤⲰⲦⲈⲘ ⲦⲀϢⲈⲢⲒ الوصايا الموضوعة من الكنيسة وفى نهاية كل منها يجاوب المرتلون قائلين اسمعى يا ابنتى الخ مز ٤٥ :٩

هذه الوصايا تتضمن شرح واجبات المرأة نحو زوجها كما فى اف ٥، ١تى ٢ ، ١بط ٣. أما ترتيل هذا المزمور فهو

(١) لأنه يتضمن تحريض الكنيسة على أن تسمع صوت عريسها السماوى الذى أحبها وأسلم نفسه لأجلها وتخضع له بالمحبة وتتحد وتلتصق به تاركة العالم رافضة كل شهواته رو ١٢ :١و٢ ، ١يو٢ :١٥ لأن عريسها ليس من العالم يو ١٩ : ٣٦ وأن تجعل همها قاصرا على رضائه والعمل بأوامره ونسيان كل ما كان محبوباً لها فى العالم وتخصيص ذاتها له لا لغيره وانقيادها له دون سواه لأنه سر أن يكون لها ختنا اف ٥. والكنيسة بنفس هذا المعنى تخاطب المرأة لتكون كذلك مع عريسها الذى اختارها دون سواها عروساً له كما هو ترك أباه وأمه ليتحد بها وتتحد به كذلك يجب أن تنسى بيت أبيها بمعنى أن تتحد به روحيا وتهتم فيما له و تخضع وتنقاد إليه بالمحبة والطاعة لأنه أصبح رأسا لها وسائدا

رجلها فهى حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط ١كو ٣٩:٧ كما أن اقتران المسيح بالكنيسة هو أبدى غير منفصل كما قال الرب نفسه مت ٢٨ :٢٠

وبهذه النعمة الفعالة وبدعاء وصلوة الكنيسة قد جمع الله بين الزوجين المتباعدين وجعلهما جسداً واحداً وروحاً واحداً كما جمع بناموس الزواج الذى أسسه منذ الخليقة كما قال القديس باسيليوس والذهبى فمه الذى يقول «الآن كل واحد أخذ ماله فهذا الزواج إذا هوزواج بحسب المسيح هو زواج روحى وولادة روحية لا من دم ولامن أمخاض كما أن ولادة إسحق هكذا كانت» واسمع ماذا قال الكتاب المقدس وقد امتنع أن يكون لسارة عادة النساء تك ١٨ :١١ فلم يكن الزواج عن هوى ولاكان زواجاً جسدياً بل كان كله روحياً زواج نفس اتحدت بالله اتحاداً يفوق الوصف كما يعلم هو وحده ولهذا يقول إن من التصق بالرب ويكون روحاً واحداً. وانظر كيف يجتهد فى أن يقرن الجسد بالجسد ويجمع بين الروح والروح على أن ١ف مقالة٢ :٥ أما وضع الإكليل على رأسيهما فقد أجاب عنه القديس باسيليوس قائلا «إنه إشارة إلى أن الله لما خلق ادم وحواء ألبسهما إكليل الفرح والنعمة» وهو يشير روحياً إلى الإكليل الذى توج به يسوع يوم عرسه وأشارت إليه العروس فى النشيد بقولها اخرجن يابنات صهيون وانظرن الملك سليمان بالتاج والذى توجته به أمه فى يوم عرسه وفى يوم فرح قلبه ٣ :١١ ويشير إلى أن كلا من الزوجين صار ببركة رباط الزيجه المقدس. تاجا للاخر فالرجل رأس المرأة ١كو ١١ :٣ والمرأة الفاضلة تاج مجد لبعلها أم ١٢ :٤ واكو ١١ :٧ كما أن الكنيسة هى تاج جمال لعريسها والمسيح لها كذلك كقول النبى. فى ذلك اليوم يكون رب الجنود إكليل جمال وتاج بهاء لبقية شعبه اش ٢٨ :٥ ويشير أيضاً إلى نعمة الله التى تكللا

يصلى على الزيت ليكون مباركا ومقدسا وصالحا للاستعمال لهما سلاح بر ونور وبهجة مز ٤٥ :٧ وهو يشير روحيا إلى البهجة الروحية التى حصلا عليها بسر الزواج . وإلى نعمة الله التى تقدس اتحادهما وتكسوه بهجة وجمالا روحيا ولذا يتلو الكاهن عند رشمهما بالزيت مز ٢٣ :٥ مسحت بالدهن رأسى كأسى رياً.

بعد ذلك يتلو الطلبة ثم يصلى على الاكاليل لتكون للعروسين أكاليل فرح ومسرة وفى آخر كل جملة يهتف الشعب والشمامسة «آمين» فليكن : وأخيراً يضع الأكاليل على رأسيهما وهو يصلى قائلا . ضع يارب عل عبديك أكاليل النعمة الدائمة.

قلنا فى الفصل السابق أن قسم الزواج المنظور يتم بأمرين منظورين الأول أخذ إقرار العروسين وتعهدهما علناً برضائهما بالاقتران وقد مر تبيانه. والثانى قبول الكنيسة هذا التعهد وتثبيته بالصلاة والبركة على رأس الزوجين . بركة رباط من الزواج من الكاهن وذلك بأن يضع الأكاليل على رأسيهما وهو يتلو هذا القول . وفذ يبت هذا العهد بكلمة الله ويعلن الكاهن أمام الكنيسة بأن ليس للمرأة تسلط «فيما بعد»على جسدها بل للرجل وكذلك الرجل أيضا ليس له تسلط على جسده بل للمرأة ١كو ٧ :٤ ويؤيد المسيح ذلك فى السماء وينال العروسان نعمة الله الغير منظورة التى تقدس اتحادهما وتحول الزواج الطبيعى إلى سر مقدس عب ١٣ :٤ يمثل إقتران المسيح الروحى بالكنيسة وإتحاده بها إتحاداً سرياً ١ف ٥ :٣٢ وتساعده على دوام اتحادهما وجعل زواجهما غير قابل الإنفصال والإنحلال مادام كلاهما على قيد الحياة كما قال السيد له المجد «إذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان مت ١٩ :٦ وكما قال الرسول . المرأة مرتبطة بالناموس مادام رجلها حيا ولكن إن مات

هذه الحلة الخاصة بالإكليل توضع عادة على رأس العريسين عند وضع الاكليل ووضعها قديم جدا فى الكنيسة بدليل أن القديس إيرونيموس ذكرها فى كلامه على الإكليل. وقال إنها علامة النقاوة والعفاف وإنها تشير روحياً إلى حلة الفرح التى ألبسها يسوع للكنيسة وزينها وجملها بها مز ٣ :١١و١٢ ومز ١٣٢ :١٦ مثل عريس يتزين بعمامة ومثل عروس تتزين بحليها اش ٦١ :١٠ ويؤيد ذلك قول الرسول فى اف ٥ :٢٥و٢٧ وإلى الثياب التى أعطيت العروس التى هيأت نفسها إستعداد للاقتران الكامل مع المسيح فى السماءرؤ١٩ : ٧و٨ هذا وقد كانت العادة فى العهد القديم أن تعطى العروس حلة من والديها وتوضع على رأسها وكانت تسمى غطاء تك ٢٤ :٦٥

تلبسهما الكنيسة هذه الحلة البيضاء رمز النقاوة والطهارة محرضة إياهما على التحلى بحلى الفضائل الروحية وحلل الكمالات المسيحية. وأن تكون ثيابهما فى كل حين بيضاء نقيه من كل شائبة جا ٩ : ٨ مذكرة إياهما إن الجمال الحقيقى فى لباس الحشمة مع ورع وتعقل ١تى ٢ :٩ والزينة الحقيقية هى زينة الروح الوديع الهادئ الذى هو قدام الله كثيرالثمن ١ بط ٣ :٢ـ وإلى هذا اللباس البهى يشير الرسول بقوله فالبسوا كمختارى الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفا وتواضعا ووداعة وطول أناة... وعلى جميع هذه ألبسوا المحبة التى هى رباط الكمال وليملك فى قلوبكم سلام الله الذى إليه دعيتم فى جسد واحد وكونوا شاكرين كو ٣ :١٢ ـــ١٥ وهذا لسان حال الكنيسة الذى تخاطب به العريسين .

ثم يصلى الكاهن بخضوع لله صلاة شكر ثم يأتى بالزيت وبعد الصلاه يرشمهما به.

بعد قراءة الانجيل ينشد المرتلون باللغة القبطية وبلحن الفرح ΝⲀⲒ ⲈⲦⲀϤ ϨⲰⲦⲈⲚ ⲌⲈⲨⲦⲈⲨⲤ ⲞⲚ هؤلاء الذين جمعتهم ألفهم معاً.

يتضمن هذا النشيد طلب بركة الله للزوجين اللذين سيلبسان حلة الإكليل بعد برهة.

ثم يتلو الكاهن الطلبات ويجاوب المرتلون قائلين ⲠⲬⲤ ⲚⲒⲖⲞⲄⲞⲤ ⲚⲦⲈ ⲪⲒⲰⲦ أيها المسيح كلمة الآب، ثم يصلى الثلاث أواشى وبعد تلاوة قانون الايمان يقرأ الطلبات الخاصة بالإكليل على رأس العريسين وفى ختام كل منها يقول المرتلون النشيد الخاص بالإكليل.

بهذه الطلبات يلتمس الكاهن لهما نعمة الله التى توحدهما، برباط المحبة ومباركتهما لينميا ويكثرا كما أكثر إبراهيم وإسحق ويعقوب وزرع. وإيهابهما طهارة النفس وعفة الجسد كما وهب حنة والقانة اصم١ وجعلهما أهلا لبشارة الملاك لو ١ :وزكريا واليصابات الذين أنعم عليهما بيوحنا المعمدان واليصابات وكحنة ويواكيم اللذين وهبهما العذراء والدة الاله . ومنحهما روح الحكمة والاعلان ليمتلئا من معرفة بيئته فى كل حكمـة وفهم روحى ليسلكا كما يحق للرب فى كل رضى مثمرين فى كل عمل صالح ونامين فى معرفة الله كو ١ :٩و١٠

وبعد ذلك يتلو الكاهن الطلبة الخاصة بالحلة والثياب.

بها يطلب من الله أن يباركهما حتى تصير لعبديه «العريس وعروسه» اللذين سيلبسانها بمسرة صلاحه حلة الفرح والتهليل .

ثم يرد المرتلون باللحـن قائلين ⲦⲒ ⲤⲦⲞⲖⲎ ⲘⲠⲚⲀⲦⲒⲔⲰⲚ الحلة الروحية.

بشهادة وصلوة كهنة الخ[1] ولا يكلل أحد سرابل بحضور من كثيرين ب٢٤ ف٥ :٧٧و٧٩

ثم يصلى الكاهن قائلا ⲉⲗⲉ̀ ⲏ̀ⲙⲁⲥ إرحمنا الخ» وبعد صلوة الشكر ورفع البخور ⲧⲱⲟⲩⲣⲏ ⲛ̀ⲛⲉⲩⲃ يقرأ البولس من اف ٥ :٢٣ الخ فالثلاث تقديسات فمز ١٩ :٥ ومز ١٢٨ :٣ فالانجيل من مت ١٩ :١ــ ١٠

رتبت الكنيسة قراءة هذه الفصول لأن فى البولس يشرح الرسول محبة المسيح للكنيسة. وإن الزواج يمثل اتحاد المسيح بكنيسته ويبين واجبات الزوجين نحو بعضهما. وغرض الكنيسة منه تذكير العروسين بأهمية وشرف الزواج وتحريضهما على المحبة والإتحاد . أما المزمور الأول ١٩ :٥ فلكى تعلمهما به أن سعادة الزواج قائمة ليست فى لبس الحلى والحلل الفاخرة ولا فى التزين بالذهب واللالىء الكريمة التى لبساها الآن بل فى حفظ شريعة الرب التى تفرح القلب وهى أثمن من الذهب والابريز وهى التى تحصنهما وتصونهما وتجعلهما أم ٦ :٢٢ وأما الثانى مز ١٢٨ :٣ فلانه يعلن الغبطة لكل من يتقى الرب إمراته مثل كرمة مثمرة فى جوانب بيته الخ أما الإنجيل : فلأن المسيح رسم فيه وحدة الزواج ومنع تعدد الزوجات مستشهداً بعمل الله فى بدء الخليقة «ذكراً وأنثى خلقهما» ولأنه أعلن فيــه أن الزواج المسيــحى غيرقابل الانفصــال «فأن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان»

---

(١) وأيضا جاء فيه ما نصه « وعقد التزويج لا يتم ولا يكون الا بحضرة كاهن وصلوته عليهما وتقريبه لهما القربان المقدس فى وقت الاكليل الذى به يتحدان ويصيران ــ جسداً واحداً ــ كما قال الله سبحانه وتعالى . وعلى خلاف ذلك لا يعد لهما تزويجاً فإن الصلوة هى التى تحلل النساء للرجال والرجال للنساء ب ٢٤ ف ٥ :٨ صحيفة ٢٤

«لأن اللهَ من جنب آدم الأيمن خلق المرأة وأحـضـرها إليـه» ثم دلالة على التساوى بينهما ويشير روحياً إلى جلوس الكنيسة عن يمين الله المسيح مز ٤٥ :٩ وإلى سمو شرف الزواج كما أن جلوس الكنيسة عن يمين المسيح يدل على الكرامة التى نالتها به إذ صارت من أهل اليمين أما تسمية الزواج إكليلا فبسبب الإكليل التى توضع عادة على رؤوس المتزوجين وقت ممارسة خدمة الزيجة المقدسة.

هذا وقد رتبت الكنيسة أن يعقد الإكليل على العروسين كاملا متى كانا بكرين ــ أى غير مترملين ــ غير أنها فى الوقت ذاته تصرح بعقد الإكليل كاملا إذا كان أحدهما بكراً كما لوكان بكرين. جاء فى قوانين الكنيسة مانصه «وإن كان المتزوجين أرامل فلا يكون لهم بركة إكليل لأن هذه البركة إنما هى مرة واحدة فى الدفعة الأولى وهى ثابتة على أربابها وباقية فيهم أبداً بل تكون صلوة الكاهن لهم بالاستغفار . وإن كان أحد المتزوجين بكراً فيبارك وحده وهذه السنة للرجال والنساء جميعاً مجموع القوانين ب ٢٤ف٥ :٨٧

ثم يبدأ الكاهن بمباشرة صلوة الإكليل أمام الكنيسة

تتمم الكنيسة السر لراغبى الزواج « لكى ينالوا بركة ودعا الكاهن نعمة الله الغير المنظورة التى تربط الزوجين إرتباطا روحيا وتقدس إتحادهما وتجعله شبيها باتحاد المسيح بالكنيسة وتساعدهما على إتمام مطالب الزواج المتنوعة وذلك بحضور المؤمنين ليكونوا شهوداً على هذا الاقتران الصحيح وخلوه من كل شائبة حسب التعليم الذى تسلمته من رؤسائها وصرحت به القوانين : فقد جاء فى المجموع الصفوى ما نصه. الزواج هو إتفاق رجل وإمرأة اتفاقاً ظاهراً

الفصل الخامس

«شرح طقس الاكليل أوعقد الزواج»

بعد إنتهاء رتبة عقد الأملاك السالف شرحها يأخذ الكاهن فى عقد الإكليل مباشرة على الترتيب الآتى :

قبل مباشرة عقد الإكليل يؤتى بالعروس أولا بالتراتيل الكنائسيه والخاصة بذلك وتجلس عن يمين العريس.

يؤتى بالعروس

(١) إشارة إلى إستحضار الله حواء إلى آدم وهو نائم تك ٢ : ١٨ وكما أن آدم لما استيقظ من نومه وقد وجد حواء بجانبه نطق بالوحى الإلهى «هذه عظم من عظامى ولحم من لحمى» كذلك يؤتى بالزوجة أولاحتى إذا ما جاء زوجها ورآها وجلس بحانبها يذكر قول الزوج الأول «هذه عظم من عظامى الخ»

(٢) للدلالة على أن المرأة إنما خلقت من أجل الرجل ١كو ١١ :٩ وإن عريسها الذى يأتى بعدها كان قبلها يو ١ :١٥ كما أن آدم خلق أولا تك ٢ :٧ وقال بعضهم كما أن حواء صورت من جنب آدم وهو فى سبات النوم وكما أن ذلك كان رمزاً إلتى تصور الكنيسة من جنب المسيح هونائم على الصليب كذلك يؤتى بالمرأة للدلالة على أنها من جسمه.

أما زف العروس الى عريسها بعد ان هيأت نفسها يشير روحيا الى زفاف الكنيسة الى المسيح التى هى الآن تتوقع مجيئه حتى إذا ما جاء فى مجده تزف الى خدره السموى ويكمل اقترانها به رؤ ١٩ : ٧و٨

أما جلوس المرأة عن يمين العريس فقد سئل عنه القديس باسيليوس فأجاب

بعد قراءة الإنجيل يقول المرتلون Ⲭⲉⲣⲉ ⲡⲓⲙⲁ ⲛ̀ϣⲉⲗⲉⲧ السلام للعريس».

«وإذا كان الآب البطريرك أو الأسقف حاضراً تقال ⲁ̀ⲣⲓⲱⲥ ⲁⲩⲧⲱⲥ أو ⲁ̀ⲣⲓⲡ̀ⲣⲉⲥⲃⲉⲩⲛ بعد ذلك يصلى الكاهن الثلاث أواشى فقانون الإيمان ثم يقول الطلبة الخاصة بعقد الأملاك وعندما يذكر اسم العريس وعروسه يرشم كلا منهما فى وجهة بعلامة الصليب ثم ينشد المرتلون Ⲡⲭⲥ Ⲡⲓⲗⲟⲅⲟⲥ ⲛ̀ⲧⲉ ⲫ̀ⲓⲱⲧ أيها المسيح كلمة الآب ، وبعد هذا النشيد يتلو الكاهن الصلوة الثانية للأملاك ولما ينتهى منها يقول المرتلون ⲕⲁⲧⲁ ⲫ̀ⲣⲏϯ كما أعطيت السلام» ثم يتلو الطلبة الثالثة والأخيرة ويجاوبه المرتلون ⲧⲁϩⲓⲣⲏⲛⲏ سلامى «أعطيكم» يو ١٥ :٢٧ ثم يختم بصلوة الشكر .

هذه الطلبات الثلاث تتضمن معنى واحداً بألفاظ مختلفة وهو التوسل إلى اللهّ الذى جبل الإنسان وأعطاه المرأة معيناً وباركهما أن يبارك أملاك العروسين ويمنحهما نعمة الاتحاد والشركة ويرافقهما بعنايته ويهبهما نعمة ليحفظا القول الذى صار بينهما والعهد الذى قرراه مع بعضهما وأن يقويهما ويجعل عهدهما وطيد الدعائم ثابت الأركان.

ثم يقول المرتلون ⲉϥⲉ̀ⲥ̀ⲙⲟⲩ ⲉ̀ⲣⲟⲛ ⲛ̀ϫⲉ ⲫϯ ليباركنا اللهّ مز ٦٧»وبعدها يختم الكاهن عقد الأملاك بالصلاة الربانية وقراءة التحاليل الثلاثة ويصلى المرتلون فى نهايتها كريه إيليصون ٣ مرات.

يرتل هذا المزمور لأنه يتضمن بركة اللّه على شعبه والكنيسة تستمدها للزوجين ليفرحا ويبتهجا وليخشيا اسمه القدوس

(٢) بدعوة الله لها إلى شركة ابنه

(٣) بالحث على توقع مجئ الرب يسوع وانتظار ظهوره الثانى وكمال التهيئ لإستقباله

(٤) بالاتحاد. باعتبار أنها أعضاء كثيرة فى جسد واحد وكل عضو يعمل لخير الآخر واجتناب التحزب والشقاق الذى هوعلة الخراب رأس الشقاء

(٥) بالتعليم بأن الله الذى دعا المرأة إلى شركة الرجل كما دعاهما إلى شركة ابنه تك ٢ : ١٨ فان الزواج منه تعالى أم ١٩ :١٤ .فاذا كان اللهّ هو الذى دعاهما إلى الاقتران ببعضهما وجب عليهما أن يتوقعا نعمته المتممة لاقترانهما الروحى وكمال إتصالهما وأن يحرصا على الإتحاد والإرتباط وينبذا كل دواعى الخصام والإنقسام مجتهدين أن يحفظا وحدانية الروح برباط السلام. جسد واحد وروح واحد اف ٤ :٣و٤

أما المزمور فلأنه يتضمن ذكر مراحم اللهّ للبشر بتجسد المسيح الذى وصل بين الله والإنسان بعد أن كانت الخطية فرقت بينهما وبه لثم العدل وجنتى الرحمة. الرحمة والحق تلاقياً والبر والسلام تلاثماً. وغايتهما من ذلك الإشارة الى اتحاد هذين الزوجين برباط الزواج المقدس الذى جمع بينهما والذى تم ببركة ودعاء الكاهن على الأرض وبتأييد المسيح فى السماء الذى هو وحده الفاعل فى السر «المعطى الخير».

أما الإنجيل فلأنه يتضمن تنازل الابن الكلمة الأزلى وتجسده لأجلنا يو ١ :١٤ وغاية الكنيسة من قراءته للتعليم بأن بالزواج يتحد الرجل بالمرأة ويكون الاثنان جسداً واحداً كما أن المسيح اتحد بكنيسته وهى كذلك صارت جسده كما قال الرسول.

وبدونه لا نستطيع ولانقدر أن نعمل شيئاً وهى تقال فى جميع الأسرار للدلالة على أن كل الاشياء منه وبه وله رو ١١ :٢٦ وهو الذى شاء بمسرته اقتران الزوجين وبقدرته يوحدهما وبيمينه يضبطهما وبقوته يشددهما ١أى ٢٩ :١١

ثم يقول الشمامسة أو المرنمون ⲁⲙⲏⲛ ⲕⲩⲣⲓ ⲉ̀ⲉ̀ⲗⲉⲏⲥⲟⲛ «كيرى إليصون» ٣ مرات ويصلى الجميع . أبانا الخ ثم يعقد الكاهن ثانية ويقول نعقد أملاك الابنة على الابن الخ. ويرشـم بالصليب الرشم الثانى ثم الرشم الثالث ويجاوبه الشمامسة آمين.

المراد بالأملاك للخواتم من وإلى العروسين وبعضهما وهى تعقد بالحرير للدلالة على الالفة التى تكون بينهما وإشارة إلى إرتباطهما معاً برباط الزواج المقدس بالبركة والدعاء وبنعمة اللهّ واجتماعهما بعد أن كانا متباعدين صيرورتهما جسداً واحداً لا اثنين. أما رشم علامة الصليب فإشارة إلى أن المسيح خطب الكنيسة عاقداً عليها الأملاك بسر صليبه المقدس.

وفى أثناء ذلك يصلى الكاهن الطلبة ثم يرتل الشمامسة لنشيد الخاص بالزواج وبعده يبدأ الكاهن بالصلوة قائلا: ⲉ̀ⲗⲉ ⲏ̀ⲥ ⲛⲏⲙⲁⲥ ارحمنا الخ «فـصلوة الشكر وبعـدرفع البـخـور لله يقـول المرتلون لحن العـذراء ϯⲁⲓϣⲟⲩⲣⲏ هذه المجمرة» وبعده يقرأ الشماس البولس من ١كو ١ :١ ــ ١١ فالثلاث تقديسات فالمزمور ٨٥ :١٠ وبعده الإنجيل من يو ١ :١ــ ١٨

انتخبت الكنيسة بعض فصول من العهدين ملائمة للسر ورتبت قراءتها وقت تتميمه الفائدة الشعب عموماً والزوجين خصوصاً .

ففى البولس يخاطب الرسول الكنيسة عروس المسيح ويذكرها

(١) بالنعمة المعطاة لها من اللّه

زوجين مختلفى العقيدة يشبون فى الغالب لا يحترمون مذهباً بل عديمى الإكتراث بأمور الدين. وسبب ذلك أن الشك فى صحة مذهب أبيه وأمه نشأ فيه من الصغرحين كان يرى والده يذهب إلى كنيسة ووالدته إلى أخرى وإن أحدهم يعتقد بمالا يعتقده الآخرفينمو هذ الارتياب فيه مع نموه إلى أن يبلغ درجة الكفر وهو لا يدرى . عدا ذلك فإنه كما قال أحد الآباء «لا وجه لنيل بركة من أسقف أوكاهن أرثوذكسى قبل أن يعترف بإيمان للأسقف أو القس الأرثوذكسى الذى يعقد زواجهما»

على أنه إذا كان أحد الزوجين أرثوذكسيا ً فلا يجب لغير الأرثوذكسى أن يمس إيمانه الأرثوذكسى أما الأولاد فيجب أن تكون تربيتهم أرثوذكسية ويكونوا كذلك أرثوذكسيين ق١٠و٣١ لاذقية.

ثم يرشم علامة الصليب قائلا ϧⲉⲛ ⲫ̀ⲣⲁⲛ ⲙ̀ⲫⲓⲱⲧ بإسم الآب والإبن والروح القدس ثم يقول ϥ̀ⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ ⲛ̀ϫⲉ ⲫϯ ⲫ̀ⲓⲱⲧ ⲡⲓⲡⲁⲛⲧⲟⲕⲣⲁⲧⲱⲣ ⲁ̀ⲙⲏⲛ ϥⲥⲙⲁⲣⲱⲟⲩⲧ ⲛϫⲉ ⲫϯ ⲫⲓⲱⲧ ⲡⲓⲡⲁⲛⲧⲟⲕⲣⲁⲧⲱⲣ ⲁ̀ⲙⲏⲛ مبارك الله الآب الضابط الكل الخ».

بعد أن يفتتح عقد الخطوبة باسم الرب يسوع يبارك الثالوث الأقدس وذلك لأنه الفاعل فى السر و العامل بنعمته فى الخطيبين والمقدس اقترانهما ولئلا يفتكرن أحد بأن الأسرار تمنح باسم الرب يسوع وحده دون باقى الأقانيم أو أن الفاعل فى السر هو أقنوم الإبن لا الأقانيم الثلاثة أما قوله الضابط الكل فللدلالة على سمو قدرة الله وسلطانه الأسمى على جميع الخلائق وأنه ضابط كل شئ بكلمة قدرته كما أنه علة كل شئ فى الوجود وبغيره لم يكن شىء

بعد ذلك يقبض الكاهن على الصليب بيمينه ويعلن أمام جمهورالمسيحيين الحاضرين عقد الأملاك قائلا «باسم ربنا يسوع المسيح مخلصنا نعقد أملاك الابن الأرثوذكس «فلان» على مخطوبته الابنة الأرثوذكسية «فلانة» .

يعقد سر الزواج باسم ربنا يسوع المسيح

(١) لأن النعم أعطيت لنا باسمه يو ١ :١٦ ،١كو ١ :٤ والأسرار وضعت ومنحت وأسست منه فيجب أن تبارك وتقدس باسمه القدوس

(٢) لأنه سر الزواج بنوع خاص يمثل إتحاد وإقتران المسيح بالكنيسة اف ٥ :٢٢ ولذلك قال الرسول نحن أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه اف٥ :٣٠ وقال الرسول «المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حياً ولكن إن مات رجلها فهى حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط ١كو ٧ :٣٩ وقد استدل الآباء على أن الزواج فى أزمنة الرسل كان يعقد باسم الرب يسوع.

أما قول الكاهن «الإبن الأرثوذكسى» فذلك لأن الكنيسة تعلم إن الأشخاص الذين يتقدمون إلى الزواج يجب أن يكونوا مسيحيين وأن يكون كلاً من العروسين أو أحدهما أرثوذكسياً ومن الصواب أن يكون الرجل وإمرأته من مذهب واحد ذلك لأن أشرف الشعائر فى الإنسان إنما هى الشعائر الدينية وكثيراً ما يكون اختلاف المذهب سبباً لنكد العائلة وتعاسة المعيشة وما قولك فى زوجين أحدهما يعيد عيدالفصح بفرح وإبتهاج عظيمين ويقبل تهانى الأقربين والأصدقاء والمحبين . وثانيهما يكتئب إذ يسمع فى كنيسته بالصوم والصلوة وتذكارات الآلام والصلب. وإن هذا يذهب إلى كنيسة لا يذهب إليها الآخر . ولا يعتبر رعاتها ولا تعاليمها والواحد يريد عماد ابنه فى كنيسته والثانى يمانعه راغباً عماده فى كنيسته التابع لها و زد على ذلك ما أثبته الاختيار بأن أولاد

أثمن وأشرف المعادن كذلك المحبة أثمن وأعظم المواهب ١كو ١٣:١٣ قالت العروس فى النشيد اجعلنى كخاتم على قلبك كخاتم على ساعدك لأن المحبة قوية كالموت ٨:٦ وقال الرب عن زربابل وأجعلك كخاتم لأنى قد اخترتك يقول رب الجنود حج ٢:٢٣.

ثم يسأل كل منهما شفويا «أى العريس وعروسه» هل قبلا عن رضى ومحبة واختيار أن يقترنا ببعضهما .

يسأل الكاهن كلا من الزوجين قبل عقد الإكليل عما إذا كانا قبلا الاقتران ببعضهما برضى ومحبة وذلك لأن قسم الزواج المنظور يقوم بأمرين أحدهما أخذ قرار الزوجين علناً أمام الكنيسة عن قبولهما للزواج بمحض إرادتهما وحريتهما وأنهما يكونان آمنين لبعضهما إلى نهاية الحيوة . وهذا أمر يوجبه العقل والنقل لأنه من المعلوم والمسلم به عقلا أنه يجب على من يريد أن يعيش مع امرئ آخر فى اتحاد تام ووفاق ووئام ومحبة حقيقية وسلام ــ أن يكون بينهما رابطة إتفاق وإلا تطرق الشقاق والعداء إليهما ففرقهما عن بعضهما فكم بالاحرى يكون هذا واجبا بين الزوجين اللذين سيتحدان مع بعضهما ويكونان فى عيشة واحدة طول حياتها ويكونان جسداً واحداً فإذا لم يؤسس زواجهما على دعائم الالفة والمحبة والاتفاق تداعى صرح هناء هما وحل الشقاء بهم طول حياتهما والكتاب المقدس صرح به راجع ١كو ٧والقوانين الكنائسيه دعت إليه راجع ق ٤٠ و٤١ لباسيليوس والمجموع الصفوى ٢٤ف ٢:٤٦ وف٥: ٧٨ وقد كان الحال كذلك فى العهد القديم فإن عبد إبراهيم لما خطب رفقه لابن سيده قيل له. ندعو الفتاة ونسألها شفاها فسألوها هل تذهبين مع هذا الرجل فقالت أذهب فصرفوها ومرضعتها تك ٢٤:٢٦ ــ ٥٦ وعليه أجمعت سائر الكنائس المسيحية فى العالم.

كهنوتية» وبركة الكاهن فكيف يمكن أن تكون زيجة بإيمان مختلف الخ».

ثم يأخذ الكاهن خاتمى الذهب ويلفهما مع الاكاليل فى الحلة ويعقد عليهما

جرت العادة قديماً أن يقدم كل من العروسين لبعضهما خاتما. من ذهب وقت الزواج كعلامة ظاهرة على رضاهما بالاقتران لبعضهما بعضا بمحبة وكعربون للاقتران ذاته راجع تك ٢٤ :٣ وخر ٣ :٢٢، ١١ :٢، ١٢ :٣٥، ٢أى ٢١ :٣ وعز ١ :٦ وقال الذهبى فمه أن الخاتم علامة الختم المسيحى وإشارة الخطبة وعربون العرس على لو ١٦ كما أنه علامة على المحبة نش ٨ :٦ وقال القديس أكليمنطس الاسكندرى ينبغى للعريس أن يعطى عروسه خاتما من ذهب وذلك لا لتفتخر به بل لتختم به الأشياء البيتية التى تسلم إليها على أن خاتم العرس لا يرمز إلى الأمانة الزوجية فقط بل ويشير أيضا إلى الحقوق الخاصة بالزوجة التى هى ربة البيت وأم العائلة. ويدل أيضا على الكرامة التى نالتها المرأة لدى رجلها كما يقول الكتاب بينما يمدح زربابل لأنه شبه خاتم فى اليد اليمنى حج٢ :٢٣ ويدل عدا ذلك جميعه على أنها زينه فى يده وأنها ساعده الايمن فى تدبير المنزل وتربية البنين والتعاون على كل أمور الحياة والمرأة تلبسه دلالة على أنها فى طاعة رجلها أو كأنه مالك عليها كشئ فى قبضة يده وإنها صارت فى حوزته.

هذا والكنيسة الاسقفية فضلا عن سائر الكنائس الرسولية تأمر به وتستعمله وقت الإكليل وتقول عنه أنه عربون على المحبة وعلامة على العهد الذى تم بينهما ويوضع فى بنصريد المرأة اليسرى راجع الصلوة العامة صحيفة ٢٦٧. أما كون الخاتم من ذهب فللدلالة على قيمة المحبة وسمو منزلتها فكما أن الذهب

الذى مربك بيانه فى الفصل الثالث وجاء فى المجموع الصفوى . والأملاك وهوعهد وميعاد للتزويج مستأنف ويكون بمكاتبة وغير مكاتبة ب ٢٤ف ٣ :٤٩ .

ومتى أراد عقد الزواج يستدعى الكاهن لتميم هذا السر وذلك لأن حق تتميمه منوط برعاة الكنيسة الأساقفة والقسوس وحدهم الذين إئتمنهم الله على كنيسته وهم وحدهم الذين فوض الرب يسوع إليهم إقامة أسراره وتدبير رعيته مت ٢٨ : ١٨و١٩و ويو ٢٠ :٢١و٢٢ واع ٢٠ : ٢٨ ،اكو ٤ :١ ويتضح ذلك من أقوال الآباء فقد قال الذهبى فمه ينبغى أن تدعو الكهنة وتعقد اتحاد الأزواج بالصلوات والبركات لكى ينمو شوق العريس وتزداد عفة العروس ويدخل عمل الفضيلة فيما بينهما بكل وجه على التكوين م ٤٨ :٧٩ والقديس اغريغوريوس الكبير يقول «ألم تقترن بالجسد بعد فلا تخف من تتميم ذلك فأنت طاهر والمسئولية علّى لأنى أنا عقدته وأنا أعطيتك العروس . فى المعمودية فـ١٨ . فمن هذه الأقوال وغيرها (١)يتضح أن حق تتميم سر الزواج خاص بالأساقفة والقسوس وأنه أيضاً عمل دينى كنائسى ومختوم بخدمة منظورة كغيره من الأسرار:

ومتى حضر يبدأ بعقد الأملاك على الكيفية الآتية يرتدى أولا بالحلة الكهنوتية «الصدر والبرنس» .

يلبس الكاهن الحلة الكهنوتية لأن الزواج سر والملابس الكهنوتية خصص إستعمالها فى خدمة الأسرار عل أن ذلك ليس حديثاً فى الكنيسة بشهادة القديس امبروسيوس الذى قال «إذا كان من الواجب أن يعقد الزواج «بحلة

---

(١) جاء فى مجموع القوانين ما نصه والامر الاكيد فى ذلك أن يعقد الاملاك بحضور كاهنين شيخين بوضع الصليب والخاتم الخ ب ٢٤ف٣ :٥٠

يقدم الخطيب على مخطوبته لأنه رأس المرأة كما أن المسيح رأس الكنيسة ١ كو ١١ :٣ واف ٥ :٢٣

وبعد ذلك يقول المرتلون ⲁ̀ⲝⲓⲟⲥ مستحق ثلاث مرات .«هذا إذا كان الخطيب حاضراً» وبعدها يتلو الكاهن الأدعية والطلبات المرتبة من الكنيسة وفى كل منها يرتل الشمامسة. آمين ⲁ̀ⲝⲓⲟⲥ ⲁ̀ⲙⲏⲛ ويختم بالصلوة:

بهذه الطلبات يتوسل إلى الله أن يبارك الخطيبين ويرعاهما بعين عنايته وأن ينعم عليهما بإتمام الاقتران . أما ⲁ̀ⲝⲓⲟⲥ ⲁ̀ⲙⲏⲛ «فهما كلمتان تأتى الأول منهما بمعنى . فليكن أو حقاً . والثانيه يونانية ومعناها مستحق والمعنى فليكن هذان الخطيبان مباركين من الرب وليكن عقد خطوبتهما مباركاً من الله فإنهما حقاً مستحقان لهذه البركة التى التمسها لهما الكاهن لأن غرضهما موافق لمشيئة الله : وكما افتتح بالصلوة الربانية كذلك يختم بها ليحسن الله لهما ختام الأمور كما أحسن بداءتها. والرب صالح له يليق وينبغى التقديس والتمجيد فى بداءة كل عمل وختامه.



الفصل الرابع

«عقد الأملاك»

عقد الأملاك هو خدمة دينية تتممها الكنيسة وقت الشروع فى الإكليل وهو يعتبر كمقدمة له ويسمى هكذا لأن فيه يعقد الكاهن أملاك الزوجين المزمع تكليلهما ومباركة زواجهما. ويشير روحياً إلى عقد أملاك المسيح على كنيسته لما جاء من السماء ليتحد بها وتتحد به وهو يتقدم الإكليل للسبب

بعد أن يعلن الكاهن أمام الكنيسة عدم وجود موانع يبدأ بعقد الخطوبة قائلا «باسم ربنا يسوع المسيح مخلصنا نعلن بهذا المحفل الأرثوذكسى إتمام خطوبة الابن المبارك«فلان» لمخطوبته الابنة المباركة «فلانة» مصلين جميعا قائلين يا أبانا الخ.

يفتح عقد الخطوبة

(١) بإسم الرب يسوع حتى يبارك الخطوبة والخطيبين.

(٢) لأنه تبارك اسمه هو الذى خطب الكنيسة للفرح الأبدى بسر تجسده الكريم وأمهرها دمه الثمين علامة الخطبة واتخذها عروساً مقدسة وأعطاها جسده ودمه الأقدسين عربوناً على المحبة والمجد الأبدى مت ٢٦:٢٦ واف ٥:٢٥

وأما تلاوة الصلوة الربانية

(١) لأن يسوع عريس الكنيسة هو الذى علمناها.

(٢) لأنها تتضمن كل ما يؤول لمجد الله وخيرالقريب وعقد الخطوبة هو كذلك

(٣) لأننا فيها نطلب مشيئة الله المقدسة ولا يخفى أن الزواج من الله أم ١٩:٢٤ وبما أنه سر بإرادته الصالحة وبصلاحه الأقدس أن يجمع بينهما فالكنيسة تطلب من الله ان يتمم مشيئته ويقدس خطبتهما ويباركهما بنعمته:

ثم يقول ثانياً «باسم ربنا يسوع مخلصنا نتمم خطوبة الابنة المباركة «فلانة» على خطيبها المبارك «فلان»ويكرره مرة ثالثة ذاكراً اسم الخطيب كما فى المرة الأولى .

مرتبطا بامرأة وبالعكس «أى زواج من كانت مرتبطة برجل»وإذا انتهينا من شرح هذه الأمور فلنأخذ فى شرح هذه الخطوبة فنقول :

= كثيرات كما يقول الذهبى فمه والقديس ايرينيموس ولما قال الكتاب يترك الرجل. أباه وأمه ويلتصق بامرأته بل لقال بنسائه . بل لما اقرن الله آدم الواحد بحواء المرأة الواحدة مع أن الكتاب لم يذكر عن أحد المخلوقات أنه قرن ذكراً واحداً بأنثى واحدة إلا عن الإنسان وهذا دليل على أن الزواج بين الناس يلزم أن يكون بين رجل واحد وامرأة واحدة وهذا قول الكتاب فخلق الله الإنسان خلقهما «واحداً »وأنثى واحدة» .

جـ ـــ قال بعضهم أن فى خلقه المرأة من جنب ادم وهو واحد يدل على أن تعدد الزوجات حرام.

د ـــ إن المسيح فى جوابه على الفريسيين مت ١٩ :٤ ـــ ٦ ، مر ١٠ :٢ ـــ٩ وأعلن وحدة الزيجة ومنع تعدد الزوجات إذ أوضح أن زواج الرجل بامرأة واحدة هو ناموس الطبيعة

الذى سنه الله منذ خلق العالم إذ قال ذكرا وأنثى خلقهما الله وأنهما جسد واحد وليس اثنين ، ولما قالوا إن موسى أمرلهم بالطلاق ردهم بقوله إن ذلك من أجل قساوة قلوبكم . ولكن منذ البدء لم يكن هكذا .

هـ ـــ منع الرسول ذلك بصريح اللفظ راجع ١ كو ٧ :٢ ـــ ٥ و١٠ ،١١ ، ١٦ ،٢٣ ، ٣٤ ، ٣٩ .

و ـــ إن اللهّ عدا ذلك أعلن فى العهد القديم بعدم سماحه بتعدد الزوجات راجع ملا ٢ :١٤ ـــ ١٧ .

أضف إلى هذا جميعه أن تعدد الزوجات مجلبة لأضرار كثيرة ومدعاة للشقاق والانقسام بين الرجل ونسائه وواسطة لوقوع التباغض بينه وبينهن وسبب فى تولد الشحناء والبغضاء والغيرة الشيطانية فى قلوبهن وتنكيد حياتهن جميعاً مما ينتج الخراب والدمار ويؤول إلى الاختلال والاعتدال وفساد النظام ولا سيما بين البنين راجع تكوين ٢١و٢٩و٣٠ وقد جاء فى المجموع الصفوى ما نصه « أما الجمع بين زوجتين فأكثر فلا يجوز لأنه زنى ظاهر مستمر ٢٤ :١٣ .

ليس للرب فإذاً لا يصح أن يختلط بجسد الرب وقال أيضاً وأما من التصق بالرب فهو روح واحد ١كو٦ :٣ ـــ ١٧ وأن جسد غير المؤمن ليس عضوا للمسيح فإذاً لا يصح أن يختلط بعضو المسيح .

(٣) الزواج عبارة عن عهد روحى بين الزوجين يتم عقده بالصلوة والبركة والدعاء . والحال أن العهد الروحى ممنوع عقده بين المؤمن وغير المؤمن فكما أنه لا يجوز أن يمنح غير المؤمن سراً من باقى الأسرار التى هى عبارة عن عهود تربط الإنسان بخالقه كذلك لا يجوز منح هذا السر لغير المسيحى إذا لا يستحق أن ينال هذه النعمة التى يمنحها الله بهذا السر أو بغيره. والكتاب والتقليد يثبتان لنا ذلك فالأول من قول الرسول راجع ٢كو ٦ :١٤ ـــ ١٨. والثانى من قوانين الرسل التى تنهى صريحا عن ذلك دسق ٣١ وكذلك مجمع انطاكية ق٥٤ ومجمع نيقية ٥٧و٧٢و٧٣ أضف إلى هذا جميعه أن التاريخ ينبئنا بأنه لم تحصل زيجة مؤمن بغيرمؤمنة فى الكنيسة المسيحية منذ العصرالرسولى إلى الآن.

(٤)الاجماع بين زوجتين فأكثر [(١)] بمعنى بأنه لا يجوز زواج من كان

---

(١) ا ـــ إن تعدد الزوجات كان جائزاً فى العهد القديم ولكن كان لسبب أوضحه السيد فى جوابه على سؤال الفريسيين وهوقساوة قلوبهم والاندفاع ورإ تيار الشهوات والانغماس فى حمأة الرذيلة والتوغل فى الشر والفساد وملاقاة لما ينشأ عن ذلك من الاختلاط الذى ربما قادهم إلى مجاراة الوثنيين فى عبادة آلهتهم وأما فى شريعة الفضل والكمال فلم يسمح للرجل أن يأخذ أكثر من امرأة واحدة ..والكنيسة على ذلك براهين كثيرة.

ب ـــ أن الله لما خلق آدم لم ير حسنا أن يكون وحده فخلق له امرأة نظيره وقال كاتب سفر التكوين من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً تك ٢ :٢٤ فلو كان يريد أن يزوج آدم بأكثر من امرأة لما خلق له امرأة واحدة بل نساء =

ثالثاً: المخالفة فى الدين ــ أى زيجة المؤمن بغيرالمؤمنة ــ فهى مانع قوى للزيجة وذلك لأسباب أو ضحها الآباء نلخصها هنا وهى :

(١) خوفا من انقياده لرأى زوجته الغير المؤمنة والتدين بدينها وكذلك يقال عن المرأة إذا جاز زواجها بغير المؤمن . وإذا افترض بقاء كل من الزوحين على دينه فماذا يكون الحكم على نسلهما ؟ ومن منهما يكون أحق بتربيته وتدينه بشرط عدم تعرضهما للانقسام والشقاق والفراق وبالإجمال الطلاق. وإذا افترض أيضاً بقاء النسل لحين بلوغه سن الرشاد وإعطائه الحرية فى اختيار أى دين له فربما تبع هذا دين والده والآخر دين والدته وفى هذا من الإختلال والإعتلال وفساد النظم ما فيه . فضلا عن أن الله قد حرم ذلك تحريماً باتاً فى شريعته راجع خر ٣٤ :١٥و١٦ وتث ٧ :٣ ويش ٢٣ :١٢و١٣و لما نقض سليمان هذه الشريعة غضب الرب عليه غضباً شديداً امل ١١ : ١ــ ٩ وبعد السبى البابلى تجاوز بعض اليهود هذه الشريعة فأنكر عليهم الرؤساء ذلك إيما إنكار وأشبعوهم توبيخا صارما مذكرين إياهم بما فعل الله لسليمان جزاء مخالفته شريعة الرب راجع عز ٩ ونح ١٣ :١٣ الخ

(٢): لا يخفى أن الرجل أو المرأة فى الدين المسيحى خلافهما فى غيره . وفى هذا الاختلاف ما يوجب عدم إختلاط هذا بذاك بالزواج. وذلك لأن الخاطئ لا يجدد ولا يقدس ولايصير عضوا للمسيح مالم يؤمن ويولد من الماء والروح . وغيرالمؤمنين لم يحصلوا على هذه الولادة وبالتالى مازالوا مدنسين بالخطية الجدية التى وصلتهم بالتناسل فإذاً لا يصح اختلاط غير المومنين بالمؤمنين الذين اغتسلوا بحميم الميلاد الثانى «المعمودية» وتطهروا من خطاياهم بل تقدسوا بل تبرروا ولبسوا المسيح وصاروا أعضاء جسده فقد قال الرسول . ولكن الجسد ليس للزنى بل للرب والرب للجسد وبما أن جسد غير المؤمنين

المرأة فى هذا السن لا تستطيع أن تدبر بيتها تدبيراً حسناً لأنها لا تعرف شيئاً من الشؤون المنزلية ولا يمكنها أن تعاون الرجل فى أموره. هذا ولما كان أغلب المتزوجين لا يرون زوجاتهم قبل الاقتران «وإن زالت أو كادت تزول هذه العادة الآن» فالشريعة لا تصرح بإتمام زواج قبل هذا السن بخلاف الخطوبة فإنها جائزة.

ثانياً : الزنا الثابت المشتهر .وهنا نلاحظ أن المطلقه لعلة الزنى طلاقاً شرعياً تسمح الكنيسة بزواجها إذا تابت توبة حقيقية وذلك لأنها بالتوبة تتجدد وتصير غير المرأة الزانية الأولى والكنيسة على مثال ملائكة الله فى السماء تفرح بتوبة خاطىء واحد يتوب أكثر من ٩٩ باراً لا يحتاجون إلى توبة لو ١٥ :٧

وتقبل مثل هذه تمثلا بعريسها السماوى الذى علمها بمثله الصالح قبول الخطاة إذا رجعوا كما فى مثل الابن الشاطر والدرهم المفقود. والخروف الضال لو ١٥ الخ ويقبوله للخاطئة لو ٧: ٤٨ وصفحة عن الزانية يو ٨ :١ وإدخاله اللص التائب النادم معه إلى فردوسه لو ٢٣ :٤٣ عدا عن كونه أقسم بذاته قائلا إنى لا أسر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا حز ٢٣ : ١١ و٢ بط ٣ :٩

وبما أن الله يسربالخاطىء ويقبله فى ملكوته إذا رجع تائبا نادما كذلك الكنيسة تسر به. ولذا فهى تصرح بزواج المطلقه لعلة الزنى ولا إثم على من يتزوج بها ما دام طلاقها شرعياً وبحسب ناموس الكنيسة وقد تابت وتحقق رجوعها وتكميل قانون توبتها،. على أن فى زواجها رحمة بها وشفقة عليها من أن تقهر وتغلب من الجسد فيؤول الأمر إلى خروجها عن دائرة العفاف .

القوانين ب ٢٤ ف ٣:١ب ٣٩ صحيفة ٢٣٦ ثم يباشر عقد الخطوبة على الترتيب الآتى قائلا :

بما أننا قد دعينا لا تمام عقد خطوبة الآنسة العذراء الارثوذكسيه الابنة المباركة «فلانة» كريمة الابن الارثوذكسى «فلان» لخطيبها الابن البكر الارثوذكسى «فلان» وبما أننا تحققنا جيداً من عدم وجود موانع تحول دون إتمام الخطوبة رسميا .

(١) من جهة القرابة بكامل درجاتها و أنواعها .

(٢) من جهة رضى الخطيب ومخطوبته بالذات .

(٣) من جهة سنهما.

(٤) من أى وجه آخر.

هذه أمور أربعة جاء بيانها بالتفصيل الوافى فى كتاب القوانين لابن العسال ب ٢٤ف ٢و فى الاحوال الشخصية للايغومانس فيلوثاؤوس مسألة ١٧و٢٥ و٢٧ فليراجعها من أراد. وأما نحن فنكتفى هنا بشرح بعض موانع الزواج وهى:

أولا: السن . حددت الشريعة السن للرجل من ١٥ــ ٢٥ وللأنثى من ١٢ ــ ١٨ فإذا لم يبلغ الخطيبان أو أحدهما السن القانونية منع زواجهما مؤقتاً وأجل لحين بلوغها «السن المناسبة» وما دامت الغاية الرئيسية من الزواج هى التناسل والتعاون فالزواج قبل ذلك لا يلائم حالتى الذكر و الأنثى لما ينجم عنه من الأضرار الدينية والأدبية والصحية. وكثيراً من الإضطربات العائلية والانقسامات البيتيه والمنازعات والخصومات تنشأ بين الرجل وامرأته أو بينهما ووالديهما وذويهما لعدم تناسب عمريهما. وإن أمكن لهما إيلاد البنين إلا أنهما لا يستطيعان تربية أولادهما التربية الحقة والتهذيب الصحيح فضلا عن أن

(٣) عن سن كل منهما.

(٤) عما إذا كان أحدهما خطب غير عروسه وعن سبب الإنفصال إذا كان شرعياً أم لا والواجب عليه حتى يتثبت من إثبات فسخ الخطوبة السابقة أن يؤجل عقد الخطوبة الحالية. وكذلك إذا رأى أن الخطيبين لم يتمما السن القانونية للزواج فيأمر بتأجيل الزواج حتى يبلغا السن المعينة كما سيأتى»

(٥)هل هما أرثوذكسيان أو أحدهما فقط .

(٦)هل تمما سر التوبة والاعتراف «فإذا لم يكونا تمماه أوجب عليهما تتميمه والتناول من جسد الرب ودمه الاقدسين قبل الاكليل» .

(٧)هل هناك موانع شرعية تحول دون أتمام خطبتهما.

(٨) هل هما بكران أم أرملان أو أحدهما بكر والآخر أرمل .

هذا وإذا كان الخطيب من غير ابروشية الكاهن يطلب منه شهادة تثبت خلوه من الزواج والموانع الشرعية الاخرى موقعاً عليهما من شاهدين أو ثلاثة أمناء ومصدقا عليها من كاهن أبروشيته.

فاذا إستوفى هذه الامور ولم يجد ما يمنع عقد الخطوبة فليكتب بذلك محضرا «إن لم يكن لديه محاضرمطبوعة» ويبين فيه سبب الاجتماع وشرح الاسباب المتقدمة مع قيمة المهر[1] ثم يؤرخه ويوقع عليه من الطرفين «أو من ينوب عنهما، ومن الشهود الحاضرين أيضاً ويصدق عليه أخيراً . راجع مجموع

---

(١) المهر عادة قديمة جاء ذكرها فى مواضع كثيرة فى الكتاب المقدس راجع تك ١٢:٢٤ ، ٢٩ :٢ وخـــــر ٢٢ : ١٧ وتث ٢٢ :٢٩ و١صم ١٨ :٢٥ ، ٢صم ٣ :١٤ وهو١٤ :٢ وهى مرعية عند جميع الطوائف ولا يجوز التزويج بلا جهاز ولا مهر المجموع الصفوى ب ٢٤ ف ٣ :٥١.

يوحنا. إن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطيانا ويطهرنا من كل إثم ١يو ١ : ٨و٩ وقال القديس يعقوب . اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات ٥ :١٦ .

ثبت من كل هذه البراهين الكتابيه ان الاعتراف بالخطايا مأمور به من اللّه وبما أن أوامر اللّه واجبة فالاعتراف إذاً واجب على كل مسيحى . لينال رضا اللّه ويحصل على غفران خطاياه.

وربما يعترض أحد بأن هذه النصوص لا يستدل منها على وجوب الاعتراف ــ للكاهن فنقول .

إن الكنيسة تعلم أن الاعتراف للّه ولكن على يد خدامه الكهنة على مثال ما قيل فى الكتاب عن صموئيل أنه كان يخدم أمام عالى الكاهن والمعنى أنه كان يخدم الرب أمام عالى الكاهن راجع ١ صم٢ :١١و١٨و٣٠ وفى التعليم المسيحى نرى تعريفا لسر الاعتراف إذا قيل هو توبة الخاطئ أعنى رجوعه إلى اللّه باعترافه بخطاياه لدى كاهن شرعى ليحل منها بواسطته بسر سلطان الكهنوت الممنوح من سيد الكل للكهنة.

وللكنيسة براهين قوية وأدلة دامغة على وجوب الاعتراف للّه على يد الكهنة

(١) من العهد القديم. (٢) من العهد الجديد. (٣) من التقليد. (٤)من أقوال آباء الكنيسة فى الأجيال الأولى. (٥) من أقوال المجامع المسكونية. (٦) من الاجماع العام. (٧)من كتب البروتستانت أنفسهم. (٨) من التاريخ. (٩)من وظيفة الكاهن ذاتها.

أولا ــ «من العهد القديم» إننا لو أمعنا الفكر فى النصوص التى أوردناها

سابقاً من العهد القديم لوجدنا أن الله .نفسه قد أناط أمر الاعتراف بالكهنة دون سواهم وبموجب ذلك كان اليهود يلتزمون أن يعترفوا ببعض خطاياهم على يد الكهنة كما يتضح من قوله وإذا أخطأ. أحد وعمل واحدة من جميع مناهى الرب التى لا ينبغى عملها.يقر بما قد أخطأ به ويأتى إلى الرب بذبيحة.. فيكفر عنه الكاهن أمام الرب فيصفح عنه فى الشئ من كل ما فعله مذنباً به لا ٥:٥و٦و١٧و١٨ ، ٦ :٧ ومعلوم أن الاقرار بالخطية كان يقوم بذكرها والتصريح بها وإظهار نوعها تث٢٦ :٦ لا بمجرد القول «أخطأت» حتى تعرف وتقدم عنها الذبيحة بحسبها . وذلك الاقرار يكون أمام الكاهن المنوط به إرشاد الخاطئ إلى نوع الذبيحة الى يلزم تقديمها عن الخطية.

وإذا تدرجنا إلى الأمام قليلا نرى أن موسى نفسه أمر شعبه بذلك بقوله ومتى أتيت إلى الأرض التى يعطيك الرب .. تأتى إلى الكاهن . وتقوله له . اعترف اليوم للرب إلهك تث ٢٦ : ٣ـــ٦ ويشوع نفسه طلب من عخان الكرمى أن يعترف للهّ بخطيته أمامه بقوله اعترف للرب وأخبرنى الآن ماذا عملت لا تخف عنى شيئاً يش ٧ :١٩ ثم إن شاول الملك قد اعترف بخطيته لصموئيل الكاهن والنبى بدليل ما قاله الأول للثانى أخطأت لأنى تعديت قول الرب وكلامك. والآن فاغفر خطيتى وارجع معى فاسجد للرب ١صم ١٥ :٢٤و٢٥ وواضح من قوله. فاغفر خطيتى . الخطية الى ارتكبها واعترف له بها ولسان حاله يقول بما أنى تعديت قول الرب وكلامه وقد اعترفت لك بهذه الخطية فألتمس منك بصفتك كاهن الله العلى ونبيه أن تقبلنى وتستمد رضا الله علىّ وتغفر لى هذه الخطية. ومن هذا يتضح أن الاعتراف بالخطايا للكهنة كان واجباً لنيل الصفح من الله بواسطتهم وإلا لما إعترف شاول لصموئيل ولا طلب منه غفران خطيته.كذا الحال فى أمر داود. فانه لما جاء ناثان النبى من قبل الرب

وضرب له ذلك المثل المعروف وشعر أنه المقصود به الحال اعترف للرب بخطيته وأقر أمامه بما فعل بانسحاق قلب وانكسار نفس كما يتضح من قوله اعترف لك بخطيتى ولا أكتم إثمى . قلت اعترف للرب بذنبى وأنت رفعت آثام خطيتى مز٣٢ :٥ ومعلوم أن داود لم يعرف خطيته ولا إعترف بها كما ولو ترفع عنه إلا بعد أن جاءه ناثان واعترف بها للرب أمامه وحينذاك أعلنه بأن الرب قبل توبته وغفر خطيته بقوله الرب أيضا قد نقل عنك خطيتك ٢صم ١٢ :١٥

ولكن ربما يقال أن رجال العهد القديم إنما كانوا يضطرون للاعتراف على الكهنة لما أن الاعتراف كان تابعاً للذبيحة وهذه كانت تقدم بواسطة الكهنة وأما فى العهد الجديد وقد بطلت الذبائح فليس شئ من ذلك ولذا لا يصح إقامة البرهان على وجوب الاعتراف للكهنة فى العهد الجديد بما كان جاريا فى العهد القديم . وجواباً على ذلك نقول أن الاعتراف لم يكن تابعاً للذبيحة ولا الذبيحة علة له إنما كان عملاً قائماً بنفسه مستقلا بذاته يتحتم أداؤه على كل نفس أخطأت فى واحدة من جميع مناهى الرب وبعد الاعتراف يأتى المذنب للكاهن بذبيحة لإثمه عن خطيته التى أخطأ بها فيصفح عنه راجع لا ٥ :٦ وعد ٥ :٧ .

فالاعتراف إذاً لم يكن تابعاً ولا معلولاً للذبيحة بل هو فى الحقيقة ونفس الأمر علة لها:أما القول بأنهم كانوا مضطرين للسبب المذكور فهو باطل والحقيقة أنهم كانوا يتممون الاعتراف على الكهنة إتباعاً لأمر الله فكان كل خاطئ ملتزماً بموجب الشريعة أن يقر الكاهن بخطيته. ثم يقدم الذبيحة ليكفر. عنه ويستمد له الصفح من الله عد ٥: ونحن نقول ذلك لا لنتخذه حجة نؤيد بها وجوب الاعتراف على الكهنة فى العهد الجديد إنما لنبرهن علي أن الاعتراف بالخطايا فى العهد القديم كان خاصاً بالكهنة بأمرالله نفسه وكذلك

فى العهد الجديد ولكن على وجه أكمل لأنه كما كان فى العهد القديم كهنوت كذلك فى العهد الجديد وكما كان فى ذلك ذبائح كذلك فى هذا أيضاً توجد ذبيحة ولكن كما أن كهنوت العهد الجديد هو على رتبة ملكى صادق لأن المسيح جاء رئيس كهنة على رتبته كذلك ذبائحه وقد تغيرت فى شكلها وجوهرها لم تكن على طقس هرون بل على طقس ملكى صادق وقد أمر المسيح رسله أن يقربوا قربانا على شاكلته أي خبزاً وخمراً لو ٢٢ :١٩ كذا الحال فى أمر الاعتراف فإنه اختص فى العهد الجديد بالكهنة على نوع أشرف وأفضل بمقدار ما إن كهنوت هذا وذبائحه أشرف وأكمل من ذاك بما لا يقاس ونحن لانلقى القول على عراه بل نؤيده بالبرهان ونعززه بالدليل النقلى.

ثانياً ــ «من العهد الجديد» . قال الرب يسوع لتلاميذه ولبطرس أولا هاأنا أعطيك مفاتيح ملكوت السموات ما ربطته على الأرض يكون مربوطا فى السماء وما حللته على الأرض يكون محلولا فى السماء مت ١٦ :١٩ وقد كرر هذا الوعد مرة ثانية لتلاميذه مت ١٨ :١٧و١٨ وبعد قيامته ثبته وأيده مرة ثالثة بقوله كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا . ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن امسكتم خطاياه أمسكت يو ٢٠ :٢١و٢٣ ومن هذه الأقوال الإلهية تدل أولا أن الرب يسوع أعطى الرسل وخلفائهم سلطانا على حل الخطايا وربطها وبما أن هذا السطان يقتضى ضرورة اعتراف التائب وإظهار خطاياه للكاهن لينال عنها الحل فيكون الاعتراف بالخطايا لرعاة الكنيسة أى الأساقفة والقسوس مأموراً به من اللّه كما أن سلطان الحل والربط مؤسس منه تعالى. وبما أ ن الرب يسوع خول لتلاميذه حق تتميم سر التوبة. وتتميم هذا السر يستلزم ضرورة الإعتراف بالخطايا على الكهنة إذ لايمكن أن يتم بدون الاعتراف فيكون الاعتراف للكهنة واجباً وإلا فإنكار هذه الحقيقة يؤدى فعلا إلى

إنكار وجود سلطان الحل والربط فى الكنيسة على ما قال الآباء وهذا يضاد تعليم الإنجيل وبالتالى تعليم الرب يسوع ورسله القديسين . وبما أن هذا السلطان المعطى من المسيح لرسله وخلفائهم يخول لهم أن يحلوا المعترفين من خطاياهم متى رجعوا إلى الله بالتوبة الحقة والندامة الكاملة ويربطوا الخطايا التى لا يمكن حلها إما لعدم توبة ذويها أو لعدم أهليتهم فيكون من واجبات الكاهن أن يعرف قبل كل شيء تلك الخطايا لكى يتسنى له حلها أوربطها بموجب السلطان المعطى له إذ من المقرر الثابت إن الإنسان لا يصح له الحكم على الشئ قبل تصوره أو معرفته كذلك الكاهن لا يمكنه مباشرة هذا السلطان دون معرفة الخطايا والحال أنه لا يمكنه معرفة تلك الخطايا إلا بإقرار الخاطئ نفسه لما أن الخطايا غالباً تكون مجهولة لأنها ترتكب سراً لا جهراً وفى الخفاء لا فى العلانية وإلا كيف يمكنه أن يغفر أو يمسك مالا يعرفه! فإذاً الاعتراف نتيجة طبيعية تستلزمها وظيفة الكاهن المنوط به حل وربط الخطايا فى سر التوبة كما قال الآباء وبالتالى أن السيد له المجد باناطته سلطان الحل والربط لرسله قد صرح بوجوب كشف الخطايا والاعتراف بها أمامهم وإلا فلا فائدة من هذا السلطان ولا وجه لاستعماله على الإطلاق.

ويستدل على وجوب الإعتراف لله عل يد الكاهن من سفر الأعمال حيث قيل «وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم أع١٩ : ١٨ وقد فهم الآباء ومنهم الذهبى فمه والقديس باسيليوس إن هذا القول يعنى الاقرار بالخطايا على يد الكهنة من قول يعقوب الرسول. اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات٥ : ١٦ فإنه مؤيد لهذه الحقيقة ودال على أن الاعتراف من المرضى يكون لهؤلاء الأطباء «قسوس الكنيسة» الذين ذكرهم أولا والدليل على ذلك

(١) ان قوله هذا جاء مباشرة عقب أمره لهم باستدعاء قسوس الكنيسة للصلوة على المريض وبه أشار بدون لبس إلى الاعتراف على الكهنة.

(٢) بدليل العطف على دعوتهم بالفاء كما فى طبعة رومية فان النص جاء هكذا «أمريض أحد فيكم فليدع قسوس الكنيسة وليصلوا.... فاعترفوا الخ فهو وسط الدواء بين المتقاطعين إهتماماً لشأنه ولا يقال هنا أن العطف ممنوع لاختلاف المسند إليه فى الأول هو ضمير الواحد وفى الثانى ضمير الجمع فلا جامع فان ذلك مشروط بالعطف بالواو فقط أما فى غيرها. فلا .. كما يقول علماء اللغة العربية على أن الضميرواحد فيهما إذ ضمير فليدع هو عبارة عن ضمير اعترفوا لأن الداعى هو المريض أو ذووه والمعترف هو المريض أيضا والعقل يسلم بذلك فإنه لو لم يكن الاعتراف للقسوس فقط لما خصهم بالذكر فى الدعوة لكنه خصهم بالذكر. فالاعتراف إذاً يكون لذلك الخاص المعتنى.

(٣) قد قال أحد الآباء ان الرسول حقق بقوله هذا أن من يتقدم إلى الكاهن بأمانه ليصلى عليه فصلاته بنعمة الله لها قوة أن تشفى المريض نفسا وجسدا لأن الخطية مرض النفس. وأوضح أن الذى يعترف للكاهن بخطيته ويؤمن ينال الشفاء من كليهما يتم له. وقد أراد الرسول أن يقوى إيمان المعترف فذكرقياسا على ذلك بأن إيليا النبى صلى فربط السماء ثلاث سنين وستة أشهر أن لا تمطر تأديباً للعصاة بألم الجوع والعطش حتى يتوبوا للرب. ثم لما تابوا ورجعوا الىٰ الله صلى فحل السماء وأمطرت. فاذا كان ايليا استطاع أن يربط ويحل السماء فبالأحرى كهنة المسيح ابن الله أن يربطوا الخاطئ بقانون التوبة تأديباً له ورغبة فى خلاصه وتقويمه ويحلوه من رباط الخطية بصفحهم له وسماحهم إياه اذا أثمر للتوبة. واذا كان ذلك الكاهن خاطيا فالمعترف له

باخلاص وأمانة اللّه ينال منه تعالى غفران خطاياه راجع كتاب الرؤوس أس ١٤ فى الاعتراف.

أما قول الرسول «بعضكم لبعض» الذى يتبجح به المكابرون فهو على ماقال الآباء ومنهم القديس أغسطينوس «ليس المقصود منه أن يعترف الكهنة للعلمانيين كما يعترف هؤلاء لهم فإن هذه الجملة لا توجب دائما حصول المشاركة بين كل من الطرفين — أى لا يلزم منها اعتراف الكهنة للشعب واعتراف الشعب للكهنة بل هى فى حد قولك علموا بعضكم بعضا وعالجوا أحدكم أخاه وليسعف الواحد منكم صاحبه بمعنى أن العالم يعلم الجاهل والطبيب يعالج المريض والقوى يأخذ بناصر الضعيف — وقس على هذا قول الرسول اعترفوا بعضكم لبعض أو فليعترف بعضكم على البعض الذين أعطوا سلطاناً أن يغفروا ويمسكوا الخطايا.

وهب أن كلام الرسول هذا نص فى اعتراف البعض للبعض بالمعنى الذى يقول به الخارجون عن الكنيسة فهو من باب أن الشئ إذا أطلق انصرف إلى الأكمل منه فيكون معنى كلامه — إن اعترفوا على هؤلاء البعض الذين ذكرتهم من حيث أنهم نواب المسيح ووكلاء سرائر اللّه ولهم وحدهم أعطى السلطان على حل وربط الخطايا كما أعطوا دون غيرهم أن يتمموا سر المسحة للمرضى فهذا لشفاء الجسد وذلك لشفاء النفس.

ولا يخفى أن جميع المؤمنين من رعاة ورعية هم أعضاء كثيرة فى جسد المسيح وإنما كما فى جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد. هكذا نحن الكثيرين جسد واحد فى المسيح وأعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر. ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا.

أنبوة فبالنسبة إلى الإيمان . أم خدمة ففى الخدمة . أم المعلم ففى التعليم . أم الوعظ ففى الوعظ رو ١٢ :٤ ــ ٨ ولكل واحد عمله الخاص.. فوضع الله أناسا فى الكنيسة أولا رسلا. ثانياً : أنبياء ثالثاً : معلمين . ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء أعواناً تدابير وأنواع السنة. ألعل الجميع رسل . ألعل الجميع أنبياء. ألعل الجميع معلمون. ألعل الجميع أصحاب قوات. ألعل للجميع مواهب شفاء. ألعل الجميع يتكلمون بألسنة ألعل الجميع يترجمون ١ كو١٢ :٧، ٢٨ ــ٣٠

فمن هذه الأقوال الرسولية يستدل على أن جميع المؤمنين وإن كانوا أعضاء بعضهم لبعض ولكن ليس لجميعهم عمل واحد بل لكل واحد عمله الخاص ولكل موهبته الخاصة به من الله وأنه يوجد بينهم تفاوت فى الوظائف وتباين فى المواهب . هذا للخدمة وذاك للتعليم لهذا موهبة الشفاء والآخر موهبة التدبير وما للواحد ليس للآخر إذ لكل واحد عمله الخاص.وإذ تقرر ذلك فنقول بأن القسوس وإن كانوا أعضاء مع المؤمنين فى جسد المسيح الواحد ــ أى الكنيسة ــ إلا أنهم قد امتازوا بمواهب خصوصية وخصوا بوظائف دون بقية الأعضاء كخدمة الأسرار ١كو ٤ :١ والتعليم مت ٢٨ :١٩ وشفاء المرضى وإخراج الشياطين مت ١٠ :١و٨ وتدبير الرعية يو ٢١ :١٥، اع ٢٠ : ٢٨ ومن هذه المواهب سلطان حل الخطايا وربطها مت ١٨ : ١٨وغفرانها ومسكها يو٢٠ :٢٣فيكون مراد الرسول من قوله «اعترفوا بعضكم لبعض» الاعتراف على هذا البعض المخصوص أى الكهنة الذين خصوا بهذه الموهبة دون غيرهم ولهم وحدهم فوض السلطان على حل وربط الخطايا وإليهم سلمت مقاليد الرعية «البعض الآخر» لرعايتها وتدبيرها وإدارة حركتها كما يدير الرأس حركة الجسد وهو عضو منه ويكون قصده أيضاً التخصيص لا التعميم وإلا فالقول بخلاف

ذلك مناف لتعليم الإنجيل وكلام الرسول بولس الآنف الذكر على خط مستقيم. ولا بعقل أن الرسول وهو واحد أولئك الذين منحهم الرب هذا السلطان يقصد بكلامه التعميم — أى اعتراف الكهنة للشعب والعكس بالعكس — وهو أحكم من أن يعلم تعليما آخر غير الذى تسلمه من الرب يسوع أو يجيز أمراً هو خاص بفئة مخصوصة ليس لغيرها مالها من الحقوق الرعوية والمواهب الخصوصية . ثم نلاحظ هنا أن الرسول فى مقدمة كلامه أشار بدعوة القسوس للصلوة على المريض ليشفى وتغفر خطيته . وبما أنه لا يمكن أن يوجد مريض بدون خطية. وبما أن غفران الخطية متوقف على التوبة . وتتميم هذا السر خاص بالكهنة فالمريض إذاً لكى ينال الحل من خطاياه يجب أن يعترف بها للكاهن المنوط به تتميم ذلك السر وعليه يكون قصد الرسول من قوله . الاعتراف على القسوس أنفسهم الذين أمر باستدعائهم للصلوة على المريض فانهم واسطة فى الغفران كما أنهم واسطة فى الشفاء ثم أننا إذا تعمقنا فى الفكر قليلا نجد فى كلام الرسول برهاناً آخر على الاعترف على هؤلاء القسوس وذلك أنه خص الصلوة على المرضى بهم دون غيرهم — بمعنى أن تتميم الأسرار خاص بهم — وهذا سر فهو إذاً من إختصاصهم وقد أوضح الرسول أن المريض تغفر خطيته وبما أن الوسيلة فى غفران هذه الخطية هم القسوس يو ٢٠ : ٢٣ الذين علي يدهم يتم سر المسحة فاذاً كما وجب تتميم هذا السر بواسطتهم كذلك وجب أن يتمم الاعتراف — وهو سر مثله — عليهم أيضا لتغفر خطاياهم. على أننا إذا سلمنا جدلا بأن كلام الرسول المقصود منه الاعترف على بعضنا البعض فيكن كلامه حجة لنا لا علينا لأننا نقول بالاعتراف على الكهنة وبديهى أنهم بعض من المؤمنين ولكنا نخص الاعتراف عليهم لأن الله خصه بهم ونفضل تتميمه على يدهم لأن الرب فضلهم بل ميزهم عن البعض الآخر

بمواهب خصوصية كما قلنا ولا ريب أن الاعتراف على هذا البعض المميزأفضل جداً من الاعتراف على البعض الآخر الذى لا صفة له. كما أن الاعتراف عليه منفرداً أفضل بما لا يقاس من الاعتراف على كثيرين لا يخلو الحال من أن يكون بينهم النمام والمبغض وقليل الدين فضلا عن أن إعترافا كهذا مدعاة للخزى والخجل ومجلبة لإحقار الغير بالمعترف وجعله مضغة فى أفواه بعض الذين لا دين عندهم ولا آداب سواء من المؤمنين أو غيرهم وهذا كما لا يخفى ضار بسمعته وكرامته. صحيح أنه نافع لتمحيص خطايا المعترف إن استطاع إليه سبيلا أما وهو يبالغ فى كتمان عيوبه ونسبة الكمال إلى نفسه فلا مندوحة له من الاعتراف على من إئتمنهم الله على أسراره.

إن الله وضع نظاماً فى كنيسته فمن الذى يجرأ على قلب هذا النظام وتغيير معالمه فيعطى للرعية ما ليس لها ويخول لها حقا أعطى من الله لغيرها «الرعاة» أن من يخرق هذا النظام أو يسلب منهم هذا الحق يعد سالبا للإلهيات بل متعديا على الله ويعرض نفسه لغضبه تعالى ٢ اى ٢٦ :١٦ ــ ١٩ .

ثم إذا سلمنا وقلنا أن كلام الرسول يفهم منه إعتراف البعض للبعض فيكون ذلك حجة لنا أيضا تفوق سهامها ضد أولئك المفكرين والمخالفين لتعليم الكنيسة الجامعة فإنهم يقولون بالاعتراف لله :والرسول يقول بالاعتراف للشعب لا للرب فإذا أخذنا القول علي ظاهره فيكون الاعتراف لله ممنوعا وجائزا للشعب وهذا مالا يقول به واحد من المسيحيين فعدم الاعتراف .لله غير جائز عندنا وعندهم واعتراف البعض «الكهنة» للبعض الآخر «الشعب» وبالعكس أمر متفق على منعه من جميع الكنائس الرسولية . فاذا لم يبق لنا سوى التسليم بوجوب الاعتراف لله على يد الكاهن والقول بغيره باطل ومناف لتعليم الكنيسة الجامعة الذى هو تعليم الرب يسوع ورسله فى كل زمان ومكان .

إلا أنه يقال لو كان غرض الرسول من كلامه الاعتراف على الكهنة لصرح بذكرهم. ولكنه صرح وسبق تصريحه الآذان واطمأن به الجنان إلا أنه لما كان في الآذان وقر من أن تسمع هذا التصريح وعلى القلب حجاب من أن يختلجه ذلك التصريح صمت الآذان عن أن تسمع قوله «فليدع قسوس الكنيسة» فإن ذلك نص صريح في أن المريض مرضا مطلقا جسديا أو روحيا الوسيلة في شفائه بقوة الله هؤلاء القسوس لا سيما وأنه قال «وإن كان فعل خطية تغفر له» . فمثل ذلك تسمعه كل أذن صاغية ويفهمه كل قلب خلى من مرض الغرض

أضف إلى هذا جميعه أن القديس يوحنا قد جاء في رسالته بما يصح أن يكون حكما في المسأله فإنه قال «وإن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم . إن قلنا أننا لم نخطئ نجعله كاذبا الخ ١يو ١ :٩و١٠ والاجماع على أن كلام الرسول هذا إنما المراد به الاعتراف على من عينهم الله وأعطاهم السلطان أن يغفروا الخطايا ويمسكوها بدليل قوله. إن قلنا إننا لم نخطئ نجعله كاذباً ـــ أي إن قلنا أننا بلاخطية ومن ثم لا حاجة إلى الغفران نجعل كلام الله في منحه سلطان المغفرة لرسله بقوله «من غفرتم له خطاياه غفرت» كاذبا.

ثبت من هذه النصوص الإلهية والآيات الرسولية إن الاعتراف بالخطايا لرعاة الكنيسة واجب . نعم وإستنادا على هذه التعاليم السيدية قد حافظت الكنيسة على الاعتراف للكهنة منذ العصر الرسولي.

ثالثاً :من التقليد: إن التقليد يثبت ذلك بدليل ما جاء في أوامر الرسول ما نصه . يلزمكم أن تكرموا الآباء الروحانيين.. لأنهم أعطوا من الله سلطان الحيوة والموت بأن يحاكموا الخطاة ويعاقبوا بدينونة لنار أبدية وأن يحلّوا التائبين من

خطاياهم ويحيوهم ك ٢ :٣٢ وب٥ :٤٢ صحيفة ٤٥ للمجموع الصفوى .
وجاء فى قوانين الرسل «كل أسقف أوقس لايقبل من يرجع عن خطيته بل يطرده فليقطع لأنه يحزن المسيح القائل فرح يصير فى السماء بخاطئ واحد يتوب ق ٥٢

رابعاً : من شهادات الآباء فى الأجيال الأولى» : فالقديس دينوسيوس تلميذ القديس بولس الرسول يقول فى ميمره على الراقدين أنا تابع للأقوال الإلهية.. إن صلوات القديسين تنفع جداً وكذا من تقدم إلى رجل بار واعترف له بآثامه فإنه ينال صفحاً من الله وتتمحص خطاياه وينال المواهب الإلهية التى يحتاجها لأن ذلك شرع فى الأحكام الإلهية أن يمنح الله المواهب ويعطيها بتوسط الآباء والقديس ترتليانوس يقول : إذا لم يخجل الخاطئ من أن يبين خطيته لكاهن الرب ويستمد العلاج بحسب قوله قلت اعترف للرب بإثمى وأنت رفعت آثام خطيتى الخ م ٢ على اللاويين راجع أيضاً م ١٧ على لوقا «والقديس كبريانوس يقول إن هؤلاء قبل أن يتوبوا عن خطاياهم بانسحاق قلب وبساطة وقبل أن يعترفوا أمام كهنة الله العلى ويطهروا ضمائرهم ويطلبوا من الكهنة علاجات خلاصية لجراحهم الروحية ويستعطفوا الرب على الإهانة التى أهانوا بها إيمانه القويم يتجاسرون بلا حياء أن يشتركوا بجسد الرب ودمه فاطلب إليكم أيها الأحباء أن تعترفوا بخطاياكم ما دمتم فى الحياة الحاضرة حيث صفح الخطايا الممنوح من الكهنة مقبول ومرضى عند الله . فى الساقطين ٢٨و٢٩ .
وأوريجانوس يقول أنه يوجد ترك آخر للخطايا مكرب جداً وصعب وممكن الحصول عليه بالتوبة عندما يبل الخاطئ فراشه بدموعه مز ٦ :٦ وعندما تصير دموعه له خبزا بالنهار والليل مز ٤٢ :٣ وعندما لا يخجل أن يكشف خطيته أمام كاهن الله طالباً منه الشفاء أو عندما يقول بعد الخطية. اعترف لك بخطيتى ولا

أكتم إثمى . قلت أعترف للرب بذنبى مز٣٢:٥ فإذا عملنا هكذا وكشفنا خطايانا ليس لله فقط بل للذين يستطيعون أيضاً أن يشفوا جراحنا ومآثمنا تمحى جهالاتنا من الله الذى قال قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك اش ٤٤:٢٢ . وفى القرن الرابع القديس أثناسيوس يقول . «كما أن المعتمد من الكاهن يستنير بنعمة الروح القدس هكذا من يعترف بخطاياه بواسطة الكاهن يحظى بالغفران بنعمة المسيح راجع الحاوى م٥٥» والقديس باسيليوس يقول إن الاعتراف بالخطايا للمؤتمنين على سرائر الله ضرورى لأن الذين كانوا يتوبون قديماً كانوا يعترفون بخطاياهم ليوحنا المعمدان مف ٣ وفى اع ١٩ نرى أنهم كانوا يعترفون للرسل الذين كانوا يعتمدون منهم .جوابه عل س ٢٨٨ . وقال أيضاً فى نسكياته. إن صفة الاعتراف بالآثام صفة الآلام الجسدية فكما أن أمراض الجسد لا تعلن لكل واحد ولا لمن إتفق بل للأطباء الخبيرين الحاذقين العارفين بالداء وعلاجه هكذا الاعتراف بالآثام يجب أن يكون للكهنة القادرين على الداء والشفاء على حد قوله «وأنتم الأقوياء إحتملوا. ضعف الضعفاء»والقديس إغريغوريوس التأييسى يقول فى خطابه للذين يدينون الغيرعلى خطاياهم «إسكبوا قدامى دموعا حارة وغزيرة وأنا أعمل معكم هذا العمل عينه خذوا خادم الكنيسة شريكا أميناً لكم فى حزنكم وأباً روحياً واكشفوا له أسراركم بجسارة أعظم . إكشفوا له أسرار نفوسكم كما يكشف المريض جراحه الخفية للطبيب فتنالوا الشفاء» فالقديس إمبروسيوس يقول «هوذا الآن للزمان الذى فيه يلزم أن تعترفوا بخطايكم لله وللكاهن وتمحوها بالأصوام والصلوات والدموع والصدقات خطابه على الأحد الأول من الصوم» والقديس أغسطينوس «يقول لأنه إذا أصر إلى آخر حياته فلا يعلم إن كان يستطيع أن يصنع التوبة ويعترف بخطاياه لله وللكاهن الخ».

خامساً : «من أقوال المجامع» أما أقوال المجامع المسكونية والمكانية فهى كثيرة ولكنا نكتفى هنا بذكر قانونين أحدهما للمجمع المسكونى الأول وهذا نصه إن الذين دعوا من لدن النعمة وأظهروا النهضة الأولى ثم عادوا إلى قيئهم كالكلاب... فهؤلاء يجب فحصهم واختبار ميلهم ونوع توبتهم فالذين يظهرون رجوعهم بالخوف والدموع والصبر والعمل الصالح فعلا لا صورة فمن الواجب أن يشتركوا فى الصلوا ت ثم يباح للأسقف أن ينظر فى أمرهم بأكثر شفقة ق١٢. والثانى لمجمع لاذقية وهو «إن الذين يخطئون فى زلات مختلفة متى ثابروا على الصلوات والإعتراف والتوبة ورفضوا الشرور رفضاً كاملا يقبلون فى الشركة لرأفة الله وجوده ق٢ راجع ق٩ لقرطجنة و٢و٥ و٧ لا نقره.

هذه تعاليم الرسل وشهادات الآباء وقوانين المجامع المعتبره . والمرعية عند البروتستانت أنفسهم «راجع كتابهم تعليم اللاهوت صفحة ١١٧ «وكلها تشهد وتعلم بصريح اللفظ بوجوب الاعتراف على الكهنة

سادساً : «من الإجماع» أما الدليل الإجماعى فهو : اتفاق جميع الكنائس الرسولية فى العالم على أن الاعتراف سر من أسرار الكنيسة المخول حق تتميمها للرعاة فقط ـــ أى الأساقفة والقسوس ـــ وإن إجماع هذه الكنائس على الاعتراف الكاهن مع تعدد مذاهبها واختلاف تعاليمها وتضاد إحداها الأخرى لهو أكبر دليل على ذلك

سابعاً «من أقوال البروتستانت»· إن البروتستانت أنفسهم يعترفون ويسلمون بذلك فقد جاء فى كتابهم نظام التعليم فى اللاهوت القويم ما نصه: الكنائس اللوثرية والأسقفية تستحسن الاعتراف السرى للراعى فى بعض الأحوال صحيفة ١١٧ وهذا تعليم أبى شيعتهم لوثر فقد قال فى كتابه فى سبى بابل فى التوبة

«إن الاعتراف السرى كما يصنع يعجبنى كثيراً وهو نافع بل لازم «وقال إن الاعتراف جلا. الضمائر وكارينوس نفسه شهد بوجوب الاعتراف وفائدته بقوله «من كان ضميره معرقلا فى شئ جنى من الاعتراف أحسن ثمرة. فى الرسومات ك ٣ رأس ٣» وفى قانون الإيمان الذى سنود فى أغوسطا قالوا إن الاعتراف فى الكنائس لم يبطل عندنا مواعظ الدبس وجه ٢٤» وجاء فى وجه ٢١٢ من كتاب الصلوة العامة للأسقفيين ما نصه:إن كان أحد غير قادر أن يطمئن باله بهذه الوسيلة فليأت إلى أحد خدام كلمة الله .... ليطمئن باله ويتحرز من شبهة وريبة. ثم يفحصه القس هل تاب حقاً من خطاياه . وهنا يحث المريض على الإقرار بخطاياه إقرار خصوصياً إن لم يكن شعر بأن ضميره قلق لأمر باهظ وبعد الاقرار يحله القس على هذا الوجه الخ صفحة ٢٧٩ وعلق عليه أحد قسوسهم قائلا :إن كلمة الله تقول اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات يع ٥:١٦ وقد رأينا مواضيع يجب فيها هذا الاعتراف . وهناك حوادث يجب الذهاب من أجلها الى القس والاعتراف له بما يفصله عن الله ويصده عنه تعالى لا تخف.. إن ما تبوح به لخادم الله لن يفشى لأن هذا لا يريد إلا أن يأتى بك إلى المسيح ويجعلك تقابله وجها لوجه إزالة لحملك الثقيل. استعداد الشركة وجه ١٧ :هذه أقوال البروتستانت نقلا عن كتبهم أوردناها هنا لا لإثبات حقيقة مجمع عليها ولا لتأييد سر هو مؤسس من الله بل ليقف أبناء كنيستنا على صحة اعتقاد القوم وتمسكهم بالإعتراف وإعترافهم بوجوب ممارسته على الكاهن فلا ينخدعون ولا يسبيهم أحد بالفلسفة وبغروروباطل كو ٢ : ٨ خلافاً للتعليم الذى تسلموه رو ١٦ :١٧ ثم لإقناع أولئك المكابرين الذين خرجوا من حضن الكنيسة بأقوال علماء البروتستانت عليهم يقتنعون وعن المكابرة فى الحقائق الثابتة الواضحة يكفون ولصوت الحق يذعنون ولتعليم الكنيسة يرضخون.

ثامناً: : «من شهادة التاريخ» لابد لنا من أن نأتى بشهادة التاريخ الكنائسى المؤيدة لهذه الحقيقة أيضاً فقد جاء فيه :ان الاعتراف. الشفوى كان يعتبر سراً ضرورياً وكانت الكنيسة تلزم الخاطئ بثلاثة أمور جوهرية وهى

(١) أن يعترف الاعتراف الشفوى لا فرق بين أن يكون أمام الكنيسة[1] أو أحد كهنتها. (٢) أن يتمم فعل الندامة. (٣) أن يقوم بالقوانين الكنائسية التى تفرض عليه. وكان لا يقبل ولا ينال الحل الشرعى ويستحق أن ينضم إلى شركة الكنيسة إلابعد تتميم الغرض الذى أوجب عليه وتقديم شهادة كافية على تقديس سيرته

«ايريناوس ضد الهراطقة وترتليانوس فى التوبة راجع الخريدة ق١ صحيفة ١٠٥» وقد أثبت ذلك موسهيم المؤرخ البروتستانتى فى تاريخه ق ١ف ١١٣ ولذا كانت رتبة التائبين فى الكنيسة منقسمة الى أربعة صفوف

(١) صف الباكين. (٢) السامعين. (٣) الراكعين (٤) المشتركين. راجع الجزء الأول وقد شهد أوسابيوس فى ك ٣ فى البرهان الإنجيلى بأن الاعتراف كان دارجاً فى عصر الرسل بقوله «وكان تلاميذ مخلصنا أشداء يتركون فى نفوس سامعيهم مناخس تدخل تعاليمهم فى صميم أفئدتهم حتى يبرزوا الخفايا من مطاميرها ويعترفوا جهراً بقبائح سيرتهم الماضية.

تاسعاً وأخيراً: ـــ «من نفس وظيفة الكهنة فهم :

---

(١) كان الاعتراف فى الكنيسة جارياً على وجهين أحدهما علنى والآخر سرى وعلى كلا الوجهين كان غفران الخطايا يعطى من راعى كنيسة واحدة الذى له الحق فى اعطائه وهكذا فى كل من الحالتين حفظ جوهر سر التوبة فى كماله ومع الزمان تنازلت الكنبسة لأبنائها وأبطلت الاعتراف العلنى وحضرته بالسرى دون أن تغير شيئاً فى التوبة «الانوار صحيفة٢٠٦»

أولاً: رعاة اع ٢٠ : ٢٨ وإليهم سُلِّمت الرعية نفساً وجسداً يو ٢١ :١٥ ولا يخفى إن من واجبات الراعى أن يفحص غنمه ليميز الصحيحة من المريضة والقوية من الهزيلة فيداوى المريض ويجبر الكسير ويعصب الجريح الخ كذلك من واجبات رعاة قطيع المسيح أن يفحصوا ضمائر رعيتهم ويكشفوا خطاياهم لكى يوبخوا الأثيم ويزجروا الخاطئ بل ويلزموا المختلس برد ما اختلس الخ وكما أن المسيح رئيس الرعاة مطلع على ضمائرنا وظواهرنا لأنه فاحص الكلى و القلوب كذلك الرعاة الذين أقامهم لرعاية شعبه وجعلهم نواباً عنه يو ٢٠ :٢٣، ٢١ :١٥ يجب أن يعرفوا ظاهرنا وباطننا ويجب على الرعية أن تعرف راعيها وتكشف أمراضها له».

ثانياً : خدام المسيح ووكلاء سرائر الله ١كو ٤ :١ وسفر اؤ، ٢٥كو ٥ :٢٠ : وإليهم وحدهم أعطى حق إقامة الأسرار يو ٢٠ :٢١ والاعتراف سر من هذه الأسرار المفوض سلطان تتميمها لهم فهو إذا من حقوقهم وبالتالى ممارسته على يدهم واجب تقتضيه طبيعة السر وتستلزمه وظيفتهم نفسها.

ثالثاً : مرشدون ومعلمون روحيون أقامهم الله لتعليم وإرشاد الناس مت ٢٨ :١٩ وكما إنه من واجبات المرشد هداية الضال وإرشاد السائر وتعليم الجاهل كذلك من واجبات الكهنة تعليم الجهلاء وإرشاد الخطاةوهداية الضالين إلى الطريق والحق والحياة لأنهم سوف يعطون حساباً عب ١٢ :١٧ وبديهى إن وظيفتهم هذه تقضى إطلاعهم على أفكارنا ومعرفة أحوالنا ليتسنى لهم إرشادنا. وتقويم إعوجاجنا ولا يخفى أن الإنسان بسقوطه فى مهواة الخطية يضل عن طريق الحياة الأبدية ويصير كالأعمى أو السالك فى الظلمة لا يعرف أين يمضى لأن الظلمة أعمت عينيه ١يو ٢ :١١ ولا ريب إن من ضل فى طريق يحتاج إلى من يرشده إلى الطريق الحق. كذلك الخاطئ هو أعوج فى طريق الفضيلة

فيحتاج الى من يقومه. وضال عن طريق الرب فهو فى حاجة إلى مرشد يهديه ويرده عن طريق ضلاله ويخلص نفسه من الموت يع ٥:٢٠ لأنه من ذاته لا يستطيع أن يكون لنفسه مرشداً اع ٨:٣١ إن حاجته إلى الإرشاد تستدعى وجوباً أن يكشف لهؤلاء المرشدين عن حاله ويشرح لهم بما فى ضميره ليستطيعوا إرشاده أقوم إلى السبل وهدايته إلى الطريق الصالح الذى يسير فيه فيجد راحة لنفسه ار ٩: ٢٦ كيف لا والرب علمنا أن نلجأ إلى خدامه ليرشدونا وذلك كما أمر بولس أن يذهب إلى حنانيا ليخبرة ماذا ينبغى أن يفعل اع ٩:٦

رابعاً : أطباء روحيون عينهم الله لمعالجة الأسقام الروحية والجسدية يع ٥:١٦ وشفاء كل ضعف وكل مرض فى الشعب مت ١٠ :١و٨ ومر ٦ :١٣ ولو ٥ :١٢ ويو ٥ :١٦و١٧ وكما أن من وظيفة الطبيب الجسدى فحص المريض ثم وصف الدواء الملائم لمرضه كذلك من وظيفه الكاهن ـ الطبيب الروحى ـ فحص المرضى بالخطايا ومعالجة أسقامهم الروحية بواسطة الأدوية والعقاقيرالروحية المأخوذة من الكتاب المقدس. فوظيفة الكاهن هذه تحتم عليه بوجوب معرفة الداء وموضعه واستقصاء علله وأسباب حدوثه وهذا لا يكون بالتصريح به من نفس المريض. فالاعتراف إذاً على الكهنة واجب تقتضيه وظيفتهم هذا ومن المعلوم أن المريض بالخطية فى حاجة إلى طبيب يعالجه وبما أن الرب جعل الكهنة أطباء لأمراض النفس فمن الواجب على المريض أن يرى نفسه لطبيبه الروحى ليداوى أسقامه الروحيه ويأمره بعمل ما يفيد ومجانبة ما يضر. وكما أنه يتحتم على المريض بالجسد كشف مرضه للطبيب كذلك يتحتم على المريض بالخطية إظهار مرضه للكاهن وإلاكيف يستطيع الطبيب أن يعالج مريضاً بدون أن يعلمه بما يشعر به من الألم والوجع والرب نفسه قد أمرالأبرص أن يرى نفسه

للكاهن مت ٨:٤ وأراد الله بذلك ــ كما يقول الذهبى فمه مرض النفس التى إذا صارت فيها أفكار مختلة تخالف الناموس الإلهى وحادث عن الاستقامة أصابها البرص وبه تتنجس وحينذاك يجب عليها أن تريه للكاهن لتطهر. خامساً : قضاة ١٨ :١٧ لهم الحق فى حل المشاكل والفصل فى الدعاوى ١ كو ٦ :١ ــ ٤ وأن يحكموا على الضمائر ويحلوا ويربطوا بسلطان الروح ويغفروا الخطايا ويمسكوها يو ٢٠ :١٣ ويسلموا المرتكب للشيطان١ كو ٥ :٥ ويفرزوا مذيع الفتن والشرور ٢ تس ٣ :٦ وكما أن القاضى لا يمكنه أن يحكم فى الدعوى بدون أن يسمعها وينظرفيها كذلك الكاهن إن لم يفحص الخاطئ ويأخذ اعترافه لا يمكنه أن يحله من خطيته أويربطه «يقاصه» ويبين له ما يوجبه عليه إثمه. «النتيجة» مما أوضحناه جميعه وماسنوضحه أن الاعتراف للكاهن مأمور به من الرب ومن رسله القديسين وإن الكنيسة تمارسه منذ العصر الرسولى كما دلت على ذلك أقوال الآباء والمجامع والتاريخ الكنسى كما وأنه مسلم به ومجمع عليه ومعترف بوجوبه من نفس البروتستانت.

بقى علينا أن نضيف إلى هذه البراهين برهاناً ختامياً وهو أن الكنيسة تعلم أن الشروط المطلوبة لتتميم السر ثلاثة..أولا المادة المحسوسة. ثانياً كاهن شرعى :

ثالثاً: الوعد بنعمة الروح القدس. والحال إن هذه الثلاثة موجودة فى سر الاعتراف. فالمادة المحسوسة فى اعتراف التائب وترك الخطية على الآب الروحى. والوعد مصرح به فى قول المخلص «من حللتموه يكون محلولا ومن غفرتم خطاياه غفرت» فلم يبق إلا الشرط الثالث وهو الكاهن وهذا ظاهر من قول الرب لتلاميذه ومااربطموه وما حللتموه ومن غفرتم ومن أمسكتم الخ فإذاً الاعتراف سر كامل الشروط كباقى الأسرار وممارسته واجبة على كل مسيحى لينال من الله غفران خطاياه.

إعتراضات والرد عليها

(١) معترض — ألا يقبلنى الله اذا اعترفت له مباشرة؟

إن الله يقبل كل تائب. ولكنه أقام نواباً عنه ويريد أن ترى نفسك لهم لو٥:١٤ باعترافك عليهم.

أولا:. لتأديبك على الإهانة التى ألحقتها بإيمانه القويم كما يقول القديس كبريانوس.

ثانياً :لإذلال نفسك بإشهار مرضها أمام انسان مثلها،

ثالثاً : لنيل الشفاء. ولأنك فى حاجة للارشاد والتقويم والتعليم قد جعل الرب الكهنة أطباء وقضاة ومرشدين و أوجب الاعتراف لهم. فالذى يصدق تعليم المسيح يجب عليه أن يخضع له ويعمل به وإلافعدم الأذعان لأوامره إهانة لجلاله الأقدس.

(٢) معترض — إن التوبة كافية لمحو الخطية فلاحاجة إلى إلاعتراف على الكاهن ولا سيما وهو انسان مثلنا معرض للخطأ والزلل.

جـ ـ حقيقة أن التوبة كافية لمحو الخطية إلا أن لها شروطا وأخصها الاعتراف وهو خاصة لازمة لها ولاتتم إلابه. زد على هذا أن الخاطئ فى حاجة لأخذ الحل من الكاهن المنوط له تتميم سر التوبة وأن المريض بحسده لا يكتفى بكتب الطب لمعالجة نفسه بل يذهب إلى الطبيب لمعالجته ولو كان ذلك المريض طبيباً فى حد ذاته. ثم كما أن المريض إذا أخذ دواء بدون إستشارة الطبيب ولو كان مقطوعا بصدق فائدته أضر نفسه كذلك من يهمل الاعتراف اعتماداً على توبته فإنه يكون عرضة للسقوط فى خطايا أخرى.قال الذهبى فمه. أن ناثان النبى قد مضى الى داود يعنى أن نبيا مضى إلى نبى فِلمَ لَم يداوى داود

نفسه؟ إن داود كان نبياً ولكن كما أن الأطباء يحتاجون إلى أطباء مثلهم اذا مرضوا كذلك هنا ذهب ناثان إلى دواد فاعترف هذا له بما إجترمه وتاب عنه وناح عليه وقبل من النبى دواء لجرحه وشفى من ألمه فاذهب أنت الى الكاهن لأنك محتاج لتضميد جراحاتك مز ٥١»

أما القول بأن الكاهن واقع تحت الآلام ككل انسان فهو صحيح إلا أن هذا لايسلبه حقوق وظيفته الممنوحة له من الله ولا يمنع وجوب الاعتراف عليه مادام كاهنا ومعينا من الرب طبيبا روحيا لشفاء أسقام النفس. وهل يرفض المريض معالجة الأطباء له لأنهم معرضون مثله للمرض؟ قال أحد الآباء إن القائلين بعدم لزوم الاعتراف ومنفعته لأن المعرف إنسان مثلهم واقع تحت الآلام هؤلاء يريدون أن يخفوا قبح أفعالهم كأنهم لم يسمعوا قول الرب لرسله من غفرتم له خطاياه غفرت. إن المعمودية وسائر الأسرار الإلهية تقام من البشر واللهّ يفعل بواسطتهم إذ قد اعتاد تعالى أن يصنع خلاص الناس لا بواسطة ملائكة فقط بل بواسطة اناس قديسين هم الآباء الروحيون كما فعل قديماً بواسطة الأنبياء والرسل وهوإلى الإنقضاء معهم فسامع الاعتراف هو إنسان لكن الله يرد بواسطته ويؤدب ويصفح كا فعل بداود بواسطة ناثان فالاعتراف كان من داود و الانعطاف كان من ناثان فالكهنة هم خدام الله كر ٤ :١ ومؤازرون ومدبرون لخلاص من يريد الخلاص. فضلا عن أن الكاهن يساعد الانسان فى التوبة ويخدمه ويدبره ويؤدبه لخيره وخلاص نفسه والله هو الذى يمحص خطايا المعترف قائلا أنا هو الماحى كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك اش ٤٤ :٢٢

(٣) معترض ــ إن وصية الاعتراف ثقيلة لأن الانسان طبعاً يخجل أن يعترف لغيره بخطاياه.

جـ ـــ وما أوهن هذا الإعتراض لأن الكنيسة قد تنازلت كأم حنون للضعف البشرى وعينت لبنيها الاعتراف السرى أمام شخص واحد فقط فليت شعرى كيف يخجل الخاطئ أن يعترف بخطاياه للكاهن بينما أنه لمافعل الخطية لم يخش الله؟ أو كيف يمكنه أن يحصل على الشفاء وهو لا يقر للطبيب بمرضه!! كأن الأولى به أن يخجل من أن يخطئ لا من أن يتوب ويعترف بخطيته. على أن الكتاب قد نهى عن ذلك فقال. لا تستح فى أمر نفسك فإن من الحياء ما يجلب الخطية ومنه ما هو مجد ونعمة. لا تستح أن تعترف بخطاياك. ابن سيراخ ٤: ٢٤، ٣١ والآباء يوبخون أولئك الذين يخجلون من الاعتراف بخطاياهم فالقديس ترتليانوس يقول «إن كثيرين ينتبهون إلى الخجل أكثر من الخلاص فيهربون من هذا العمل«الاعتراف» سترة لهم أو يؤخرونه من يوم إلى يوم كمن أصابه مرض فى الأعضاء المستحى منها فأخفى على الأطباء مرضه فيباد بخجله. فى التوبة رأس ١٠» والذهبى فمه يقول فى مقالته على السامرية. «فلنتشبه نحن بالمرأة السامريه ولا نخجل من أن نعترف بخطايا لأن الذى يستحى أن يعترف بخطاياه ليخلص ففى ذلك اليوم ليس قدام واحد تشهر بل قدام المسكونة كلها» والقديس أغريغووريوس الكبير يقول فى ميمره على الغطاس «لا تستح ولا تستنكف من أن تعترف بخطاياك لكى تفلت من الخزى الذى هناك بالخزى الذى تعترف به هنا.

هذا ولا يخفى أن الكاهن بشر وككل إنسان يخطئ وربما وقع فى خطايا كالتى فعلها المعترف وإلا فتلك عناية خصوصية من الله لأنه كما يقول القديس أغسطينوس «ما من خطية ارتكبها الانسان الا ويقدر غيره أن يرتكبها أن نقصه العون من خالقه «واذ ذاك فلا تخجل من أن تقر أمامه بخطاياك لا سيما

وهو للنفـوس الخاطية كالطبيب للأجسام المريضة فضلا عن أنه مؤتمن من الله نفسه.

ان داود أخطأ خطيتين مميتتين وكان ملكاً ونبياً أيضا ومع ذلك لم يخجل من الإعتراف لناثان بل قال اعترفت بخطيتى ولم أكتم إثمى ولما إعترف بها وغفرت له: فتمثل به إن كنت غنياً أو فقيراً.

(٤) معتـرض ـــ إن الاعتـــراف للكـاهـن مدعـاة لإسـاءة الظن وفقد الثقه بالمعترف.

جـ ـــ هذا اعتراض سخيف لأنه فضلا عن أن الكاهن محاط بالضعف فهو أب روحى وعلى مثال سيده يرثى للضعفاء ويسربرجوعهم ومن ثم يعانقهم معانقة الآب لابنه الشاطر لو ١٥ :٢٠ وبصفته ملاك الكنيسة يفرح بتوبة الخاطئ تمثلا بشركائه العلويين الذين يفرحون بخاطئ واحد يتوب أكثر من ٩٩ باراً لا يحتاجون إلى توبة. عدا ذلك فهو أحسن الناس ظناً بالمعترفين وأكثرهم ثقة بهم لا سيما لما يراهم وقد خلعوا الإنسان العتيق ولبسوا الجديد اف ٤ :٢٢ ـــ ٢٤ وكو ٣ :٩و١٠

نتائج الإعتراف

نتائج هذا السر الخلاصية هى:

(١) غفران الخطية مز ٣٢ :٥ واش ٥٥ :٧، يو ٢٠ :٢٣ وايو ١ :٩

(٢)محوها تماماً وعدم ذكر الله لها اش٤٤ :٢٢ وحز ١٨ :٢٢

(٣) التطهير من أدناسها والتبرير منها مز ٥١ :٢، لو ١٨ :١٤

(٤) خلاص النفس فى يوم الرب والحصول على رجاء الحياة الأبدية فى

المسيح يسوع لو ١٩:٩، ١كو ٥:٦

(٥) النجاة من قصاصها المعد للمصرين على آثامهم مت ٣:٧و١٠، لو١٣:١، ١٩:٤٢ ــ٤٤

(٦) المصالحة مع الله بربنا يسوع المسيح الذى صالحنا بدمه ونقض السياج المتوسط أى العداوة، رو٥:١، اف ٢:١٤ ، ٢كو ٥:٥ ــ ٢١.

(٧) الحصول على مرتبة البنوة التى يفقدها العصيان على أبينا السموى لو ١٥: ١٨ ــ ٢٤.



الفصل الثالث

«واجبات وشروط المعرف»

لما كان قسم الاعتراف المنظور يقوم بأمرين ــ كما يقول الآباء أحدهما إقرار التائب والثانى إعطاء الحل وكان الأول خاصاً بالمعترف والثانى بالمعرف «الكاهن» رأينا أن نأتى هنا على أهم الواجبات والشروط التى تلزمهما معاً بحسب تعليم الكنيسة وفى هذا الفصل تذكر واجبات وشروط المعرف فقط وهى:

(١) أن يشرح للمعترفين ماهية التوبه الحقيقية والاعتراف الصحيح دافعاً إياهم عل فحص ضمائرهم والتصريح بأفكارهم ببساطة وإخلاص أمام الله فاحص الكلى والقلوب لينالوا غفران خطاياهم.

(٢) أن يلاحظ كيفية تصرف وعزم الراجعين وغايتهم من الاعتراف فربما

كان إعترافهم رياء ونفاقا كالكتبة والفريسيين مت ٣ :٥و٦ أو تظاهرا بالتوبة لإكتساب ثقة الناس ومديحهم كشاول الملك اصم ١٢ :٣٠ ومثل هؤلاء يجب توبيخهم بل زجرهم بسيف الروح الذى هو كلمة الله ولا سيما إذا لاحظ عليهم ذلك كثيراً مت ٣ : ٨ ــ ١٠ و٢٣. قال القديس باسيليوس وفى كل نوع من أنواع الزلات يجب قبل كل شئ أن يلاحظ ما هو ميل التائب ولا يظن الزمان كافيا للشفاء بل النية الحسنة من الذى يعالج نفسه بالتوبة ق٣.

(٣) أن يقبل إعترافهم بوداعة وصبر وطول أناة فلا يظهر أمام المعترف شيئاً من علامات التأفف والإستياء إذا رآه ساقطاً فى بعض خطايا ثقيلة لئلا يقوده إلى اليأس إو قطع الرجاء بل يبث فى قلبه روح الرجاء شارحا له محبة يسوع للخطاة وفرحه برجوعهم ليتمكن بذلك أن يقوده إلى التوبة الكاملة ويرده عن ضلال طريقه ويخلص نفسه من الموت يع ٥ :٢٠ والعضو المريض يجب أن يشفى لا أن يكسر كما يقول القديس إغريغوريوس والمطلوب رد الخروف الضال لادفعه فى مهواة اليأس. و القديس باسيليوس يقول. «لاتكن ثقيلا فى القانون ولا توبخ سريعا ولا تعيير بإنفعال لأن هذا ينسب إلى الكبرياء ولا يخاصم فى أشياء صغيرة كأنك على غاية التحرز والانصاف. امسك الساقطين وإقبلهم وأيدهم تأييداً روحيا ناظراً إلى نفسك لئلا تُجَرّب أنت أيضا غل٦ :١ فى تفسيره ٦ أيام الخلقة» راجع المجموع الصفوى صحيفة ٤٣ ــ ٤٥

(٤) أن يقبل اعتراف أولاده الروحيين فقط أما غيرهم ممن يجهلهم فليسأل عن سبب تركهم أبيهم الأول وإذا لاحظ من قاصد الاعتراف أنه تحت القانون أو ممنوع من الشركة أو أنه لم يأخذ حلا من أبيه فليرده إليه مزوداً بالنصائح الروحية أما إذا كان الأب الأول قد رقد فى الرب فلا بأس من قبوله مع حله إذا كان موضوعا تحت القانون لأنه بعد انتقاله تنتقل سلطة الحل إليه. ق ٣٢

للرسل. ولكن بعد أن يتحقق من توبته كما تأمر القوانين الكنسية راجع ق ١ لمجمع نيقيه و٦ لانطاكية

(٥) أن يختصر طقس الاعتراف إذا كان المعترف مريضا وحالته لا تساعده على الاعتراف بكامل شروطه ويكفى أن يعلن المعترف أمام الله أنه تاب حقا وألقى رجاءه على «دم المسيح الذى يطهر من كل خطية» وأن يعد بالعيشة الصالحة والحياة المقدسة إذا فسح الله فى أجله.

(٦) أن لا يلقى على المعترف أسئلة غير مفهومة أو معروفة له كما ولا يسأل عن اسم المشترك معه فى الخطية بتاتا فإن القوانين الكنسية لا تجيز له ذلك وإنما تسمح له فى بعض الظروف أن يسأله عن بعض الخطايا كما إذا أقر المعترف مثلا بأنه خالف الوصية السابعة خر ٢٠ :١٤ فله أن يسسأله عماإذا كان مع عذراء خر ٢١ :١٦ أو ذات بعل مؤمن أوغير مؤمن وعلى الاستعمال الطبيعى أو الذى على خلاف الطبيعة رو ١ : ٢٦ ، ٢٧ ليعطى له العلاج الملائم فإن بين هذه الخطايا ما هو أشنع جرما وأفظع ذنبا وعلى قدر الجريمة يكون القصاص. قال القديس اغريغوريوس «يجب على المزمع أن يعطى العلاج المناسب لقسم النفس المنسقم أن يفحص قبل كل شئ أين الألم. ثم يقدم للضعيف علاجا ملائما حتى لا يكون الطبيب بجهله منهج الطب سببا لأن يصل العلاج إلى قسم آخر غير القسم الذى فيه المرض ق ١ . أما الأفعال المفعولة خطأً من تلقاء التهييج فإنها كثيرة وردية فقد رأى أباؤنا أن لايدققوا فى جميع أنواعها تدقيقاً زائداً وأن لا يعتبروا كل الزلات الحاصلة من الغيظ محتاجة إلى علاج ق٥ له»

(٧) أن يكون ذا فطنة عظيمة وأن يكون له ربوات من الأعين ليلاحظ من

كل جهة حالة النفس لأنه كما أن كثيرين يصلون إلى درجة قطع الرجاء ويسقطون فى اليأس من خلاصهم لعدم إمكانهم احتمال العلاجات المرة هكذا كثيرون غيرهم إذا لم ينالوا تأديبات توازى خطاياهم يسقطون فى الاحتكار ويصيرون شراً مما كانوا ويجرأون على خطايا أعظم. فيجب على الكاهن أن لا يترك بلا فحص بل يفحص كل شئ بتدقيق ويعطى الموافق للعليل حتى لا يكون تعبه باطلا وإهتمامه فارغا «الذهبى فمه على الكهنوت ٣ :٥»

(٨) أن يعهد التائبين بعد إعترافهم ويواظب على إرشادهم وتقويمهم. مقوما الأيادى المسترخية مشددا الركب المخلعة. لكى لا يعتسف الأمواج بل بالحرى يشفى ملاحظا لئلا يخيب أحد من نعمة الله عب ١٢ :١٢-١٥

(٩) أما الذين يندمون بأكثر حرارة ويظهرون بسيرتهم رجوعا إلى الصلاح فمسموح للمعلم الروحى أن يختصر لهم القانون ويمنحهم الشركة بسرعة أكثر بحسب ما يرى من حالة المتطيب بعد إختباره ق٤ لإغريغوريوس راجع ٣ لباسيليوس و١٠٢ م ٦

(١٠) قال الذهبى فمه «لا يجب أعمال إخوتنا إذا سقطوا ولا نزدرى بهم ونحتقرهم بل نهتم لئلا يسقطوا وإن سقطوا يجب الإهتمام بهم هكذا يفعل الأطباء فإنهم يعالجون المرضى ويهتمون بما يزيل المرض ويعيد لهم الصحة وإذا ما خالفوهم وعادوا فمرضوا ثانية لا يهملون معالجتهم بل يبالغون فى الاهتمام بهم ليشفوا أمراضهم كما فعل بولس بذلك الزانى بعد خطيته فإنه إهتم به حتى أعاده إلى الصحة وقاده إلى الشفاء٢ كو ٥:٥. على الكهنوت ٣ : ٩

(١١) لا يخفى أن درجة الخطية تختلف بإختلاف أنواعها وظروفها وزمانها ومكانها فالخطية التى يفعلها الإنسان فى حق الله غير التى يرتكبها فى حق

نفسه أو غيره. والتى يقترفها سراً ليست كالتى يفعلها جهراً والتى يعملها سهوا وعن غير قصد لو ١٣ :٣١ ويو٩ :١١ واع ٣ :١١ غير التى يعملها قصداً وعن سوء نية مت ٢٨ :١٢ ، لو ١١ :٥ ، عب ٦ :٦ وإذا ذاك يجب أن يكون العلاج معادلا للخطية «وبما أن غاية الطبيب فى معالجة الجسد واحدة وهى صحة المريض وأوجه المعالجة كثيرة ومتنوعة» إذ لكل داء دواء وبما أن آلام النفس متنوعة فمن الضرورة إذا أن تتنوع أوجه المعالجة الطبية أيضا فى أشكالها فتأتى بالشفاء متى جرب على مقتضى الألم اغريغوريوس ق ١ فقوم يجب إرهابهم وقوم يوجب عليهم التصدق على الفقراء وقوم يفرض عليهم صوم وآخرون يفرزون من الكنيسة بمقدار الخطايا التى فعلوها. أوامر الرسل ك ٢ :٤ راجع مجموع القوانين صحيفة ٤٣ ـــ٤٥ وق ٥ لمجمع أنقره و٢ لقرطجنة.

(١٢) أن يحافظ على أسرار المعترفين فلا يبوح بكلمة ما لأى شخص كان ولو اكره على ذلك سواء بقى المعترف تحت طاعته أو لم يبق فى حياته أو بعد مماته فإن القوانين الكنسية تنهى الكهنة عن أن يبوحوا بأفكار المعترفين او يذكروها على سبيل التهكم أو التنديد على فاعلها فيما لو حدث بينهما خصام وإلا فمن يجرأ على ذلك فالقوانين تقضى بأنه يجرد من وظيفته الكهنوتية ق ٣٤ لباسيليوس و ١٤٧ لقر طجنة.

هذه واجباب وشروط المعرف وقد زاد عليها ابن العسال شروطاً أخرى وهى بالإيجاز .

١ ـ أن يكون قابل الاعتراف كاهناً.

٢ ـ أن يأمره بطريركه او أسقفه بقول الاعتراف بعد أن يثبت تأهله لتلك الرتبة و أحد شروط التأهل أن يكون إيمانه حقاً

٣ ـ أن تكون أعماله ونسكياته وأخلاقه مطابقة لصحة عقيدته

٤ ـ أن يكون تعليمه مفيدا صحيحاً

٥ ـ أن يكون له نشاط وقوة على الصوم عمن يقبل اعترافاتهم وطلب الاستغفار عنهم ليلاً ونهاراً وفى كل قداس الخ

٦ ـ أن يكون خبيراً بالزمان وأهله

٧ ـ أن تكون له فراسة جيده بفهم بها حال المعترف من حركاته وتقلباته. ويعلم من استقرائه أمور صدقه وكذبه أثناء إعترافه الخ

٨ ـ أن يكون كامل الحذق فى طب النفوس وحفظ صحتها ومعالجة المرضى بحسب أمزجة أبدانها وأختلاف أحوالها مع مراعاة عوائد أربابها وملكاتهم وما يطرأ عليهم من تجديد وتغيير

٩ ـ أن يطبب مريضه مجاناً ولا يأخذ منه شيئاً من فوائد الدنيا ولا يقبل منه هدية

١٠ ـ أن لا يحاب لمن يطببه ولا يستحى منه بل يبهجه بالحق ويبكته بالوعظ والتأنيب ان كان متحملا لذلك راجع م. ص وجه ٤٢٦ و ٤٢٧.



الفصل الرابع

«واجبات وشروط المعترف»

ذكرنا فى الفصل السابق أهم واجبات وشروط المعرف ونأتى فى هذا الفصل على أهم واجبات وشروط المعترف فنقول أن هذه الواجبات ثلاثة.

١ ــ قبل الاعتراف. ٢ ــ أثناء الاعتراف. ٣ ــ بعد الاعتراف

١ ــ قبل الاعتراف

أ ــ أن يكون تائباً نادماً ندامة كاملة أى حباً بالله لا طمعاً فى ثواب أو خوفاً من عقاب. والندامة ضرورية للمعترف وتدعى فى الكتاب انسحاقا مز ٥١ : ١٧ أو نخسا فى الضمير اع ٢ : ٣٧ ولدى تأملنا فى الكتاب نجد أن اللّه تعالى كل ما أراد أن يغفر لشعبه طالبهم بهذا الشرط يؤ ٢ :١٢و١٣ وقد كانت توبة داود مز ٦:٦ ــ ٨ وأهل نينوى يون ٣ :٥ الخ وبطرس لو ٢٢ : ٦٢ والمرأة الخاطئة لو ٧ : ٣٨ مقترنة بهذا الشرط فقبلهم الرب وغفر لهم آثامهم.

ب ــ أن يترك الخطية اش ٥٥ : ٧ ويرجع عنها اع ٣ : ١٩ ويهرب من الأسباب التى تقود إليها مت ٥: ٢٨ ــ ٣٠، ١٦ : ٢٦ ورو ٨ :٣.

جـ ــ أن يجزم بكل قلبه بان لا يخطئ فيما بعد يو ٥ :١٤، ٨: ١١ وإلا فقد صارت له الأواخر أشر من الأوائل. وإصابة ما فى المثل الصادق كلب قد عاد الى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة ٢ بط ٢: ٢٠

د ــ أن يفحص ضميره ويمتحن نفسه هل سار بموجب وصايا اللّه وأية وصية خالفها وأية خطية إرتكبها سواء فى حق اللّه أو حق القريب أو نفسه. بالقول أو بالفعل أو بالفكرلأن الخطية ليست ما قامت بالفعل فقط بل وبالقول مت ١٢: ٣٦ وبالفكر أيضاً مت ٥: ٢٨ قال القديس كبريانوس. أخوتى الأحباء هلموا إلى الندامة والتخشع بنفس منسحقة وافحصوا ضمائركم واعترفوا بثقل الأوزار بضمير جيد وافتحوا عيون قلوبكم لتذكروا نقائصكم «فى الساقطين٢٥» فأفحص ضميرك إذا. نق يدك.. وطهر قلبك يع ٤: ٨ وصل ليلهمك الرب تذكرة خطاياك وإذا تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك فاذهب

وإصطلح معه مت ٥ : ٢٣، ٢٤ وإن كان لك على أحد شئ فاغفر له لكى يغفر لك أيضا أبوك الذى فى السموات مر ١١ : ٢٥ وأن إغتصبت أحدا فرد ما أغتصبته إليه لو ١٩ :٨ وبعد أن تهيىء نفسك على هذا المنوال إذهب الى معلم الإعتراف.

هـ ـ أن يختار له طبيبا روحيا ماهرا. فمثل المعترف والمعرف مثل المريض والطبيب فكما أن المريض فى حال مرضه يستدعى أمهر الأطباء وأحذقهم كذلك المريض نفساً يجب عليه ان يمتحن الطبيب الذى يعرض عليه مرضه كما يقول القديس ترتليانوس «م ٢ على مز ٣٧: ١٦»

٢ ـ أثناء الاعتـــراف

أ ـ أن يعترف بقلب منسحق وروح منكسرة ويتذلل أمام اللّه القلب المنكسر والمنسحق لا يرزله اللّه مز ٥١ :١٧.

ب ـ أن يكون صادقاً فى اعترافه عالماً أن اللّه الفاحص الكلى والقلوب ناظر إليه والشاهد من السماء سامع إعترافه وعارف اعماله وإلا فان إعترف بغير الحقيقة قيل له. أنك لم تكذب على الناس بل على اللّه أع ٥ :٤

جـ ـ أن تكون غايته من الأعتراف شفاء نفسه وخلاص روحه فى يوم الرب والحصول على نعمة الغفران من الله كداود النبى لا مجرد اتمام واجب. او تظاهر بالتوبة كشاول الذى مع كونه لم يصلح سيرته فى المستقبل فان أعترافه كان لغاية هى حفظ مركزه وكرامته امام شيوخ الشعب ١ صم ١٥ : ٣٠.

د ـ أن يكشف لطبيبه الروحى كل أمراضة الكبيرة والصغيرة الخفيفة والثقيلة بدون أن يخفى شيئا منها فى مخادع قلبه.

إن الخطية تشبه القرح الذى إذا لم يشقه الطبيب يتهرى رويداً رويداً ويمس

أخيراً عديم الشفاء. كذلك المريض الذى يخفى مرضه على الطبيب ويحسب أن فى كشفه له عاراً عليه يتأصل فيه الداء ويعز الدواء ويتعذر الشفاء ويتحتم الفناء «لأن الطبيب الروحى إذا لم يطلع على الخطايا كلياتها وجزئياتها عجز عن مداواته وغلب عن معالجته وربما داواه بضد ما يشفيه فيكون بسوء رأيه جلب مرضاً آخر على نفسه وربما أداه ذلك الى الهلاك كما يقول إبن العسال» كيف لا والوحى قد صرح أن من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقربها ويتركها يرحم أم ٢٨ : ١٣ أما إن إعترافنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم ١ يو ١ : ٩ قال القديس ترتليانوس كما أن من يبقى فيهم الطعام غير مهضوم أو تثقلت نفوسهم بخلط أو بلغم فاذا تقيأوا استراحوا كذلك من أخطأوا فأن اخفوا الأثم فيهم تضايقوا داخلا وخنقهم بلغم الخطية فأن شكى أحد نفسه فبشكايته وإعترافه يتقيأ الإثم وتزول علة المرض كلها م ٢ مز ٣٧. وقال أيضاً ان أخفينا نفوسنا عن معرفة الناس هل تخفى على الله؟ وهل الأولى أن نهلك وذنوبنا مخفية أو نحل وهى مكشوفة فى التوبة؟ رأس ١٠. وقال القديس أغسطينوس ان الذى يخفى خطاياه يشبه الفريسى فهذا صعد إلى الهيكل ومع ذلك نزل غير مبرر لأنه كشف أعضاءه الصحيحه السليمة وأخفى السقيمة.

هـ ـ أن لا يعتذر عن خطيته ولا ينسب علة فعلها لغيره لئلا يصيبه ما أصاب آدم فإنه لما أخطأ وسأله الرب أحال الذنب على إمرأته بقوله «المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت» وكذلك حواء قالت «الحية غرتنى فأكلت تك ٣ : ١٢ ، ١٣ فجلبا غضب الله عليهما.

إن الأعتراف ليس قصة أو حكاية تسرد على مسمع أب الاعتراف بل هو شكوى ضد النفس أمام الله مع الرغبة فى تأديبها لهذا يجب أن يشكو نفسه لا

غيره ويعترف بخطيته مز ٣٢ :٥ لا بخطية خلافه وإلا فهو كمن يريد أن يستذنب غيره لكى يبرر نفسه ولمثل هذا دينونة أعظم قال أحد الآباء. لا تخدعنك العظمة فتعترف بخطاياك كأنها فعلت من غير كشف أمراضك للطبيب وقل ولا تخز «يا أبى أن الخطية خطيتى وأنا سببها لا غيرى» ان من عادة الشيطان التلاعب بنا فيقنعنا أولا بعدم الاعتراف وإذا إعترفنا يوسوس لنا بإحالة الخطية على غيرنا كأنهم هى السبب والعلة فيها. أما انت فقاومه فيهرب منك وأعترف للرب بخطيتك وأطلب المعالجة فتستريح وتربح نفسك.

٣ ـ بعد الإعتراف

أ ــ أن يتمم كل ما يفرضه عليه معلمه الروحى من التأديبات الروحية والقوانين الكنسية لأن التأديب الكنائسى هو بمثابة دواء يساعد على تضميد جروح الخاطىء... و كما أنه من الواجب عى المريض أن يستعمل الأدوية التى يصفها له طبيبه وإلا ساءت العقبى كذلك يجب على المعترف ان يطيع طبيبه الروحى ويخضع لما يفرضه عليه من القوانين كما للرب الذى قال لهم من سمع منكم فقد سمع منى لو ١٠ : ١٦ ان نعمان السريانى لما أمره اليشع النبى بالإغتسال بماء الأردن استخف بالأمر ومضى بغيظ ولكنه وقد أشار عليه عبيده بإتمام وصية النبى وأطاع فللوقت طهر من برصه ٢ مل ٥ : ١٤ قال الذهبى فمه يجب على المعترفين أن يخضعوا طوعا للعلاجات المعينه لهم من الكهنة ويعترفوا لهم بالمنة على المعالجة لأن المعترف إن هرب بعد الربط «وهو حر فى ذلك» يجعل الشر أردأ مما كان. وإن أعرض عن الأقوال القاطعة مثل السيف يضيف باحتقاره وإياها جرحا على جراحه ويلتمس أمر المعالجة علة لعلة أردأ حيث ليس من يستطيع أن يداويه كرها. على الكهنوت ٣ :٥.

ب ـ أن يحتمل بصبر استعمال تلك الأدوية. قال القديس باسيليوس فى نسكياته كما أننا نحتمل فى معالجة الجسد آلام الكى ومرارة الأدوية لننال الشفاء كذلك يجب أن نحتمل فى مداواة النفس الزجر والتوبيخ والتأديب لتصح النفس وتشفى فإن العدل الإلهى يوبخ الذين يرفضون التوبيخ ويرذلون التأديب أم ١ : ٩ ـ ٣١، ار ٨ : ٢٢، ٥١ : ٨.

جـ ـ أن يعزم على اصلاح سيرته فى المستقبل بأن يعيش بخوف الله ويقضى زمن غربته فى البر والطهارة ويتمم خلاصه بخوف ورعدة راجع مز ٣٤ : ١٤ واش ١ : ١٧، ار ٦ : ١٦، عا ٥ : ١٥، مى ٦ : ٨، مت ٣ : ٨، رو ٦ : ١٢ و ١٣ الخ، رؤ٢ :٥.

د ـ أن لا يترك طبيبه بدون مسوغ شرعى أو سبب قانونى فإن القوانين الكنائسية تمنع مطلقا أن ينتقل المعترف من كاهن لآخر بدون سبب شرعى ق ١٢ للرسل لا سيما إذا كان تحت تبعة القانون وفعل ذلك تخلصا من القصاص بواسطة خدامه ولنيل الحل وفى هذه الحالة يضاعف عقابه ق ١٢ للرسل. اللهم إلا إذا عين الكاهن فى مدينة أخرى أو إنتقل إلى بيته الأبدى وفى الحالة الأولى يجب أخذ الحل منه ورجاء مخابرته لمن يريد الاعتراف عليه.

هـ ـ أن يواظب على الصلوة ساهرا فيها بالشكر ملتمساً من الله بتذلل أن يقبله إليه ويصفح عنه ويهبه غفران خطاياه هو ١٤ :١و٢، لو ١٨ :١٢.



الفصل الخامس

سلطان الربط أو التأديبات الكنسية

يباشر سلطان الربط أولاً: بعدم حل المذنب وبمسك الحل فى الاعتراف السرى على من كان غير أهل له.

ثانياً: بوضع القانون على المعترف مع غفران الذنب.

ثالثاً: بمعاقبة المجرم بالتأديبات الكنسية

رابعاً : بإلزام المؤمنين بوصايا وشرائع كنسية كالأصوام والأعياد وغيرها.

خامساً : بإلزام المؤمنين بعقائد الإيمان كما قال الآباء راجع تحفة الجيل على مت ١٨ : ١٨ .

والمراد بقوانين التوبة التأديبات الكنسية التى يفرضها الكاهن بصفته طبيبا روحياً على المعترف لمعالجة أسقام النفس ويعبر عنها فى الكتاب بالربط مت ١٦ : ١٩ ، ١٨ : ١٨ ومسك الخطية يو ٢٠ : ٢٣ والقصاص ٣ كو ٢ :٦ والفرز من الشركة ١ كو ٥ :٥ ، ١ تى ١ :٢٠

وتعتبر هذه القوانين بمثابة أدوية وعقاقير تعطى للمرضى بحسب ما يلائم حالتهم ودرجة أمراضهم وهى لازمة للتائب متى كان مرضه ثقيلا أو لم يرعو عن غيه بأن تاب وعاد كالكلب إلى قيئه وغير لازمة إذا كانت توبته مقترنة بالندامة الكاملة والانسحاق القلبى.

على أنها إذا فرضت فليس كما يظن او يعتقد البابويون خطأً للتكفير عن الخطية أو وفاء العدل الإلهى. حاشا. لأن يسوع دخل مرة واحدة إلى الأقداس

فوجد فداء أبديا عب ٩ :١٢ ولأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين «١ :١٤ ولا هى قصاصات لابد منها وعليها يتوقف غفران الخطية. كلا بل هى بحسب تعليم الكنيسة القويم وسائط ومتنوعة غايتها تأديب الخاطئ وتقويمه ونهذيبه واصلاح حاله وخلاص نفسه ١ كو ٥ : ١ ـ ٥ وكما يقول الذهبى فمه إن هذا الأمر نصيحة لاحكم ودواء لاقصاص وتقويم لا تعذيب م ٢٨ : ٢ على ١ كو. وعلاجات روحية لشفاء الخطاة وحفظهم من خطايا جديدة ولهذا فإن الكنيسة أحيانا تختصر قانون التوبة أو تلغيه إذا تحققت من توبة الخاطئ ورأت أثمارالتوبة ظاهرة فى أقواله وأفعاله وسائر تصرفاته ومن ثم تسمح له بالاشتراك فى الأفخارستيا فى ٦ لأغريغوريوس هذا فضلا عن أن القوانين لم تفرض قديماً وحديثاً على جميع الخطايا بل على أثقالها وأعظمها «الأنوار وجه ٢٢٣»

والقوانين المشهورة فى الكنيسة هى صوم انقطاعى، مطانيات ركعات، معينة مواظبة على حضور القداس. تصدق على الفقراء فرز من الكنيسة منع من الأفخارستيا. وهى تفرض كما قلنا على حسب ما يناسب المرض ودرجته وحالة المريض نفسه فيفرض مثلا على النهم والشره الصوم والصلاة وعلى السارق رد ماإلإختلس. وعلى البخيل والطماع التصدق على الفقراء.. وعلى المنعكف على الملاهى المواظبة على الكنيسة ومطالعة كتاب اللّه وعلى المرتكب. الصوم والمنع من الشركة وإن شابا قوى الجسم سمينه بالمطانيات. وعلى هذا القياس الضد يعالج بضده كما يقول القديس إغريغوريوس.

أما إن للكنيسة سلطانا على فرض التأديبات الروحية على الخاطئ التائب فذلك حق لا ريب فيه وقد أخذت هذا السلطان من الرب يسوع نفسه بقوله لتلاميذه ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات مت ١٦ :١٩،

١٨:١٨ ومن أمسكتم خطاياه أمسكت يو ٢٠ : ٢٣ واستناداً على هذا التعليم الإلهى قد استعمل الرسل هذا السلطان كما نرى فى حكم بولس مع ذلك المرتكب إذ عاقبه وحكم عليه بالفرز من الشركة ١ كو ٥ :٢ـ ٦ وكذلك فعل بهيمناس والاسكندر إذ سلمهما للشيطان لكى يؤدبا حتى لا يجدفا ١ تى ١ : ٢٠ ومثله فعل القديس بطرس مع حنانيا وسفيره امرأته كذلك مع سيمون الساحر اع ٨ :٢١ .

والكنيسة منذ العصر الرسولى تقاص المذنبين وتفرض عليهم القوانين للتأديب والتقويم واصلاح السيرة كما يتضح:

أولاً: من أوامر الرسل إذ جاء فيها ما نصه: يا أسقف اجلس فى الكنيسة وبشر بالكلمة لأن لك سلطاناً تدين به الخطاة إذا رأيت خاطئا فدارة قليلا. وحينئذ أفرض عليه صوما بقدر استحقاقه وعرفه أن يتأدب كما يليق بخطيته. اطلب الخطاة واجعل عليهم أدوية لينة حلوة. قوهم بكلام الله ونظف جراحهم فإن كان الجرح عميقاً وامتلا مادة فنظفه بدواء حاد بالتوبيخ وبعده بالعزاء فإن تمادى ١ كو. واقطع منه الداء فإن عدم الشفاء فيفحص شديد وحرص ومشورة أطباء علماء اقطع بغم وحزن العضو الذى فسد لئلا يفسد باقى الأعضاء فقد كتب أعزلوا الخبيث من بينكم ١ كو ٥ :١٣ الخ راجع دسق ك اف ٣ ، ٤ ، ٥ والمجموع الصفوى صحيفة ٤٣ ـ ٤٥ .

ثانياً: من شهادات الآباء فالقديس دينوسيوس يقول لرؤساء الكهنة سلطان على أن يفرزوا الأشرار ويفصلوا هؤلاء من أولئك الأبرار... ليس لأن الرئاسة الإلهية تابعة لطريقهم بل بما أنهم متحركون على جهة النبوة بالروح ذى الكمال فيفرزون بواجب فقد قال خذوا روحاً قدوساً ومن أمسكتم خطاياه

أمسكت وما ربطتموه يكون مربوطا. راجع الحاوى م ٥٥ والقديس كيرلس الاسكندرى يقول إن الموشحين بالروح الكلى قدسه يمسكون الخطايا.. بقصاصهم أبناء الكنيسة عندما يخطئون على لو ٢٠ : ٢٣ والذهبى فمه يقول إن ساكنى الأرض قد سمح لهم ان يسوسوا ما فى السموات وأخذوا سلطانا لم يعطه الله للملائكة ولا لرؤساء الملائكة لأنه لم يقل لأولئك كل ما تربطونه الخ ثم إن للمتسلطين فى الأرض سلطاناً أن يربطوا ولكنهم يربطون أجساداً فقط وأما هذا الرباط فإنه يمس النفس عينها ويجتاز السموات وما يعمله الكهنة تحت يثبته الله فوق ويؤيد السيد رأى العبيد فى الكهنوت ٣ : ٤ ,٥ عن الأنوار وجه ١٩٦ وقال أيضاً هذه هى السلطة التى تسلمها رؤساء الكهنة أن يربطوا ويحلوا جميع خطايا الناس لكون رئيس الكهنة هو المتقدم وتقدمته أفضل من تقدمة الملك لأن أوامر النواميس والشرائع الإلهية تسلمت بأيديهم. والملك والعامة يقتادون إليهم حتى إذا إحتاج الملك فعلا محموداً يحضر ذاته عند رئيس الكهنة. ولما لم يرسل الله ملائكته من السماء لتقويم خطايا البشر بل أقام معلمين من الطبيعة الإنسانية لئلا تمنع الملائكة الناس عن الخطأ بزجز مؤلم وتقريع شديد فلأجل هذا أقام الله عليهم معلمين كهنة عائتين وهم تحت ضعف الطبيعة كالباقين. الدر المنتخب ص ١٢٩.

ثالثاً: ومن أقوال المجامع التى تثبت هذه الحقيقة راجع ق ١١ و ١٢ المجامع نيقية الأول و ٥ لأنقره و ٥٢ لقرطجنة.

رابعاً: وأخيراً: قد أجمعت جميع الكنائس فى العالم على فرض قوانين للتائبين وإن اختلف بعضها فى الغاية من فرضها وإن البروتستانت يعترفون بذلك قولا وعملا فهم يقاصون الأثمة ويوقعون عليهم التأديبات اللازمة عندما يخطئون إما بالفرز من الجماعة أو بالمنع من العشاء الربانى علنا ثم يعطونهم

الحل الكهنوتى متى أظهروا أثماراً تليق بالتوبة راجع نظام التعليم صفحة ١١٧ وتفسيرهم ١ كو ٥: ١ ـ ٦ صحيفة ٥٤، ٥٥ والصلوة العامة للأسقفين ٢٧٩.

غاية الكنيسة من التأديبات الكنسية

غاية الكنيسة من فرض القوانين «التأديبات» وهى غاية اللّه نفسه.

ولا يخفى أن اللّه يعاقب شعبه بنوعين ويسمى الأول قصاصاً وهو ليس وفاء لعدله بل جزاء لهم على معاصيهم وهو نتيجة غضبه عليهم أر ٣٣ :١٩، رو ١ : ١٨ والثانى تأديباً وهو نتيجة محبته لهم وشفقته عليهم ١ كو ١١: ٣٢، عب ١٢: ٦ ـ ٨، ١ بط ١ : ٦ و ٧ ويع ١ : ١٢، رؤ ٣: ١٩ وغايته من النوع الثانى تقويم إعوجاجهم وإصلاح حالهم كما قال الرسول فلأجل المنفعة لكى نشترك فى قداسته وأخيراً فيعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام عب ١٢ : ١٠و ١١ فغاية الكنيسة إذا هى على هذا الوجه (١) لتقويمهم وبالتالى لخلاص نفوسهم فى يوم الرب ١ كو ٥ : ٦ قال الذهبى فمه.» اربطه هنا حتى يستعطف اللّه لا تدعه محلولا لئلا يشتد عليه رباط غضب الله لأنك إن ربطه هنا فالله لا يربطه وإلا فالربطات الدهرية التى لا تحل تنتظره مذخرة له. لا يفتكرون أحد أن ذلك قساوة كلا بل هو عين المحبة. تقول يكفى الزمان الذى عوقب به. ولكننى لا أطلب كثرة السنين ولا أبغى طول رباط الجرح بل اطلب تقويم النفس وإصلاحها فأرنى تهذيب نفوسهم فقط فإنى أريد أن أعرف إن كانوا ندموا وتخشعوا إو تغيروا عما كانوا فإن كانوا تابوا ورجعوا حقاً فقد كمل المطلوب وإلافلا منفعة من طول الزمن لأننا لا نطلب إن كان الجرح قد عصب مراراً كثيرة بل إن كان الدواء أزاد والأربطة نفعت. فإذا أفاد الدواء فى قليل من الزمن فلنحل الرباطات وإلا فلتوضع ثانية.. وليكن هذا حد الحل إبراء المربوط وحصوله على الصحة على فيلبى».

٢ ـ لتكون كمحك لاختيار توبة التائب وأثمارها التى تنجم عنها كما قال القديس باسيليوس ق ٨٤.

٣ ـ «لأنها رياضيات تقوية تدل التائبين على الوجه والوسطة اللذين بهما يجب أن ينطقوا ويعترفوا أمام اللّه بالحق ويظهروا قوة توبتهم التى بها وحدها فى الحقيقة يرتضى اللّه كما قال القديس أغسطينوس».

٤ ـ لتكون قيداً ولجاماً للنفس حتى لا تجمح إلى الخطية ثانية. قال صاحب كتاب الروس. «إن الخاطئ التائب يأتى إلى الكاهن الذى على يده يتم سر المعمودية ويعترف له بخطاياه ليأخذ عنها الحل أو ليعطى له قانون يعاقب به جسده الذى تلذذ بالخطية وجذب النفس إلى اللذة فتكون فضيحة الاعتراف تأديباً للنفس وعقوبة القانون تأديباً للجسد ويكون «القانون» رادعا للنفس عن إتيان الشر خوفا من الفضيحة ولجاما للجسد به تضبط الأميال والأهواء غير المرتبة فيخضع للروح ولا يعود يتمرد عليها ويجذبها إلى التهلكة ويكون ذلك لجاما للنفس والجسد معا يحول دون ارتكاب الخطية التى حصل بها السقوط أولا ومن ثم يستمران حافظين للوصاية».

«فوائدالتأديبـــات»

أولاً: بما أنها علاجات روحية فهى تساعد على تضميد قروح الخاطئ وشفاء النفس من أمراضها الروحية بنعمة الله.

ثانياً: بما أنها رياضيات تقوية فهى تبث فيه عاطفة الشوق الى الفضيلة ومحبة الصلاح وتعوده على إحراز العادات الحسنة وممارسة الشعائر الدينية التى بها ينال تعزية ورجاء.

ثالثاً: بما أنها تأديبات كنائسية فهى تربى فيه روح الانسحاق والخشوع وتولد فيه الشعور بالخطية ونتائجها المريعة. ودوام تذكرها وذكر خطايانا وحده كاف ليشفى كل أسقامنا كما يقول الذهبى فمه.

أخيراً: فأنها تنشئ فيه بغضا للخطية وكرها لها واشمئزازاً منها واحتراساً من الوقوع فيها خوفا من شر النكسة التى تنتج غالبا من الأعمال وعدم الاحتراز. فضلا عن أنها «وسائط» فعالة تحفظ الآخرين من السقوط فى خطايا التأئبين وتساعد على إصلاح اخلاق أعضاء الكنيسة بوجه الإجمال وتدافع عن شرائعها وتحديداتها ضد إستبداد الضالين والعصاة من أبنائها الأنوار ٢٢٧



الفصل السادس

«الحل الكهنوتى»

المراد بالحل الكهنوتى صفح ومسامحة الكاهن للخاطئ التائب بعد أخذ إعترافه وحله من خطيته. ومعلوم أن غفران الخطية والصفح عنها هو خاص بالله وحده إنما الكاهن يقبل التائب ويمنحه الحل ليس باسمه بل بإسم الثالوث الأقدس ولا بسلطانه بل بسلطان الله نفسه المعطى له فالله هو الذى يمنح الغفران والكاهن فقط واسطة فى تتميم السر وآله منظورة فى الصفح للتائبين كما كان ناثان واسطة فى الصفح عن داود ٢ صم ١٢ :١٣.

والكنيسة لا تمنح الحل للمعترف ولا تقبله فى حظيرتها ولاتقربه من الأفخارستيا إلا إذا رأت منه رجوعا تاما و عزما كاملا على إصلاح السيرة.

هذا وللكنيسة سلطان على أن تغفر خطايا التائبين وتحل المعترفين باسم الله وبسلطانه ولها على ذلك جمله براهين.

١ ـ من كلام الرب يسوع نفسه فإنه له المجد لم يقل لتلاميذه ماتربطونه فقط بل وما تحلونه على الأرض يكون محلولا في السماء مت ١٦ : ١٨ ، ١٨ : ١٨ وكما أرسلنى الآب أرسلكم أنا. اقبلوا الروح القدس من غفرتم له خطاياه غفرت يو ٢٠ :٢٣ فواضح من هذه الأقوال أن الرب أرسل تلاميذه كما أرسل من الآب ومنحهم سلطانا على أن يحلوا الخطايا ويغفروها كما أعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة ليخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف في الشعب مت ١٠ : ١و ٨، مز ٣ : ١٣ . لو ٩ :١ ولا يمكن القول بأن كلام الرب مجاز والا فيكون إرساله من الإله الآب مجازاً أيضاً لا حقيقة. وهذا محض كفر وضلال.

٢ ـ من عمل الرسل أنفسهم فإنهم بموجب هذا السلطان المعطى لهم من الرب قد ربطوا الخطاة وحلوا المستحقين ما نرى في أمر بولس الرسول مع مع ذلك الرجل الزانى الذى سبق فحرمه وفرزه من شركة الكنيسة. ولما رأى أن العلاج أثمر فيه والقصاص أتى بالفائدة المطلوبة حله من خطيته وكتب لكنيسة كورنثوس يطلب إليها مسامحته وقبوله ٢ كو ٢ :٥ـ ١١ .

٣ ـ من أقوال الاباء : فالقديس أمبروسيوس يقول. من يستطيع ان يغفر الخطايا إلا الله وحده والذين أعطاهم هذا السلطان ان البشر يتممون سر التوبة لغفران الخطايا دون أن يكون لهم سلطان في ذلك باسمهم وانما يمنحونه باسم المجد الآب والأبن والروح القدس. فهم يطلبون والله يعطى وعلى البشر الطاعة هنا ومن الله الهبة العظيمة في الروح القدس ٣ : ٨ والذهبى فمه يقول. أى

سلطان يمكن أن يكون أعظم من هذا السلطان. أن الله أعطى الحكم كله للأبن وأرى أن هؤلاء تسلموه كله من الأبن وقد كان لكهنة اليهود سلطان أن يظهروا برص الجسد وبالأحرى لم يظهروه بل يفحصون المعتوقيين وأنت تعلم كم كان سلطانهم وقتئذ مشتهى ولكن هؤلاء قد نالوا سلطانا لا على برص جسدانى بل على الدنس النفسانى ولا أن يفحصوه بعد التطهير بل أن يطهروه تماما. فى الكهنوت ٣ : ٥و٦ .

٤ ـ من الاتفاق العام. فأن جميع الكنائس الرسولية على إختلاف مذاهبها وتباين إعتقادها أجمعت على هذه الحقيقة والتاريخ الكنسى يؤيد أن هذا تعليم الكنيسة الجامعة فى كل زمان ومكان راجع تاريخ الكنيسة صحيفة ١٠٥ .

٥ ـ أن البروتستانت وإن أنكروا هذا الحق على الكنيسة قولا ليخدعوا عقول السُلَماء إلا أنهم يسلمون به فعلا فقد جاء فى كتابهم نظام التعليم ما نصه. الانجيليون يقبلون الحل الكهنوتى بمثابة تصريح قانونى للتائبين صحيفة ١١٧ وجاء فى الصلوة العامة للكنيسة الأسقفية ما نصه. وهنا يحث القس المريض على الاقرار بخطاياه وبعد الإقرار يحله القس على هذا الوجه. ربنا يسوع المسيح الذى ترك لكنيسته سلطاناً على أن يحلوا جميع التائبين المؤمنين به حقا ليغفر لك خطاياك برحمته العظيمة وأنا بسلطانه الذى فُوِّض إلّى أحلك من جميع خطاياك باسم الآب والأبن والروح القدس آمين صحيفة ٢٧٩ . فهل بعد ذلك من ينكر على الكنيسة الجامعة الرسولية هذا الحق المخول لها من الله رأسا؟ أو يقول أن تعليمها مخالف لتعليم الكتاب؟ فليتامل العقلاء وليحكم الخائفون الله.

استدرك: أماسر التناول الأفخارستيا فقد رود فى الجزء الأول وما بعدها

الباب الخامس.

«سر مسحة المرضي»

الفصل الأول

«الكلام على المسحة من حيث هو سر»

سر مسحة الزيت المقدس هو الخامس من أسرار الكنيسة السبعة وتمارسه منذ نشأتها إلى الآن ـ وتبقى كذلك إلى مجئ الرب الثانى ـ لكل من إعتراه مرض أو اصابه ضعف جسدى إذ تقدس الزيت وتمسح به المريض بعد أن تستمد له من الله نعمة الشفاء من أمراضه الروحية و الجسدية. والكنيسة تعتبره سرا وتتممه كغيره من الأسرار للمؤمنين فقط ولها على ذلك براهين كثيرة.

أولا: من قول القديس يعقوب الرسول. أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب. وصلوة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه وأن كان قد فعل خطية تغفر له يع ٥: ١٤ و١٥ وكلام الرسول هذا واضح جلى لا يحتاج إلى برهان أو زيادة بيان منه نفهم أن المسحة سر مؤسس من الرب يسوع ذلك لأن الرسول لم يتكلم عنه كواضع شريعة أو مشترع ناموس وإنما يتكلم عنه باعتباره أنه سر موجود فى الكنيسة ومعروف للمؤمنين ومشهور لديهم آمرا إياهم محرضا لهم على وجوب إستعماله لاجتناء فوائده الروحية وثماره الخلاصية.

هذا ولكن البعض لا يروق لهم أن يعتبروه سراً إدعاء منهم بأن الرسول يقصد بكلامه هذا عادة قديمة كانت مستعملة منذ القديم وأن هذه العادة نفسها

إستعملها الرسل قبل موت الرب على أن أباء الكنيسة يفندون هذه الترهات بأدلة ساطعة وبراهين قاطعة تأتى عليها ملخصة.

أولا: إن الرسول لم يتكلم عنه كعادة قديمة بل كسر مستوفياً كل الشروط التى تلزم لاتمام السر وهى.

١ ـ الشخص القابل السر وهو المريض بقوله أمريض أحد»:

٢ ـ خادم السر بقوله «فليدع قسوس الكنيسة»

٣ ـ صورة السر وهى صلاة الإيمان «فيصلوا عليه»

٤ ـ مادة السر بقوله «يدهنوه بزيت».

٥ ـ مفعول السر وهو شفاء المريض نفساً وجسداً بقوله «وصلوة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له».

ثانياً: لو كان سر المسحة داوء عادياً لجاز أن يتممه أى إمرىء كان سواء من أقارب المريض أو من أصدقائه أو من الأطباء ولكن الرسول عين فئة مخصوصة لتتميمه وهم «قسوس الكنيسة» الذين عينهم الله لإقامة أسراره وائتمنهم عليها يو ٢٠:٢١ ـ ٢٣.

ثالثا: لو كانت المسحة عادة قديمة يستعملها أى إنسان لزم أن ترافقها الصلوة باسم الرب لأن الصلوة ليست مادة محسوسة كالزيت فإذا لازمته لا تعطيه قوة طبيعية وإذا فارقته لا تفقده قوته.

رابعاً: أوضح الرسول أن المسحة تشفى أمراض النفس فضلا عن الجسد فاذا فرضنا جدلا بأن للزيت قوة على شفاء المرض الجسدى فلا يمكن بأن يكون له هذه القوة فى شفاء أمراض الروح لا سيما وأنه مادة محسوسة لا تؤثر على

النفس التى هى ليست بمادة بل جوهر روحانى لا يُحَس ولا يمُسَ لو ٢٤ :٣٩.

خامساً: لو فرضنا أيضاً بأن للزيت قوة على شفاء مرض خاص فلا يمكن القول بأن هذه القوة تعم سائر الأمراض التى تنتاب الإنسان «لأن لكل داء دواء» والرسول لم يعين للزيت مرضاً معروفاً عى سبيل التخصص بل كل مرض بوجه التعميم بقوله «أمريض أحد».

أما القول بأن الرسل كانوا يستعملون المسح بالزيت قبل موت الرب فيرد عليه بأن تلك الموهبة كانت وقتية وكلام الرسول هنا على حقيقة ثاتبه ومتداولة الإستعمال. أضف إلى ذلك أن تلك المسحة كانت لشفاء الأمراض الجسدية. وأما هذه فلشفاء الأمراض الروحية والجسدية معاً وهذا برهان على أنها غير التى كان يستعملها الرسل قبل موت الرب.

سادساً: إتفاق الكنيسة العام برهان قاطع على أن مسحة المرضى عن أسرار الكنيسة فضلا من أقوال الأباء التى سيأتى ذكرها هذا وقد أثبت موسهيم المؤرخ البروتستانتى هذه الحقيقة فى تاريخه بقوله «أن المسيحيين الأولين لما مرضوا مرضا مخطراً كانوا يدعون شيوخ الكنيسة أى القسوس والأساقفة ١ بط ٥ :١» حسب قول يعقوب الرسول «يع ٥ :١٤و ١٥» وبعد ان يعترف المريض بخطاياه يستودعه الشيوخ لله بالتضرعات الخشوعية ويدهنونه بزيت ق١ .ف ٢ قسم ٤».

ومما تجب ملاحظته ان الكنيسة الأسقفية «البروتستانتيه المذهب» تعترف بصحة هذا السر وتمارسه للمسيحيين بصلوات مخصوصة وفصول إنجيلية معلومة تكاد لا تختلف عما هو عندنا راجع الصلوة العامة صحيفة ٢٧٤ ـ ٢٨٥.



الفصل الثانى

«الأشخاص الذين يتمم لهم هذا السر»

تعلم الكنيسة أن تتميم هذا السر يكون للمريض فقط بأى مرض كان حسب قول الرسول «أمريض أحد بينكم» فالسر إذاً خاص بالمرضى دون غيرهم والرسول يأمر جميع المؤمنين بأن إذا إعترى أحدهم أى مرض - يدعو قسوس الكنيسة ليصلوا عليه ويمسحوه بزيت بإسم الرب لكى يشفى من مرضه الجسدى والروحى أيضاً. ولكن من موجبات الأسف أن المسيحيين قد أهملوا ممارسة هذا السر المقدس وقلما يعنيهم أو يخطر ببالهم أن يستدعوا قسوس الكنيسة فى أبان مرضهم ليتمموه امتثالا لأمر الرسول بل بعكس ذلك تراهم إذا اعترى أحدهم أى مرض أو إصابة أقل إنحراف يهرعون لإستدعاء الطبيب لمعالجته وعدا عن كونهم ينفقون بسخاء فى سبيل الحصول على الشفاء فهم يحافظون باعتناء زائد على أوامر الطبيب ويعملون بها وليس فى هذا ما يدعو الى الاستغراب الكثير وإنما الغريب أنهم يضعون كل رجاءهم عليه ويحصرون كل ثقتهم فيه وكأنهم جهلوا أو تجاهلوا أن الشفاء بيد الله وحده الذى يعطى الجميع حيوة ونفسا وكل شئ. وبه نحيا ونتحرك ونوجد اع ١٧ : ٢٥و ٢٨.

إن الأمراض التى تعترينا فى هذه الحياة الدنيا منها ما هو قصاص عن الخطية خز ١٥ : ٢٦، عدد ١٢ :٩ - ١٣، تث ٧: ١٢ - ١٥، ٢٨ : ١٥، ٢ مل ٥ : ٢٧، ٢ أى ٢٦ : ١٩، يو ٥ : ١٤ ومنها ما هو للتأديب : ١ كو ١١ : ٣٠، عب ١٢ : ٦ - ٨، رؤ ٣ : ١٩ والامتحان أى ١، ١ بط ١ : ٦و٧ ويع ١ : ٣ كما منها ما هو لمجده تعالى يو ١١ : ٣ وعلى كل سواء كانت بإرادته أو

بسماح منه فلا يشفيها غيره لأنه هو يجرح ويعصب يسحق ويداه تشفيان أى ٥ : ١٨ كيف لا وهو القائل أنا هو الرب شافيك خر ١٥ : ٢٦ وإذ ذاك فكل إعتماد على غيره باطل وكل دواء غير الذى يعطيه لا يفيد وكل واسطة إن لم يباركها فلا منفعة منها:

لا نقصد بكلامنا هذا منع استشارة الطبيب أو إستعمال الوسائط اللازمة لتخفيف المرض أو منع سريانه فإن الله لا يحرم ذلك بل بالحرى يسر باستعمال الوسائط ويباركها لتكون ناجحة متى كانت لمجده ونفع شعبه تك ٥٠: ٢، ٢ مل ٥: ١٠، ٢٠ : ٧ وار ٨: ٢٢، مر ٦ :١٣، يو ٩ :٧ وإنما نحن نقول مع الذهبى فمه.

«إن الاتكال جملة على الأطباء من عمل الجاهل فسبيلنا أن نفعل كما نفعل فى الأراضى إذ نفلحها ونلقى إتكالنا على الله ونطلب منه الخصب وإتيان الثمر. كذلك فى الأمراض نحضر الطبيب إن استدعى الحال ونطلب من الله الشفاء فإن ذلك خاص به وهو القادر عليه لا الطبيب.. فإن نحن استعملنا الطب أو لم نستعمله فليكن الغرض الوحيد الاتكال على الله وطلب رضاه ومنفعه النفس مع صحة الجسد وفى هذا قال الرسول فاذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شئ لمجد الله ١ كو ١٠ :٣١ إن تلك المرأة النازفة الدم لبثت ١٢ سنة معذبة بالمرض وقد طرقت أبواب الأطباء واستعملت كل الوسائط لتشفى من دائها وكما قال الإنجيل وقد أنفقت كل معيشتها للأطباء ولم تقدر ان تشفى من أحد لو ٨ : ٤٣ بل قد تألمت كثيراً من أطباء كثيرين ولم تنتفع شيئا بل صارت إلى حال أردأ مر ٥: ٢٦ ولكنها لما تقدمت الى يسوع بملء بالإيمان والثقة وجاءت من وراءه ولمست هدب ثوبه ففى

الحال وقف نزف دمها وعلمت فى جسمها أنها قد برأت من الداء مر ٥: ٢٧ ـ ٢٩.

هذا ما نريده ونزيد عليها أمراً آخر وهو إستدعاء قسوس الكنيسة ليصلوا على المرضى ليشفوا حسب أمره تعالى. إننا إذا فعلنا ذلك وكان لنا إيمان حى ورجاء ثابت وثقة كاملة كان لنا ما نريد فاننا مهما سألنا ننال منه مت ١٥ : ٢٨ لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه ١ يو ٢ : ٢٢ ولا سيما فانه وعد بذلك يع ٥ : ١٦و ١٧ وهو الأمين الصادق فى مواعيده رؤ ٣: ١٤ ولا بد أن يقوم بكلامه الذى تكلم به مز ١١٩ : ٣٨ إذ ليس الله إنسانا فيكذب ولا ابن إنسان فيندم هل يقول ولا يفعل. أو يتكلم ولا يفى عد ٢٣: ١٩ وقد قال بفمه العزيز ولا اكذب من جهة أمانتى. لا أنقض عهدى ولا أغير ما خرج من شفتى مز ٨٩: ٣٤ ولا ريب أن الله يسربأولاده عندما يلتجئون إليه ويعتمدون عليه ويتممون ما أمر به وبقدر ذلك يستاء بل يغضب إذا تركناه واعتمدنا على سواه كما غضب على آساملك يهوذا لأنه فى مرضه لم يطلب الرب بل الأطباء ٢ أى ١٦ : ١٢.

فهل يثق المؤمنون بمواعيد الله ويطيعون أوامره أم هم يرون فى ممارسة الشعائر الدينية والقيام بالمطاليب الإلهية سبة وعاراً عليهم. أنه على ما يلوح لنا إن رجال العهد القديم والمسيحيين القدماء كانوا اكثر إيماناً وأعظم ثقة من مسيحى هذه الأيام الذين قل إيمانهم وضعف رجاءهم حتى إن كلمة الرب صارت لهم عاراً لا يسرون بها ار ٦ : ١٠.

ذلك لأننا نقرأ عنهم فى كتاب الله أنهم كانوا كلما أصابهم مرض أو إعتراهم ضعف لجأوا الى الله وهرعوا لإستدعاء الكهنة والأنبياء أو ذهبوا إليهم

طلباً للشفاء. فموسى صلى عن أخته قائلا. اللهم اشفها عدد ١٢ : ١٣ وداود صرخ إلى الرب من أجلإابنه ٢ صم ١٢ : ١٦ وحزقيا مرض إلى حد الموت ولكنه إلتجأ إلى الرب فأجابه قد سمعت صلاتك. قد رأيت دموعك هانذا أشفيك ٢ مل ٢٠ : ٥ وامرأة صرفة صيدا طلبت من إيليا أن يصلى من أجل إبنها ١ مل ١٧ : ١٧ وكذلك المرأة الشنومية لما مرض ولدها أسرعت فاستدعت رجل الله اليشع ٢ مل ٤ : ٢٢ كذلك نعمان السريانى ذهب إلى اليشع ليشفيه من مرضه ٢ مل ٥ : ٣و٩ وهكذا كان المسيحيون القدماء يقدمون مرضاهم الى رعاة الكنيسة أو يستدعونهم ليصلوا عليهم و يمسحوهم بزيت ليشفوا سائرين على نسق ابائهم الذين كانوا يقدمون المرضى للرسل وهؤلاء يصلون عليهم ويدهنونهم بزيت ويشفونهم مر ٦ : ١٣ راجع اع ٥ : ١٥ و ١٦، ١٩ : ١٢، ٢٨ : ٨و ٩.

أما مؤمنوا هذه الأيام فيظهر أنهم رأوا أن إستدعاء القسوس لعيادة المرضى وتتميم سر المسحة لهم «مودة قديمة» مخالفة لروح العصر الحاضر ولا تنطبق على قواعد التمدين الحديث فاستعاضوا عنها بالأطباء. مع أنهم «كانوا ينبغى أن يعملوا هذه ولا يتركوا تلك مت ٢٣ :٢٣.

على أنهم لو وقفوا عند هذا الحد لهان الأمربل لا لتمسنا لهم بعض العذر ولكنهم تركوا الرب واستهانوا بقدوس إسرائيل وحفروا لأنفسهم اباراً مشققة لا تضبط ماء ار ٢ : ١٣ وذلك أنهم لم يقصروا أمرهم على الأطباء بل إلتجاؤا الى السحرة والعرافين والمنجمين والمشعوذين للسؤال عن مرضاهم وكتابة التعاويذ لهم ولا ندرى وأيم الحق كيف ساغ لاولئك أن يسلكوا هذه المسالك المعوجة وعلى أى شرع اعتمدوا فى هذا الأمر. لأنه لا الدين يجيزه ولا العقل يسلم به ولا العلم يقبله حتى ولا المدنية التى تعلقوا بها وتمسكوا بأهدابها. أن أولئك يقدمون

على إتيان هذا المحظور وهم لا يدرون أنهم بذلك يهينون الله ويستنزلون صواعق غضبه عليهم جزاء مخالفتهم شريعته وتعديهم أوامره فقد قال لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم. أنا الرب إلهكم لا ١٩ : ٣١ والنفس التى تلتفت إلى الجان والى التوابع لتزنى وراءهم اجعل وجهى ضد تلك النفس وأقطعها من شعبها ٢٠ : ٦ لا يوجد فيك من يرقى رقية ولا سأل جانا أو تابعه ولا من يستشير الموتى. لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب تث ١٨ : ١٠ وفعلا قد عاقب الله شاول بالموت لأنه لم يحفظ كلام الرب وأيضاً لأجل طلبه إلى الجان للسؤال ولم يسأل من الرب ١ أى ١٠ : ١٣، ١٤ وكذلك عاقب اخزيا الملك لما ترك الرب وبعث فى حال مرضه ليسأل بعل زبوب إله عقرون ان كان يبرأ من مرضه فأرسل الرب إليه إيليا قائلا هكذا قال الرب أليس لأنه لا يوجد فى إسرائيل إله أرسلت لتسأل بعل زبوب إله عقرون لذلك السرير الذى صعدت عليه لا تنزل عنه بل موتاً تموت ٢ مل ١ : ٢ ـ ٤.

ومن الغريب أن الله نهى هذا النهى الجازم وأقرنه بهذا الوعيد الصارم وعاقب فعلا الذين خالفوه تعالى. ولكن المسيحيين على ما يظهر غير مبالين بهذه التهديدات ولا مكترثين بتلك النواهى لأنك تراهم يتهافتون ـ ولا تهافت العليل إلى الشفاء ـ إلى طلب أولئك المنجمين والسحرة ويسألونهم عن مرضاهم ونهاية مصيرهم الشفاء ام الفناء الموت أم الحياة. والاغرب منه أنهم يتضرعون إليهم بمذلة وصغر نفس ويسألونهم حساب النجم أو كتابة الطلاسم والتعاويذ «ليضعها المريض تحت رأسه أو يعلقها تحت إبطه» والأغرب من هذا وذاك أانهم يصدقون كلامهم ويثقون بخزعبلاتهم ويكيلون لهم المال جزافاً ويزودونهم بالهدايا والعطايا إذا فازوا بشئ مما يبتغون وفى الوقت نفسه يدعون أنهم مسيحيون. يا لله. أفى إستطاعة السحرة الاطلاع على أفكارالقدير أن اعطوا

معرفة الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب تحت سلطانه؟ أفى قدرتهم شفاء المرضى أم بيدهم الموت والحيوة؟ أجعل الله تحت سلطانهم وفى قبضة أيديهم أعمار البشر فيحيون من شاؤا ويميتون من أرادوا؟ أفى قوة المشعوزين أن يشفوا المسقومين وليس فى قوة يهوه القدير أن يشفى. أفى قدرة أولئك الضالين والمضللين أن يحيوا ولا فى إستطاعة كلمة الله أن تحيى. حقاً أنه لأ مر غريب ومدهش أن المسيحيين يتركون الله الذى أحبنا ولم يشفق على إبنه بل بذله لأجلنا أجمعين رو ٨ : ٣٢ ويلتجئون إلى تابعى أرواح مضلة وتعاليم شياطين ١ تى ٤ : ١ يهملون ما أمر به الله ويعلمون ما نهى عنه وحرم إستعماله يرفضون رسل رب الجنود ويقبلون رسل إبليس. يدعون الكفرة والمعطلين ويحجمون عن دعوة آباء الكنيسة الأنقياء وكهنتها الأمناء الذين أقامهم الله لرعاية شعبه يو ٢١ : ١٥ ومنحهم السلطان لشفاء كل مرض وكل ضعف فى الشعب ١٠ : ١و ٨. يتبعون إرشادات أولئك الملحدين ويصغون إلى تعاليمهم الشيطانية ويأبون قبول نصائح من أقامهم الله لارشاد وهداية الناس مت ٢٨ : ١٩ و ٢٠ ينفرون ويخافون ويتشأئمون من حضور الكهنة. ويهوون ويطمئنون ويتفأئلون من حضور المنجمين والمشعوذين فلو إلتمسنا لهم عذر ضعف الطبيعة فأى عذر نلتمسه لهم على إهانتهم المسيحية ومخالفتهم شريعة الله ومضادتهم الإيمان المستقيم على أن هؤلاء يعتذرون ما هو أقبح من الذنب بأن ما حدا بهم الى ركوب هذا المركب الخشن شدة ما يعانيه المريض من الألم ولكن ما كان المرض ليدعونا إلى إهانة الله بل مهما كان المريض شديداً فلا يلجئنا إلى عمل الضلال والانقياد لتابعى الأرواح المضلة. أنه خير لنا أن نرقد فى الرب ونحن مرضى من أن نهينه ونكفر به لنشفى «وما أحسن ما قاله الذهبى فمه فى هذا الصدد» «إن المحزنات والكوارث النازلة بنا فى هذا العالم مفيدة لنا فإنها تخفف عنا جزءاً وافراً من

العقوبات المستأنفة فإذا منيت بمرض عضال واضطرك الغير إلى الإلتجاء إلى أصحاب الشعوذة ومن ماثلهم لتشفى من مرضك فاحتمل المرض بشهامة وتجلد واصبر خائفاً من الله وأقبل أن يصيبك كل ما يمكن ان يكون دون أن تلجأ إلى شئ من ذلك فمتى فعلت ذلك صار لك سبب تاج شهادة ولا تشك فى هذا لأنه كما ان أولئك يحتملون بشهامة العذابات المرة حتى لا يسجدوا للوثن كذلك أنت بصبرك على أوجاع مرضك إذا لم تلجأ الى شئ مما نهى عنه وقال فى تفسيره. نحن ندعى مسيحيين لنرضخ للمسيح لا لنحاضر مسرعين إلى أعدائه أنك يا هذا متى ابتلاك الله بمرض فلا تسرع إلى أعدائه بل أسرع إلى أصدقائه وأحبائه الشهداء والمرضيين له والذين لهم عليه دالة كبيرة فلا يجرى علينا سخطاً هذا مقداره لأننا إن ظننا إن أصحاب العرافة والشعوذة يخففون حرارة الحمى لكنهم يوقدون النار فى الداخل ويدخلون اللهب إلى القلب. لأنه إذا كان ضميرك فى كل يوم يوبخك وفكرك يؤلمك قائلا قد أسأت فيما فعلت وكفرت بالنعمة وجحدت عهد الله ولسبب مرض صغير أضعت حسن عبادتك. أترى أنت وحدك الذى مرضت أم كثيرون غيرك قد حل بهم أضعاف ما حل بك لكنهم على كل حال لم يفعلوا ما فعلت ولا أقدموا على ما أقدمت و ان المسترخى للفشل كيف تقيم الحجة للمسيح كيف تطلبه فى صلواتك وبأى ضمير تدخل إلى بيعته وتشترك مع المؤمنين فى العبادة وبأى وجة تقف أمام الكاهن وبأي يد تلمس المائدة الطاهرة وبأى إذن تسمع ما فى الكتب الإلهية - إذا بليت بهذه الأفكار وبتوبيخ ضميرك كل يوم فأين هذه العافية وداخلك مثل هذه الأفكار تثير فيك حرارة هى أصعب وأشد من الحمى التى انتابتك. أما إن احتملت يسيراً وأبعدت عن منزلك أولئك أصحاب الصنائع المغيظة لله بدون أن تمس جسدك بشئ من أوهامهم وتقصيهم عنك بامتهان كبير ولو ألهبتك

الحمى شر إلتهاب فتجد تعزية فى الداخل ويناجيك ضميرك قائلا أيها المؤمن المجاهد الجهاد الحسن فى حسن العبادة الراغب أن تموت من أن تلتئم الإيمان أو تزدرى به أنك مع الشهداء تقف فى ذلك اليوم لأنه كما إختار أولئك العذابات ليكرموا . كذلك وأنت اليوم إخترت تعذيب نفسك بالأمراض ولم تقبل المشعوذين. وقال فى رسالة ٦ على اليهود «إن وعدك المشعوذ لن يشفيك فأنا أقول و إن هم شفوا حقيقة فالأفضل أن تموت من أن تعول على أعداء الرب وتبرأ بحيلهم لأنه أية فائدة من شفاء الجسد مع هلاك النفس وأى ربح هنا وأية تعزية وأنت مشرف على الوقوع فى نار لا تطفأ اسمع ما يقوله الكتاب لا ١٩ : ٣١ ، تث ١٨ : ٩ ـ ١٤ .

وإذا كان الله يخاطب اليهود بذلك فأحرى بنا نحن الذين أمرنا أن لا نتشبث بالحاضرات بل نعلق آمالنا كلها بالحيوة العتيده. لعلك تقول أن المرض يؤلمك ويقلقك إلا أنه لم يحل بك ما حل بأيوب الصديق ولا أصابك جزء مما أصابه لأنه بعد موت بناته بغتة فوجئ بموت أولاده كلهم.. ولكن المرأة لما قالت له بارك الله ومت أى ٢ : ٩ ـ أى اكفر بالله وانج بنفسك من هذا العذاب ـ فماذا حصل هل أطاع هذا القول. كلا. بل بالعكس هذا الكلام قوى إيمانه وثبت عزيمته حتى أنه زجر إمرأته ع ١٠ مفضلا أن يشقى ويتعذب ويقاسى الألم ويعانى أنواع البلاء على أن يتخلص من مثل هذه الأهوال. وهكذا حال الذى كان به مرض ٣٨ سنة يو ٥ : ٥ فكان قبل ذلك يجرى إلى البركة ولا يستطيع النزول إليها ليشفى إذ كان يرى كثيرين غيره يشفون كل سنة بواسطة مساعديهم وكان هو لعدم وجود من يعتنى به يرجع خائباً حتى طالت مدة مرضه ومع ذلك فلم يمض إلى منجمين ولا إلى أصحاب الشعوذة والتعاويذ بل صبر طالباً معونة الله ولذلك عندما تناهى أمره نال ذلك الشفاء العجيب

بتلك المعجزة العظيمة. وكذلك العازر الذى قضى كل حياته مريضاً طريحاً على باب الغنى وليس من يعوله أو يعتنى به ومع كلٍ فلم يطلب الجان ولا إعتمد على شئ آخر من المحظورات بل آثر كثيراً أن يموت بتلك الحالة الرديئة على أن يخرج عن حسن اليقين. فإن كان أولئك نالهم مثل هذه الامراض الصعبة المزمنة ولم يقدموا على مخالفة الله فبأى غفران نحظى نحن الذين بسبب حمى تنتابنا نهرع إلى المشعوذين ونستدعيهم إلى منازلنا اه».

فيا أيها المؤمن اعتصم بحبل الإيمان وارج الله ولا تعتمد على سواه وإلا ماذا يفيدك إيمانك إن كنت لا تسلك بحسبه؟ وكيف تدعو نفسك مؤمنا وأنت تفعل ما يضاد الايمان. حقاً ما أنت إلا ضال فى صورة مؤمن ومر تاب فى هيئة معتقد. ونحن نعلم أن كل ما ليس من الإيمان فهو خطيه رو ١٤ : ٢٣ فإن كنت مؤمناً فقل مع قائد المئة «أنا أؤمن يارب» وإن كنت قليل الإيمان فقل ياسيد «أعن عدم إيمانى مر ٩ : ٢٤» ومع الرسل زد إيماننا لو ١٧ : ٥ وليكن لك إيمان بالله واسمع قوله آمن فقط فتشفى لو ٨ : ٥٠ وارجعوا يقول الرب عن طرقكم الرديئة إرجعوا إلّى فأشفيكم أر ٣ : ٢٢ انظروا أنا هو وليس إله معى أنا أميت وأنا أحيى تث ٣٢ : ٢٩ أنا أنا الرب وليس غيرى مخلص اش ٤٣ : ١١ إلتفتوا إلّى وأخلصوا يا جميع أقاصى الأرض لأنى أنا الله وليس آخر اش ٤٥ : ٢٢ إلا أرجعوا عن هذه الأباطيل إلى الاله الحى اع ١٤ : ١٥ هلم نرجع إلى الرب لأنه هو إفترس فيشفينا ضرب فيجبرنا هو ٦ : ١ قال القديس كيرلس الأورشليمى «أما أنت إذا كنت موجعاً فى أجزاء جسدك وآمنت بالحقيقة ان دعاك باسم رب الصباؤوت وسائر أنواع الدعاء التى ينسبها الكتاب الإلهى لله بحسب طبيعته تحل مصيبتك فصل هذه الكلمات وادع بها عن نفسك لأنك تعمل عملا أفضل من أولئك المؤمنين بالسحر إذا كنت تقدم

المجـد للـه لا للأرواح الخبيثة وإنى أتذكر قول الكتاب الإلهى أمريض أحد بينكم الخ»

يقول البعض أننا لم نر مريضا تعافى بصلوة الكاهن. والشاهد الواقع يكذب ذلك فقد رأينا كثيراً مرأى العين فضلا عن سماع الأذن إن كثيرين من المسيحيين الأتقياء نالوا بقوة الله نعمة الشفاء بواسطة صلوة الكهنة عليهم كما باستشفاعهم بالشهداء الأطهار. أما أن البعض لم يشفوا فمسلم به إلا أن عدم الشفاء لم يكن ليأخذ دليلا على عدم فائدة السر وبالتالى عدم صلاحية خادم السر نفسه. فإن الشفاء بيد الله يؤتيه من يشاء متى شاء وهو الفاعل فى السر لا الكاهن الذى هو واسطة فى إتمامه فاذا رأى الرب ان فى شفاء المريض خيراً له عافاه وأبقاه ٢ مل ٢٠ : ٥ وإذا رأى بالعكس إن انتقاله أفضل نقله إليه وأخذه عنده اش ٥٧: ١، ٢ والرب صالح ما يحسن فى عينيه يعمل ١ صم ٣ : ١٨ وليس من يقول له لماذا لم تشف؟ ولا لأحد سلطان أن يعترض على أحكامه الغير مدركة. على أن عدم الشفاء قد يكون لأسباب أخرى حرية بالاعتبار.

١ ـ إما لعدم إيمان المريض أو والديه وذلك لأن الإيمان شرط جوهرى قد نص عنه الرسول بقوله «والصلوة بايمان تشفى المريض» فالايمان هو الأساس الذى تبنى عليه نعم الله وإحساناته إلينا وعلى قدر الإيمان تأتينا النعم الإلهية وكايماننا يكون لنا وقد أوضح الرب ذلك مراراً كثيرة مت ٨ : ١٠، ١٣، ٩ : ٢ و ٢٨ ومر ٥ : ٢٨،٩ : ٢٣ ولهذا كان يطلب من المرضى الإيمان أولا مت ٩ : ٢٨ ولو ٨ : ٥ كما أنه كان يمتنع عن شفائهم لعدم إيمانهم مت ١٣ : ٥٨ وإذ ذاك يمكن أن نستنتج أن عدم حصولنا على نعم الله وبالتالى الشفاء سببه نقص إيماننا وضعف ثقتنا بالله تعالى ولا بدع أن نرى طلباتنا تذهب سدى وصلواتنا لا تصعد إلى العلى.

٢ ـ إما لعدم إستحقاقهم وذلك لتمردهم على الله وعصيانهم عليه ومخالفتهم شريعته ار ٣ : ٢٢ إلا نرى إن السيد لما أرسل تلاميذه أوصاهم أن يفحصوا أولا عن المستحقين ويدخلوا بيوتهم ويقيموا عندهم ويشفوا مرضاهم مت ١٠ : ١١ ـ ١٤.

٣ ـ إما لتوغلهم فى الشرور وعدم توبتهم ورجوعهم إلى الله ليشفيهم مز ٦٦ : ١٨، هو ٦ :

٤ ـ إما لأن المرض ذاته تأديب من الله عد ١٢ ـ ١٤

٥ ـ إما لعدم إيمان المصلى نفسه كما قال السيد لتلاميذه لما عجزوا عن شفاء المصاب بالروح النجس مت ١٧ : ١٩ : ٢١.

٦ ـ إما لحكمة لا ندركها نحن فإن أرامل كثيرة كن فى إسرائيل فى أيام إيليا ولكن لم يرسل إيليا إلا إلى أرملة صرفه صيدا. وبرص كثيرون كانوا فى زمن اليشع ولم يطهر واحد منهم إلا نعمان السريانى لو ٤ : ٢٥ ـ ٢٧ والكتاب يعلمنا بأن السيد له المجد قد ترك كثيرون من العرج والعمى والمصابين بأمراض كثيرة فى المدن والقرى التى كان يكرز فيها مر ٦ : ٥ فأحكام الله بعيدة عن الفحص وطرقه عن الإستقصاء لأن من عرف فكر عرف الرب أو من صار له مشيراً. لأن منه وبه وله كل الأشياء رو ١١ : ٢٣ ـ ٣٦.

وقد زاد بعضهم سببا اخر وهو عدم إستحقاق المصلى لظهور موهبة الشفاء على يده أو لأنه لم يعط هذه الموهبة إعتمادا على قول الرسول ان لكل واحد موهبته الخاصة من الله ١ كو ٧ : ٧ ولكن لا نرى هذا سبباً جوهرياً لأن فاعلية السر لا تتوقف على إستحقاق المصلى بالإجماع وكذلك موهبة الشفاء ليست شرطاً لا سيما وأن الرسول لم يقيد كلامه بهذا الشرط. صحيح أن صلاة

البار تقتدر كثيراً فى فعلها ولكن برارته ليست علة للشفاء كما أن عدمها ليس علة للموت.

إمتناع البعض عن ممارسة السر

يحجم البعض عن ممارسة هذا السر توهما منهم بأنه لا يتمم إلا للمشرفين على الموت وهم موبق منشأة الجهل وضعف الإيمان لأن الكتاب يقول بصريح اللفظ «صلوة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه» هذا تعليم الكتاب وبالتالى تعليم الحق الذى لا يُغَش والقول بغيره ضلال والاعتقاد بسواه خدعة من المحال. على أننا لو افترضنا صحة هذا الادعاء فيكون عدم تتميم السر ليس إلا هرباً من الموت ولا يجب على المؤمنين أن يخافوا الموت أو يهربوا منه لأن ذلك يدل على ضعف الإيمان وعدم محبتهم لله فان المحبة تطرح الخوف خارجا ١ يو ٤ : ١٨ بل دليل على أن محبة العالم تمكنت من قلوبهم وإلا لحسبوا الحيوة الدنيا منفى ولا أحبوا الخروج من هذا السجن المظلم والانطلاق إلى الوطن السموى على مثال سمعان الشيخ لو ٢ : ٢٩ والقديس بولس فى ١ : ٢٣ وقالوا مع داود أيضاً إذا سرت فى وادى ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معى عصاك وعكازك هما يعزياننى مز ٢٣ : ٤ ما أحلى مساكنك يارب الجنود تشتاق بل تتوق نفسى إلى ديار الرب.. لأن يوما واحدا فى ديار الرب خير من آلاف فى مساكن الخطاة مز ٨٤ : ١ و ٢ و ١٠ بل أفرحوا بالموت واهتفوا مع الرسول. لأن لى الحيو ة هى المسيح والموت هو ربح فى ١ : ٢١ أما وهم يخافون من إتمام سر المسحة هرباً من الموت فحالهم هذه مما تستدعى الأسف والتضرع إلى الرب ليرأف بهم ويتداركهم برحمته ليعرفوا أنهم ماداموا فى الجسد فهم غرباء عن الرب ٢ كو ٥ : ٦ إن الموت راحة لشعب الله رؤ ١٤ : ١٥ وربح للمؤمنين فى ١ : ٢١.

أيها الأحبّاء يجب أن تُقصوا عنكم هذا الوهم الردئ الذى يصور لكم الكاهن بصورة رسول الموت ونذير المنية مع أنه رسول السلام وطبيب النفوس ومرشدها بما أتاه الله من السلطان فانه هكذا قال الرب «أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة، وليكن لكم إيمان بالله ومهما سألتم باسمى فذلك أفعله يو ١٤ : ١٣ أطلبوا الرب مادام يوجد أدعوه وهو قريب اش ٥٥ : ٦ قولوا مع مريم ومرثا ياسيد هوذا الذى تحبه مريض يو ١١ : ٣ ومع قائد المئة ياسيد غلامى مطروح فى البيت مفلوجاً معذباً جداً لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامى مت ٨ : ٦ ـ ٨ فيجيب من السماء أنا آتى وأشفيه ع ٧ لا تخف آمن فقط فهو يشفى لو ٨ : ٥٠.



الفصل الثالث

«مكملو هذا السر»

يتمم سر المسحة فى الكنيسة منذ العصر الرسولى للمريض بواسطة الكهنة بحسب قول الرسول «أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة وليس معنى هذا أن حق تتميم السر خاص بالقسوس دون الأساقفة لأن هؤلاء هم خلفاء الرسل الذين هم وكلاء سرائر الله ١ كو ٤ : ١ والمنوط بهم تتميم سائر الأسرار يو ٢١ ـ ١٣ـ٢٠ والعقل لا يسلم بأن هذا الحق يعطى للقسوس فقط الذى هم أقل رتبة من الأساقفة إنما لأن الرسول عين لتتميم السر أكثر من إثنين يقوله «قسوس» بصيغة الجمع وبما ان وجود أساقفة كثيرين فى مدينة واحدة غير ممكن ولا مصرح به قانوناً بخلاف القسوس الذين يوجد منهم فى كل

مدينة كثيرون تى ١ : ٣ لهذا خصص الرسول ذكر القسوس وهؤلاء قد خولوا حق تتميم سائر الأسرار ما عدا الشرطونية.

على أن الكتاب قد يذكر إسم القسوس أحيانا ويريدبهم الأساقفة أع ٢٠ : ١٧ و ٢٨ وهذا نظراً لتقارب معنى الإسمين لا نظراً إلى الوظيفة ذاتها. وقد ذكر صاحب الأنوار سبباً آخر بقوله «إن إغفال الرسل ذكر الأساقفة نظراً لاشتغالهم بمهام كثيرة يتعذر معها عيادة المرضى بأنفسهم مع قلة عددهم».

واذ تقرر ذلك فلنلاحظ هنا:

أولاً: إن هذا السر يتمم منذ القديم بواسطة كهنة كثيرين حسب وصية الرسول. وقد رتبت الكنيسة أن يكون متممو السر سبعة كهنة صحيح أن الرسول لم يذكر عدداً معيناً ولكن بما أنه صرح بأكثر من إثنين فلهذا يفضل تعيين سبعة

١ ـ لشيوع هذا العدد وكماله

٢ ـ لأن مواهب الروح القدس سبع أش ١١ : ١و ٢

٣ ـ للإشارة إلى السبعة ملائكة الذين للسبع كنائس رؤ ١ : ٤ و ٢٠ والذين قال عنهم القديسان أغسطينوس وأغريغوريوس الكبير أنهم إشارة إلى أن الكنيسة الواحدة الجامعة مملوءة من عطايا الروح القدس السبع كما أنه لا يخفى أن القسوس يدعون ملائكة رؤ ٢ : ١.

على أن وجود سبعة كهنة ليس بشرط جوهرى ولا سيما أن الرسول لم يذكر ذلك بالحصر ولذا فيمكن أن يتمم السر من ٥ أو من ٣ أو من واحد بحسب الظروف وإنما يستحسن أن يتمم من إثنين أو ثلاثة ليشتركوا فى خدمة

السر: ولأن صلوة الجماعة أقوى تأثيراً وأدعى إلى القبول والإجابة ولا سيما إذا كانت من القلب كقول الرب لتلاميذه مت ١٨ : ١٩.

ثانيا: إن هذا السر يسمى بصلوة القنديل [(١)] وذلك من باب إطلاق الظروف واردة الظروف فأن المسيحيين القدماء كانوا يضعون الزيت فى قنديل ولا يزال ذلك جاريا الى الآن.

ثالثاً: إن مادة هذا السر هو الزيت وسبب إستعماله

١ ـ لأن الرسل كانوا يستعملونه لشفاء المرضى قبل موت الرب مر ٦ : ١٣

٢ ـ لعظمة شأنه فقد كان يمسح به الكهنة والأنبياء والملوك قديماً حسب أمر الله خر ٢٩ : ٧، ١ صم ٩:١٦، ١٠ : ١، ١٦ : ١ و ١٢ و ١٣، ١ مل ١٩ : ١٦ ومز ٢٣ : ٥، ٨٩ : ٢٠

٣ ـ لأن الإنجيل الطاهر أوضح فى المثل الذى ضربه السيد بالرجل الذى نزل من أورشليم إلى أريحا وضربه اللصوص إن جراحاته ضمدت بالزيت والخمر لو ١٠ : ٣٠ و ٣١ لأن الزيت يشفى الأمراض ويجلب النور والفرح. والزيت عندما تمسح به يوضح لنا صلاح الله وينتج شفاء الأمراض وإستنارة القلب والصلوة هى التى تصنع كل هذا الفعل كما يعلم كل واحد وإنما الزيت رسم لها «الأنوار ٢٦٤».

رابعاً : إن هذا السر لا يتمم إلا للمرضى فقط حسب قول الرسول «أمريض أحد بينكم» وهم فقط الذين يمسحون بالزيت المقدس بمنزلة سر ولكن لا مانع من حضور المؤمنين الأصحاء وقت تتميمه للإشتراك فى بركته ويجوز أن يدهنوا

---

(١) راجع مجلة الحق سنة ٦

بالزيت ايضاً ولكن هذه المسحة لا تعطى لهم طالما هم أصحاء بمنزلة السر بل بمنزلة زيت مقدس بكلمه الله والصلوة مع رشمهم بإسم الثالوث الأقدس على شكل صليب بدون لفظ العبارات التى يستعملها الكاهن بنوع خاص فى مسح المريض ورشمه والكنيسة أجازت مسح هؤلاء إذا أرادوا لتجذبهم الى التوبة والإعتراف والإهتمام بخلاص النفس.

خامساً : إن الكنيسة تتمم هذا السر للمريض بعد أن يتمموا سر التوبة والإعتراف وذلك حسب تعليم الرسول فإنه يقول، فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه.. وصلوة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه «وإن كان قد فعل خطية تغفر له» وبما أنه لا يمكن أن يكون مريض بدون خطية. وغفران الخطية لا يكون إلا بتتميم سر التوبة. إذاً من الواجب على المريض لكى تغفر خطيته أن يمارس أولا: سر التوبة والاعتراف للرب أمام الكاهن يو ٢٠ : ٢٣، ١ يو ١ :٩.

سادساً : تأمر الكنيسة إذا كان المريض فى حالة منذرة بالخطر فبعد ان يتمم سرى ـ التوبة والمسحة ـ أن يشترك فى الأفخارستيا لينتقل مزودا بهذه الذخيره السموية كما أمرت القوانين الكنسية ق ١٣ لمجمع نيقية.



الفصل الرابع

«واجبات الكاهن»

نذكر فى هذا الفصل بعض واجبات تلزم متمم السر «الكاهن» والمتمم له «المريض» فنقول.

يجب على الكاهن

١ ــ أن يحث رعيته على وجوب ممارسة هذا السر وقت حدوث أى مرض لأحدهم شارحا له فوائده الروحية ونتائجة الخلاصية نافياً ما علق بأذهان البعض من أن هذا السر لا يتمم إلا للمرضى المشرفين على الموت.

٢ ـ أن يسرع لإجابة الدعوة بدون تسويف أو إهمال إذ دعى لتتميم السر وإلا فيخطئ كما يخطئ المريض ذاته ضد نفسه إذا أهمل ممارسة هذا السر

٣ ـ أى يهئ نفسه للخدمة مع ممارسة الصلوة الإنفرادية ليبارك الله خدمته ويرافق عمله بالنجاح ويتمم المريض مواعيده الصادقة فى شفائه إذا كان موافقا لخلاصه نافعاً لخيره الروحى والزمنى وآئلا لمجده تعالى.

٤ ـ أن يتمم السر ليس كفرض أو كتأدية واجب حيثما إتفق بل أن يكون صائماً مستعداً كما لاتمام سر مقدس وأن يمارسه بايمان حى ومحبة كاملة مراعياً خلاص المريض وشفاء نفسه وجسده «لا عن اضطرار بالاختيار ولا لربح قبيح بل بنشاط. ولا كمن يسود على الأنصبة بل صائراً مثالا للرعية ومتى ظهر رئيس الرعاة ينال إكليل المجد الذى لا يبلى ١ بط ٥ : ٢ ـ ٤

٥ ـ أن يراعى أمر الكنيسة فى تتميم سر التوبة للمريض وأخذ اعترافه أولا ثم مسحه بالزيت ثانياً ـ كلما دعى لاتمام هذا السر.

ويجب على المريض «أو أقاربه»

١ ـ أن يقرن إيمانه بإيمان المصلى فإن قول الرسول «الصلوة بالايمان. يشملهما معا المصلى والمصلى عليه» وإلا فان إيمان المصلى وحده غير كاف لنيل فوائد السر

٢ ـ أن يكون له حسن ظن وثقة فى خادم السر نفسه راجياً أن ينال بنعمة الله وصلواته بركة الشفاء

٣ ـ أن يشترك مع الكاهن فى الصلاة ولو بالنية.

٤ ـ أن يعاهد النفس على أن يعيش مستقيما ويصنع الحق ويحب الرحمة ويسلك متواضعاً مع إلهه مى ٦ : ٨.



الفصل الخامس

«شرح طقس سر المسحة»

طقس سر المسحة المقدسة مؤلف من سبع صلوات ولكل صلوة فصول انتخبتها الكنيسة من العهدين القديم والجديد وكلها على نسق يذكرنا برحمة الله للخطاة التائبين ومحبته لهم وحنانه عليهم. وترتيب هذه الصلوات قديم جدا فى الكنيسة وقيل أن الذى وضعها القديس ابيفانيوس مع غيرها من الفصول الكنسية. على أن المتأمل فى قول الرسول «فيصلوا عليه.. وصلوة الايمان» يتضح له أن ترتيب طقس المسحة راجع إلى عصر الرسل فإنه أوضح أن تتميم السر يكون بصلوات وهذه الصلوات كانت معروفة فى الكنيسة بشهادة القديس باسيليوس ق ٩١. ولنا على ذلك برهان آخر وهو أن هذا الترتيب موجود فى جميع الكنائس الرسولية. والصلوات والأفاشين والأناجيل فى كل هذه الكنائس تكاد تكون واحدة فى جوهرها وعددها سبع كما فى كنيستنا راجع الأنوار صحيفة ٢٧٠ والأفخولوجى للروم الأرثوذكسى فى صلوة الزيت. والصلوة العامة للأسقفيين.

هذا ربما أن الكنيسة رتبت قديما أن يتمم السر من سبعة كهنة فلذا رسمت أن تكون الصلوات سبع لا أكثر ولا أقل جاهلة لكل كاهن صلوة بافشينها ورسالتها وانجيلها» قائمة بذاتها وبما أن هذه الصلوات ذات ترتيب واحد ولا إختلاف فيها إلا من حيث قراءتها فيقتصر على شرح طقس الصلوة الأولى وما تشير إليه من المعانى الروحية فنقول:

يبدأ الكاهن بالصلوة رشماً علامة الصليب على وجهه وهو يقول Ⲉⲗⲉ Ⲉ́ⲗⲉ́ⲏⲥⲟⲛ ̀ⲏⲙⲁⲥ إرحمنا ⲁ̀ⲗⲉ ϧⲉⲛ ̀ⲫⲣⲁⲛ ⲙ̀ⲫⲓⲱⲧ هللويا باسم الآب الخ.

إن خدمتنا تكون مقبولة أو مرذولة بحسب الغاية التى تتجه إليها فإن كانت لمجد الله وخلاص النفوس كانت مقدسة ومرضية ومقبولة لدى الله وإلا فترذل اش ١ : ١١ ولذا قال الرسول إذا أكلتم أو شربتم أو فعلتم شيئاً فافعلوا كل شئ لمجد الله ١ كو ١ : ٣١ وتبعاً لهذا القول ولكى تكون طلباتنا مقبولة رتبت الكنيسة أن نفتتحها دائما باسم الثالوث الأقدس «وكذا أن نرشم علامة الصليب فى بدء جميع الصلوات على وجوهنا» لتكون أفكارنا وعقولنا مرتفعة فوق حيث يسوع جالس عن يمين العظمة كو ٣ : ١.

ثم يضع بخورا فى المجمرة.

رتبت الكنيسة ان يوضع البخور فى المجمرة فى حال الشروع فى خدمة الأسرار وبالتالى فى أثناء عبادتها وتأدية شعائرها الدينية:

أولا: لتكون طلباتنا مصحوبة بالبخور دائما دلالة على ارتفاعها للعلاء كارتفاعه وجعلها باستحقاقات الفادى مقبولة كرائحة هذا البخور العطرية مز ١٤١ : ٢ ورؤ ٥ : ٨، ٨ : ٣ ـ ٤ أما إحراق اللبان بالنار فإشارة إلى آلام

المسيح واحتماله الموت لأجلنا كما أشار الى ذلك الرسول بقوله واسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح أيضا وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة اف ٥ : ٢ ودخان البخور الذى يتضوع أريحه فى الكنيسة اشارة الى استحقاقات المخلص التى بها أوصى الرب عب ١٠ : ١٤ وأفاض أنعامه وعزف محبته على الارض فجذب النفوس إلى محبته وطاعته لو ١٢ : ٤٩.

ثم يتلو مز ٥١ ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك الخ.

بما أن الكنيسة تتمم السر للمرضى بعد توبتهم وأخذ اعترافاتهم فتصلى هذا المزمور الذى هو من مزامير التوبة السبعة الذى فيه يعلن داود توبته ويلتمس رحمة الله وغفران خطاياه وأن يمنحه نقاوة القلب وتجديد النفس وهذا ما تطلبه الكنيسة بلسان كهنتها وقت تتميم السر نيابة عن المريض الذى ربما يكون فى حالة لا يستطيع معها تقديم الندامة الكاملة والاعتراف النقى.

وبعده يتلو الكاهن أو شية المرضى.

رتبت الكنيسة تلاوة السبع أواشى الكبار وقت تتميم سر المسحة وجعلت لكل صلوة أوشية الضرورى منها وقت تتميم السر أوشية المرضى فأوشية المسافرين ثم الأوشية الملائمة للوقت الحاضر «فان يكن وقت الزرع فتتلى أوشية الزرع أوفيضان النيل تتلى أوشية المياه وقس على ذلك بقية الأواشى» أما أوشية المرضى فهى صلوة ترفعها الكنيسة إلى الرب يسوع طبيب النفوس والأجساد ومانح الشفاء للمرضى والتعزية لصغيرى القلوب والقوة للضعفاء أن يهب المريض نعمة الشفاء وكذا جميع المرضى وكل نفس متضايقة. أما أوشية المسافرين فالغاية من تلاوته تعليم المريض بأن الانسان غريب على الأرض و نزيل مثل جميع آبائه مز ٣٩ : ١٢ وبالتالى هو كمسافر فى برية هذا العالم إلى كنعان

السماوية حتى إذا ما رحمه الله فى ٢ : ٢٧ وأتاه نعمة الشفاء يقضى زمن غربته فى خوف الله ١ بط ١ : ١٧ مدخراً لنفسه أساساً حسناً للمستقبل لكى يمسك بالحيوة الأبدية ١ تى ٦ : ١٩.

هذا والكنيسة تطلب ضمنا عن جميع المؤمنين ليحفظهم الله بعنايته فى طريقهم الى الوطن السموى ليصلوا الى ميناء السلام آمين.

لما ينتهى الكاهن من أوشية المرضى يخاطب الشماس الحضور قائلاً «ⲦⲞⲨⲔⲨⲢⲒⲞⲨ ⲆⲈⲎⲐⲰⲘⲈⲚ من الرب نطلب شفاء المريض الخ»

وإن يكن سر المسحة يتمم بواسطة الكهنة إلا أن الكنيسة تأمر بنيها بلسان الشماس أن يشتركوا مع الكهنة فى التضرع إلى الله من أجل المريض. تبعاً لقول الرسول صلوا بعضكم لأجل بعض لكى تشفوا يؤ ٥ : ١٦ وإن يؤمنوا على دعاء الكهنة خدام الله ووكلاء سرائره ١ كو ٤ : ١ ملتمسين من الرب معهم بقلب كامل أن يسمع صلواتهم ويشفيه كما سمع لحزقيا وشفاه ٢ مل ٢٠ : ٥ وأن يغفر له خطاياه كما غفر للمخلع مت ٩ : ٢

ثم يقول الكاهن الطلبة المرتبة من الكنيسة

بها يلتمس من الله الذى منح رسله موهبة الشفاء مت ١٠ : ١ و٨ الذى أمربلسان رسوله باستدعاء القسوس للصلوة على المرضى ان يقبل اليه صلوة كهنته ويبارك بيمينه المقدسة الآتين اليه بإيمان عندما يدهنهم الكهنة حسب وعده الصادق وأن يرحم المريض الراجى عفوه كما رحم الخاطية لو ٧ : ٣٧ ويطهره من أدناس الخطية ويضمد جراحات نفسه بزيت النعمة ليستحق أن يباركه ويشكره على إحساناته اش ٣٨ : ٩ الخ.

ثم يضىء الشماس «أو الكاهن» الفتيله الأولى من الفتائل السبع وهو يقول

ما ترجمته. الله نور كائن فى النور وملائكة النور يسبحونه نسجد لك أيها المسيح إلهنا الخ.

هذه العبارات مأخوذة عن الكتاب المقدس بالمعنى راجع يو ١ : ٧ و ٩، أش ٦ : ١ ـ ٦ والكاهن يتلوها وقت إيقاد السرج للاشارة إلى أن مصدر هذه الأسرار هو الرب يسوع اللابس النور كثوب مز ١٠٤ : ٢ والساكن فى نور لا يدنى منه ١ تى ٦ : ١٦ والمسيح مع الملائكة فى السماء ٢ تس ١ : ٧ الخ. أما إيقاد السبع فتائل وقت تتميم السر فهو

١ ـ لأن المنائر التى رآها يوحنا وفى وسطها شبه ابن إنسان هى سبع رؤ ١ : ١٢ و١٣.

٢ ـ لأن المنارة التى صنعها موسى قديما بأمر الله كانت ذات سبع سرج خر ٢٥ : ٢٧

٣ ـ لأن رتبة السر مؤلفة من سبع صلوات ولأجل هذا توقد فى بدء كل صلوة فتيلة.

٤ ـ لأن الكنيسة رتبت قديما أن يكون متمموا السر سبعة كهنة. ولهذا تقاد سبعة سرج للإشارة بها إلى الكهنة الذين هم نور العالم وسراج موضوع على المنارة مت ٥ : ١٤.

وبما أن الكهنة يدعون ملائكة رؤ ٢ :١ والسبعة كواكب التى رآها يوحنا هى إشارة إلى ملائكة السبع كنائس والمنائر السبع إشارة إلى الكنائس السبع رؤ ١ : ٢٠ لذا رتبت إيقاد السبع فتائل للدلالة على أن الكهنة يشبهون الملائكة فى وظيفتهم التى هى خدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص عب ١٠ : ١٤.

وفى ذلك رمز على حضور يسوع فى وسطهم يعمل معهم وبهم لخير

المريض كما هو كائن فى وسط المنائر السبع رؤ ١ : ١٣ على أنه سواء أستعمل للاضاءة سراج أو سبعة فالأمر الجوهرى فى السر هو الصلوة بالايمان والمسح بالزيت باسم الرب وكما جاز أن يتمم السر كاهن كذلك جاز أن يكون المصباح واحداً.

أما إضاءة السرج بالزيت

١ ـ لأن الرب أمر قديما أن يستعمل الزيت للإضاءة خر ٢٧ : ٢٠ والقوانين أمرت أن يستعمل الزيت للإضاءة فى أثناء خدمة الأسرار ق ٤ للرسل

٢ ـ لأن الزيت يدل على الرحمة وفى ذلك تحريض للمريض على أن يكون سراج حياته منيراً بأنوار النعمة وفقاً لقول الرب لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسرجكم موقده لو ١٢ : ٣٥

٣ ـ لتحريضهم على العيشة الصالحة والحياة المقدسة مع الله ليكونوا على الدوام حاملين مصباح الإيمان المنير بزيت الصلاح ليستحقوا أن يتمتعوا ببركة الله وينالوا رضاه كقوله من أجل صهيون لا أسكت من أجل أورشليم لا أهدأ حتى يخرج برها كضياء وخلاصها كمصباح يتقد اش ٦٢ : ١ وقد ذكر الإنجيلى عن العذارى أنه لم يدخل منهن إلى عرس الحمل إلا اللاتى كانت مصابيحهن مضيئة مت ٢٥ : ٤ و ١٠

أما إستعمال الأنوار عموما فإنه لما كانت جميع الأسرار تمنح قابليها نعما سماوية وكانت النعمة نوراً روحانياً أمرت الكنيسة أن يكون مع الكاهن الذى يقوم بخدمتها شموع مضيئة

١ ـ للإشارة إلى النعمة التى ينالها المريض بهذا السر

٢ ـ للإشارة إلى أن الأسرار فعلها الإنارة فى القلب بالروح القدس

٣ ـ لأن مصدرها الرب يسوع نور العالم كما قلنا.

على أن الكنيسة من جهة أخرى رتبت ذلك

١ ـ لتحريض الكاهن نفسه بأن يكون نوراً يستضئ به شعبه كقول الرب مت ٥ : ١٤ و ١٥ وكقول الرسول «ولسنا نجعل عثرة فى شئ لئلا تلام. الخدمة بل فى كل شئ نظهر أنفسنا كخدام الله ٢ كو ٦ : ٣و٤

٢ ـ لحث المرضى ايضاً بأن يكونوا بلا لوم وبسطاء أولاد الله بلا عيب فى وسط جيل معوج وملتو يضيئون بينهم كأنوار فى العالم فى ٢ : ١٥.

ثم يقول المرتل والشماس Κ Є يارب ارحم» ٣ مرات وبعدها يتلو الكاهن طلبة اخرى.

بها يطلب من الله أن يقدس الزيت بنعمته وأن يمنح السلام لشعبه والمريض وآله وذويه وكذلك سائر المرضى فى العالم. وأن يكن هذا السر خاصاً بالمرضى إلا أن الكنيسة تطلب عن جميع الحاضرين وكذلك عن جميع شعب الله المعذبين بالأمراض الجسدية وسائرالآلام النفسانية والمجروحين بسهام الشرير لو ٦ : ١٨ لكى يحفظهم الرب ويشفى أوجاعهم وذلك تمثلا بالرب ورسله القديسين.

وبعدها يتلو الطلبة الخاصة بتقديس الزيت وأخيراً يقرأ الشماس الكاثوليكون من يع ٥ : ١٤ الخ

يصلى الكاهن لأجل تقديس الزيت ليس لأنه غير مقدس ـ فانه يبارك ويقدس بكلمة الله وبالصلوة يوم سبت الفرح بواسطة الأساقفة والقسوس ـ وإنما ليكون مباركا ويجعله الله فعالا بقوته وواسطة فى شفاء المريض وبعد مباركته يدهنه به أما قراءة الكاثوليكون فلأنه يتضمن أمر الرسول باستعمال السر

ولتعزية المريض بما حواه من التعاليم المعزية لنفوس المرضى و المجربين وحضهم على الاعتصام بالصبر والرجاء واليقين تمثلا بأيوب وغيره من الصابرين.

ثم تتلى تسبحة الثلاث تقديسات فالمزمور ٦ : ١ و٢ فالانجيل من يو ٥ : ١ ـ ١٧

إنتخبت الكنيسة فصولا من العهدين القديم والجديد ملائمة للسر ورتبت قراءتها وقت تتميمه وغرض الكنيسة من ذلك تعزية المريض «وذويه» بما حوته من التعازى الروحية المنعشة للقلب ثم دفعه على التمسك بالرجاء بالله و الثقة بمواعيده الصادقة. لأن كل ماسبق فكتب كتب لأجل تعليمنا حتي بالصبر والتعزية بما فى الكتب يكون لنا رجاء رو ١٥ : ٤ وتذكيره أيضاً أن الرب قريب لكل الذين يدعونه بالحق.. ويسمع تضرعهم فيرحمهم مز ١٤٥ : ١٨ ويعين ضعفهم فتزداد ثقته ويقوى إيمانه ويعظم رجاؤه ثم من جهة أخرى لتعليمه كيف يجب أن يعيش مع الله منقاداً بروحه عاملا بوصاياه سالكا فى طريقه الكامل متمماً خلاصه بخوف ورعدة ـ أما المزمور والانجيل ـ فلأن الأول يتضمن طلب النبى رحمة الله ونعمة الشفاء. والثانى يتضمن شفاء المخلع والغاية من قرأتها

١ ـ لتذكير وتعليم المريض أن الشفاء بيد الله فإن المخلع قال للجموع أن يسوع هو الذى أبراه

٢ ـ لتعليمه بانه إذا برئ من مرضه فلا يرجع إلى الخطية لئلا يصيبه أشر يو ٥ : ١٤.

بعد ذلك يقول الكاهن الثلاث أواشى الكبار فقانون الإيمان وإذا كان معه شريك فليقرأ الطلبة.

وهى تضرع إلى الله الذى حمل أحزاننا وتحمل أوجاعنا وبحبره شفينا اش ٥٣ : ٤و٥ أن يصغى إلى طلبة عبيده الكهنة كما قبل طلبة الكنعانية ويهب الشفاء للمريض ويغفر آثامه كما شفى وغفر للمخلع خطاياه. وقد رتبت الكنيسة لكل صلوة طلبة تتلى بعدها وكلها تقريباً تتضمن معنى واحداً بعبارات مختلفة ومن شاء فليراجعها فى كتاب رتبة القنديل.

إلى هنا إنتهى ترتيب الصلوة الأولى وشرح معانيها وعندما ينتهى الكاهن من صلوة القنديل «السبع صلوات» يقرأ التحليل ويختم بالبركة ومن ثم يبدأ بدهن المريض بالزيت على شكل صليب فى وجهه وصدره ويديه.

يدهن فى وجهه أولا. لان الرأس مركز كل الحواس ثم فى قلبه لأن من القلب تخرج أفكار شريرة مت ١٥ : ١٩ كما أن منه مخارج الحيوة ام ٤ : ٤٣ ثم فى يديه لأنهما آله كل عمل. أما تعيين هذه الأعضاء فلأن الرشم فيها يكون بمثال الصليب. أما رشمه بإسم الثالوث الأقدس فذلك للدلالة على أنه الفاعل فى السر. والقديس أغريغوريوس يقول: أن الكاهن يمسح المريض بزيت على إسم الآب والإبن والروح القدس ويقول له «لا يبق فيك الروح النجس مختفياً بل فلتكن فيك قوة المسيح الإله والروح القدس لكى تشفى بتتميم هذا السر وبمسحة الزيت المقدس وبصلواتنا بقوة الثالوث الأقدس وتعود إلى الصحة التامة كتابه فى الأسرار جزء ٣ : ٣٣٥.



الباب السادس

«سر الكهنوت»

الفصل الأول

«الكهنوت سر ذو ثلاث درجات»

اثبتنا فى الجزء الأول باب ١ : ف ٦ أن المسيح إختار فئة مخصوصة من المؤمنين للكهنوت وسماهم رسلا لو ٦ : ١٣ ويو ١٥ : ١٦ وعهد إليهم تدبير كنيسته وسياسة شعبه وإرشاد الناس إلى طريق الحق والخلاص مت ٢٨ : ١٩ ومر ١٦ : ١٦ وأنا بهم عنه فى رعاية خرافه الناطقة يو ٢١ : ١٥ وأيدهم بالقوة كما أخذها من الآب مت ٢٨ : ١٨ ، يو ٢٠ : ٢١ ومنحهم السلطان على ربط الخطايا وحلها مت ١٨ : ١٩ وغفرانها ومسكها يو ٢١ : ٢٣ واقامة أسراره ومنحها للمؤمنين إسمه لو ٢٢ : ١٩ وأمر بالطاعة لهم وسماع كلمتهم وهدد بالعقاب الصارم من يخالفهم مت ١٠ : ١٤ و ١٥ ، ١٨ : ١٧ ناسباً الطاعة له ولأ بيه كما أن احتقارهم احتقار له ولابيه أيضاً لو ١٠ : ١٦ واعداً أن يكون معهم ومع خلفائهم إلى إنقضاء العالم مت ٢٨ : ٢٠.

حفظ الرسل لأنفسهم هذه الحقوق الممنوحة لهم من اللّه واستعملوها فيما يؤول لتدبير الكنيسة فأقاموا لهم نواباً وخلفاء أع ١ : ٤٠ ، ١٣ : ٣ ، ١٤ : ٢٣ ، ١ تى ٤ : ٤ ، ١ تى ١ : ٥ ما نحين إياهم «بسر وضع اليد» القوة التى أعطوها من الرب مثبتين أنها من الروح القدس نفسه اع ٢٠ : ٢٨ وخولوهم الحق دون غيرهم فى تعليم وإرشاد المؤمنين ١ تى ٦ : ٢ ، ٢تى ١ : ١٦ و ٢٤ ، تى ٢ : ١و ١٣ وتتميم الأسرار الإلهية ١ كو ١١ : ٢٣ و ٢ تى ٢ :

١و٢ وفوضوا له حق رسامة القسوس ١ تى ٥ : ٢٢، ٢ تى ٢ : ٢، تى ١ : ٥ واختيار الأمناء الأكفاء لهذه الخدمة المقدسة ٢ تى ٢ : ٢ والحائزين للصفات التى أوضحوها لهم ١ تى ٣ : ١ ـ ١٠ وتى ١ : ٦ والآن نرى واجباً أن نتكلم على وجود الكهنوت فى العهد الجديد فنقول.

يدعو البروتستانت بأن لا كهنوت فى العهد الجديد وبالتالى لا توجد وظيفة كنسية تُدعى بلفظ كاهن ولذا لا يجوز تسمية الراعى أو القس كاهنا. ودحضاً لهذا الإدعاء الباطل نورد الأدلة والبراهين على وجود الكهنوت فى العهد الجديد وبالتالى صحة تسمية القس كاهناً.

أولا: إن نبوات العهد القديم قد أنبأت عن وجود كهنوت فى العهد الجديد راجع بتأمل مز ١٣٢ : ١٤ ـ ١٦ واش ٦١ : ٦، ٦٦ : ٢١، لو ٣٣ : ١٨ وملا ٢ : ٣.

ثانياً : قد صرح الرسول فى العهد الجديد بأن المسيح جاء رئيس كهنة على طقس ملكى صادق وسماه رئيس كهنة وكاهنا عظيما راجع عب ٢ : ١٧، ٤ : ١٤،٥ : ٥، ٦ : ٢٦، ٨ : ١، ٩ : ١١، ١٠ : ٢١ وهو ذاته سمى نفسه كاهناً رو ١٥ : ١٦

ثالثاً : إن وظيفة الكاهن فى العهد القديم كانت محصورة

١ ـ فى تقديم الذبائح عب ٥ : ١

٢ ـ فى النظر فى الأحكام تث ١٧ : ٢

٣ ـ فى تعليم الشعب شريعة اللّه ملا ٢ :٥

وقد اجتمعت هذه الصفات الثلاث فى الكهنوت المسيحى بدليل.

١ ـ تقديم الذبيحة : فقد أمر الرب رسله بتقدمة ذبيحة جسده ودمه الأقدسين لو ٢٢ : ١٩ لأعلى رتبة هرون بل على رتبة ملكى صادق الذى قرب خبزاً وخمراً تك ١٤ : ١٨ وتنبأ النبى إن الرب يخلفه فى نظام كهنوته مز ١١٠ : ٤

٢ ـ سياسة الكنيسة والحكم فيها كقول السيد وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة «الرعاة» مت ١٨ : ١٧ و ١ كو ٥ : ٥، ٦ : ١ ـ ٤

٣ ـ الكرازة والتعليم الدينى ـ كقول السيد لهم فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به مت ٢٨ : ١٩ و ٢٠.

فإذاً الكهنوت عند المسيحيين حقيقى لأنه جمع كل صفات كهنوت هرون وزيادة. ويحسن أن نأتى هنا علي أقوال أحد قسوس الكنيسة الأسقفية في هذا الصدد ما نصه «كثيرون يعارضون في تعليم الخلافة رغما عما ذكرناه من أقوال الكتاب فيقولون.

أولا: إن كل المسيحيين هم كهنوت مقدس وجنس مختار ١ بط ٢ : ٥و٩ ويبنون على ذلك عدم وجود تمييز بين الشعب المسيحى وإنه لا يوجد اكليروس مخصوص فالجواب على ذلك أنه هو عين ما قاله قورح لموسى وهرون كل الجماعة مقدسة عد ١٦ : ٣ وإن اللّه قال أنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة خر ١٩ : ٦ وقد بنى قورح على ذلك إدعاء بأنه له الحق فى الكهنوت مثل هرون فعاقبه الله بالموت وعلمنا الرسول بأن المسيحيين كثيراً ما يرتكبون خطية قورح بقوله ويل لهم لأنهم... هلكوا فى مشاجرة قورح يه ١ : ١١ فبناء على ذلك لايمكن لأى طائفة من البروتستانت لها رعاة أن تدافع عن نفسها بهذا الإحتجاج الباطل وعلى فرضأانه صحيح فإنهم يميزون بين الرعاة

والشه ب وها هو مكتوب فى الإنجيل أن المسيحيين يدعون ملوكا وكهنة رؤ ١ : ٩ فهل كل إنسان يعتبر بمنزلة ملك؟

ثانياً: يقولون ولو فرضنا أن الخلافة الرسولية كانت موجودة غير أنها قد إنحلت وتلاشت على طول الزمان كما لو إنكسرت حلقة من السلسلة تتلف ولابد قد إنكسرت أكثر من حلقة. فالجواب إن من يتأمل فى هذه المسألة بتدقيق لا يقبل دعوى واهية كهذه لأنه قد اتخذت كل الاحتياطات اللازمة منذ الابتداء لمنع حصول ذلك وقد جعلت قاعدة عمومية بلزوم وجود ثلاثة أساقفة فى رسامة كل أسقف جديد ومع أن واحداً كان يكفى إلا أن العادة جرت بذلك لكى إذا اجتمع ثلاثة وكان إثنان منهم غير حقيقيين يكون الثالث حقيقياً فتصح الرسامة و هكذا إستمرت الخلافة الرسولية تتقوى وتمتد باضافة كل أسقف جديد إليها فتعسر إنقراضها فهى اذاً لا تشبه سلسلة مركبة من حلقات منفردة حتى لا تتلف بإنكسار حلقة بل هى كجديلة مركبة من آلاف حلقة مجدولة بعضها ببعض وكل حلقة مرتبطة بثلاث حلقات أو أكثر بحيث إذا انكسر جملة حلقات لا تتلف الجديلة.

ثالثاً: يقولون أنه ليس من العدالة أن نجحد الطقوس المؤلفة من رجال صالحين أتقياء بين قسوس البروتستانت فالجواب على ذلك أن هذا هو عين احتجاج الوثنيين اذ يقولون عندما ندعوهم الى الإيمان ليخلصوا أن رحمة الله واسعة لا تنحصر فى شئ واحد ولكن الرحمة والمحبة الحقيقيين هما قول الحق وإذا كان البعض نية صالحة ويغشون ذواتهم وغيرهم يتقلدون وظائف لا تخصهم فأعظم شفقة عليهم تحذيرهم من ضلالهم وفى الواقع أن البيعة ترى أن رعاة البروتستانت كما يرون ذاوتهم فانهم أولا لا يدعون أنهم مرسلون من الله. ثانياً لا يتجاسرون على تقديم جسد المسيح ودمه ولا على حل وربط الخطايا ولذلك

لا يعتقدون بهذه المزايا بما أنها غير معطاة لهم. على أننا لن ننكر أنهم يفعلون أحيانا الخير بطرقهم غير المنتظمة بكرازة جزء من الانجيل.

رابعاً: يقولون ولو سلمنا أن الخلافة الرسولية حقيقة واضحة فلا يهم وجودها بين الجماعة مادام يكرز بالإنجيل رجال أتقياء فالتقوى هى الخلافة الحقيقية. فنجيب أن الإنجيل يقضى علينا بطاعة المسيح وخدامه إلا أننا لا نجمع لأنفسنا معلمين مستحكة اذ انهم ٢ تى ٤ : ٣ وأما من جهة التقوى فلا دخل لها فى مادة الاحقية فأولاد عالى كانوا أشراراً ومع ذلك كانوا كهنة حقيقيين ١ صم ٢ : ١٢ ويهوذا كان شريرا ومع ذلك كان رسولا فهل يمكن لأحد ان يقيم ذاته كاهنا بداعى كونه أحسن من حفنى ويهوذا كلا لأن التقوى وحدها لا تعين الرجل راعيا شرعياً كما أن حسن التبصر ومعرفة الشرائع غير كافيتين فى جعل الرجل قاضياً بلا أمر الملك وكذلك لا يمكن التعدى على إغتصاب وظائف لم تمنح حسب الأصول »



الفصل الثاني

«الوظائف الكهنوتية»

قسم سر الكهنوت منذ ان رسم من الرب يسوع نفسه الى ثلاث درجات. الأولى الأسقفية. الثانية القسوسية والثالثة الشماسية ولكل واحدة من هذه الدرجات واجبات وحقوق ممتازة لا تشاركها فيها الأخرى. وللكنيسة على ذلك براهين ساطعة وأدلة دامغة لا تقبل النقض أو الجدل.

أولا: الرتبة الأولى «الاسقفية» قال الرسول لتلميذه تيموثاوس لا تضع يدك

على أحد بالعجلة ولا تشترك فى خطايا الكثيرين ١ تى ٥ : ٣٢ وقال اما القسوس الذين يتدبرون حسناً فهؤلاء ليحسبوا أهلا لكرامة مضاعفة ١ تى ٥ : ١٧ وقال لا تقبل شكاية على قس إلا على شاهدين أو ثلاثة شهود ١ تى ٥ : ١٧ ، ٢ تى ٢ : ٢ وما سمعته منى أودعه أناس أمناء الخ وكتب لتلميذه تيطس الذى أقامة أسقفا على كريت قائلا قد تركتك فى كريت لكى تقيم فى كل مدينة قسوسا تى ١ : ٥ فمن هذه النصوص الرسولية يستدل صراحة على ان الاساقفة ممتازون عن القسوس وإن لهم من الحقوق ما ليس لهؤلاء ففى النص الأول والاخير نرى ان الرسل قد منحوا خلفاءهم حق إقامة القسوس فى الكنائس. وفى الثانى أعطوهم حق مكافأة الذين يحسنون التدبير فى وظائفهم. وفى الثالث خولوا له حق محاكمة القسوس المشتكى عليهم وتوبيخهم. وفى الرابع أختيار الاكفاء لهذه الخدمة المقدسة وإيداعهم ما تعلموه منهم وفى الخامس أعطوهم حق إقامة الكهنة والشرطونية.

ثانيا: الرتبة الثانية «القسوسية» واضحة من عمل الرسل أنفسهم إذ أقاموا فى كل كنيسة قسوساً اع ١٤ : ٢٣ و ٢٠ : ١٧ وأوصوا الاساقفة ان يقيموا قسوساً فى كل مدينة «أما تسمية القسوس بالاساقفة فى اع ٢٠ : ١٧ و ٢٨ فلا ينفى الفرق بين الرتبتين فأن المقصود به مجرد المعنى الحرفى نظراً لوجود التناسب والتقارب بين معنى كل من الاسمين فالاسقف معناه الرقيب أو الناظر والقس معناه الشيخ وهو يتضمن ذلك فانه رقيب وناظر على الشعب أما الاسقف فعلى الجميع. والرسل انفسهم دعوا ذاتهم قسوساً ١ بط ٥ : ١ و ٢ يو ٢١ و ٣ يو ١ مع انهم اعطوا الاساقفة أمتيازاً خصوصيا عن القسوس وهو شرطنتهم ومحاكمتهم وغير ذلك كما رأيت. وهل من يستطيع ان يساوى بين الرسل وتلاميذهم فى الوظيفة او بين تيموثاوس وتلاميذه ١ تى ٥ : ١٧ و ١٩

وتيطس وقسوس كريت تى ١ : ٥ قال القديس إيبفانيوس لا يمكن ان يكون الاسقف والكاهن متساويين وقد علم الكتاب ما هو الاسقف وما هو الكاهن بقوله «لا تزجر شيخاً» ولا تقبل شكوى على قس إلا بشهادة أثنين أو ثلاثة هرطقة ٧٥ : ٥

ثالثاً : الرتبة الثالثة «الشماسية» قد تكلم عنها القديس بولس فى مطلع رسالته الى فيلبى فقال من بولس الى جميع القديسين فى المسيح يسوع الذى فى فيلبى مع أساقفة وشمامسة ١ : ١ وقال لتلميذه تيموثاوس فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم. كذلك يجب أن يكون الشمامسة ذوى وقار الخ ١ تى ٣ : ٢ و ٨ و ١٢ راجع رو ١٦ : ١.

هذه آيات ولا بأس من أن نشفعها بأقوال الآباء الرسولين أولا. وقوانين المجامع المقدسة ثانياً. وشهادات البروتستانت ثالثاً.

أولا: أقوال الآباء. قال القديس اكليمنضس «إن الذين يقدمون قرابينهم فى أوقاتها المعينة هم مقبولون عند الرب فإنهم إذا تبعوا شرائعه لا يخطئون لأن رئيس الكهنة أعطيت له خدم خصوصية والكهنة تعين لهم مكان خصوصى والشمامسة لهم خدم خصوصية وأما العامى فهو مرتبط بالأوامر الخاصة بالعوام «رسالته الى كو ف ٤٠ وقال القديس أغناتيوس : إتبعوا الأسقف كلكم ـ كما تبع المسيح أباه ـ والكهنة كالرسل واكرموا الشمامسة حسب وصية الله رسالته الى أزمير ف ٣.

ثانياً : قوانين المجامع : جاء فى ق ١٨ لمجمع نيقية. وليلبث الشمامسة ضمن حدودهم عالمين أنهم خدام الأسقف. وأقل رتبة عن القسوس وفى ق ٢ للرسل قيل كل أسقف أو قس أو شماس قدم على المذبح أشياء أخرى مغايرة

لفريضة الرب الخ راجع قانون ٤ ـ ٨، ٣١ ـ ٣٣ وق ٥٦ اللاذقية يأمرالقسوس أن لا يتقدموا على الأسقف بل يتبعوه راجع أيضا ق ٢٠ و ٥٧

ثالثاً : شهادات البروتستانت: قبل أن نأتى على شهادتهم تذكر شهادة علماء الكنيسة الأسقفية فقد قال أحد قسوسها فى نبذة له عن الخلافة الرسولية(١) «إن ربنا يسوع المسيح قد اتى الى هذا العالم ليؤسس مملكة على الارض واختار الاثنى عشر رسولا ليكونوا رؤساء عليها مت ١٠ : ١ وأعطى لهؤلاء الرسل إرساليه مثل إرساليته بقوله كما أرسلنى الآب أنا أرسلكم «يو ٢٠ : ٢١» وبعد ذلك أضيف إليهم رسل آخرون ممنوحين بعين القوة التى أعطيت للرسل الذين قبلهم وذلك بتوسط إلهى. أولا مار متياس بواسطة إلقاء القرعة اع ١ : ٢٣ ثم مار بولس ومار برنابا بموجب امر صدر مباشرة من الروح القدس اع ١٣ : ٢ وبموجب إرسالية الاحد عشر الذين زيدوا عليهم كرسوا شمامسة اع ٦ : ٥ وقسوساً لكل كنيسة اع ١٤ : ٢٣ وكانوا أيضاً يكرسون رجالا رسولين لينوبوا عنهم فى إدارة رعاة البيعة وبهذه الكيفيه لم يرسل بولس للرسول تيموثاوس وتيطس فقط بل أعطاهما السلطان أيضا ليكرسا رسلا آخرين ٢ تى ٢ : ٢ ، تى ١ : ٥ ومما ذكر يتضح جلياً أنه لا يتأتى لأى انسان أن يقلد نفسه وظيفة الكهنوت لا حسب شريعة التوراة ولا الإنجيل كا قال الرسول ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل الدعوة من الله كما هرون أيضاً عب ٥ : ٤ ولا يمكنه أن يقبلها ممن ليس لهم الحق فى منحها كما فعل ميخا قض ١٧ : ٥ ويربعام ١ مل ١٣ : ٣٢ وقال الرسول عن دعاة ورعاة زمانه الكاذبين لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ما كرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح

(١) نشرت باللغة العربية فى مصر حوالى سنة١٨٩١ م باقرار من المتنيح الايغومانوس فيلوثاوس عليها واعتماده لها راجع مرآة الحقائق وجه ٦

٢ كو ١١ : ١٣ وقال الروح القدس عنهم. أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك وإنك لا تقدر أن تحتمل الأشرار وقد جربت القائلين أنهم رسلا وليسوا رسلا فوجدتهم كاذبين رؤ ٢ :٢

«وقد تحفظت البيعة المسيحية فى جميع أنحاء العالم على الثلاث وظائف المذكوة مدة ١٥٠٠ سنة بعد المسيح إنما اكراماً للرسل الأولين قد استصوبت عدم استعمال كلمة رسول لخلفائهم وكانت تسمى رؤساء الاكليروس أساقفة. وهذا الإسم يعطى فى الإنجيل لثانى درجة من الاكليروس أعنى بهم القسوس فى ١ : ١ وكان محصوراً فى الأساقفة حتى تكريس آخرين لوظيفتهم أو لوظائف أدنى منها. وكما أن الكهنة المتناسلين من الكهنة الحقيقيين في الشريعة اليهودية تتألف منهم سلالة هرون كذلك تتألف الخلافة الرسولية من الآساقفة والقسوس المسيحيين الذين رسموا لوظائفهم من جيل إلي جيل.

«نرى الاكليروس المؤلف من الثلاث وظائف المذكورة أى الأساقفة والقسوس والشمامسة ــ قائماً بأداء وظيفته من بعد موت الرسل وذكر ذلك مار اغناطيوس تليمذ مار يوحنا وصاحبه ومار إيريناوس تلميذ ماربوليكاربوس أحد تلاميذ ماريوحنا الذى مات شهيداً سنة ١٨٧م. ماراكليمندس تلميذ بولس ومعاونه فى ٤ : ٣ يخبرنا جليا أن الرسل لما ترأى لهم إنه ستحصل منازعات من جهة رعاية البيعة قد استصوبوا وقرروا إنتخاب آخرين لينوبوا عنهم وأوصوهم بتعيين خلفاء لهم بعد وفاتهم حرصا على بقاء الخلافة الرسولية وقد صار اتباع هذا الأمر مدة ١٥٠٠ سنة وإلى الآن عند جميع المسيحيين ما عدا بعض طوائف قليلة وتعرف بالبروتستانات. وإن كان العلمانيون وقد استمروا محافظين على الإنتخاب الذى أعطى لهم عند رسامة الشمامسة اع ٦ : ٣ وهذه هى الطريقة الوحيدة التى يمكن بواسطتها للانسان الغير مرسل مباشرة من اللّه أو

بمعجزة منه تعالى الانتماء لطائفة القسوسية وبناء على هذا لا توجد أى طائفة من البروتستانت يمكنها أن تدعى بهذه المزية فيها وأغلب طوائفهم لايدعون بذلك قط».

هذا ما قاله أحد قسوس الكنيسة الأسقفية بالحرف الواحد وهو كاف للاقناع. طالع ايضا ما جاء فى كتابهم الصلوة العامة عن رسامة الشمامسة والقسوس من وجه ٤٨٣ ـــ ٥٢١.

وإن البروتستانت يقرون ويشهدون بهذه الحقيقة فقد قال موسيهم «فمع هذا كله لم تطل المدة الا وزادت العضوية الأسقفية اتساعا وسطوة لأن الأساقفة الذين سكنوا المدن أما بأتعابهم أوبأتعاب قسوسهم إستحدثوا كنائس فى القرى والمزارع المجاورة وهذه الكنائس إستمرت تحت حماية أو مناظرة الاساقفة الذين بخدمتهم أو عن يدهم قبلت الديانة المسيحية ورويداً رويداً نشأت ولايات كنائسية سمتها اليونان بعدئذ أبروشيات ك ١ قرن ١ قسم ٢ ف ٢ وجه ٣٢. وقال أيضاً أن نظام سياسة الكنيسة الذى إبتدأ فى القرن السابق «الأول» تقرر وتثبت فى هذا القرن بأكثر همة ونشاط فى كل أجزائه فكان رئيس واحد أسقف يتنصب على كل كنيسة من الكنائس وتنصبه عليها باستدعاء عام من الشعب وكان عليه أن يهتم على كل مصالح الكنيسة مع الشيوخ «القسوس» الذين لم تتعين كميتهم ويفرض لكل منهم مركزه وكان تحت رئاسة الأسقف والشيوخ أيضاً الشمامسة أو الخدام. ك ١ قرن ٢ قسم ١ ف٢. وكان الأسقف أو القسوس تحت أمره يعمدون مرتين فى السنة أى فى عيد الفصح والأحد الجديد «أحد توما» الذى بعد الفصح الخ ف ٤ وجه ٧٦. راجع أيضاً شهادة السيدة بوتشر وجه ٢٨٩.

ثبت من البراهين التى تقدمت ومن شهادات البروتستانت أنفسهم أن الرتب العليا فى الكنيسة منذ العصر الرسولى ثلاث. أسقف وقس وشماس» وأنها أقيمت فى الكنيسة بحق إلهى لا بحق كنائسى ـــ أعنى أنها أسست ورتبت لابناء على مجرد استحسان المؤمنين بل من الله نفسه، وقد حافظت الكنيسة على هذا النظام الإلهى المقدس كل المحافظة إلى الآن وستبقى كذلك إلى يوم مجئ الرب الثانى. هذا ومما تجب ملاحظته.

أولاً:ان هذه الرتب كانت موجودة في كهنوت العهد القديم الذي تغير بأكمل منه في العهد الجديد أى كان فيه أحبار وكهنة ولاويون راجع خر ٣٠ : ١٣ ـ ١٥ وعد٤ :١ الخ. نح ٣ :١

ثانياً : ان هذه الرتب الثلاث تشبه رتب الطغمات العلوية فإنها ثلاث أيضاً بخلاف الرتبة التى عصت الله خالقها فسقطت من رياستها ولذا يقول القديس اكليمنضس الاسكندرى «ان درجات الأسقف والكهنوت والشمامسة تشبه بحسب رأيى المجد الملائكى. فى البديعات ٦ : ١٣

ثالثاً : ان كل رتبة من هذه الرتب الثلاث ينطوى تحتها ٣ درجات أو أصناف فتكون جملتها ٩ على مثال رتب السمائيين فإنها ثلاث رتب وكل رتبة منها ثلاثة أصناف فالرتبة الأولى وتشمل الكاروبيم حز ١٠ : ١٨ والسرافيم اش ٦ : ٢ والعروش كو ١ : ١٦ والثانيه وتشمل الرياسات والسادات والسلاطين كو ١ : ١٦ والثالثة وتحتوى على القوات ١ بط ٣ : ٢٢ الملائكة ورؤساء الملائكة رو ٨ : ٣٨ و ١ تس ٤ : ١٦ ولنأخذ فى الكلام على كل منها.



الفصل الثالث.

«الرتبة الأولى بدرجاتها الثلاث»

هذه الرتبة هي العلياء في الرتب الكنائسية وتخص الرؤساء البطاركة والمطارنة والأساقفة ـ وهؤلاء على إختلاف أسمائهم أو درجاتهم يدعون رؤساء لأنهم يرأسون الكهنة والشمامسة والرعية ومدبرين ومعلمين ١ تى ٤ : ١٦ ، ٦ : ١٢ ـ ٢١ ، ٢ تى ٤ : ٢ ـ ٥ راجع ق ٥٨ للرسل.

وقد وجدت هذه الدرجات الثلاث بطبيعة الحال في بدء النصرانية بشهادة التاريخ الكنائسى وأقوال المجامع المسكونية.

فالتاريخ يدلنا على أنه لما إمتد الإيمان إلى المدن والقرى وكثر عدد المؤمنين عين الرسل لكل مدينة أو كنيسة كبيرة مشتهراً أسقفاً كان يتولاها ويرعاها بنفسه فبولس أقام تيموثاوس أسقفاً على أفسس وتيطس على كريت وغيرهما في أماكن أخرى وكان هو يعين من عنده للقرى والمزارع المجاورة له كهنة «قسوس» بواسطة التزكية والصلوة ووضع اليد. ولما اتسع نطاق الكرازة وإنتشرت المسيحية في بلاد كثيرة وتكاثر المؤمنين ولم يعد في إمكان أسقف المدينة القيام بجميع واجبات الأسقفية من حيث تعليم الرعية وتدبير شؤونها وإفتقادها وتعهد الكنائس المجاورة له دعت الضرورة أن يقيم أساقفة المدن أساقفة آخرين في المدن والقرى مساعدين لهم وتحت مناظرتهم في سياسة رعيتهم وهؤلاء يدعوهم التاريخ «خوربيسكوبوس» أى أساقفة المسارح «فتألفت بذلك علاقة تابعية بين الأساقفة وبعضهم وعلاقة إمتياز فهم بين رئيس ومرؤوس وأعلى وأدنى لا في الرتبة الأسقفية بل في العلاقات الإدارية وأما في الرتبة الأسقفية فكانوا مساوين

له فكان هو رئيساً ومقدما عليهم وأولهم وهم كانوا رؤساء على ما دونهم من القسوس «تاريخ الإنشقاق».

هذا ولأن مركز رئيس أساقفة القرى والمزارع صار ممتازاً عن سواه أما نظراً لأنه علة إيمان المدن والقرى المجاورة له أو لشهرته وأهميته أولموقعه الجغرافى أو لكثرة مؤمنيه سمى «ميتروبوليتاً» وسميت مدينته «ميتروبوليس» وهى كلمة يونانية معناها المدينة الأم[1] بالنسبة إلى مدن أخرى أخذت عنها الإيمان كما ذكرنا إشارة إلى أنها ولدتها فى الإيمان. ثم إتسع معنى كلمة متروبوليس إلى أكثر من ذلك فصارت كل مدينة متقدمة على مدن غيرها فى مقاطعة أو ولاية أو أبرشية[2] تسمس متروبوليس بمعنى العاصمة إما نظراً لكثرة مؤمنيها أو لأهميتها. وهكذا لفظه ميتروبوليت المعروفة عندنا بالمطران معناها أسقف المدينة الأم أو أسقف المدينة المتقدمة «مجمع سرديقية ق ٦» أما عاصمات الممالك[3] أو المراكز التى كان أحد الرسل أسقفاً عليها قد قضت الطبيعة بأن يكون اسقفها ذا امتيازات خصوصية وله التقدم على كل أساقفة ومطارنة المدن

---

(١) وقد خصت فى أصل وضعها بالمدينة الأصلية التى رحل منها قوم وأقاموا مدينة جديدة غيرها فكانت المدينة القديمة أما الجديدة إبنه لها أى مولود بها أو موجودة فيها وعلى هذا المعنى سميت أيضاً الكنائس بالأم ومدينتها ميتروبوليس.

(٢) «أبروشية لفظة يونانية معناها فى الأصل المكان المرؤوس من الآبارخوس وفى الاصلاح المدنى معناها المتصرفية أو القضاء أو المديرية والمقاطعة وهى مشتقة من كلمة أبارخوس ومعناها الرئيس أو المتسلط ومنها سميت أقسام السلطة الروحية أبروشيات وعم الاسم على كل رعية كنائسية بالنسبة إلى راعيها سواء كان أسقفاً أو رئيس أساقفة أوميتربوليتيا أو بطريركا أحياناً»

(٣) نظم الياقوت ف ٣و٤

والابروشيات المجاورة لمركزه كما أن مركزه كان ذا أهمية أكثر من غيره. وقد اشتهر قديماً من هذه المراكز الرسولية أورشليم وانطاكية واسكندرية وكورنثوس وأفسس ورومية. غير أن هذه المراكز أهميتها لظروف أخربتها ففقد أساقفتها ماكان لهم من الحقوق والامتيازات على غيرهم وانتقلوا إلى مراكز أخرى أسسوا فيها مراكزهم الرسولية كما جرى ذلك بأفسس وكورنثوس وأنطاكية ولما نقل قسطنطين الملك تخت المملكة إلى البيزنطية التى سميت بعد ذلك القسطنطنية ونقل إليها كرسى أسقفية أفسس صار مركز أسقفها فى درجة المراكز الرسولية

هذا وقد كان الأساقفة هذه المراكز أسماء خاصة فكان بعضهم يسمى بطريركا[٢] كأسقف أنطاكية والبعض الآخر يسمى بابا كأسقف إسكندرية وغيرهما يسمى حبراً «إسم مأخوذ عن استعمال قديم للكهنة الوثنيين فى رومية» كأسقف رومية.



(١) قال صاحب تاريخ الانشقاق. أما لفظة بطريرك فهى يونانية الأصل وصحتها باتريارشيس مركبة من «باتريا» أى العشيرة وأرشيس أى الرئيس ومعناها رئيس العشيرة وأول من سُمِّى بهذا الإسم رؤساء عشائر اليهود فإنهم بعد خراب أورشليم وتشتت شملهم فى المدن المتفرقةو خصوصاً فى إسكندرية اصطلحوا أن يقيموا عليهم مقدمين ورؤساء كانوا يسمونهم بطاركة أى رؤساء عشائر أو قبائل. ثم إن للكلمة على رأى البعض معنى آخر هو رئيس الآباء أو أب الآباء ولكنه ليس المعنى الحقيقى لأنها لو كانت على هذا المعنى لكان يجب أن تلفظ باترارشيس لا باتريارشيس ويظهر أن الذين ذهبوا على أن الفظة بابا أب آباء ترجمت عنها اعتبروها على هذا المعنى غير أن قواعد الاشتقاق المعنى الأول. وروى بعض المؤرخين ان القديس باسيليوس الكبير أول من سمى باباوات اسكندرية بطاركة حيث كتب عن اسكندر بابا اسكندرية وسماه بطريركا. مقدمة تاريخ ملاتيوس ف ١٦.

الفصل الرابع

«الرتبة الثانية «القسوس أو الكهنة» بدرجاتها»

هذه الرتبة وهى الوسطى تخص الكهنوت وينطوى تحتها خوربيسكوبوس. وأبروطس. وقس وقد وجدت هذه الدرجات الثلاث فى الكنيسة منذ القديم بشهادة التاريخ الكنائسى أولا وأقوال الآباء والمجامع ثانيا وشهادات البروتستانت ثالثاً.

أولا: يشهد التاريخ بأن الرسل عينوا فى كل مدينة أسقفاً كما تقدم وكان هذا الأسقف يعين من طرفه للمدن والقرى والمزارع المجاورة له أناساً أمناء أكفاء

---

(١) قال صاحب تاريخ الانشقاق فى وجه ٣٠. أما لفظة بابا فمن الواضح أنها ليست كلمة لاتينية ولا غربية بل شرقية محضة وأول من سمى بها أسقف اسكندرية من أبناء أبروشيته فى القطر المصرى وفى اسكندرية عينها. قال المحققون إنها كلمة عربية الأصل مترجمة عن كلمة بطريرك الأعجمية التى كان يسمى بها أسقف انطاكية وحده. قال افتشيوس بطريرك اسكندرية وهو سعيد بن بطريق من رجال القرن العاشر ان كلمة بابا مركبة من أب آباء ثم استدرجت إلى بابا وخففت بلفظة بابا فى تاريخه صحيفة ١٦٩١ ولكن آخرين ذهبوا الى أنها كلمة يونانية الأصل مأخوذة من باباس معناها الآب فقط. قال صاحب دائرة المعارف وهى لفظة معناها الآب وكان يستعمله النصارى الشرقيون لقباً للقسوس. والرأى المصيب والمتفق عليه وهو أن هذا الاسم خص أولا ببطريرك الاسكندرية ثم انتقل من كرسى اسكندرية إلى كرسى أفريقية ومنها إلى كرسى رومية وكرسى الغرب إجمالا على ألسنة الأفريقيين كما ذكر سعيد ابن بطريق المشار إليه بقوله ثم انتقل الاسم بابا من كرسى اسكندرية إلى كرسى رومية «راجع الجزء الأول».

ليعلموا آخرين ٢ تى ٢ : ٢ وليكونوا عضداً له فى تدبير شؤون المؤمنين الداخلين فى حدود أبروشيته وتحت رعايته والذين اعتنقوا الإيمان على يده وهؤلاء يدعون خوربيسكوبوس وابروطساً وقساً. فالخوربيسكوبوس كان يسام كخليفة لأسقف المدينة على القرى والمزارع كما يدل عليه اسمه اليونانى الأصل فإن معناه أسقف المسارح وقد أعطيت له سلطة أن يقسم الأبردياكن والأغنسطس والابصليدس ق ١٠ لمجمع انطاكية. وأن يدير الكنائس التى تحت رعايته وكان يمكنه أن يرسم قسوساً ولكن بإذن رسمى من أسقف المدينة الخاضع لها ق ٩ لانطاكية و ١٣ لأنقره.

على أن وظيفة خوربيسكوبوس ألغيت عندنا الآن واستعيضت بوظيفة قمص. وهو المدعو ابروطس. عند اليونان» وهى لفظة يونانية معناها نائب الأسقف. والايغومانوس «القمص» كذلك يونانية الأصل ومعناها كبير القسوس أو مدير ولا فرق بينه وبين الخوربيسكوبوس إلا من حيث الشرطونية قابل ق ٥٧ لمجمع نيقية ولذا تعتبر وظيفته دون أسقف المسارح وإنما له أن يقضى فى بعض الأحكام والقضايا وما أشكل عليه يرفعه الى اسقفه ليحكم فيه. قال مجمع لاذقية «لا ينصب على القرى أسقف بل ابروطس» وله ايضاً أن ينوب عن الأسقف فى غيابه ويكرس المذبح والمعمودية ولكن باذن أسقفه قال أحد العلماء ولا يبعد أن تكون كلمة خورى التى يخص الطوائف بها بعض القسوس المتزوجين المتقدمين والتى عندنا فى مقابلة كلمة اغومانوس هى مقطوعة من خوربيسكوبوس فإنه يوجد برهان قوى على أن هذه الوظيفة الأخيرة «وقبل مجمع نيقية الذى حصرها بالرهبان كما يتضح من مطالعة ق٥٨» كانت على الغالب تقلد للقسوس المتزوجين» أما قس فهى لفظة سريانية معناها الشيخ الكبير

وقد جاءت فى الكتاب بهذا الاسم وبهذا المعنى راجع ١ بط ٥ : ١ و ٥ ، ٢ يو ٢١.

ثانياً : تؤيد أقوال الآباء ذلك ونكتفى منها بما قاله القديس باسيليوس الكبير مخاطباً الخوريبسكوبوس عن وجوب فحص خدام الكنيسة قبل قبولهم فيها وهو أنها لعادة جارية فى كنائس الله قديماً وهى أن خدام الكنيسة بعد اختيارهم بكل تدقيق يقبلون فى الخدمة وكان يجرى الفحص الكلى عن كيفية تصرفهم. وهذا الفحص كان منوطاً بالقسوس والشمامسة الساكنين معهم وهؤلاء يعرضون ما يتصل إلى علمهم إلى الخوريبسكوبوس» الذى بعد أن يقبل من وقع عليه الإختيار وبواسطة الشهادات الصادقة وبعد أن يعلم الأسقف بذلك يحصى الخادم فى طغمة الكهنوت الخ.... هذا وقد أثبتت المجامع ذلك كما تكلمت عن حقوق وواجبات كل منهم راجع ق ٩و ١٢ لانطاكية و ١٣ لأنقره و ٥٧ لنيقية و ١٣ و ٥٦ للاذقية الخ.

ثالثاً: اعتراف البروتستانت ذلك فقد قال موسهيم. والذين سلمتهم أساقفة المدن سياسة وتعليم كنائس القرى والمزارع دعوا «قس خورى ابيسكوبى» أى أساقفة المسارح والحقول وكانوا فى الرتبة الوسطى بين الأساقفة والقسوس فكانوا دون الأساقفة لأنهم يخضعون لهم وفوق القسوس لأنهم تصرفوا بحكمتهم ونباهتهم وعملوا كل واجبات الأساقفة ك ١ قرن ١ قسم ٢ ف ٢ وجه ٣٢. وقال. لما انتظمت الكنائس المسيحية وترتبت تحت قوانين كان يحق للأسقف وحده بأن يعمد كل الداخلين حديثاً الى الكنيسة غير أنه على تمادى الوقت حين إتسعت حدود كنيسته كان يمنح هذا الحق للمشيخة أو لأساقفة القرى والمزارع حافظاً لذاته تثبيت المعموديات التى مارستها المشيخة ف ٤ وجه ٤٣.

الفصل الخامس

«الرتبة الثالثة» الشماسية[1] بدرجاتها»

هذه الرتبة ينطوى تحتها ثلاث درجات. أبودياكن. أغنسطس أبصليتس. وهى أاقل من الرتبتين السابقتين ويتضح ذلك: أولا : من الكتاب المقدس: فإن القديس بولس يذكرهم بعد الأساقفة ١ تى ٣ : ٢ و ٨ وفى ١ : ١ : و٢.

ثانياً : من أقوال الآباء : فالقديس اغناتيوس يقول أن الشماس مرؤوس من الأسقف ومن الكهنة بنعمة يسوع المسيح وشريعته فى رسالته الى منفيسيا ف٢.

---

(١) شماس لفظة سريانية معناها خادم ويطلقها النصارى على أول درجات الكهنوت وهى قديمة العهد فى النصرانية فإن حوارى المسيح انتقوا من بعد صعوده إلى السماء ٧ شمامسة من المؤمنين ليعينوهم فى خدمة الدين. ثم ازداد عدد الشمامسة فى كل البلاد التى انتشرت فيها النصرانية حتى أن يوستينوس رغب فى إقامة ١٠٠ شماس فى القسطنطينية ولكن مجمع قيصرية منع إقامة أكثر من ٧ شمامسة فى مدينة واحدة. وكان الشمامسة يعاونون الكهنة فى الكنائس وتوزيع الصدقات والوعظ وغير ذلك وفى أواخر قرن ٤ قرروا أن لا يعمل شماس إلا من أتم الثلاثين من عمره وفى قرن ٩ جعلوا سن الشمامسة ٢٥ فما فوق. وقد كانت ولا تزال جميع وظائف الكهنوت عند النصارى للرجال ومع ذلك فقد أقاموا فى أوائل عهد الكنيسة شماسات ينبن عن الكهنة فى بعضأامور ولم يكن ينتظمن فى هذا السلك إلا بعد بلوغ الستين «راجع ١ تى ٥ : ٣و ٩ ـــ ١١ «وكن فى الغالب عذارى وأرامل لزوج واحد وفى القرن ٦ أخذ إستخدام الشماسات فى الإضمحلال حتى بطل تماماً فى القرن ١٢ فى الكنيسة الغربية وفى القرن ١٣ فى الكنيسة الشرقية أ هـ دائرة المعارف مجلد ١٠ وجه ٥٧٢»

ثالثاً : من أقوال المجامع: راجع نص ق ١٨ لمجمع نيقية في الفصل الأول.... وكذلك ق ٢٠ للاذقية و٧٥ لابوليدس و٥٧ من ٧١و٣٤ دسقولية.

وللشمامسة بدرجاتهم الثلاث واجبات. منها أن يعلموا الشعب ويعظوا بالإنجيل فى الكنيسة ولكن بإذن الأسقف راجع اع ٦ : ٥ ، ٨: ٤، ٢١ : ٨ وأن يوزعوا الصدقة على الأرامل اع ٦ : ١ ـ ٤. وأن يحملوا الكأس ويقربوا الشعب ق ٣١ لابوليدس. ليس لأنهم كهنة بل خدام الكهنة ٥٥ ـ ٧١ للرسل. وإن يقوموا خادمين ومنذرين للصلوة بين أيدى الكهنة ق ٦٢ لنيقية و ٧٤و ٧٥ دسق. وأن يفتقدوا المرضى والمتضايقين لاطلاع الاسقف على أحوالهم ليفتقدهم ق ٤٥ من ٧١ و ٣٠ من ٥٦ وإذا لم يحضر القس فى الولائم لهم أن يصلوا عوضه ويكسروا الخبز للبركة ويوزعوه ق ٣١ من ٧١ للرسل ـ ولكن لاحق لهم فى إقامة الأسرار والخدم الكنائسية. أوامر الرسل ٨ : ٤٦ وق ٧١ للرسل «لأن وظيفتهم المساعدة لا التتميم كما يقول القديس ديونيسيوس. وبالإجمال هم مساعدو الكهنة يوستينوس احتجاج ١ : ٨٥ و ٨٧ وبمثابة عين وإذن للأسقف أوامر الرسل ٣ : ١٩و ٤٤ أيدى لرؤساء الكهنة ليقيموا معهم وبرضاهم الخدمة الإلهية كبريانوس رسالة ٤٤

أما الابودياكن «تابع الشماس أو المعين» والأغنسطس «القارى» والإبصلتيس «المرتل» فليس لهم أن يعملوا سوى ما تدل عليها أسماؤهم لفظا ومعنى راجع ق ٢١، ٢٢، ٢٣ اللاذقية ـ فللابودياكن أن يخدم الشماس ويحمل الكتب ويصلح المصابيح فى القداس. وللقارئ أن يقرأ الكتب. والمرتل ان يرتل فقط. هذا وقد شهد موسهيم بوجود هذه الرتب فى الكنيسة منذ القديم إذ قال. وكان تحت رياسة الأسقف والشيوخ أيضاً الشمامسة أو الخدام الذين انقسموا إلى

رتب إذ لا يمكن أن شخصاً واحداً يقوم بكل مصالح الكنيسه المطلوبة ك ١ قرن ٢ قسم ١ ف ٢ .



الفصل السادس

«شرح رسامة الشماس والقس»

قلنا سابقاً ان الكهنوت سر مؤسس من الرب يسوع نفسه وإن الرسل كانوا يتممون هذا السر للأكفاء من المؤمنين ونقول الآن أنهم ما كانوا يشرطنون أحداً إلا بعد انتخابه وفحصه فمن وجد لائقاً لأية درجة من درجات الكهنوت المتنوعة رقى إليها ١ تى ٣ : ١ ـ ١٠

أما الانتخاب فكان على طريقتين إما بالقرعة الهيكلية اع ١ : ٢٥ أو بالاختيار المطلق بواسطة الرعاة والرعية معاً اع ٦ : ٢ و ٣ ، ١٤ : ٣٣ واتخذ ذلك عن الرب يسوع نفسه مت ١٠ : ١ وعليه سارت الكنيسة منذ القديم فى إقامة الرعاة فإنها متى أرادت إقامة شماس أو قس تنتخبه من أصحاب الدرجات الصغرى متى كان حائزاً للصفات التى ذكرها الرسول ١ تى ٣ : ١ ـ ١٠ وأهلا لهذه الخدمة المقدسة وبعد اختباره الدقيق يؤتى به إلى الأسقف لرسامته. ذلك لأن حق الشرطونية «أى وضع اليد» خاص بالأساقفة وحدهم كما سترى.

أولاً : إن الرسل هم الذين شرطنوا أساقفة ٢ تى ١ : ٦ وكهنة اع ١٤ : ٢٣ وشمامسة اع ٦ : ٥و٦ وقد أعطوا هذا الحق للأساقفة الذين أقاموهم خلفاء لهم ١ تى ٥ : ٢٢ ، تى ١ : ٥.

ثانياً: جاء في الأوامر الرسولية ما يثبت ذلك. راجع ك ٣ :٢ و٨ :٤٦ وق ١و٢ للرسل و١٩ لنيقية و٩لإنطاكية.

ثالثاً : شهادة آباء الكنيسة بذلك فقد قال الذهبى فمه «إن الأساقفة يسمون على القسوس بالشرطونية فقط» والقديس أبيفانيوس يقول إن درجة الأساقفة تمتاز بنوع خاص بأنهم يلدن آباء لأن تكثير الآباء فى كنيسة المسيح يختص بالأساقفة وأما الرتبة الثانية «الكهنة» فلا يمكنها أن تلد آباء ومعلمين وكيف يمكن أن يشرطن كاهنا آخر وليس سلطان الشرطونيه هرطقه ٧٥ : ٤.

رابعاً : إجماع سائر الكنائس المسيحية فى العالم عليه والبروتستانت أنفسهم يعترفون به راجع شهادتهم فى الفصل الأول وموسهيم ك ١ وجه ١١١

أما كيفية رسامة الشمامسة فهى على الترتيب الآتى:

بعد صلوة الصلح يقدم رئيس الشمامسة «أوالقس» الشخص المرغوب رسامته إلى الأسقف المباشر الصلوة إذ ذاك وحالما يدنو من الهيكل يجثو على ركبتيه امام الله وقدام مذبحه.

يقدمه رئيس الشمامسة «أو القس» لأنه خادم أسرار المسيح ونرى فى سفر الأعمال أن التلاميذ بعد أن انتخبوا الشمامسة أقاموهم أمام الرسل لرسامتهم اع ٦ : ٤و٥ أما ركوع الشماس «أو القس العتيد» للدلالة على خضوعه لله الذى دعاه إلى خدمته وكأن به يقول مع الرسول. احنى بركبتى أمام ربى يسوع المسيح الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته.. لخدمته حسب مسرة مشيئته غل ١ : ١٥ واف ١ : ٥

ثم يسأل الأسقف مقدميه وشعب الكنيسة المزمع رسامته عليها هل هو كفء لهذه الدرجة ومستحق لها؟ وذلك.

أولاً : لأخذ شهادتهم علناً أمام اللّه وكنيسته بكفاءته واستحقاقه.

ثانياً : لأنه أمر أن لا يقيم إلا الأكفاء ٢ تى ٢ : ٢ والمشهود لهم ١ تى ٣ : ٧ و ١٠ ، اع ٦ : ٣.

ثالثاً : لتكون رسامته باتفاق واجماع الكنيسة «رعاة ورعية» والإجماع دليل على إختيار النعمة ورضى اللّه ومسرته كما يقول القديس ديونيسيوس.

رابعاً : ليتبرأ من تهمة التحيز والمحاباة وعدم إشتراكه فى خطايا الكثيرين ١ تى ٥ : ٢١و٢٢.

ثم يبدأ الأسقف بالصلاة قائلا. فلان شماس «أو قس» على بيعة اللّه ويرشمه بإشارة الصليب بإسم الثالوث الأقدس «راجع شرح ذلك فى صحيفة ١٠٩ وإذا كان المرسوم شماساً فيقص من شعر رأسه على شكل صليب.

قص الشعر يشير روحياً إلى نزع الإنسان العتيق اف ٤ : ٢٢ وقطع شعور عوائده الردية بسيف الروح الذى هو كلمة اللّه وبالصلوة. أما قص الشعر من الجبهة الأمامية. فإشارة إلى نزع الأوهام والتخيلات الفاسدة لأن الجبهة مقر المخيلة. ومن الجهة الخلفية إشارة إلى نزع الأفكار العالمية التى كان متردداً بها لأنها محل الذاكرة أما قصة من أعلى الصدغين فإشارة إلى صون العقل عن الإرتباك بأعمال الحيوة ٢ تى ٢ : ٤ التى تعيق المرسوم عن الاتحاد باللّه لأنهما مقر الدماغ الذى هو مركز العقل...

أما قصة على شكل صليب وبذكر الثالوث الأقدس فذلك للدلالة على النعم والمواهب التى أعطيناها باستحقاقات موت الرب على الصليب[1]

ثم يرفع البخور ويصلى صلوة الشكر فالطلبة ثم يقول رئيس الشمامسة أو

---

(١) شرح الشرطونية السريان.

القس نعمة ربنا يسوع المسيح المكملة لضعفنا وبمسرة الله الآب والروح القدس تحل على فلان الخ ـ فيجاوب المرتلون آمين.

إنه وإن كان حق الشرطونية خاصاً بالأساقفة وحدهم إلا أن الكنيسة تأمر باشتراك رئيس الشمامسة أو الكهنة مع الأسقف لأن الشماس خادمه وسفيره ومساعده والكاهن خادم لأسرار المسيح. أما نسبة النعمة إلى الرب يسوع فلأننا به أوتينا الإيمان وسائر النعم يو ١ : ١٥ ورو ٥ : ١٥ وكو ٤ : ٥ (١).

ثم يضع الأسقف يده عليه ويتلو الطلبة

إن القسم المنظور فى سر الكهنوت يقوم بأمرين أولهما «وضع اليد» وثانيهما «الصلوة» والأدلة على ذلك كثيرة منها.

أولا : الكتاب المقدس يشهد بأن الشرطونية كانت تتم بوضع الأيدى والصلوة معاً سواء للدرجة الأسقفية اع ١٣ : ٣ ، ١ تى ٤ : ١٤ ، ٢ تى ١ : ٦ أو القسوسية اع ١٤ : ٢٣ ، ١ تى ٥ : ٢٢ أو الشماسية اع ٦ : ٦ ومن هذه النصوص تقول أن الدرجات الممتازة كانت تتم بخدمة دينية منظورة وهى الصوم والصلوة ووضع اليد وإن المتكرس بواسطة ذلك ينال موهبة خصوصية تميزه عن سواه.

ثانياً : الأوامر الرسولية تنص عن ذلك. فقد جاء فيها أيها الأسقف عندما تشرطن قساً ضع يديك على رأسه ك ٨ : ١٦و١٧ وكذلك المجامع المسكونية والمكانية راجع ق ٥ و ١٩ لنيقية و ١٣ لأنقره و ١٠ لإنطاكية و ٣٦ و ٥٩ و ١٠٠ لقرطجنة.

---

(١) راجع شرح ذلك فى ب ٤ فى الجزء الأول.

ثالثاً : آباء الكنيسة يؤيدون هذا التعليم كديونيسيوس ك ٤ : ٢٠ وأمبروسيوس ر ٢ ك٦

رابعاً : إجماع سائر الكنائس الرسولية فى العالم عليها والبروتستانت أنفسهم يفعلون ذلك عند تنصيب قسوسهم ويقرون ويشهدون بأن هذا هو تعليم الكنيسة الجامعة قال موسهيم وكان المسيحيون يعتقدون بأن الأسقف بوضع الايدى والصلوة يمنح مواهب الروح القدس اللازمة لقضاء حيوة مقدسة ك ١ قرن ٣ قسم ٢ ف ٤ وجه ١١١. وجاء فى كتاب الصلوة العامة للأسقفين مانصه

«وبعد هذه الصلوة يضع الأسقف ومن حضر من القسيسين أيديهم على رأس كل فرد ممن يقبلون رتبة القسوسية ويركع المرسومون على ركبهم بتواضع ويقول الأسقف أقبل الروح القدس لوظيفة عمل قس كنيسة اللّٰه مفوضين إليك الآن بوضع أيدينا فمن غفرت له خطاياه قد غفرت له ومن أمسكتها عليه فقد أمسكت صحيفة ٥٠٨.

ويحسن بنا أن نأتى أيضاً على شهادة أحد قسوس الكنيسة الأسقفية مما يصح أن تكون جواباً مقنعاً للمخالفين لتعليم الكنيسة وهى «بعض البروتستانت يتفقون مع الكنيسة الأسقفية فى أن راعى كنيسة اللّٰه الحقيقى يلزم أن يتعين ويرسل بواسطة وضع الأيدى ممن أرسلوا من خلفاء الرسلأانفسهم. ويقولون أن الدرجة الثانية من الاكليروس أعنى القسوساًاو المشايخ لهم الحق فى وضع الأيدى والتكريس كالأساقفة ويبنون على ذلك وجود الخلافة الرسولية عندهم وذلك لأن بعض القسوس أو الشيوخ هم الذين أسسوا الكنيسة البروتستانتية ودحضاً لهذا الإدعاء توجد ثلاثة أجوبة.

أولا : أنه لم يحصل فى البيعة مدة ١٥٠٠ سنة أن أحد من الإكليروس أقل

من درجة الأسقف منح رتبة القس أو الشماس وغاية ما هناكأان القسوس يحضرون فى أاثناء التكريس علامة على الرضى العام.

ثانياً : إن أمكن التوضيح بأن القسوس فى البيعة القديمة كانوا قادرين على التكريس ولكن المحقق أنهم فى مدة ١٦٠٠ سنة فقدوا هذه القوة «بفرض وجودها» لأن البيعة الجامعة ألغتها ولا يمكن استرجاعها لهم إلا بسماحها

ثالثاً : إن أكبر كنيسة بروتستانتية فى الاسكولاندا التى تعتبر أصل كنائس البروتستانت الإنجليزية والإرلاندية الأمريكانية تأسست فى سنة ١٥٦٠م بطريقة الاستقلال بمعرفة شخص يدعى حنا نوكس بدون تعيين قسوس ولارعاة وبلا وضع أيد ولم يحصل ذلك إلا بعد مضى عدة من السنين ولم توضع الأيدى على أول من إنتخبوا لوظيفة القسوسية الذين كانوا من الصالحين إذا ما كان قسوس من الكنيسة القديمة بينهم ولما فهموا ضرورة وأهمية التكريس بواسطة وضع الأيدى كان جميع الذين كانوا قسوساً فى البيعة القديمة ماتوا. وهكذا كان المكرسون ممن لم توضع عليهم الأيدى ولم يتكرسوا قبلا. فلو افترضنا صحة إدعاء البروتستانت من أن القسوس لهم حق فى التكريس فلا يمكنهم بواسطة ذلك أن يدافعوا عن قسوسهم لأن الذين كرسوا تكرسوا من أناس علمانيين لاقسوس كما سبق القول أما البيعة المصرية تحت الخلافة المرقسية الرسولية واليونانية الأرثوذكسية والإنجليزية وغيرها من الكنائس الأسقفية فقد حافظت بغاية التيقظ والإعتناء على إستمرار الخلافة الرسولية فيها بدون خلل أو عيب وفى إمكانها أن تثبت أن أساقفتها متسلسلون من وقت المسيح اهـ»

ثم يتجه شرقاً إلى المذبح ويتلو طلبة ثم يتجه «غرباً» إلى الشماس أو القس ويرشمه ثلاثاً باسم الثالوث الاقدس ويقول كرسنا «فلاناً» شماساً «أو قسا» على كنيسة الله.

والمراد بذلك إشهار رسامة الشماس «وتقليد القس المشرطن خدمة المذبح أو الكنيسة التى رسم عليها. والقوانين الرسولية والمجمعية أمرت أن لا يرسم أحدا إلا على كنيسة معينة ليكون كل واحد مرتبطاً بالكنيسة التى قبل عليها الشرطونية ومهمتها برعايتها عاملا لبنيانها»

ثم يتلو طلبة أخرى ومن ثم يلبسه البذلة[1] الخاصة بدرجته أما الشماس فيلبسه الزنار مع التونية وهو يصلى مجداً واكراما الخ وأخيراً يقرأ عظة التكريس.

يلبس الشماس زناراً إشارة إلى أنه قيد بواجبات لامندوحة له من القيام بها وربط بقوانين كنائسية لا مناص له من إتباعها والعمل بها والسير بموجبها راجع صحيفة ٩٨

وأخيراً يضع يده علي رأس القس المشرطن ويصلي ثم ينفخ في وجهه قائلا من مز ٨١ : ١٠. وأما هو فيجاوب من مز ١١٩ : ١٣١ وأخيراً يقرأ الوصية.

وذلك ليباركه مفوضاً له بسلطان الروح حق تدبير كنيسته بحسب موهبته الخاصة به لمجد الله وخير شعبه تمثلا بالرب الذى رفع يديه وبارك تلاميذه قبل صعوده معطياً لهم سلطان تعليم الشعب وإقامة الأسرار ما نحاً إياهم سلطان الحل والربط بقوله كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا ثم نفخ وقال إقبلوا الروح القدس راجع مت ٢٨ : ١٩ ، لو ٢٤ : ٥١ ، لو ٢٠ : ٢١ ـ ٢٣.



(١) راجع ما كتبناه فى الملابس الكهنوتية فى الجزء الأول

الفصل السابع

«شرح تكريس الأساقفة»

أمرت الرسل أن يرسم الأسقف بنوع خاص فى يوم الأحد وفى الكتاب إشاره إلى ذلك أع ١ : ١٨ ، ١٣ : ٢و ٣ وبعد إستيفاء كل الإجراءات المتبعة و فى رسالة الاساقفة وبعد الإبركسيس يقدم أسقفان أو ثلاثة إلى الآب البطريرك لرسامته إتباعا لأمر الرسل ولشرف رتبته وقد أمرت القوانين الرسولية والمجمعية بأن يرسم الأسقف من إثنين أو ثلاثة لأن شهادتهم ثابتة وظاهرة راجع تث ١٩ : ١٥ ، ١ تى ٥ : ٢٢ وق ١ و٢ للرسل و ١٩ لنيقية هذا وبعد أن يسأل الآب البطريرك الأساقفة وشعب ابروشيته كالمعتاد يمارس رسامته على الصورة الواضحة فى كتاب التكريس إنما نحن نذكر هنا ما نرى شرحاً لازماً.

K Є يبدأ الآب البطريرك برشمه قائلاً فلان أسقف وبعد الطلبة ينبه رئيس الشمامسة الشعب بالصلوة. فيجاوبه المرتلون وكل الإكليروس

ثم يقول مخاطباً الأساقفة أرفعوا أيديكم إلى العلا الخ.

رفع أيدى الأساقفة ووضعها على كتف المرسوم يشير روحياً إلى قوة اللّه التى تظلله وحمايته الإلهية التى تستره وهم إذ يضعون أيديهم يرقونه بنعمة اللّه إلى درجة الأسقفية ويطلبون أن يسبحه اللّه بالنعمة التى تنقية شر الأعداء

ثم يتلو الآب البطريرك طلبة وبعد أن يتجه إلى الشرق يتلو طلبة أخرى ويتجه إلى الغرب ويضع يده على رأسه ويصلى وفى نهاية الصلوة يخاطب رئيس الشمامسة الشعب والمرتلون قفوا حسنا ثم يضع الأساقفة أيديهم على رأسه ويتلو الآب البطريرك صلوة التكريس وعند نهايتها يقول رئيس الشمامسة. صلوا من

أجل السلامه. بسلام من الرب نطلب ثم يتلو طلبه أخرى وفى نهاية كل صلوة يهتف الشعب. يارب ارحم ٣ مرات. ثم يضع يده ويتلو طلبه أخرى ويرشمه ثلاثاً على إسم الثالوث الأقدس قائلا ندعوك أسقفاً وفى الرشم الثالث تهتف الشمامسه والمرتلون وكل الإكليروس ⲁⲝⲓⲟⲥ مستحق. ثم يلبسه بذلة الكهنوت الخاصة برتبته ثم الإسكيم وأخيراً يعطيه العصا الرعوية فالصليب فالإنجيل.

لبس الإسكيم يشير إلى تجديد الحيوة فى السيرة الروحانيه فانها لا تعطى إلا الذين يسيرون سيرة ملائكية دلالة على إبتعادهم عن شهوات الجسد وإرتباطهم بخدمة الروح. أما العصا فتشير إلى سلطان الكهنوت الذى به يدبر خراف المسيح ويقودها إلى المرعى الخصب ويوردها إلى مياه الراحة ويردها ويهديها إلى سبل البر مز ٢٣ : ٢ ـ ٥ أما الصليب فيشير إلى قوة الله ٢ كو ١ : ١٦ التى أعطيها من العلا والتى بها يغلب العالم والشيطان والجسد. ويشير على رأى فريق الى تقليده مفاتيح الحل والربط الكهنوتى. أما إعطاؤه إياه بعد الرسامة ولبس الثياب فللاشارة إلى أنه بالصليب كملت آلام الرب الخلاصية. أما وضع الإنجيل على هامته فكما يقول الذهبى فمه «لتعليمه إنه قبل تاج المسيحى الحقيقى وانه اذ أخذ سلطان الرياسة على الجميع لم يزل خاضعا لهذه الشرائع وحين يحكم على الجميع فإنما هو خادم الإنجيل الحقيقى وعند ما يسوس الجميع فى الإنجيل فهو خاضع لناموسه»

ثم يتلو أحد الكهنة طلبة وفى نهايتها يقول الآب البطريرك «ϮⲢⲎⲚⲎⲠⲀⲤⲒ السلام لجميعكم» وبعد صلوة الشكر يعطى السلام للكل ثم يدخله الهيكل. مخاطبا إياه بقول المسيح نعما أيها العبد الصالح والأمين كنت أمينا فى القليل فأقيمك على الكثير. ادخل إلى فرح سيدك.

ذلك إشارة الى نعمة اللّٰه التى رفعته إلى رتبة رئاسة الكهنوت ونقلته من درجة القسوسية إلى درجة الأسقفية وجعلته أهلا لكرامة مضاعفة تى ٥ : ١٧ وللدلالة على أنه صار شريكا للذين كرسوا لخدمه اللّٰه وأن اللّٰه أقامه أمينا فى بيته فيجب ان يحترز لنفسه وللرعيه التى اقامه عليها الروح القدس أسقفا أع ٢٠ : ٢٨ ومتى ظهر رئيس الرعاة ينال اكليل المجد الذى لا يبلى ١ بط ٥ : ٤ ويسمع الصوت القائل نعما ايها العبد الصالح والأمين كنت امينا فى القليل فأقيمك على الكثير ادخل الى فرح سيدك مت ٢٥ : ٢١.



الباب السابع

الفصل الأول

«اثبات التقليد ووجوب التمسك به»

التقليد تعاليم رسولية سلمها لخلفائهم وهؤلاء لمن بعدهم ولا تزال متسلسلة جيلا بعد جيل الى هذا اليوم من سلف لخلف وستبقى كذلك ما بقيت المسيحية على الأرض.

يقسم التقليد الى قسمين اولهما خاص بالعقائد والأصول الإيمانية وثانيهما خاص بطقوس الكنيسة ونظاماتها الروحية.

وقد أخذته الكنيسة كما أخذت الانجيل من الرسل وخلفائهم واحتفظت بهما كليهما وحرصت عليهما كل هذه الأجيال والقرون بالتواتر الدائم والاستقراء الدقيق عملا بأوامر الرسل ١ كو ١١ : ٢ لانها تعتقد ان الأول مكمِّل للثانى لأنه أقدم منه: فكأن نسبة التقليد للانجيل كنسبة العهد الجديد للعهد القديم بمعنى انهما من الله وأن أحدهما مكمِّل للآخر وشارحه ومبينه ومتمم نبواته ولهذا تعتقد الكنيسة ان التعاليم او التقاليد الرسولية الشفوية لها من المنزلة والاعتبار ما للكتب المكتوبة لأن كليهما مقدس ومصدرهما واحد وموحى بهما من الروح القدس كما وان مسلميهما «التقليد» للمؤمنين هم الرسل الأطهار وخلفاؤهم الأبرار. ولتقرير هذه الحقيقة وإثباتها نأتى على الادلة الكتابية أولاً وعلى أقوال الأباء ثانياً. وعلى إعترافات الطوائف التى تنكرها ثالثاً ليتكون من مجموع هذه البراهين المثلثة نوراً ساطعاً يبدد الأوهام والشكوك التى

خيمت على أذهان البسطاء من الأرثوذكسيين وسيفاً حادا قاطعا لمهاترات الناكرين الجاحدين لحقيقة التقاليد عساهم يقتنعون والى الحق يقبلون.

أولا : البراهين الكتابية منها

١ ــ قول القديس بولس لتلميذه تيموثاوس. وما سمعته منى بشهود كثيرين اودعه اناس امناء يكونون أكفاء ان يُعلّموا آخرين ٢ تى ٢ : ٢ فهذه الأية تدل على ان الرسل سلموا تلاميذهم تعاليم لم تكتب فى الرسائل ومع كونها شفوية رأوها لازمة لبنيان الكنيسة بدليل ان الرسول امر تلميذه ان يستودعها لمن يرى فيهم اللياقة والأهلية لتعليم المؤمنين كما أنه قد أوصاه ان يتمسك هو بها أيضا بقوله تمسك بصورة الكلام الصحيح الذى سمعته منى ٢ تى ١ : ١٣ راجع ص ٣ : ١٤ والمراد بالتعليم الصحيح ليس المكتوب بل الشفوى بدليل قوله الذى سمعته منى. البروتستانت انفسهم وضعوا شاهد هذه. و الآية قول الرسول السابق «الذى سمعته منى».

قال أحد العلماء «من الواضح ان بولس يريد بالوديعة ــ التقليد غير المكتوب ـ وإلا لأمر تيموثاوس بحفظ الكتب الإلهية فى الصناديق لا بحفظ كلامه فى قلبه بالروح القدس. ولما قال له. وما سمعته منى بل كان يقول له أوعز الى الكتبة بتكثير نسخ الكلام الذى كتبته. فتأمل؟»

٢ ـ قول الرسول ايضاً. فاثبتوا إذاً ايها الأخوة وتمسكوا بالتقاليد التى تعلمتموها سواء كان بالكلام ان برسالتنا ٢ تس ٢ : ١٥

٣ ــ قوله لمؤمنى كورنثوس. فامدحكم ايها الأخوة على إنكم تذكروننى فى كل شئ وتحفظون التقاليد[1] كما سلمتها اليكم ١ كو ١١ : ٢

---

(١) قد حرف البروتستانت هاتين الآيتين وأبدلوا فيهما لفظة التقليد بالتعاليم =

فهذه الأوامر الصريحة والوصايا الجليلة التى كتبها بولس لتيموثاوس أولا: ولأهل تسالونيكى ثانيا: ولمؤمنى كورنثوس ثالثاً : عن التعاليم الشفوية تدل على وجود ـ التقليد ـ وتبرهن على وجوب الإحتفاظ به والامتثال له. بل اتجاسر وأقول ان تعاليم الرسل المكتوبة، والمنقولة هى سواء حسب وصية لرسول الذى أنزل الثانية منزلة الأولى وأعطاها من الأهمية والاعتبار نفس ما أعطاه لرسالته المكتوبة. فإذا فصلنا احداها عن الأخرى وضعنا الرسل فى مركز حرج محاط بالشبهات والظنون وهذا ما لا يسلم به المؤمنون العاقلون. بل إن ما كتب فى أعمال الرسل عن خطبهم وأقوالهم يعد لغواً وليس وحياً إلهيا اذا ميزنا المنقول عن المكتوب لأنهم لم يكتبوها ولا أمروا بكتابتها. وقد أشهد لوقا كاتب سفر الأعمال العالمين على نفسه انه كان راوياً وناقلا فيما كتب وليس مأموراً ولا ملقنا من الرسل الذين نقل أو كتب أقوالهم. ومادام البشير لوقا كتب بإرشاد الروح القدس أقوال الرسل وأعمالهم وتعاليمهم التى لم تدون فى رسائلهم اليس الواجب الانتفاع بما لم يكتبه هو ولا هم إعتماداً على خلفائهم وتلاميذهم الأمناء الذى عاصروهم وأخذوا عنهم ولا سيما وانهم أمروهم صريحا ان يحتفظوا بما سمعوا ورأوا من أقوالهم وأعمالهم التى جرت معهم وأن يتجنبوا الذين يخالفون تلك التعاليم أوالتقاليد كقول الرسول. ثم نوصيكم ايها الأخوة بإسم ربنا يسوع المسيح ان تتجنبوا كل اخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد

= مناقضين فى ذلك جميع ترجمات الكتاب المقدس القديمة كالقبطية والحبشية واللاتينية والأرمنية حتى ترجمتهم التى طبعوها هم انفسهم فى لندن سنة ١٨٦٠م والتى تتفق مع جميع الترجمات الصحيحة على نص هاتين الآيتين مدعين ــ رغما عن مخالفة كل الترجمات لهم ــ إن لفظه «باراذوسيس» اليونانية تعرب بلفظة «تعاليم» مع أنهم هم أنفسهم عربوها بلفظة «تقاليد» فى مت ١٥ : ٣ ومر ٧ : ٣».

الذى اخذه منا ٢ تس ٣ : ٦ كما اثنوا على الطائعين لها والمحافظين عليها والمتمسكين بها ١ كو ١١ : ٢.

فأين هذه التعاليم أو التقاليد وما هى؟ مادامت غير مذكورة فى الرسائل ولا فى أعمال الرسل ولا فى الأناجيل وما هذا التشديد فى الأوامر والوصايا التى اوصى بها الرسل وأمروا المؤمنين ان يحفظوها ان كانت ليست من الله أو ليست من العهد الجديد؟ وكيف يجوز التفريط بها مادام هذا شأنها واهتمام الرسل بها؟ ذلك ما لا تدركه

٤ ـ صرح الرسل فى رسائلهم بوجود ترتيبات وأمور كثيرة لم يريدوا ان يكتبوها فى رسائلهم بل تركوا تدبيرها وترتيبها لانفسهم إما بالوعظ والكلام أو بالعمل وقد وعدوا الكنائس بحضورهم شخصياً لإتمامها كما قال الرسول. وأما الأمور الباقية فعندما أجيء أرتبها ١ كو ١١ : ٣٤ والحال إن هذه الأمور التى وعد ان يرتبها لهم لم يذكرها فى موضع آخر من رسالته فلابد وأن يكون سلمها لهم مواجهة. ثم ان القديس يوحنا قال بصريح اللفظ. إذ كان لى كثير لأكتب إليكم لم ارد ان يكون بورق وحبر لأنى أرجوا أن أتى إليكم وأتكلم فماً لفم لكى يكون فرحنا كاملا ٢ يو ١ : ١ وقد قال يوحنا أيضا لغايوس الحبيب إن عندى اشياء كثيرة أكاتبك بها لكنى لا أحب ان أكتب اليك بالمداد والقلم ولى رجاء ان اراك عن قريب فلنتكلم مواجهة ٣ يو ١٣ و ١٤ وأمور أخرى غير هذه تكلم الرسل عنها فى رسائلهم ووعدوا المؤمنين بإتمامها بأنفسهم مثل تعليم المعموديات، ووضع الأيدى عب ٦ : ٢ وفوضوا لتلاميذهم تكميل وإتمام ما أمروهم به. كما قال الرسول لتلميذه تيطس. لأجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم فى كل مدينة قسوساً تى ١ : ٥ ومما لا شك فيه ان الرسل

١ ـ كانـوا يتكلمون ويعظـون ويُعلّمون كما كانوا يكتبون ايضا بروح الله

٢ ـ كانوا يشـعرون بقيمة اقوالهم واعمالهم وما تنتجه من التأثير الصالح فى الآخرين.

٣ ـ لم يكن لهم وقت لوضع شرائع ونواميس معينة فى كتاب معلوم يتركونه للكنيسة من بعدهم لسبب الاضطهادات والتشتيت وحاجاتهم الى وقت يجولون ويبشرون فيه

٤ ـ لم يميزوا رسائلهم المكتوبة عن تعاليمهم ومواعظهم الشفوية كما ان طبيعة وظائفهم وظروفهم كانت تقضى بوجوب اعتبار ما يقولونه فى مساواة ما يكتبونه وإن لم يكن لاقوالهم وتعاليمهم ـ التى لم تكتب ـ هذه المنزلة السامية لحكمنا بأن اتعابهم ذهبت سدى وان الذين أمنوا بتأثير أقوالهم كان إيمانهم عبثاً فهل يوجد من يقبل أو يحكم بهذا الحكم بين المسيحيين؟

٥ ـ إن كتاباتهم كانت بمثابة أجوبة لأسئلة سألوها وهم بعيـدون عن السائلين الذين سألوهم راجع ١ كو ٧ : ١، ١٤ : ١ الخ كما ان بعضها كان مجادلات وتفنيدات لسخافات المرتدين وفى زمنهم والمعلمين الكاذبين الذين انتسبوا للمسيح وعلّموا أيضا بتعاليم الشياطين تعاليم بلعام الخبيث رو ١٥ : ١٥، ١٦ : ١٧ ،غل ١ : ٧ ـ ١,٩ تى ٤ : ١ ـ ١ ـ ٤ زد على ذلك ان الأناجيل نفسها كتب بعضها إجابة لرغائب المؤمنين فمتّى كتب انجيله بناء لألحاح اليهود لما عزم على تبشير الأمم. وكذا مرقس «كما روى أوسابيوس فى ك ٢ رأس ١٥» كتب انجيله تلبية لنداء الرومانيين وبعضها كُتب ايضاحا لحقيقة تعاليم المسيح كلوقا ص ١ : ١ ـ ٤ ولبيان التعليم الصحيح من التعليم الكاذب الذى أخذ بعضهم فى تدوينه. وبعضها كتب دحضا لأراء الهراطقة

وتبيان لاهـوت ابـن الله كيوحنا ص ٢٠ : ٣٠ و٣١ مما خرج فى الحقيقة عن قصـد للتشريع وجاء دفعاً لطوارئ خاصة إجابة لسائل وانهاضاً لخاطئ وتأنيباً لمقصّر

فلو فرضنا انه لم تحدث تلك الأسباب الداعية لكتابة الرسائل فهل كان المؤمنون من ذلك العهد الى هذا اليوم والى ما شاء الله يبقون بدون هدى وبلا نور؟ لأن الرسل لم يكتبوا كتاباً خاصا بهم؛ أو يسيرون فى ضياء تعاليمهم ومواعظهم وترتيباتهم التى تركوها وسلموها لتلاميذهم وهؤلاء احتفظوا به وكتبوها وسلموها للكنائس وإن كانوا قصدوا بوضع رسائلهم أن يكون القانون الوحيد لإيمان الكنيسة دون ما قالوا وعملوا فيكون هذا القانون ناقصا لأن بعض هذه الرسائل فقد كو ٤ : ١٩ كغيره من أسفار العهد القديم التى فقدت راجع عد ٢١ : ١٤، يش ١٠ : ١٣، ١ مل ٤ : ٣٢، ١ أى ٢٩ : ٢٩، ٢ أى ٩ : ٢٩، ٢٣ : ١٨ و ١٩.

ومع كل فهل حذر الرسل المؤمنين من إتّباع ما علموه شفويا أو نهوهم عن الأخذ بأقوالهم واعمالهم فإن كان الجواب نعم. فأين هذا التحذير أو هذا النهى؟ بل أين هى أوامر الرب يسوع نفسه بكتابه الإنجيل؟ وأين الإشاره فيه الى أعمال الرسل ورسائلهم؟ وأين الاشارة فيها الى الأناجيل أو فى أحدها للآخر؟ فإن كان كل مالم يرد فى الانجيل مثل ما جاء فى سفر الأعمال والرسائل أع ١٥ : ٢٢ ـ ٢٩، ٢٠ : ٣٥ و ١ كو ٧ : ٥، ١١ : ٤ ـ ١٥، ١ تس ٤ : ٢، ٢ تس ٣ : ١٤، ١٥، ١ تى ٣ : الخ، ٥ : ١٧، ٢ تى ٣ : ٨ ويه ٩ : ١٤ باطلا فأعمال الرسل ورسائلهم باطلة وأن كان كل مالم يرد فى أعمال الرسل ووسائلهم باطلة فالأناجيل باطلة والنتيجة ان مجموع العهد

الجديد باطل وبالتالى فإن إيماننا وخلاصنا المبنيين على ما فيه باطلان !! إذاً لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت. نحن بعد فى خطايانا.

والاعتقاد الراسخ الذى لا يتزعزع انه لا يوجد بين المسيحيين من يقول هذا القول ان يرضى بهذه النتيجة السيئة حتى أولئك الذين انكروا التقاليد وحاربوها وهم لو علموا ان نكرانهم سيئول الى هذه النتيجة السوداء لتجنبوها او كفروا بالايمان المسيحى الذى نفتخر ونادى به نحن وهم فى العالم.

وما دام الأمر كذلك فالواجب علينا ان نتمسك بتعاليم الرسل التى تركوها للكنيسة شفاها وأمروا بحفظها فى رسائلهم وإن لم يكتبوها كما نتمسك بتعاليمهم التى كتبوها على السواء إمتثالا لأوامرهم ١ كو ١١ : ٢١، ٢ تس ٢ : ١٥ مادام مصدرها واحداً وإن ما كتبوه وعلّموه وأوصوا به هو. وصايا الرب نفسه ١ كو ١٤ : ٢٧، ٢ بط ٣ : ٢. لاسيما وإن الرب يسوع لم يكتب تعاليمه وأوامره للناس فى رسالة أوفى كتاب خاص بل اكتفى بالوعظ الشفهى مت ٤ : ٧، مـر ١ : ١٤و ٢٩ ولو ٩ : ٢، ١٠ : ٣ ولما أرسل رسله لم يأمرهم بكتابة ما تعلموه منه ولا ان يعلموه للناس بالكتابة بل بالوعظ والتبشير مت ١٠ : ٣، ٢٨ : ١٩ ومر ٣ : ٤، ١٦ : ١٥ وهم ساروا فى هذا السبيل عينه فى تعليم المؤمنين مر ١٦ : ١٢، ١٣ واع ٥ : ٤٢، ٨ : ٤، ١١ : ١٩، ٢٠، ١٤ : ٢١، ٢٢ إذ علّموهم ما تسلموه من الرب ١ كو ١ : ٢٣، ١١ : ٢٣، ١٥ : ١ ــ ٣ وغل ١ : ١١ وكانوا يفضلون تسليمها لهم شفهيا على الكتابة كما نرى بصريح اللفظ فى منشورهم الذى بعثوه للأمم بقولهم فقد أرسلنا يهوذا وسيلا وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاها اع ١٥ : ٢٧ راجع ١ كو ١١ :٣٤، ٢ يو ١ : ١٠، ٣ يو ١ : ١٣ و ١٤ كما كانوا يفرضون لتلاميذهم الذين أقاموهم على الكنائس ان يعلموها ويودعوها للأمناء ١ كو ٤

: ١٨ وفى ٢ : ١٩، ١ تس ٣ : ٢، ٢ تى ٢ : ٢، تى ١ : ٥ ــ ٧ كما كانوا يعلّمون فى كل كنيسة اع ١٩ : ٢٢، ١ كو٤ : ١٧.

على أنهم لما رأوا الضرورة ماسة لكتابة شئ عن تعاليم المسيح ووضع اربعة منهم الاناجيل المعروفة بأسمائهم لم يذكروا فيها كل ما سمعوه أو ما تعلموه من السيد قال الحبيب فى إنجيله وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كُتبت واحدة فواحدة فلست اظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة يو ٢١ : ٢٥ وقال البشيرون الثلاثة متى ومرقس ولوقا ــ إن يسوع صنع وعلّم أموراً كثيرة ولكنها لم تكتب راجع مت ٤ : ٢٣، ٩ : ٣٥ و مر ١ : ٢١، ٦ : ٢ ولو ٤ : ١٥ و ٤٤، ١٣ : ٢٢، ١٩ : ٤٧ واع ١ : ٣ فأين هذه التعاليم التى أشاروا إليها ولماذا لم يكتبوها؟ هل لعدم فائدتها أو قلة أهميتها؟ كلا. فإن كل كلام الرب روح وحيوة يو ٦ : ٥٧ بل انهم فضلوا تعليمها للمؤمنين شفهياً لإقناعهم بها وبالطبع ان خلفاؤهم الذين تسلموها واقتنعوا بها سلموها لمن جاء بعدهم بإرشاد الروح القدس الذين لازمهم فى كل أقوالهم وأعمالهم وأرشدهم الى ما هو نافع لبنيان الكنيسة.

واما التقليد الذى نتمسك به وينكره علينا الخارجون عن الكنيسة الأرثوذكسية، إلا هذه التعاليم نفسها التى علم بها الرسل ولم تكتب فى أناجيلهم ولا فى رسائلهم وهو ايضا الذى صارت عليه الكنيسة منذ نشأتها يوم لم تكن الأناجيل ولا أعمال الرسل ولا الرسائل مكتوبة أو معروفة لدى المؤمنين لأن الأناجيل كتبت فى أوقات وامكنة مختلفة بالاجماع فمتّى كتب انجيله سنه ٣٩ بعد المسيح ومرقس سنة ٢٧، وكذا لوقا و يوحنا سنة ٦٦ وبولس ٣٠ ــ ٣٣ أو ٣٧ وهذا يبرهن على ان الكنيسة سارت بموجب التقليد وبدون كتاب قبل الصعود وبعد مدة تتراوح بين ٢٧، ٦٦ سنة. وكذلك الكنيسة

الاسرائيلية فإنها سارت اجيالا وقرونا بالتقليد. وإلا كيف سار شعب الله قديما كل تلك المدة التى تزيد عن الفى سنة مع علمنا بأنه لم يكن ناموس او شريعة يسيرون عليها؟ ومن الذى علّم هابيل ونوح وابراهيم وغيرهم من الآباء تقديم الذبائح وبناء المذابح لها. أليس التقليد؟ ومن أين اخذوا وصية حفظ السبت وعن اى كتاب تعلّيم موسى حفظه وأجتناب كل عمل فيه حتى نهى عن التقاط المن فيه بقوله. لأنه سبت مقدس خر ١٦ : ٣٣ اليس من التقليد؟ الذى توارثه سلفا عن خلف بدليل ان نهيه عن التقاط المن فى اليوم السابع كان قبل الشريعة بشهرين راجع خر ١٦ وليس هذا فقط بل ان الشعب الاسرائيلى كان يرجع فى بعض أموره الى التقليد راجع خر ١٣ : ١٤ و ١٥، ١٨ : ١٩ وتث ٤ : ٩، ٦ : ٧، ٣٢ : ٧ وقض ٦ : ١٣ وأى ٨ : ٨ ومز ٤٤ : ١، ٧٠ : ١، ٧٩ : ٥ وهناك اشياء اخرى تبرهن عن قيمة وفضل التقليد منها:

أولا : إثبات صدق الكتاب وسلامته من التحريف كما يشهد بذلك ناكروا التقليد انفسهم. راجع كتاب ما حدث قبل الهجرة وجه ٢١ ـــ ٣٣.

ثانيا: معرفة الكتب الصحيحة من الموضوعة. فقد ظهرت كتب كثيرة منسوبة للرسل كإنجيل برنابا وبرثلماوس والاثنى عشر وغيرهم فمن الذى أثبت لنا أنها مزورة وإن انجيل متى مثلا صحيح وإنه موحى به إلا التقليد.

ثالثا: معرفة نسبة الأسفار الى كاتبيها. ففى الكتاب بعض اسفار غير واضح فيها أسماء كاتبيها كمتى ومرقس ولوقا والرسالة الى العبرانيين والرسالة الأولى ليوحنا فمن اين عرفنا أن هذه ليوحنا وتلك لبولس وغيرهما للبشيرين إلا من التقليد.

هذه البراهين الكتابية والعقلية تدل على وجود التقليد فى الكنيسة ولزوم حفظه ووجوب التمسك به.

ثانيا: أقوال الآباء قال القديس ايريناوس تلميذ بوليكربوس تلميذ يوحنا الرسول «إن الرسل قد جعلوا الكنيسة خزانة الحق الوافرة وكل ما هو مختص به سلموه اليها بجملته على ٢ تى ١ : ١٤ وقال اكليمنضس «إن مؤلفاتى تحتوى على ما سمعت من أناس حفظوا التقاليد الحقيقية كبطرس ويوحنا ويعقوب وبولس أبا عن جد» وقال القديس كبريانوس. من التقليد تعلمنا مزج الخمر بالماء فى القداس. رسأله ٦٣ وقال القديس باسيليوس ان الاعتقادات والكرازات المحفوظة فى الكنيسة منها ما هو مأخوذ عن التعليم المكتوب ومنها ما قد اقتبلناه متصلا من تقليد الرسل وكلا الأمرين له قوة فى العبادة. وقال ايضا ان الوصايا الرسولية تأمرنا ان نتمسك بالتقاليد غير المدونة ٢ تس ٣ : ١٥ وقال فى كلامه عن الصوم لنفرض ان الأصوام تقليدات رسولية لا نصوص عليها فى الكتاب فكيف نرفضها مادام التقليد أمربها ونحن لا نعرف الكتابة إلا بواسطة التقليد. إلى ان قال إن تركنا السنن غير المكتوبة واعتبرناها بلا قوة عظيمة فنكون قد خسرنا الإنجيل فى الأمور الضرورية. فى الروح مجلد ٤ ف ٢٧ وفى موضع آخر قال. من التقليد تعلمنا رشم الصليب على جباهنا وعلى سائر الأمكنة والاتجاه نحو الشرق ومنه عرفنا كلمات التقديس والاستدعاء التى يتلوها الكاهن وقت الاستحالة والفضل للتقليد ايضا حفظه لنا تعاليم مباركة ماء المعمودية وزيت المسحة وتغطيس المعتمد ٣ غطسات ق ٩١. وقال الذهبى فمه على ١ كو ١١ : ١ قد تبين من هنا أن الرسل لم يكتبوا كل شئ فى رسائلهم بل إنهم علموا اشياء كثيرة غير مكتوبة فيجب علينا ان نصدق الأمور غير المدونة كلها كما نصدق الأمور المدونة.

يتضح من هذه الشهادات ومما أوضحناه جميعه ان الرسل علموا اشياء جمة ولم يسطروها بالقلم والمداد وأمروا المؤمنين بالتمسك بها كالمكتوبة سواء بسواء وإن الكنيسة سارت بموجب النقل فى القرون المسيحية الأولى وإلى الآن وإلى النهاية بطريقة التسليم من السلف الى الخلف. وإن الأباء الرسوليين قد اتبعوا ذلك بلا خلاف ونزيد على ذلك ان الكنيسة من ابتداء القرن الرابع اخذت تعقد المجامع المسكونية لتقرير العقائد الأرثوذكسية وحل المشكلات الكنائسية التى لاتوجد إشارة إليها مباشرة فى العهد الجديد ومع ذلك فهذه التعاليم والعقائد والقوانين مرعية عند جميع الكنائس فى مشارق الأرض ومغاربها على مذاهبها وعدد مشاربها.

ثالثا : اعترافات ناكرى التقاليد :نأتى على بعضها نقلا عن كتبهم «قد جاء فى نظام التعليم ما نصه إن الانجيليين لا يرفضون كل التقاليد على الاطلاق بل يضعونها تحت سلطان الكتاب المقدس وقيمتها عندهم هى بالنسبة لموافقتها له ب ٧ ف ١٤ صحيفة ١٠٨ ـ والشروط اللازمة لقبول التقليد على أنه جزء من إعلانات الله هى

١ ـ انه يتضمن التعاليم التقليدية حقا معلنا من الله لأجل خلاص الانسان أو إرشاده فيما يؤول لأجل خلاصه

٢ ـ ان يكون صحيحاً بنفسه والايمان به ضروريا

٣ ـ ان لا يكون من الكتاب المقدس بل انه وصل الينا فقط بالمداولة خلفا عن سلف. فإذا تبين إجتماع تلك الشروط فى تقاليد سلمنا بلزومها وسلطانها ب ٥ ف ٥ س ٣ صحيفة ٤٣.

يستدل من ذلك ان البروتستانت يعتقدون بصحة التقاليد ويتمسكون بها

وأنهم لا يرفضونها على الإطلاق بل يعتبرونها جزءاً من إعلانات الله وإنها غير مكتوبة ووصلت من سلف الى خلف. وفضلا عن عدم إنكار البروتستانت للتقليد فإنهم لم يستطيعوا إثبات صحة الأسفار المقدسة إلا منه كما هو واضح فى كتاب الأدلة السنية على صدق الديانة المسيحية صحيفة ٢٦ ـ ٤٥ و ٧٣ ـ ٨٠ ليس هذا فقط بل انهم لما أرادوا إثبات حفظ يوم الرب «الأحد» دحضاً لتعليم شيعة السبتيين لم يستطيعوا ذلك إلا من التقليد وقال احدهم فى رده انه لم يرد فى شأن كل حقيقة إلهية نص صريح بل قد يرد تارة تلميح خفيف «المرشد سنة ٩ عدد ٣٢».

أضف الى ذلك إن ما يجرى عندهم يدل على انهم سائرون على التقليد وعاملون به كما سنرى ذلك:

أولا: عماد الأطفال فانهم يعمدونهم قبل ان يبلغوا رشدهم وقبل ان يتعلموا ويعرفوا الايمان مع ان المسيح جعل الإيمان شرطا لازماً سابقاً للعماد مت ٢٨ : ١٩ ومر ١٦ : ١٦ فكيف يجرأون على تعميد الأطفال وهم لم يؤمنوا؟

ثانيا : حفظ يوم الرب «الأحد» فإن الكتاب لم يأمر ـ لا تصريحا ولا تلميحا ـ بحفظه بدل «السبت» ولكنهم يحفظونه فماذا يجاوبون إذا سئلوا عن سبب تقديسهم يوم الأحد وعدم إتباعهم النصوص الصريحة الواردة فى الكتاب؟

ثالثا: إنهم يعترفون بالآعياد ويمارسونها. نظام التعليم ف ٣ و جه ٤٣ ويسلمون بالإعتراف السرى للراعى وأخذ الحل الكهنوتى منه «كذا» يقبلون تعاليم وقوانين المجامع المسكونية وجه ١٠٩ ويرفضون الاعتقاد ببدعة انبثاق الروح القدس من الإبن صحيفة ١١٣ بها ويعترفون «فى الحاشية» وكل هذه تعاليم رسولية غير مكتوبة فكيف يسلمون بوجوبها؟

رابعا: إنهم يحددون اياما للصوم ويعينون أوقاتا للصلوة ويصلون على الأموات ويمارسون العشاء الربانى والعماد والزواج بطقس خاص وبكيفية معلومة وهذه كلها وغيرها لم يأت بها الكتاب ولا فيه بيانها كما يعلمونها صريحا فهى إذا مأخوذة من التقليد أو يكونون هم مبتدعوها وعاملون تقليداً خاصا من تلقاء انفسم ليس مأخوذا من الرسل ولا من الأباء الذين عاصروهم وخلفوهم وإن قالوا بذلك فتكون أعمالهم مجروحة وتقاليدهم ضعيفة ولا قيمة لها:

إن هذا ليس بغريب على قوم قد تعددت مذاهبهم فبلغت اكثر من ٩٠ مذهبا وكل مذهب يقاوم الآخر لعدم التضامن فى التعليم بل الغريب ان يقوم بعض المتأنجلين الآن ويحاولون انكار هذه التقاليد بحجة انها غير مكتوبة فى الانجيل والأغرب منه انهم يعيرنوننا بأعيادنا وطقوسنا وتقاليدنا بل يهزأون بكنيستنا ويلقبونها تهكما بالتقليدية وكلما وقفوا على المنابر للخطابة والوعظ جعلوا الكنائس التقليدية موضوع وعظهم بل طعنهم. بينما انه فى الوقت نفسه تجد كتبهم اللاهوتية تؤيدها وتعرف بصحتها كما وإن علماؤهم يستحسنونها ويأمرون بقبولها ولكنهم لا يقبلونها كأمر مرشديهم ولا يسكتون عن تعييرنا فيما هم متمسكون به كتابة وحجة عليهم. إن لفى هذا عجبا!! وقد جاء فى كتاب الصلوة العامة للأسقفيين ما نصه «لا يلزم ان تكون التقاليد والطقوس فى جميع الأماكن واحدة ومتساوية تماما. فمن كان برأى نفسه ينقض ـ قاصداً متعمداً علانية ـ تقاليد الكنيسة وطقوسها التى ليست مغايرة لكلمة الله وقد رتبت واستصوبت بسلطان عام فلا بد من توبيخه علانية ليرهب غيره من ان يفعل نظيره كمن قد أساء الى ترتيب الكنيسة العام وأهان سلطان ذوى الأمر وأحزن ضمائر الاخوة الضعفاء صحيفة ٥٣٩. وعليه فإذا كان أولئك المتأنجلون مؤمنين بالكتاب وعلى إيمان صحيح راسخ وجب عليهم ان يأخذوا بهذه

التقاليد حسب أقوال علمائهم وإلا كانوا مخالفين للكتاب ومضادين لتعاليمهم وهذا ما لا يقوله الانجيليون أنفسهم وإن أنكروا التقاليد قولا. على انهم ــ كما اخذنا عنهم ـ معترفون بكل تقليد يوافق روح الكتاب ويؤول الى خلاص النفوس وهم فى هذا متفقون معنا لأن هذا هو مبدأنا الصريح.

ولكنهم يقولون «إن التقاليد التى علمها الرسل وكتبها واحدة اى انه علّم أولا ثم كتب ما علّمه «نظام علم اللاهوت جزء ١ صفحة ٤٧ على ان هذه الحجة ساقطة من نفسها ولا تسندها آية من آيات الكتاب الذى يقول «إن أشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة فواحدة فلست أظن ان العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة يو ٢١ : ٢٥ هذا ولو كانت التعاليم الشفوية هى ذات التعاليم المدونة لما أوصى المؤمنين بحفظها ١ كو ١١ : ٢ ولما خصها بالذكر ٢ تس ٢ : ١٥ ولما أمر تلميذه بالتمسك بها ٢ تس ١ : ١٣ ولما أمره بأن يستودعها أناسا أمناء ليحفظوها ويعلموا الآخرين ايضا ٢ تى ٢ : ٢.

فليتهم يقبلون الحق وقد حصص ويرجعون الى كنسيتهم القويمة الرأى ـ الكنيسة الوحيدة ــ التى حافظت على وديعة الايمان كما تسلمتها من الرسل الاطهار ومن الرب يسوع نفسه بشهادة كبار طائفتهم فقد قالت السيدة بوتشر صاحبة كتاب تاريخ الأمة القبطية «أما الكنيسة القبطية المصرية التى هكذا اسسها مار مرقس الرسول فقد حافظت الى الأن على نظاماتها وطقوسها الاصلية أكثر مما حافظت عليه اية كنيسة اخرى من عهد مؤسسها الى اليوم وفيها بقيت سلسلة المراتب الكهنوتية الثلاثة متصلة بغير انقطاع الى يومنا هذا وهى الاسقفية والقسوسية والشماسية وقد حافظت ايضا منذ نشأتها على الاسرار السبعة الكنائسية» صحيفة ٢٨، ٢٩.

الباب الثامن

أسبوع الآلام

الفصل الأول

«الاحتفال به وغاية الكنيسة منه»

يسمى هذا الأسبوع بأسماء كثيرة منها

١ ـ اسبوع الآلام لان يسوع رئيس خلاصنا كمّل عمل الفداء بالآلام عب ٢ : ١٠

٢ ـ جمعة البصخة [١] وهى كلمة قبطية معناها «فصح» وبالعبرية اجتياز أو عبور «والغاية منها تذكار حادثة وقعت فى العهد القديم على يد موسى الكليم خر ١٢ الخ» وأطلقتها الكنيسة على اسبوع الآلام من باب الاستعارة فكما ان خروف الفصح كان به نجاة شعب الله قديما من ضربة الملاك المهلك وعبوره عن بيوتهم التى كانت مرشوشة بالدم كذلك الفداء كان «بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح ١ بط ١ : ٩و ٢٠ وكما ان ذاك يسمى خروف الفصح كذلك يسوع الذى تألم وصلب ومات لأجلنا بط ٢ : ٢١ وأنقذنا من سلطان الظلمة كو ١ : ١٣ وعب ٢ : ١٤، ١٥ يسمى فصحاً ١ كو ٥ : ٦ ـ ٧ لهذا دعيت الجمعه بإسمه

٣ ـ اسبوع الفصح المقدس. أوامر الرسل ك ٨ ف ١٨

٤ ـ الجمعة المقدسة وذلك تمييزا لها عن غيرها للأعمال المقدسة التى تمت فيها.

---

(١) راجع المجموع الصفوى وجه ١٧١ : ٣

تحتفل به الكنيسة منذ العصر الرسولى ابتداء من ليلة الاثنين الى السبت نهاية الاسبوع وقد كانت تحتفل به بادئ ذى بدء على حدة منفصلا عن الصوم الى عهد الأنبا ديمتريوس الكرام ومن ذلك العهد قد ضمته الى الصوم الكبير وتحتفل به مباشرة عقب ختامه وأحد الشعانين. وقد رتبت الكنيسة بإرشاد الروح القدس الاحتفال به سنويا كما وأنه قد نهت القوانين الرسولية عن عمله أكثر من مرة فى السنة.

«احتفال الكنيسة به» من المسلّم به ان الاحتفال به اخذ عن الرسل انفسهم والبراهين على ذلك كثيرة كما سترى.

أولا: من أقوال الرسل انفسهم. حيث جاء فى أوامرهم ما نصه «فليكن عندكم صوم الأربعين جليلا وبعد هذا اهتموا ان تكملوا اسبوع الفصح المقدس وتصوموه كلكم بخوف وزهد وتقشف لأن فيه تشاور اليهود على يسوع ويهوذا الدافع اسلمه اليهم وفيه تألم وصلب ومات ك ٨ ق ١٨[١].

ثانيا: من أقوال الآباء والعلماء فى الأجيال الأولى. كالقديس ترتليانوس فى خطابه الى ٧ كور. أو ٢ واغسطينوس فى كتابه حيوة قسطنطين الكبير ك ١ ف ٤ رأس ١٨. والذهبى فمه فى م ٩٢ على متى واوريجانوس فى كلامه على عيد القيامة إذا يقول. إنه كان محفوظا فى الكنيسة ويحتفل به كعيد العنصرة «وجمعة الآلام» ك ٢ صحيفة ٣٩٢.

ثالثا: من الاجماع العام «وهو اتفاق سائر الكنائس الرسولية فى العالم شرقية وغربية. وإن إجماع هذه الكنائس عليها مع احتفالها به سنويا لبرهان قاطع على انه اخذ مبدأه من الرسل انفسهم.

---

(١) راجع المجموع الصفوى وجه ١٧٤ : ٧، ١٨ ، ١٩.

رابعا: من شهادة البروتستانت انفسهم. فقد جاء فى كتاب ريحانة النفوس ما نصه انه الى أيام أوريجانوس الذى توفى سنة ٢٥٤ لم تكن اعياد عمومية الا جمعة الألام والفصح الخ صفحة ٧.

نتج مما تقدم ان الاحتفال بتذكار الألام قديم فى الكنيسة وبالتالى من العصر الرسولى وأنه مأمور به من الرسل انفسهم. وقد جاء فى كتاب رتبة البصخة بأنه قد كان ولا يزال لهذا الاسبوع شأن فى الكنيسة منذ الأزمنة الرسولية وكان المسيحيون يمتنعون عن الأشغال العالمية فيه كما وإن الشريعة المدنية كانت ايضا تمنع الخدمة الاستعبادية والملوك المؤمنون كانوا يأمرون بتعطيل مصالح الحكومة ودور العلم سبعة ايام قبل عيد الفصح ومثلها بعده. وكانوا يريدون ويحبون فى هذه الأيام الممتازة التى نال فيها المسيحيون خلاص الله ان تمتد رحمة المسيح الى الأثمة المجرمين والمسجونين فيخلص المحكوم عليهم بالإعدام. وكذلك كان الملك تاؤدوسيوس الكبير يبعث برسائل الفصح والعفو بالإفراج عن كل المسجونين فى كل المدن. واختبر العبيد انفسهم تأثير أسرار المخلص المقدسة فى طباع المؤمنين الذين كانوا يضطرون ان يتركوهم يتمتعون بالراحة الكاملة مدة ١٥ يوما كما هو منصوص فى الأوامر الرسولية حيث فلتعف العبيد من الأشغال فى الجمعة السابقة لعيد الفصح والجمعة التى تليه لأن الأسبوع الأول هو جمعة آلام المخلص والثانى جمعة قيامته من الأموات وأيضا لأن العبيد محتاجون للإسترشاد الى هذه الاسرار ٧ ف ٣٨.

«غاية الكنيسة من عمل التذكار» أما غايتها فهى:

أولاً: لنتذكر بنيها برحمة الله وإحساناته العظيمة نحو البشر بما تقرأ فيه من الفصول الانجيلية والعظات الدينية والتعاليم الروحية وكلها وضعت على اسلوب يذكرنا بآلام الرب وصلبه وموته.

ثانيا: لتذكرهم ايضا بما احتمله ابن الله من اجلهم وما كابده حبا لخلاصهم. دافعة اياهم إلى احتمال الآلام لاجل اسمه قائلة لهم بلسان الرسو ل. لانه قد وهب لكم لاجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل ايضا ان تتألموا لاجله. فى ١ : ٢٩ لانكم لهذا دعيتم فإن المسيح ايضا تألم لاجلنا تاركا لنا مثالا لكى تتبعوا خطواته ١ بط ٢ : ٢١ فإن كنا أولادا فإننا ورثة ايضا... إن كنا نتألم معه لكى نتمجد ايضا معه رو ٨ : ١٧.

وقد اتت النتائج موافقة للغاية الاساسية من عمل هذا التذكار باعتراف البروتستانت فقد جاء فى ريحانة النفوس ما نصه. ثم ان عيد الفصح والعنصره وجمعة الآلام التى كانت تحفظ بإعتبار عظيم عند المسيحيين الأولين كان المقصود بها إنتشار روح التقوى بواسطة مراجعة الحوادث والتعاليم العظيمة المدلول عليها بهذه الاعياد ولا ريب انه قد حصل من ذلك منفعة فى تلك العصور الأولى صحيفة ٨ و ١٩.



الفصل الثاني

«مواظبة الكنيسة على الصوم والصلوة كل الأسبوع»

تواظب الكنيسة فى هذا الاسبوع بنوع أخص على ممارسة الصوم والصلاة بزهد وحرارة

أما مواظبتها على الصوم. فلسبب الأحزان التى كابدها يسوع والآلام التى احتملها لاجلنا. نعم ان حياته على الأرض بالجسد كانت كلها مقترنة بالأحزان إلا أنها لم تبلغ اشدها الا فى هذا الاسبوع حيث جاءت الساعة التى

يتمجد فيها يو ١٢ : ٢٣ وابتدأ يحزن ويكتئب مت ٢٦ : ٢٧ وبما ان هذه الحال لا يلائمها إلا الصوم لما بينها من المشابهة فمراعاة لمقتضى الحال امرت الرسل بممارسة الصوم طول الأسبوع كما فرضت الكنيسة ان يكون الصوم الى الساعة التاسعة يومياً بقولهم «يجب ان تصوموا فى أيام الفصح إبتداء من يوم الاثنين الى السبت وهى ٦ أيام تأكلون فيها الخبز والملح والماء فقط. أما يوم الجمعة والسبت فصوموهما كليهما معاً إذا استطعتم ولا يؤكل فيهما شئ حتى صياح الديك «فجر أحد القيامة» وإذا لم يستطع احد ان يصومهما معاً فليحفظ صوم يوم السبت. ففى هذه الأيام حُكم على الرب بالموت صلبا وعُدَّ مع المجرمين اش ٥٣: ١٢ ولأجل هذا نعلمكم انتم ايضا ان تصوموا فيهما الى الليل وليكن الصوم من ثانى الأسبوع لتفطروا فى صياح الديك الخ... دسق ب ١٨ و ٣١ والمجموع الصفوى ١٧٤» وتبعاً لهذه الأوامر الرسولية قد حافظت الكنيسة على الصوم والصلاة بتذلل وإنسحاق قلب. وكان المؤمنون الأولون يبلغون درجة قصوى من التقشف والزهد حتى انهم كانوا يصومون الثلاثة الأيام الأولى ولا يأكلون فيها سوى الخبز والملح كما كانوا يصومون من ليلة الجمعة حتى صباح عيد الفصح بلا طعام ولا شراب بالمرة دسق ٣١. م. ص وجه ١٧٤ : ١٩

وأما مواظبتها على الصلوة فللأسباب الآتية:

أولا : للتمثيل بالرب يسوع الذى صرف هذا الأسبوع على نوع اخص ملازما الصلاة بحرارة ولجاجة ليل نهار ولا سيما فى ليلة آلامه إذ قضى الليل كله ساهرا فى الصلاة مت ٢٦ : ٣٦ ـ ٤٥ واذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الارض لو ٢٢ : ٤٤ وفى ذلك

قال الرسول الذى فى ايام جسده اذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر ان يخلصه من الموت... عب ٥ : ٧.

ثانياً: لأن الرسل قد أمروا بالمواظبة على الحضور فى الكنيسة والمثابرة على الصلوة والتسبيح وقراءة كتاب الله دسق ب ١٨ : ٣١وم ص صفحة ١٢٤ . وجاء فى كتاب ترتيب البصخة «وكان المسيحيون فى تلك الايام يلازمون الكنيسة طول الاسبوع ويتفرغون للعبادة وكان السهر يطول فى الكنيسة وخصوصاً فى الثلاث ليالى الاخيرة من هذه الجمعة وكان يتحتم على كل مسيحى ان يحضر الكنيسة وكانت الصلوة تطول جداً».

ثالثاً: لان آلام الرب الشديدة ابتدأت من هذا الاسبوع وانتهت بإنتهاءه وكانت كلها سلسلة حلقات متصلة بعضها ببعض ففى يوم الإثنين تآمروا عليه وفى الثلاثاء تشاوروا ليمسكوه وفى الأربعاء شرعوا فى القبض عليه وفى الخميس سلم اليهم بارادته ومن هذا اليوم اشتدت الآلام عليه. فانهم منذ القوا عليه الايادى مضوا به الى قيافا فرئيس الكهنة فى تلك السنة فبيلاطس فهيرودس فبيلاطس ثانية فرؤساء الكهنة وهؤلاء مضوا به الى الصلب يوم الجمعة حيث حكموا عليه وتمموا كل ما كُتب عنه اع ١٣ : ٢٩ اخيراً ذاق الموت الزؤام حباً فى الأنام فهو اذاً قضى الاسبوع كله يقاسى تباريح الآلام ويعانى اقداح العذابات والحزن شمله نفسا وجسدا. واننا لو وضعنا كل آلامه فى مدة حياته الجسدية على الارض من المهد الى هذا الاسبوع فى كفة وآلام هذا الاسبوع فى كفة اخرى لرجحت هذه عن تلك.

ولهذا رتبت الكنيسة ان تواظب على الاجتماعات للهذيذ فى كلمة الله والتأمل فيما احتمله البار من أجل الاثمة الفجار ومداومة التسبيح للذى جاء

الى العالم وتألم عنا لكى بآلامه المحيية يخلصنا عب ٢ : ٩ و ١٠ ، ٥ : ٩ ، ١٢ : ٢ ، ١ بط ٢ : ٤ ، ٣ : ١٨

وغاية الكنيسة من ذلك ان تذكرنا بأثامنا التى سببت لابن الله عذابا شنيعا كهذا وموتا مريعا. دافعةً ايانا إلى التوبة والرجوع عن الخطية بما تتلوه علينا من كلمة الله الحية الفعالة. ولا غرو ان مارست الكنيسة افعال السجود والتعبد بمواظبة الذى مات لأجلها بتقشف وزهد وسهر دائم وصوم متواصل وركوع مستمر باكية منتحبة عند قدمى المصلوب حزنا على الخطية والتماساً لرحمته تعالى. فمستحق هو الخروف المذبوح «لأجلنا» أن يأخذ.. الكرامة والمجد والبركة الى ابد الآبدين رؤ ٥ : ١٢ ، ١٣.



الفصل الثالث

«واضع ترتيب جمعة البصخة»

كانت الكنيسة فى عهدها الاول تمارس الصلوات وتقرأ الكتاب المقدس من أوله الى اخره فى جمعة البصخة تبعا لقوانين الرسل التى أمرت بقرأءة فصول العهدين القديم والجديد فى اسبوع الآلام وصار ذلك فرضا واجبا على كل مسيحى حتى فى زمن الأنبا غبريال الثانى ابن تريك ال ٧٧ فى عدد البطاركة.

ولما تبوأ هذا الأب عرش الخلافة المرقسية سنة ٩٧٤ للشهداء وكان من علماء الكنيسة ورأى صعوبة القيام بالقانون الرسولى على المسيحيين ولم يكن فى طاقة احد إتمام هذا القانون نظرا لإنهماكهم فى اشغالهم ومصالحهم ولا سيما المستخدمين منهم فى مصالح الحكومة فجمع عدداً كبيرا من آباء وعلماء

الكنيسة وبينهم بعض رهبان دير ابى مقار ومن ثم اخذ فى وضع نظام لقراءات هذا الاسبوع فرتب فصولا من النبوات والاناجيل مملوءة من أخبار آلام المسيح وجعل لكل ساعة لقراءات مخصوصة تختلف عن غيرها على سياق الحوادث التى حدثت للرب من بدء الأسبوع الى آخره وجمع كل ما رتبه من الفصول الكتابية التى تختص بموضوع الآلام فى كتاب دعاه البصخة «الفصح»وهو الذى يعمل به الآن فى كل الكنائس.

وسارت الكنيسة على هذا الترتيب الى زمن الأنبا بطرس اسقف البهنسا الذى رأى فيه نقصا يجب إكماله. فإن الترتيب خصص لبعض ساعات فصولا من النبوات والاناجيل اكثر من غيرها وكانت بغية الانبا بطرس ان يجعل الساعات متوازية فى القراءات فرتب من الكتاب المقدس «العهدين» ما يناسب تلاوته فى اسبوع الآلام كل يوم بيومه وساعة بساعتها ثم رتب لكل يوم عظتين من عظات آباء الكنيسة كالأنبا اثناسيوس الرسولى والذهبى فمه.

أما الأوقات والساعات التى عينتها الكنيسة لتقيم فيها الصلوات يوميا مدة الاسبوع فهى «باعتبار ان اليوم يبدأ من الغروب الى مثله فى اليوم التالى» صلوة الساعة الأولى والثالثة من مساء اليوم التالى وفى منتصف الليل الساعه ال ٦ وال٩ وال١١. وفى الصباح باكرا جداً الساعة الأولى من النهار. وفى الظهر. صلوة الساعة ال ٣ وال ٦ وال ٩ وال ١١ من النهار ايضا. اما يوم الجمعة فتضاف الى ذلك صلوة الساعة ال ١٢.

هذا الترتيب سائر على محور واحد ونظام واحد فى كل ساعة من هذه الساعات فقط تختلف القراءات فى كل ساعة عن الاخرى لان لكل منها فصولا معينه من النبوات والمزامير والانجيل. اما يوم الشعانين فلا تمارس

الكنيسة شيئا فيه من صلوات البصخة الا صلاة الساعة الاولى والثالثة من ليلة الاثنين «لانه خاص بتذكار دخول المسيح الى أورشليم».



الفصل الرابع

«احتفال الكنيسة العام بجناز الراقدين»

فى يوم احد الشعانين بعد نهاية القداس تحتفل الكنيسة بعمل جناز عام لجمع الراقدين فى الرب خلال اسبوع الألام فقط بمعنى انها لا تحتفل باقامة جنازات تذكارية عن انفس المسحيين المنتقلين فى غضون هذا الاسبوع[١] لأسباب منها.

أولا: لان هذا الاسبوع خاص لعمل تذكار آلام وصلب وموت ابن الله.

ثانياً: لان الرب يسوع قد كابد فى هذا الاسبوع آلاماً مرة واحزاناً شديدة فى نفسه وجسده معا مت ٢٦ : ٣٧و ٣٨ اما الرب فسر ان يسحقه بالحزن اش ٥٣ : ١٠ ولهـذا رتبـت الكنيسـة ان لا تشـترك فى حزن آخر غير حزن يسوع عريسها.

ثالثاً: لأنها خصصت هذا الاسبوع لصرفه فى الصلوة والتسبيح والصوم وهى حزينة على خطايانا. مشتركة فى آلام الرب حمل احزاننا اش ٥٣: ٤ قائلة لبنيها مع الرسول لأن الحزن الذى بحسب مشيئه الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة وأما حزن العالم فينشئ موتاً ٢ كو ٧ : ١٠.

لهذه الاسباب أمرت الكنيسة ان تحتفل بهذا الجناز عن انفس الراقدين فى

(١) راجع المجموع الصفوى صفحة ١٧٧ : ٣٥ خرسطا.

الرب خلال هذا الاسبوع حتى لا تعمل جنازاً اخر لاحد منهم اكتفاء بهذا الجناز العام. وبما انها نهت عن رفع بخور فى هذه الأيام الى يوم الخميس الكبير فإذا رقد احد المؤمنين فى اثنائها تكتفى بالصلاة وقراءة الفصول الانجيلية بدون رفع بخور



الفصل الخامس

«شرح ترتيب البصخة وما يشير اليه من المعانى الروحية»

تباشر الكنيسة صلوة البصخة ابتداء من ليلة لاثنين وقبل ذلك تغلق ابواب الاسكنة.

«الاسكنة» لفظة يونانية صحتها «اسكينى» ومعناها قبة أو المحل المقبى وهو الخورس الأول. ثم توضع امام باب الاسكينى «فى وسط الخورس الثانى» المنجليا عليها ستر اسود والمنارة بجانبها عليها ثلاث شموع استعداداً للصلوة خارج الاسكينى «الخورس الأول».

تقيم الكنيسة الصلوات خارج الاسكينى لأسباب منها:

أولا: للإشارة الى ان السيد له المجد تألم وصلب على جبل الاقرانيون خارج أورشليم كما أشار الى ذلك الرسول بقوله «لذلك يسوع ايضا لكى يقدس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب فلنخرج إذاً اليه خارج المحلة حاملين عاره ١٣ : ١٢و ١٣.

ثانياً: لأن ذبائح العهد القديم التى كان يدخل بدمها عن الخطية وكانت

رمزاً الى ذبيحة الصليب الكفارية كانت تحرق خارج المحلة عب ١٣ : ١١ وخر ٢٩ : ١٤ ولا ٤ : ١١ و ١٢ والغاية من ذلك على ماقال بعض العلماء ــ تنفير اليهود من الخطية لأن حرق ذبيحتها خارج المحلة يدل على شناعة الخطية. ولهذا تقيم الكنيسة صلواتها خارج الاسكينى محرضة بنيها ان يطرحوا عنهم كل ثقل والخطية المحيطة بهم بسهولة عب ١٢ : ٤ وإلا فإن من يستمر فى خطاياه يصلب ابن الله ثانية ويشهره عب ٦ : ٦ ومن كان كذلك فنصيبه الاقصاء عن حضرة الله والطرح فى الظلمة الخارجية مت ٢٦ : ٣٠ راجع رؤ ٢٢ : ١٥.

ثالثاً : لأن حرق تلك الذبائح خارج المحلة كان إيذانا بأن قصاص الخطية التى تقربت عنها طرح عن الشعب كذلك الكنيسة تعلمنا بأن الخطية رفعت عنا يسوع الذى ابطلها بذبيحة نفسه خارج أورشليم عب ٩ :٢٦ ــ ٢٨ إذا محا الصك ... الذى كان ضداً لنا كو٢ :١٤

رابعاً : قال أحد العلماء لكى يتمم بنوها ما كان مفروضا على الابرص إذا كان يقيم خارج المحلة ٧ أيام ويغسل ثيابه وبدنه بالماء ويحلق شعر رأسه ولحيته وحواجب عينيه لا ١٤ : ٨و٩هكذا رتبت الكنيسة أن تقيم خارج الاسكينى ٧ أيام ملازمين الصلوات الحارة والتأملات الروحية ونغسل نفوسنا من أدران الخطية ونقطع بموسى التأمل فى آلام الرب وموته شعور عوائدنا الرديئه لتستحق الرجوع إلى وطننا السموى .

أما وضع الستر الأسود على المنجليا « محل الإنجيل » وتوشيح الكنيسة بالأغطيه السوداء والذرقاء فاشارة إلى حزن الكنيسة التى تعمل تذكار آلام الرب وموته وهى حزينة كئيبة وإلى حزن التلاميذ الذين لما أنبأهم الرب بموته ابتدأوا

يحزنون مر ١٤ :١٩ . كقوله تعالى. لكن لانى قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم الحق الحق أقول لكم أنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح . أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح ..... فأنتم كذلك عندكم الآن حزن . لكنى سأراكم أيضا فتفرح قلوبكم الخ.يو١٦ :٦و٢٠ ـ ٢٣

أما إيقاد الشموع الثلاث. فقال بعضهم « أن الاولى تشير إلى النبوات والثانية إلى الانجيل والثالثة إلى رسم تذكار الألام » ونشير أيضاً إلى أن هذا تذكار يسوع نور العالم الذى تنبأت عنه الانبياء اش ٩ :٢ وكرزت به الرسل ٢كو ٤ :٦,١يو ١ :٥ وتنادى به الكنيسة.

ثم يبدأ الكاهن « الاب البطريرك أو الاسقف إذا كان حاضراً بالصلاة كالمعتاد ثم يسبح هو والشعب التسبحة الخاصة بالبسخة وهى ⲐⲞⲔ ⲦⲈ ϮϪⲞⲘ لك القوة والمجد والبركة والعزة الى الابد امين يا عمانوئيل إلهنا وملكنا. لك القوة الخ . ياربنا يسوع الميسح « مخلصنا الصالح » لك القوة . الخ. يا أبانا الذى فى السموات الخ .

إعتادت الكنيسة ـ كما تسلمت من رؤسائها تلاميذ الرب وخلفائهم ـ أن تصلى بالمزامير كلما اجتمعت فى بيت الله للعباده ولممارسة سر الافخارستيا ما عدا أسبوع الألام فإنها لا تستعملها بل تستعيض عنها بهذه التسبحة وذلك لاسباب منها :

أولا : لان المزامير مملوءة بالنبوات عن حيوة الرب يسوع من بدأ تجسده إلى صعوده. وبما أن الكنيسة تصنع تذكار آلامه فقط فلهذا اختارت منها ما يشير إلى آلامه ورتبت استعماله.

ثانياً : لان المزامير تحوى كثيراً من عبارات الدعاءعلى الاشرار والتضرع إلى

الله لاجل انقلاب الاعدء والاستعانة بالرب عليهم « النجاة من أيديهم ، والتماس المعونة فى الضيق ، والنجاة من الشدة، والخلاص من التجارب . وبما أن هذه الطلبات لا تلائم جوهر الاحتفال بآلام المسيح فلهذا رتبت الكنيسة أن تكون صلواتها قاصرة على تمجيد الرب على خلاصه العظيم الذى صنعه بنا وشكره على محبته لنا.

ثالثاً : لأن هذه النبوات تمت بنوع عجيب فى شخصه المحبوب لذا تركت الكنيسة استعمال المزامير ــ اكتفاء بما اختارته ورتبته منها مما يشير إلى الآمه ـ واستبدلتها بهذه الترنيمة.

ربما يلتبس على البعض معنى إبدال المزامير بالترنيمه فيقولون أن الترنيمة من تأليف ونظم بنى البشر . ومنعاً لهذا الالتباس نقول أن هذه الترنيمة هى من أقوال الله نفسه وهى فى ذات المنزله التى لمزامير داود لأنها مأخوذه من الكتاب المقدس فبعضها من صلوة المسيح مت ٦ :١٣ والبعض الآخر من سفر الرؤيا ٤ :٩ الخ ،٥ :١٢ و١٣ ، ٧ :١٢ ، ١٩ :١ . وتنشدها الكنيسة مع الملائكة الذين هم أمام العرش يسبحون الحى إلى أبد الآبدين رؤ٤ :١١ ، ٥ :١٣ للاعتبارات الآتية:

أولا : للإشتراك معهم فى تقديمها لمن تألم لأجلها وخلصها بموته قائلة : مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة .. والسلطان إلى أبد الابدين آمين رؤ ٥ :١٢و١٣

ثانيا : لإعلان اعترافها بأن الذى تحتفل بتذكار الامه المحيية وأ ن يكون تألم ومات إلا أنه حى إلى أبد الابدين رؤ١ : ١٨ .

وكما أن الكنيسة السماوية ترتلها معترفة أن الخلاص لإلهنا رؤ ٧ :١٠ كذلك الكنيسة المنظورة على الأرض تردد هذا الاعتراف قائلة. هللويا الخلاص والمجد والكرامة والقدرة الرب إلهنا رؤ١٩ :١

ثالثا : لأنها بيسوع نالت الكرامة والمجد والبركة والخلاص ولهذا تسبحه مع موسى قائلة أرنم للرب فانه قد تعظم. وقد صار خلاصى خر ١٥ :١و٢ ومع داود. لك يارب يليق التسبيح مز ٦٢ :١ ومع بولس. له المجد. والكرامة والقدرة الأبدية آمين اف ٣ :٢١ ،١تى ١ :١٧، ٦ : ١٥

رابعاً: لأن هذه الترنيمة هى صفات طبيعية لله فترتلها مع الملائكة على سبيل التقريظ والمديح لألهنا على الخلاص العظيم الذى صنعه والنصر الذى أتاه . فبقولنا .

(١) لك القوة فعترف أنه قوتنا خر ١٥ :٢ وبقوته دحر الشيطان وداس شوكة الموت وأخضع كل قوات الشر كو ٢ :١٥

(٢) لك المجد . تقدم له المجد مع الملائكة رؤ ٤ :٩. معترفين بأنه حقاً إله المجد والمجد خاص به وحده وهو الممجد من الملائكة فى السماء رؤ١١ :١٣ ومبارك اسم مجده إلى الدهر ولتمتلئ الأرض كلها من مجده مز ٧٢ :١٩ واش ٦ :٣ وإله كل نعمة الذى دعانا إلى مجده الأبدى ابط ٥ :١٠ واجب أن نعطيه المجد ١ أى ١٦ : ٢٨ ومز ٢٩ :١ ومل ٢ :٢

(٣) لك البركه نعترف بأنه المبارك العزيز ١ تى ٦ :١٥ ومستحق أن يأخذ البركة رؤ٥ :١٢ ونباركه لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه لو ١ : ٦٨

(٤) لك العزة. نعطيه العزة مز ٢٩ :١ ، ٦٨ :٢٤ ونعترف بأن العزة له وحده

٦٢ :١١ وهو العزيز الوحيد ١تى ٦ :١٥ الذى أعطانا عزاً مز ٢٩ :١١ وهو عزنا ار ١٦ :١٩

(٥) ياعمانوئيل . هذه كلمة عبرانية معناها ـــ الله معنا مت ١ :٢٣ وقد جعلت اسم علم ليسوع كلمة الله اش ٧ :١٥ . والكنيسة تعلمنا أن الذى نرسل له هذه الترنيمة الذى وإن يكن تألم لأجلنا واحتمل الصليب مستهيناً بالخزى عب ١٢ :٣ إلا أنه هو ابن الله السماوى لأبيه وروح قدسه فى الجوهر فى ٢ :٦ ـ٩ وأن خلاصنا كـان بيسـوع الذى هو الله معنا.

(٦) إلهنا وملكنا للاعتراف بسلطته وأنه ملك الدهور كلها الذى لا يفنى ١تى ١ :١٧ الذى أعطى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض مت ٢٨ : ١٨ وهو ملك الملوك ورب الأرباب رؤ١٩ :١٦

تكرر الكنيسة هذه الترنيمة ٣ مرات للدلالة على شغفها بتمجيد فاديها الذى احتمل هذه الآلام حتى فدانا بدمه الكريم وقراراً بقدرته ولو أنه أظهر الضعف . وفى سفر الرؤيا نجد أن الملائكة كرروا فى وقت واحد أنشودة واحد أربع مرات رؤ ١٩ :١و٣و٤و٦ لا سيما وأن هذه الترنيمة هى أنشودة السمائيين الوحيدة وتكرر ترتيلها فى سفر الرؤيا ١٢ مرة تقريباً وبما أن يسوع حمل أحزاننا وتحمل أوجاعنا وبحبره شفينا اش ٥٣ :٤و٥ وجب أن نكثرمن شكره وتمجيده .

أما تكرارها ١٢ مرة بلا زيادة ولانقصان فى كل صلوة فلان الكنيسة رتبت لكل صلوة ١٢ مزموراً وكل مرة من انشاد هذه الترنيمة تعدل مزموراً واحداً . ولأن العدد ٩٢ ذكـر فى رؤ ٧ :٤ رمزاً إلى المختـارين كـمـا يقـول القـديس امبروسيوس ولذلك نحن نرجو بتكرارها أن نكون فى عداد المختارين الذين تمتعوا بخلاص الرب الثمين.

تختم الكنيسة هذه التسبحة بالصلوة الربانية فى كل مرة. فأولا لأن الصلوة الربانية تتضمن ٧ طلبات وكل واحدة تذكرنا بحادثة من حوادث آلام موت الرب . وثانيا لانها تذكرنا بالكلمات التى فاه بها يسوع وهو على الصليب وهى سبع كعدد الطلبات التى تحويها الصلوة الربانية راجع ما كتبناه فى هذا لصدد الجزء الأول صحيفة ٤٢٨

وبعد انتهاء التسبيح السابق تقرأ النبوات.

تقتصر الكنيسة فى هذا الأسبوع على قراءة النبوات والفصول الانجيلية وطلب رحمة الله . أما النبوات فلأن بعضها يشير إلى آلام الرب وموته . ولذا تقرا قبل الإنجيل « إشاره الى أن العهد القديم كان توطئة للعهد الجديد وإظهاراً لنبوات الأنبياء عن المسيح ».

بعد النبوات يقرأ المزمور بالحن المعروف ويجاوب بمثله .

انتخبت الكنيسة كل الآيات التى قيلت فى سفر المزامير عن آلام الرب وموته ورتبت قراءتها فى هذا الاسبوع . ثم ترتلها بأنغام محزنة مراعية الظروف التى هى فيها وهى ظروق آلام وأحزان.

وبعده يرتل الشمامسة هذه الترنيمة ‹Ⲕⲉ ϩⲩⲡⲉⲣ ⲧⲟⲩ› ــ لكى نكون مستحقين لسماع الانجيل المقدس الإلهى نتوسل لربنا وإلهنا أصغوا للإنجيل المقدس[1] وبعدها يقرأ الإنجيل بلحن التجنيز.

يقرأ الإنجيل بعد النبوات إشارة إل أنه بشرنا بالخلاص . الخاص الذى فتش وبحث عنه الانبياء الذين تنبأوا عن النعمة التى لأجلكم ابط ١ :١٠و١١

(١) راجع الجزء الأول وجه ٣٧٠

وبعده يقرأ الطرح « بلحن البسخة المعروف » الذى مطلعه القبطى المسيح مخلصنا الخ » ثم يفسر عربيا[(١)] وبعده يقرأ الكاهن الطلبة الخاصه بالبسخة وفى نهايتها يرتل الشعب ⲠⲓⲬ̅ⲥ̅ ⲡⲉⲛⲥⲱⲧⲏⲣ يارب ارحم، ١٢مرة ⲔⲈ

بهذه الطلبه تلتمس الكنيسة برحمة الله الغافرة لشعبه وبركته على جميع مخلوقاته وقبول صلواتنا ومما تجب ملاحظته أن الطلبة التى تتلى فى المساء تكون بلا مطانيات « ركعات » لأن القوانين نهت عن استعمال المطانيات وقت الفطر. وبعد ذلك يقرأ الكاهن البركة ويختمها بالصلوة الربانية ويصرف الشعب مزوداً إياه بالبركة والدعاء .



الفصل السادس

« سبب إضافة ـ Ⲡⲁⲥⲱⲧⲏⲣ ⲛ̀ⲁ̀ⲅⲁⲑⲟⲥ ـ مخلصى الصالح»

« على ترنيمة الآلام من يوم الأربعاء»

أن ما شرحناه فى الفصل السابق من الترتيب يشمل كل ساعة من ساعات االبسخة لانه واحد. إلا أن الكنيسة أضافت على القرآت بعض زيادات تدل على معان روحية ابتداء من يوم الأربعاء. فصاعدا . من ذلك أنها أضافت على ترنيمه الآلام السبسابقه هاتين اللفظتين Ⲡⲁⲥⲱⲧⲏⲣ ⲛ̀ⲁ̀ⲅⲁⲑⲟⲥ وهما كلمتان يونانيتان معناهما مخلصى الصالح

---

(١) الطراح اسم لكتاب كنائسى يتضمن معنى الإنجيل الذى قرئ مع حث وتحريض على العمل بما جاء فيه. وفى ختامه نقول المسيح مخلصنا جاء وتألم عنا لكى بآلامه المحيية يخلصنا فلنمجده ونرفع اسمه لانه صنع معنا رحمة كعظيم رحمته .

والكنيسة تنعت يسوع أولا « بالمخلص » لأنه دعى مخلصاً قبل تجسده اش ٦٢ : ١١ ووقت البشرى بتجسده من العذراء لو ١ :٢٦ ويوم ميلاده العظيم لو ٢ :١١ ويوم ختانه ع ٣». لأنه يخلص شعبه من خطاياهم مت ١ :٢١ وتنعته «بالصالح» لأنه هو الراعى الصالح الوحيد الذى بذل نفسه عن الخراف يو ١٠ :١١ و١٤ وافتقد غنمه وخلصها وصار راعيها العظيم اش ٤٠ :١١ وحز ٣١ :١٢و١٣ ، ٢٧ :٤٣ وعب ١٣ :٣٠ وابط ٢ :٢٥ ، ٥ :٤

أما إضافتها من هذا اليوم فصاعداً فلأسباب منها :ـــ

أولا : لأن يسوع هو وسيطنا وضامن لعهد خلاصنا . ومعلوم أن الضامن متى أخذ على عهدته وفاء الدين صار المدين خالصاً ولذا دعى الضامن مخلصاً . ويسوع قيل عنه فى الكتاب أنه ضامن العهد خلاصنا راجع أي ١٧ :٣ ومز ١١٩ :١٢٢و١٢٣ وأش ٣٨ :١٤ وعب ٧ :٢٢ وبما أن الشروع العملى فى وفاء ماعلينا للعدل الإلهى وتتميم عمل الخلاص ابتداء من يوم الأربعاد لهذا رتبت الكنيسة إضافة « مخلصنا الصالح » وترتيلها من هذا اليوم باعتبار إن عمل الخلاص كان فى فكر الرب ومن قضائه من قبل تأسيس العالم ربط ١ :٢٠

ثانياً: « للإدلال بقوة على تشخيص آلام المسيح فإنه لم يبدأ تنفيذها إلا من يوم الأربعاء حيث أخذمن ذلك الوقت رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب يتشاورون فى القبض على يسوع وقتله. وبما أننا « بحبره شفينا » وجب علينا فى أيام الأربعاء والخميس والجمعة إن نزيد فى تمجيده وننعته بالمخلص الصالح لأن هذه الأ يام الثلاثه هى التى قاسى فيها السيد أشد الآلام وتمم فيها الخلاص الذى أتى من أجله ».

الفصل السابع

«شرح ترتيب صلوات يوم الخميس»

يفتح باب الخورس والهيكل ثم يبدأ بالصلاة فتقرأ النبوات وتصلى السواعى حسب المعتاد وبعدها يرفع بخور باكر كالمعتاد وبعده صلاة أوشيتى المرضى والقرابين وقراءه تسبحة الملائكة يطوف الكاهن حول الكنيسة بالبخور بدون تقبيل .

نهت الكنيسة عن استعمال القبلة الكنائيسة من يوم الخميس « إلى السبت مساء » إنكاراً لقبلة يهوذا الغاشة التى سلم بهاسيده فى مثل هذا اليوم مت ٢٦ : ٤٨ وتذكاراً لرذائل نتائجها والمعنى فيه تحذيراً وعظيا لبنيها من الوقوع فى مهواة التشبه به قائلة مع الرسول أنظروا أيها الأخوة أن لا يكون فى أحدكم قلب شرير « كيهوذا » بعدم إيمان الارتداد عن الله الحى عب ٣:١٢ لأن الرجل الغاش يرذله الله مز ٥:٦

بعد ذلك يقول المرتلون « ⲁⲅⲓⲟⲥ — قدوس » وبعدها يتلى قانون الإيمان .

يتلى قانون الإيمان الى قوله « تجسد من الروح القدس ومن العذراء مريم وتأنس» ولا تقال الجملة التى تليها وهى « وصلب عنا » لاعتبار أن الصلب حدث يوم الجمعة لا الخميس .

ثم يصلى الكاهن « ⲫϯ ⲛⲁⲓ ⲛⲁⲛ» ـ ارحمنا يا الله وبعده الابركسيس تقال « يوذاس ويوذاس الخ يا يهوذا» مخالف الناموس .

ترتل الكنيسة هذه العبارة تحقيراً لعمل يهوذا الذى باع سيده فى هذا اليوم . وفى الوقت نفسه لتذكر بنيها بنتائج الخطيه الوبيلة ليتجنبوها .

ثم يكمل الصلاة كالعادة ويختم بالصلوة الربانيه ويصرف الشعب بالبركة الرسولية.



الفصل الثامن

«اللقان والغاية منه»

فى ضحى يوم الخميس بعد نهاية صلاة البسخة تمارس الكنيسة مثال التواضع المعروف « باللقان » وقد أوضحنا فى الجزء الأول صحيفة ١٨٠ ما هو اللقان وما يتلى فيه من الصلوات والتسابيح وشرحنا معانيها الروحية . ونقتصر الآن على إثبات وجوب ممارسته فنقول .

تمارس الكنيسة منذ القديم هذه الفريضة الإلهية تذكاراً لغسل المسيح أرجل تلاميذه فى هذا اليوم وإتماماً لأمره تعالى . فقد قال الإنجيلى « أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم...قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذمنشفة وأتزر بها . ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل أرجل تلاميذه ويمسحها بالمنشفة التى كان متزرأبها... فلما كان قد غسل أرجلهم وأخذ ثيابه واتكأ أيضاً قال لهم أتفهمون ما قد صنعت بكم : أنتم تدعوننى معلماً وسيداً و حسناً تقولون لأنى أنا كذلك فان كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض

لإنى أعطيتكم مثالا حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً الخ يو ١٣ :١ و ـ ٦٤ و١٢ - ١٧

وهذا القول برهان صريح على وجوب استعمال هذه الفريضة المقدسة لأن المسيح بعد أن غسل أرجل تلاميذه أمرهم بممارسة ذلك تمثلا به واقتداء بمثله الصالح. واستناداً على أمره الإلهى تمارس الكنيسة هذه الفريضة منذ العصر الرسولى بشهادة الآباء فالقديس كيرلس الاسكندرى يقول. أن المسيح غسل الأقدام ليبدى للتلاميذ وسائر المؤمنين مثالا للتواضع والمحبة ليفتدوا به فالمسيح عمل هذا العمل وخلفه كوصية لتلاميذه ولمن يأتى بعدهم والقديس امبروسيوس يقول أن هذا التذكار أخذ عن المسيح نفسه ورسله .

وليس الكنيسة فقط التى تمارسه بل أن الملوك المسيحيين يستعملون هذا المثال الصالح بغسل أقدام الفقراء باحتفال مهيب تقليداً لتواضع المسيح الجزيل(١)

أما غاية الكنيسة من عمل هذا التذكار فهى أولاً لتعلّم بنيها ـــ بهذا المثال العملى الحسى ـــ فضيلة التواضع محرضة إياهم أن يضعوا نصب أعينهم أنموذج الإله المتأنس الذى قال تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب مت ١١ :٢٩ قائلة لهم بلسان الرسول تمثلوا بالله كأولاد أحباء اف ٥ :١ وليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً فى ٢ :٥

هذا وقد ينكر علينا البعض ممارسة هذا المثال السيدى بحجة عدم فائدته . ودفعاً لذلك نقول مع أحد العلماء أن الأستاذ الكيماوى يستعمل ثلاث وسائل فى إلقاء دروسه وتفهيمها للطلبة.

---

(١) مجلة الكرمة سنة ثانية.

أولا شرح الدرس شفوياً .

ثانياً : رسمه صورة جهازه الكيماوى على الصورة « الطاولة» .

ثالثاً : الحصول على الغرض المقصود من الدرس بالأجهزة التى تستعمل لذلك كما إذا أراد أن يحيل المادة السائلة الى مادة غازية او كليهما إلى مادة صلبة كذلك الله تعالى أمر قادة شعبه أن يحذوا فى تعليم وتفهيم أولاد العبرانيين وأولاد الإنجيل هذا الحذر كما سنرى.

أولا : أن يعلموا شفويا كيفية عبور شعبه واجتيازهم بمعجزه البحر الاحمر وهلاك أعدائهم فيه.

ثانيا: أن يرسموا بعض الحوادث الروحية التى شاهدها بعضهم كظهور الملائكة وتجلى رؤساء جنود السماء.

ثالثا: أن يشخصوا بعض الحوادث ويعيدوا روايتها كل سنة مثل ذبح خروف الفصح . وعيد المظال .

فالرواية الأولى تذكرهم وتعيد أمام عيونهم صورة وكيفية نجاة أبكارهم بواسطة ذبح الخروف وتلطيخ أعالى أبوابهم بدمائه . ورواية أكلهم إياه تحضر أمامهم صورة خروج أسلافهم بالعجلة من مصر ورواية عملهم المظال تشخص لهم كيفية وجود أجدادهم فى البرية وسفرهم فيها مدة أربعين سنة ورواية صوم وعيد الفوريم تمثل أمامهم كيفية نجاة جنسهم من شر مكيدة « هامان الأجاجى وزير ملك الفرس وكيفية عقابه.»

ولا شك أن الرب بقوله لرسله اصنعوا هذا لذكرى « لو ٢٢ :١٩ »قد أذن بل أمربتمثيل كل روايات حوادث تجسده ـ من ميلاه إلى إرتفاعه بالمجد إلى أبيه

وجلوسه عن يمينه فى الأعالى ـ ومن هذه الحوادث الحادثة التى نحن فى صددها الدالة على جزيل تواضع رب المجد . وليس المقصود من ذلك أن البطريرك أو الأسقف أو القس يتحتم عليه أن يغسل أرجل كل الشعب كما فعل سيدنا مع تلاميذه بل المقصود من تلك العملية أن يعيد أحدهم أمام الشعب ذكرى وصورة تلك الواقعة ليرسم لهم درجة التواضع التى بلغ إليها تنازل ذلك الذى يغطى السرافيم وجوههم وأرجلهم بأجنحتهم من بهاء عظمة مجده اش ٦ :٢ اهـ[١] .

هذا ومما تجب ملاحظته أن الكنيسة تحتفل بعمل هذا التذكار قبل القداس للأسباب الآتية :

أولا : للسير على مثال ما فعل الرب فإنه غسل أرجل تلاميذه ثم ناولهم سر الشكر يو ١٣ :٢٦ ـ ٢٨

ثانياً : لتعلم بنيها وجوب غسل النفس من أقذار الذنوب بدموع التوبة والندامة قبل الإقتراب إلى الجسد والدم الكريمين كما قال القديس أغسطينوس وإلا فلا نستحق أن نشترك فى الوليمة السماوية التى أعدها لنا من فيض جودهِ وانعامه .

ثالثاً : لأن للقان قداسا خاصا لتقديس الماء وبعد إتمامه يتزر الكاهن« أو رئيس الكهنة إذا كان حاضراً » بالشملة و« وشاح أبيض » كما فعل السيد يو ١٣ :٤ ثم يبدأ بغسل أقدام الكهنة فالشمامسة فسائر الشعب على شكل صليب وبعد ذلك يختم الصلاة بالشكر لله ومن ثم يُهئ الحمل .

---

(١) مرآة الحقائق الجليلة صحيفة ٣٥٦ ـــ ٣٥٨.

رابعاً : لأن الكنيسة تقصد من عمل هذا التذكار ما صنع يسوع مع رسله ولا يشترط أن يكون التذكار حرفياً للذكر إليه بل يكفى أن يكون بجوهره فبنو إسرائيل اكتفوا بجوهر تذكار الفصح قابل خر ١٢ مع ٢ أى ٣٤



الفصل التاسع

«تعطيل القداس فى الثلاثة أيام الأول من أسبوع الآلام»

نهت الكنيسة عن الاحتفال بالقداس فى هذه الأيام «الاثنين والثلاثاء والأربعاء » من أسبوع الآلام لأسباب منها :

أولا : لأن الرب يسوع لم يكن رسم بعد سر الشكر فإن ذلك كان يوم الخميس » .

ثانيا: لأن المسيح فصحنا لم يكن قدم نفسه بعد . ولا يخفى أن القداس تقدم فيه الذبيحة غير الدموية التى هى عين ذبيحة الصليب . ويسوع لم يقدم ذاته إلا يوم الجمعة.

أما فى يوم الخميس الكبير فالكنيسة تحتفل به

(١) تذكاراً لتأسيس سر الأفخارستيا

(٢) لأن يسوع أعطانا فيه عهداً جديداً وقطع معنا ميثاقاً جديداً إذ منحنا جسده عربونا على المجد الأبدى بقوله خذوا كلوا هذا هو جسدى . خذوا إشربوا. لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد مت٢٦ : ٢٨

هذه هى أهم الأسباب التى حالت دون احتفال الكنيسة بالقداس فى تلك الايام وعلة احتفالها به فى هذا اليوم .

اما خدمة القداس فى هذا اليوم « الخميس » فهى كالمعتاد إلا أننا نلاحظ ما يأتى : أولا : لا تستعمل المزامير فيه قبل تقديم الحمل للأسباب التى أوضحناها سابقاً .

ثانياً : لا يقرأ فيه الكاثوليكون ولا الابركسيس. أما الأول فللإشارة إلى أ ن المسيح لم يكن قد أمر رسله بعد أن يذهبوا إلى العالم أجمع ويبشروا كل الخليقة فان ذلك كان بعد قيامته مت ٢٨ :١٩ ومر ١٦ :١٥ كما وأن اللفظة « كاثوليكون » التى معناها جامعة ـ أى رسائل مكتوبة لسائر الشعوب ـــ تدل على أن العمل بدئ به وأمر الرسل بمباشرته فباشروه مع أن الأمر لم يكن قد تم إلى ذلك اليوم الذى نحن بصدده . أما الثانى فللاشارة إلى أن الرسل لم يكونوا قد جالوا فى العالم وأن أعمالهم لم تكتب بعد وأن صوت كرازتهم لم يبلغ إلى أقطار الأرض إلا بعد صعود الرب بزمن « رو ١٠ : ١٨ » كما وأن اللفظة « ابركسيس » ـ التى معناها تاريخ أو قصة أو خبر ـــ تدل على أن لهم أعمالا مع أنهم إلى هذا اليوم لم يكن لهم عمل.

ثالثا: لا تقال أوشية الصلح ولا الاسبسمس أيضاً

(١) لأن الأوشية تحوى ابتهالا لله الذى صالحنا بابنه ولا يخفى أن المصالحة بالمسيح يسوع لم تكن قد تمت إلى هذا اليوم . وكذلك لا تقرأ يوم سبت النور إشارة الى أن المسيح كان لا يزال فى القبر وانما الصلح كان بقيامته المقدسة اذ قام منتصراً ناقضاً أو جاع الموت أع ٢ :٢٤

(٢) لأن الأسبسمس يحوى بشرى وتسبحة الملائكة يوم ميلاد المسيح لو٢ :١٠ ـ١٤ والكنيسة تحتفل فى هذا النهار بتذكار موته ودفنه

رابعاً : لا يقال فيه المجمع. لأنه يحوى أسماء أشهر الآباء والأنبياء والرسل

والقديسين والشهداء وأعظمهم تقوى وقداسة. وبما أن الكنيسة تحتفل بتذكار آلام الرب فلهذا منعت تلاوته للدلالة على أنهم لم يكونوا وجدوا فى ذلك اليوم.

خامساً : لا يعمل فيه ترحيم ولاجناز . لأنه عيد سيدى بهيج وكما أنه لا يجوز النوح فى مقام الفرح مت ٩ :١٥ و١٦ هكذا لا يجوز عمل الجناز والكنيسة فرحة بعيد تذكار العهد الجديد وكذلك يوم سبت النور . لأن المسيح كان مدفوناً فيه والكنيسة تحتفل بتذكار دفنه ولئلا يظن أحد بأنها تترحم على نفس المسيح ـــ الذى حاشا لنفسه المتحدة بلاهوته أن تكون كواحدة من مخلوقاته ـــ فتستمد لها الرحمة كما نطلبها للمنتقلين فى صلوة الترحيم .

سادساً : أن يكون تناول القربان فيه فى الساعة التاسعة أو بعد الغروب كما أمرت الرسل دسق ب ١٨ و٣١ وذلك حتى لا نشترك مع اليهود فى فصحهم الذى يكون وقت الغروب وأيضاً لأن الرب صنع هذا السر يوم الخميس مساءاً راجع مت ٢٦ :٢٠ ومر ١٤ :١٧ ويو ١٣ :٥و٣٠

سابعاً : نهت الكنيسة عن إعطاء التصريح للشعب[1] فى هذا اليوم بعد توزيع الأسرار لأن وضع الكاهن يده على الشعب فى ختام القداس وقبل إنصرافهم يشير إلى مباركة يسوع تلاميذه قبيل صعوده. والكنيسة تحتفل اليوم « الخميس » بتذكار رسمه سر الأفخارستيا فهو لم يكن إلى هذا اليوم تمم عمل الفداء وصعد إلى السماء .

ثامناً : لا تقال فيه « ⲥⲱⲑⲓⲥ ⲁ̀ⲙⲏⲛ » ـ خلصت حقاً بعد التحليل للاشارةإلى أن عمل الخلاص لم يكن قد تم فى هذا اليوم

(١) مباركتهم بالماء المقدس

الفصل العاشر

«الاحتفال بتذكار الصلب يوم الجمعة الكبيرة»

تحتفل الكنسية فى هذا اليوم إحتفالا جامعا لكل علامات الهيبة والوقار، والخشوع والإنكسار ، لأن اليوم الذى سيق فيه يسوع حمل الله الوديع كشاة إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه اش ٥٣ : ٧ وقد تسلمت الكنيسة الاحتفال به سنويا من الرسل أنفسهم الذين أمروا بحفظه وصومه بزهد وتقشف دسقولية ب١٨و٣١. وقد كان ولا يزال يحفظ هذا اليوم فى الكنيسة بصوم مدقق . وتبدل فيه أناشيد المجد بتراتيل الحزن، وتمنع القبلة، وتعرى المذابح من ملابسها الثمينة المبهجة. تذكاراً لتعرى المسيح على الصليب فيه راجع مت ٢٧ : ٢٨ و٣٥ كما كان له إعتبار عظيم منذ العصر الرسولى بشهادة العلماء والآباء فاوريجانوس يقول . أنه كان محفوظا فى الكنيسة كعيد القيامة والعنصرة ك٢ صحيفة ٣٩٢ وأوسابيوس فى تاريخه ك١ف ٤ رأس ١٨ . والبروتستانت يشهدون بهذه الحقيقة أيضا فقد قال صاحب كتاب ريحانة النفوس ما نصه أنه إلى أيام أوريجانوس. لم تكن أعياد عمومية إلا جمعة الآلام.. ولأجل شدة اتصال هذا اليوم « الجمعة» بالفصح قد حصل له إعتبار خصوصى فى أوائل الكنيسة ولكن جميع الاحتفالات الجارية فيه كانت متصلة بعيد الفصح ومتضمنه فيه.. وقد أخبرنا أوسابيوس بأن قسطنطين الكبيرأصدر أمراً بحفظ هذا العيد...وحينما حفظ هذا اليوم كان يحفظ بصوم مدقق. وكانت ترتل فيه تراتيل المجد ويرتلون تراتيل بسيطة محزنة فقط ولم يكن أحد يحنى ركبتيه عند

الصلوة ولا كانت تقدم القبلة الاخوية ولا تقدس العناصرالسرية وكانت المذابح تعرى من مذابحها اه صحيفة ٧و١٣و١٤

«نعم قد مضت السنون وكرت الأجيال والقرون على تقديم تلك الذبيحة الإلهية كفارة عن خطايا العالم أجمع ايو ٢ :٢ ولكن تذكار صلب المخلص وموته يشرق فى سماء البيعة المسيحية كل سنة بحيوة جديدة باعثا تأثيراً أشد وأقوى فى قلوب العالم المسيحى بأسره ويملأ فؤاد كل منا بشعائر جديدة . ويولد فى قلب كل مسيحى حقيقى عواطف حية شريفة. ويبعث روحا جديداً وانتعاشا عظيما ويرفعنا بقوة مدهشة من عالم التصورات الأرضية إلى عالم أفكار أسمى روحية . ويصعدنا من هوة الإفتكارات العاطلة والتصورات الباطلة على أجنحة الفجر إلى عرش النعمة المجيد . حيث تضىء كواكب الكمالات الروحية . وتنبعث أشعة الفضائل السمائية . حيث تستقصى آثار كل فكر عالمى أرضى. وحيث لا يسود إلا التحريض إلى إتمام الواجبات ولو كانت تقضى على كل منا أن يضحى نفسه فى سبيلها على أنموذج أعظم معلم للبشر أنموذج الإله المتأنس يسوع الذى مات لأجلنا.

نعم قد مضى على صلب المخلص مدة عشرين قرنا ولكن تذكار آلامه وموته يجمعنا بقوة لا تصد أمام ذلك العود الكريم عود الصليب الذى علق عليه فادى الخطاة ومخلص العالم[1] حباً فى خلاص البشر حباً فاق كل حب يو ٣ :١٩

نعم أن المسيح تألم وصلب ومات مرة واحدة ولا سلطان للموت عليه بعد رو ٦ : ٩و١٠ ولكن نحن نحيى ذكرى موته سنوياً لأن الخطية التى سببت الموت لابن الله لم تمت ولا تزال سائدة على الساكنين على الأرض . وما دامت الخطية عائشة والإنسان لابساً جسدها وجب أن يعاد تذكار آلام وموت الرب.

(١) الصوم الزكى وجه ٩١

أولا : ليكون زاجراً لنا عن الخطية التى بها نصلب ابن الله ثانية ونشهره عب ٦ :٦

ثانياً : ليكون تذكاراً لعمل الفداء العظيم الذى أكمله يسوع يو ١٩ :٣٠

ثالثاً : لتنبيه قلوب الغافلين وتذكيرهم بمحبة الله يو ٣ :١٩ الذى لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين رو ٨ :٢٢ فنحبه لأنه أحبنا أولا ١ يو ٤ :١٩

رابعاً : لتحريض المؤمنين على الإقتداء بالرب الذى تألم لأجلنا تاركا لنا مثالا لكى نتبع خطواته ابط ٢ :٢١ فى مقابلة الشر بالخيروالصفح عن المسيئين كما غفر لصالبيه لو ٢٢ :٢٤ ولبث روح التقوى والصلاح ومحبة الفضيلة واجتناب دواعى الشر وكل ما يدنس النفس المفتداة بالدم الكريم ابط ١ :١٩إذ أن المسيح مات لأجل الجميع كى يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام ٢ كو ٥ :١٥.

هذا ولأجل الفائدة تذكر الملاحظات الآتية:

أولا: أمرت القوانين الكنسية أن يصام هذا اليوم والسبت الكبير معاً حتى صياح الديك «أى عند نهاية القداس فى فجر أحد القيامة » أما من لم يستطع صومها معا فليصم يوم السبت لأن صانع البرية كان مقبوراً فيه ق٦٦ وللرسل ودسق ب ١٨ :٣١ والمجموع الصفوى وجه ١٧٤

ثانياً : أمرت أيضا بعقاب من يعمل البسخة « مع اليهود » من قبل اعتدال الليل مع النهار . والمجموع الصفوى صحيفة ١٧٥ .

ثالثاً : نهت الكنيسة بنيها عن مباشرة فعل الزواج فى أسبوع البسخة وليس لأن ذلك خطية حاشا فالزواج سر عظيم اف ٥ :٣٢ والمضجع طاهر ومقدس

عب ١٣ :٤ بل. كلفا بالعفاف الواجب لهذه الأيام المقدسة إلى حين لكى يتفرغوا للصوم والصلاه ثم يجتمعون أيضا ١ كو ٧ :٥.

رابعا: تحتفل الكنيسة بتذكار صلب المخلص فى يوم الجمعة لأن الصلب كان فيه راجع مت ٢٦ :٢ ولو ٢٣ :٥٦

ربما يسأل البعض لماذا صلب المسيح فى هذا اليوم؟ وجوابا على ذلك نقول مع بعض لأن فيه خلق آدم تك ٢ :٣١ وفيه مات .وفيه طرد من الفردوس . فأراد الرب أن يعيد فى هذا اليوم ذاته خليقة الإنسان ويحييه ويرده إلى شرفه الأول(١).

على أن المتأمل فى صلبوت المخلص يجد أن المقابلات كثيره بين حوادث الصلب وطرد آدم:ـــ

أولا: أن آدم شرع فى ارتكاب الخطية فى الساعة الثالثة وتممها بأكله من الشجرة فى الساعة السادسة ـــ أى الظهر ـــ وهذا معقول من قول الكتاب تك ٣ : ٨ فإن قوله عند هبوب ريح النهار معناه كما جاء فى النشيد عندما فاح النهار ص ٢ :١٧ ، ٤ :٦. كذلك الأمر فى صلب المخلص فإنه بدئ به فى الساعة الثالثة مر ١٥ :٢٥ وأكمل فى الساعة السادسة ع ٣٣

ثانياً : أن الخطية بدأت فى الجنة وآلام المسيح انتهت فى بستان الجسمانية.

ثالثا: فى الجنة دعا الله آدم قائلا أين أنت تك ٣ :٩ وفى البستان نادى المسيح الآب قائلا إلهى إلهى لماذا تركتنى مت ٢٧ :٤٦

رابعا.أن آدم لما أخطأ طرد خارج الجنة تك ٣ :٢٣ . والمسيح داس الخطية بموته خارج أورشليم عب ١٣ :١٢

---

(١) ابن المقفع والحق سنة ٢ :١٤١ النفحة الزكية للروم وجه ٣١٧

خامسا: أن آدم لما أكل من الشجرة مات وشمل الموت الجميع رو ٥ :١٧ والمسيح وهـو علـى الصـليب ذاق خلا ممزوجاً بالمر وعلى أثر ذلك قال قد أكمل وأسـلم الـروح يو ١٩ :٣٠ وبمـوته كـانت الحيـاة لجميع الناس يو ١ :٤ ورو ٥ : ١٨ .

سادسا: أن آدم الأول غلب من إبليس وآدم الثانى سحقه عب ٢ :١٤آدم الأول مات وآدم الثانى قهر الموت وداس شوكته

اكـو ١٥ :٥٤ و٥٥ آدم الأول أوجد الخطية رو ٥ :١٧ وآدم الثانى أبطلها بذبيحة نفسه . عب ٩ :٢٦ آدم الأول أغلق الفردوس تك ٣ :٢٤ وأدم الثانى فتحه لو :٢٣ ، ٤٢ وبما أن صلب وموت المسيح كان يوم الجمعة فلا يبعد أن يكون موت وطرد آدم فى اليوم ذاته.



الفصل الحادي عشر

«شرح ترتيب يوم الجمعة العظيمة ومعانية الروحية»

قبل أن يبدأ بالصلاة تغطى جدران الكنيسة بالأستار السوداء وتوضع فى صدر الاحتفال صورة المسيح مصلوبا على قاعدة مرتفعة محاطة بالصلبان والشموع المضيئة وأمامها الإنجيل . ونلاحظ هنا جملة أمور منها توشيح الكنيسة بالأستار السوداء وهذا مر بيانه فى وجه ٢٨٤ ووضع صورة المخلص مصلوبا وهذا أيضا قد شرحنا غاية الكنيسة منه فى الجزء الاول صحيفة ١٠٧و١٠٨ ونزيد عليه هنا أن الكنيسة تفعل ذلك : ــ

أولا: لكى ترسم فى أذهان بنيها وتشخص لدى عيونهم العقلية هيئة صلب

المخلص على وفق قول الرسول أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً غل ٣:١

ثانياً: لكى تذكرهم بمااحتمله يسوع لأجلهم من أيدى أولئك القساة القلوب إذ يرون بعيونهم كيف علق على الصليب ودقت المسامير فى يده ورجليه الطاهرتين وكللت هامته المقدسة بإكليل من شوك وطعن فى جنبه الطاهر بحربة وضرب ولطم وعير وشتم. أما غايته من ذلك فهى إرشادنا الى أن يسوع سمر الخطية بالخشبة وشفى المجروحين بسهام الشرير بطعنة جنبه وكلل هامة الخليقة بإكليل المجد وأخيراً هدانا مع اللص اليمين إلى الدخول معه فى الفردوس وأعادنا إلى وطننا الأصلى الذى نفينا منه . كل ذلك نرسمه الصورة فى مخيلتنا فتنتقل عقولنا من طياشة الأفكار الدنيوية الباطلة إلى تذكار أحكامه السماوية ومن ثم نقلع عن خطايانا التى سببت لابن الله تلك الألام وقادته إلى الموت الزؤام ونعيش كما يحق للرب الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبر ١بط ٢ :٢٤

ثالثاً: لكى تبث فيهم روحَ الاحتمال . لنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا. ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذى من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصلب مستهيناً بالخزى فجلس فى يمين عرش الله ... حتى لا يكلوا ويخوروا فى نفوسهم عب ١٢ :١ ـــ٣.

رابعاً : لكى تبث فيهم روح الرجاء وتحملهم على الإتيان إلى يسوع شاخصين إليه بقلوبهم لكى ينالوا خلاص نفوسهم مذكرة إياهم بقوله تعالى . التفتوا إلىّ وأخلصوا يا جميع أقاصى الأرض اش ٤٥ :٢٢ وقائله لهم بلسان الرسول لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مجرب فى كل

شئ مثلنا بلا خطية فلنتقدم بثقة إلى عرش النعمة لكى ننال رحمة ونجد عونا فى حينه عب ٤ :٦ و١٥ فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم عب ٧ :٢٥

هذا أما وضعها « الصورة» مرتفعة فإشارة إلى ارتفاع يسوع على الصليب عن الجميع على وفق قوله لنيقوديموس . كما رفع موسى الحية فى البرية كذلك ينبغى أن يرفع إبن الإنسان يو ٣ :١٤ وقوله أنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلى الجميع يو ١٢ :٢٢ . وكما أن تلك الحية كان كل من نظر إليها يشفى عد ٢١ :٥ وبما أنها تشير إلى يسوع الذى إتخذ صورة الإنسان فى ٢ :٧ ليشفى الذين لدغتهم الحية القديمة ــ أى إبليس رؤ ٢٠ :٢ كذلك وعد أن كل من يؤمن يه ينال الحياة الأبدية يو ٣ :١٦ ليس فقط الذين شاهدوه والتجأوا إليه كاللص لو ٢٣ :٤٢ بل أيضا جميع الذين آمنوا به بعد صعوده وكذلك الذين سبقوا تجسده وماتوا على الرجاء به . قد قال القديس أثناسيوس فى ميمره على الصلب. أن الملوك الأرضيين إذا أقاموا حروباً على أعدائهم وأرادوا أن يشددوا عزائم عساكرهم ويقووا نشاطهم نصبوا لهم الراية على مكان مرتفع لكى ينظر إليه جميع الجنود كبيرهم وصغيرهم قويهم وضعفيهم جبانهم وشجاعهم لأنهم كلما رأوا راية الملك تقووا وتشجعوا وازدادوا جرأة وإقداماً وكذلك سيدنا المخلص الذى هو ملك الملوك ورب الأرباب أمر مدبرى كنيسته أن يرفعوا راية الصليب « أو صورته مصلوباً » فننظر إليها نحن المؤمنين أجناد المسيح كبيرنا وصغيرنا قوينا وضعيفنا جباننا وشجاعنا فنتقوى ونثبت فى الحرب مع الشيطان عدونا » اف ٦ :١١و١٢ ، ابط ٥ : ٨

أما وضع الصلبان حولها والانجيل أمامها . فلأن الصليب علامة إبن الإنسان مت٢٤ :٣٠ وهو فخر المسيحية غل ٦ :١٤ كما أنه آلة العذاب وبه صار

الخلاص وتمت المصالحة كو ١ :٢٠ أما الإنجيل فلأنه يبشرنا بيسوع المسيح مصلوبا ١كو ١ :٢٣

أما وضع الشمـوع المضيئة أمامها فإشارة إلى أن المصلـوب هـو نـور العالم يو ٨ :١٢ الذى أبطـل الموت « بموتـه » وأنـار الحيـوة والخلود بواسطة الإنجيل ٢تى ١ :١٠

ثم يبدأ الكهنة « أو الآب البطريرك أو الأسقف إذا كان حاضراً » بالصلوة كالعادة وهم لابسون أثواب الحداد.

تمارس الكنيسة صلواتها فى هذا اليوم بملابسهم الكهنوتية السوداء لأنها تحتفل بذكرى موت فاديها ذلك الذى حزنت لأجله الطبيعة يوم صلبه مت ٢٧ :٥١ ثم إشارة إلى حزن الرسل الذين لما أنبأهم الرب بآلامه وموته ابتدأوا يحزنون مر ١٤ :١٩ راجع يو ١٦ ، ٦ : ٢٠ ـــ ٢٢ وحزن العذراء التى جاز فى نفسها سيف الحزن لو ٢ : ٢٥ بل إشارة إلى حزن وآلام المسيح نفسه التى إحتملها لأجلنا بناسوته المتحد بلاهوته مت ٢٦ :٢٧و٣٨ .

بعد إنتهاء صلوة الساعة الثالثة تصلى الكنيسة الساعة السادسة وفى أثنائها يقدم الكهنة الصلوة لله ـ وهم وقوف أمام أيقونة المسيح مصلوباً ـــ مصحوبة بالبخور ثلاث أيادى وفى كل مرة يتبادلون المجامر.

قد يتبادر إلى أذهان بعض المؤمنين البسطاء أن الكاهن يقدم البخور للصورة ذاتها أو يبخر ويسجد لها ويتخذ الخارجون عن الكنيسة ذلك ذريعة للطعن فى تعاليمها وهى تهم وأوهام تبرأ الكنيسة وأئمتها وأحبارها وعلمائها وكل فرد من أفرادها المؤمنين بتعاليمها من كل من يقول بعبادة الصور أو بالتبخير والسجود لها وجميع الأرثوذكسيين يعتقدون إعتقاداً راسخاً أن العبادة والبخور والسجود لله

وحده بالروح والحق مل ١ :١١ ومت ٤ :١١ ويو ٤ :٢٣و٢٤ورؤ٤ :١٠ ، ٥ : ٨ وباعتقاد القلب والضمير وهو المعول عليه ـــ لأن الله لاتهمه الظواهر الخارجية ما دامت القلوب والأفكار متجهة نحوه لأنه فاحص الكلى والقلوب ومختبر الضمائر : وما الصور والأيقونات فى الكنيسة إلا صوراً لا حقائق ولا ذواتاً نعبدهاً تمجد ولا فضل ولا تمييز لها على غيرها من الصور فى حد ذاتها أو بالنسبة لما تكونت منه. كلا ـ وإنما تفضيلها وتمييزها على سواها.

أولا : فى تقديسها بكلمة الله والصلوة ١تى ٤ :٥

ثانياً : فى رشمها بالميرون الذى كل ما يمسح به يكون مقدسا خر ٣٠ :٢٩

ثالثا: فى أشخاص أربابها وأصحابها وهم يسوع بن الله والعذراء والرسل ومن أخلفهم فى جهادهم واستشهادهم فى سبيل نشر بشرى الخلاص من القديسين والشهداء الاطهار.

هذا وبما أن البعض ينكر علينا ذلك فنرى واجباً .أن نتكلم فيما يلى عن جواز اتخاذها ووضعها فى الكنائس وغرض الكنيسة منها وإكرامها ورد اعتراضات المنكرين عليها ليكون أبناء الكنيسة على بينة منها ويقفوا على صحة تعليم كنيستهم بشأنها . وحتى لا ينخدع السذج منهم بما يليق عليهم من الأقوال الكاذبة المضادة للحقيقة المعلنة فى كتابه المقدس

بعد نهاية الطلبات المار ذكرها يرتل الشمامسة البولس وبعد ترجمته يتلو الكهنة طلبات الساعة[١] السادسة وبعدها يقول المرتلون ΟΥΜΟΝΟ ϨЄ ΝΗϹ ـ يا وحيد الله ثم الثلاث تقديسات[٢] بلحنها المعروف .

(١) راجع كتاب البسخة وجه ٦٥ ـــ ٦٨ أوجه أجبية المزاميرطلبات الساعة السادسة

(٢) راجع الكلام عليها فى الجزء الاول صفحة٣٠٤

يرتل هذا التقديس المثلث ويذكر فيه العبارة التى تدل على صلب المسيح فقط فى مثل هذا اليوم لأن الكنيسة تحتفل بتذكار صلبه فقط. ثم يقرأ الإنجيل باللغة القبطية ويترجم عربياً وعندما يأتى القارئ على قوله «وكانت ظلمة على الأرض من الساعة السادسة إلى التاسعة مت ٢٧ :٤٥ تطفأ الشموع.

تطفأ الشموع فى هذه الساعة إشارة إلى انكساف الشمس والقمر وإلى الظلام الذى حدث على الأرض عند صلب المخلص له المجد . فالشمس حجبت نورها وأخفت شعاعها حزناً على مبدعها شمس البر مل ٤ :٢ ونور العالم يو ٨ :١٢ حتى لا يشاهد الشعب الظالم يسوع عرياناً على الصليب . وحزناً على خطايانا التى سببت الموت لابن الله. واستنكارا لتهم اليهود التى رموا بها يسوع حمل الله القدوس زوراً وبهتاناً . وشهادة الطبيعة على أن المصلوب أسمى وأفضل من الملائكة وأطهر من السموات وأنقى من الشمس وبالتالى هو إله متجسد . قال دينوسيوس قاضى مدينة اثناس عند حدوث هذا الظلام إما أن إله الطبيعة يتألم وإما أن الكون أوشك على الزوال.. وتلبث الشموع مطفئة حتى صلاة الساعة التاسعة إشارة إلى أن الظلمة مكثت على الأرض ثلاث ساعات يوم صلبه كقول الإنجيل «ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة مر ١٥ :٣٣

ثم يقرأ الطرح فالطلبة فأمانة اللص اليمين. وضعت الكنيسة نشيداً متضمنا عبارة اللص التى فاه بها على الصليب وجواب المسيح له لو ٢٣ :٤٢ و٤٣ ورتبت ترتيلها فى هذه الساعة لأنه فيها آمن بالرب وطلب أن يذكره فى ملكوته ع :٤٤ والكنيسة ترتل هذا النشد بصوت جهورى مبتهلة إلى الله أن يذكرها فى مجيئه والشعب يهتف بإيمان حار مع اللص «اذكرنى يارب إذا جئت فى ملكوتك » .

بعد قراءة أمانة اللص يقال البيرلكسى بلحن العنصرة فالميمر المعرف للقديس دينوسيوس الموضوع لهذه الساعة فصلاة الساعة التاسعة وبعد الإنجيل توقد الشموع .

توقد الشموع إشارة إلى زوال الظلمة فى الساعة التاسعة لو٢٣ :٤٤ ثم تصلى صلاة الساعة الحادية عشر والثانية عشر. ثم تقرأ مراثى أرميا النبى. تتلى هذه المراثى لأن فيها ترثى صهيون حالها وتعلل نفسها برجاء مراحم الله متوقعة بسكوت خلاص الرب مراثى ١:٢٦ ولأن ماتضمنته من العبارات والمعانى تنبئ بصلب الرب والآلام التى احتملها من اليهود . وبعده تصلى تسبحة البسخة وبعد الطلبة يأخذ الكاهن «أو الأب البطريرك أو الاسقف إذا كان حاضراً » الصليب بيده ويهتف جميع الشعب طالبين رحمة الله صارخين بنفس واحدة قائلين « — يارب إرحم » مئة مرة بالمطانيات فى كل جهة من جهات الكنيسة الأربع وبعدها ٥٠ وهم متجهون نحو الشرق. الغاية من ذلك استمطار رحمة الله ورأفته على البشر قاطبة إكراماً لجراحات إبنه المحبوب وتضرب الميائة فى كل جهة لأنها عدد كامل وتكرارها بلجاجة وإلحاح إستدعاء للإجابة واعترافاً منها:

أولا : بأن يسوع الذى تألم وصلب ومات لأجل خلاصنا هو رب المجد الله الآب والكائن على الكل إلهاً مباركاً رو ٩ :٥ وله تجب العبادة والسجود . وله تسجد كل قبائل الأرض.

ثانياً : بأنه تعالى حاضر فى كل مكان ولا يحصره مكان أو زمان مالئ الكل وفى الكل ولا يخلو منه مكان . وهو الإله فى السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل وحيثما اتجهنا وإن ذهبنا فهو هناك بذاته وكمال جوهره تث ٤ :٣٩ واش ٦٦ :١

ثالثاً :للإشارة بأن يسوع مات عن جميع الناس فى كل أقطار الأرض الأربعة كفارة لخطايانا. وليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً رو ٥: ٨ ،١يو ٢ :٢ وأنه بارتفاعه على الصليب جذب إليه الجميع من أقصى الأرض إلى أقصائها يو ١٢ :٣٢ وإلى ذلك أشار ألوحى بلسان النبى قائلا «من المشرق آتى بنسلك ومن المغرب أجمعك أقول للشمال أعط وللجنوب لا تمنع . إئت ببنى من بعيد وبناتى من أقصى الأرض » اش ٤٣ :٥و٦

وعلى هذا الترتيب ــ الذى جاء به الوحى ــ تقدم الكنيسة السجود له فى كل جهة من جهات الأرض الأربع مبتدئة من الشرق أولا فالغرب فالشمال فالجنوب . معلمة بهذا أن يسوع مات عن الجميع ليحيا الجميع . ومذكرة بنيها صمتاً بأن الله سيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع رياح من أقصاء السموات إلى أقصائها مت٢٤ :٣١. ولا يخفى أن المقصود من الأربع رياح كل جهات الأرض حسب الإصطلاح العبرانى تث٤ :٣٢

بعد المطانيات يطوف الكهنة والشمامسة وكل الشعب بأيقونة الصليب وكتابى البسخة والإنجيل حاملين بأيديهم الصلبان والشموع والمجامر فى الكنيسة والهيكل وهم يرتلون بالصنوج والدفوف قائلين «يا رب إرحم»

ذلك إشارة إلى ما فعله يوسف ونيقوديموس حيث أنزلا جسد المسيح عن الصليب وحملاه بكل إجلال وتعظيم وإكرام وذهبا به إلى القبر يو١٩ :٢٠ و٢١ وعلى هذا المثال نحمل نحن صورة المخلص ونطوف بها فى الكنيسة بفرح وابتهاج مسبحين وممجدين الإله الذى افتقدنا وصنع فداء لشعبه لو١ : ٨

يستهجن البروتستانت عمل الكنيسة هذا وينكرونه عليها وهم لو فطنوا

لصوبوا عملها لأنه صالح وحميد ومقبول لدى الله وليس فيه ما يدعو إلى الاستهجان لأن الكتاب يثبته فإن بنى إسرائيل وقت ارتحالهم بالتابوت كانوا يسيرون حوله ويصطفون أمامه وخلفه وفى مقدمتهم الأنبياء والملوك والكهنة حاملين المجامر بالهتاف وبصوت البوق والصنوج وكل آلات الحمد والغناء ١صم ٦:١٢ ــ ١٦ ،١مل٨ :٥ ، ١ أى١٥ :١٦ ــ ٢٥ ، ١٦ :١٦ وكذلك فعلوا فى عهد يشوع عندما طافوا حول أريحا يش ص١٦الخ. وواضح بأن إكرامهم للتابوت كان لأنه يمثل وجود الله بينهم أو حضوره معهم وبالتالى كان عائداً للرب نفسه.

وبما أن الصورة تمثل المسيح مصلوباً فهى تدل عليه ولا خطأ فى زفها مادام إكرامنا راجعاً إلى الذات الممثلة فيها وبالتبعية إلى الرب يسوع ذاته. أن ميكال بنت شاول لما رأت داود يغنى ويرقص أمام التابوت احتقرته وعيرته «كما يفعل المخالفون لنا الآن» ولكنه أفحمها بجوابه السديد قائلا: إنما أمام الرب ٢صم ٦ :٢١ وبهذا الجواب نفسه نرد نحن على أولئك المنددين بنا.

أما زفاف كتابى البصخة والإنجيل فلكى نتذكر ما قرأناه فيهما ــ من أول الأسبوع ـ من النبوات التى تدل على آلام وموت الرب ولكى نعمل بما سمعناه من الفصول الإنجيلية التى شرحت لنا تاريخ آلام المسيح وصلبه وموته وأن نتعلم كيف يجب أن ننكر ذواتنا ونكفر بأنفسنا لأجل مجد الله وخير القريب، وأن نقتدى بمخلصنا فى محبته وتواضعه وصبره وإحتماله.

بعد زفاف الأيقونة والطواف بها فى الهيكل حول المذبح يبدأ بممارسة تذكار الدفن بالصلوة والتماجيد.

أن عمل الكنيسة هذا يمثل ما فعله يوسف ونيقوديموس وقت وضع جسد

المخلص فى القبر إذ أن هذين أخذا جسد الرب وذهبا به إلى القبر ولفاه بكتان نقى مت٢٧ :٥٩ وحنطاه بأطياب يو١٩ :٤٠ وبما أن الصلب كان خارج أورشليم والدفن فى البستان حيث كان القبر الجديد يو١٩ :٤١. لهذا نحمل أيقونه المسيح ويطاف بها فى الكنيسة وهى فى ستر أبيض من كتان نقى أو حرير - وكذلك فى الهيكل وأخيراً توضع والصليب على المذبح وعليهما ستر فوقه الورد والأطياب إشارة إلى اللفايف والأطياب التى كفن بها يوسف جسد المسيح وكما أن هذين سبحا الرب وقت دفنه بالتسبيح المثلث قائلين «قدوس الله قدوس القوى قدوس الحى الذى لا يموت يا من صلبت عنا إرحمنا» راجع الجزء الأول وجه ٣١٩ كذلك الكنيسة تتلو التسابيح وترتل هذا التقديس وهى تمارس تذكار دفن الرب. وبعد ذلك تضع سترا على الصليب والصنورة على المذبح - الذى يشير إلى القبر - إشارة إلى الحجر الذى وضع على قبر المخلص يوم دفنه مت ٢٧ :٩ ثم إنها تضع منارتين إحداهما فى جهة الشرق والأخرى فى الغرب إشارة إلى الملاكين الذين كانا جالسين عند القبر بثياب بيض واحدا عند الرأس والآخر عند الرجلين حيث كان جسد يسوع موضوعاً يو٢٠ :١٢

وبعد ذلك تصلى الكنيسة المزامير ١ و٢ ، ٣ ، ٤ إلى قوله أنا إضطجعت ونمت مز ٣ :٥ بسلامة أضطجع بل أيضاً أنام مز ٤ : ٨ وبعض المزامير أو صلوة الستار ثم يصرف الشعب بالبركة بعد أن يشربوا قليلا من الخل الممزوج بالمر.

تتلى هذه المزامير لأنها تشير إلى موت الرب ودفنه. أما شراب الخل الممزوج بالمر فلكى نتذكر ذلك الشراب المر الذى شربه يسوع وهو على الصليب مت ٢٧ : ٤٨ فتنصرف أذهاننا إلى الأحزان التى إحتملها يسوع لأجلنا ومن ثم نقتدى بصبره عالمين أننا إذا تألمنا معه فنتمجد معه. لان آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا رو٨ :١٧ و١٨ .

الفصل الثاني عشر

«سبت الفرح»

سبت الفرح هو اليوم التالى للجمعة المقدسة تحتفل الكنيسة فيه بعمل القداس الإلهى وتقيم الصلوات وتقدم التسابيح تمجيداً وشكراً لمن أحبها وبذل نفسه لأجلها اف ٥ :٢٥

يسمى هذا اليوم

(١) السبت الكبير تميزاً له عن بقية السبوت لأن الرب كان مدفونا فيه. المجموع الصفوى ١٧٤

(٢) سبت النور لظهور النور فيه من القبر السيدى الذى تنبأ عنه أشعياء بأنه يكون ممجداً إلى الأبد ص١١ :١٠

(٣)سبت الفرح ـ مع أن المسيح كان مدفوناً والكنيسة تحتفل فيه بتذكار دفنه ـ وذلك.

أولا: لاعتقادنا اليقين بقيامة المسيح التى نكرز ونبشر بها من قبل وبعد الصلب.

ثانياً: لأنه يوم فرح وتهليل لنا ولنفوس الصديقين وسائر المفديين إذ بشرت فيه كل الأرواح التى كانت فى السجن كما صرح القديس بطرس ١بط٣ :١٩ وقيل فيه للأسرى أخرجوا أش٤٩ :٩ ونودى للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالاطلاق وكرز للمستعبدين بالحرية والنائحين بالتعزية أش٦١ :١ ـ ٤ أى أنه صار الخلاص للذين ماتوا على رجاء مجىء مشتهى كل الأمم حج٢ :٧ وإذا

كان إبراهيم وداود وأشعياء وغيرهم من الأنبياء فرحوا وتهللوا لمجرد نظرهم يوم الرب بعين الإيمان والرجاء ودعوا ذلك اليوم الذى رأوه بعين النبوة يوم فرح وتهليل قبل مجىء المسيح بمئات من السنين مز١١٨ :٢٤، ١٣٢ :١٦ وأش٦١ :١٠ ويو٨ :٥٦ أفلا يجب أن تسمى الكنيسة هذا اليوم الذى رأته بعينيها ١يو ١ :٢ يوم الفرح.

ثالثاً: لأن الكنيسة فى يوم الجمعة العظيمة تلبس ثوب الحداد وفى يوم السبت تبدى علامات الفرح وفى مسائه تحتفل بعيد القيامة الذى يكمل به فرحها فهو إذاً مقدمة الأفراح التى يتمتع بها المسيحيون بقيامة سيدهم وفاديهم.

وتحتفل الكنيسة به لتذكر بنيها بأن الرب إستراح فى القبر المقدس من أعماله لكى نكف نحن عن فعل الشرور مدة حياتنا ونرتاح إلى عمل الفضيلة متذكرين أنه سيأتى يوم سبت «راحة» لا يستطيع أحد أن يعمل فيه. فلنعمل قبل أن نكف قسرا عن العمل إذا بقيت راحة لشعب الله لأن الذى دخل راحته استراح هو أيضاً من أعماله كما الله من أعماله. فلنجتهد أن ندخل تلك الراحة لئلا يسقط أحد فى عبرة العصيان عب ٤ :٩ ـ ١١



الفصل الثالث عشر

«شرح ترتيب تسبحة باكر سبت الفرح وتفسير معانيه»

بعد تلاوة سفر المزامير فى نصف الليل يبتدىء الكهنة والمرتلون بالتسبحة فيطوفون الكنيسة وهم يرنمون بالأناشيد الكنائسية المناسبة لذلك ثم يبدأون بقراءة تسبحة موسى النبى.

يتلى سفر المزامير بأكمله ليلة سبت الفرح لأنه يحوى كل الحوادث والرموز والنبوات التى تشير من جهة إلى آلام وصلب وموت ودفن وقيامة الرب. ومن الأخرى إلى نصرته على أعدائه وغلبته الموت ودوسه شوكة إبليس وكسره متاريس الجحيم وبالاجمالى إلى كل الأمور التى تدل على حياة المسيح بالجسد وهو على الأرض.

ثم يصلى الكهنة والمرتلون باقى التسابيح وهى:

(١) تسبحة موسى خر ١٥ :١ الخ

(٢) تسبحة حنة أم صموئيل ١صم٢ :١ الخ

(٣) تسبحة حبقوق النبى حب٣

(٤) صلوة يونان النبى ص٢

(٥) صلوة حزقيا الملك لما شفى من مرضه أش٣٨ :٩٢ الخ

(٦) صلوة منسى الملك ٢ أى٣٣ :١٣

(٧) صلوة أشعياء النبى ١ و٢و ٣ص١٢ و٦١و ٦٣

(٨) رؤيا دانيال النبى ص٨ و٩

(٩) تسبحة الثلاثة فتية.

خصصت هذه التسابيح لأن بعضها نبوة عن موت المسيح والبعض الآخر نبوة عن غلبته الأعداء وخلاصه لشعبه.

وترتلها الكنيسة معلنة بها مع أولئك الآباء والأنبياء والقديسين الذين ماتوا على الرجاء ـ فرحها بالرب وإبتهاجا بخلاصه لأنه حطم قسى الجبابرة وسحق رأس الشرير وأصعد من الهاوية أسرى شعبه وأعطى عزا لملكه ورفع قرن مسيحه وألبسها ثوب الخلاص وكساها رداء البر «راجع النصوص السابقة»

أما تسبحة يونان فلأنه ذاته كان رمزا للمسيح بمكثه فى جوف الحوت ٣ أيام و٣ ليال مت١٢ :٣٩ والكنيسة تسبح بلسانه قائلة «أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك.. للرب الخلاص يون٢».

أما تسبحة موسى فلأنه رتلها تمجيداً للرب على الخلاص العظيم الذى صنعه لشعبه. وقد كان خلاص أولئك على يد موسى رمزا لخلاص آدم وذريته بالمسيح المخلص. وهى نبوة لما ينبغى أن يقدم للرب يسوع الذى خلصنا من عبودية فرعون الروحى وأنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت إبن محبته كو١ :١٣ . وقد قال موسى أرنم للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما فى البحر. وهكذا الكنيسة ترنم للرب لأنه قد تمجد بموته كما صرح له المجد يوم موته ودعاه تمجيداً له يو٧ :٢٩ ، ١٢ :١٦ ، ١٩ :٧ ، ١٧ :٥ وأباد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس عب٢ :١٤ وطرحه فى الهاوية وأغلق عليه يو١٢ :٣١ ورؤ٢٠ :٣ وإذا كان الله تمجد بخلاصه لإسرائيل قديماً فكم يكون مجده أكثر وأعظم بما لا يقاس بخلاصه للعالم كله. فإذاً قول موسى. الرب صار لى خلاصاً الذى ترتله الكنيسة هو بحق وصواب يليق بالمسيح الذى بموته خلصنا.

أما رؤيا دانيال فلأنها نبوة عن مجىء المسيح ومدة إقامته على الأرض بالجسد التى فى نهايتها قدم نفسه ذبيحة فداء وكفارة عن العالم وقد أشار فيها إلى نبوخذ نصر وسبيه لليهود إلى بابل بسبب مخالفتهم لوصايا الله كما سبا الشيطان آدم وذريته واستعبدهم والكنيسة ترتلها فرحة متهلله بالمسيح الذى تنبأ عنه دانيال ولم ير يومه إلا بعين الإيمان مذكرة بنيها بإتمام النبوات التى قيلت عنه محرضة إياهم على شكره وتمجيده وغلبته الشيطان كو٢ :١٥

أما تسبحة الثلاثة فتية فلأنه سبح بها أحدهم «عزريا» وهو فى وسط الأتون متضرعاً إلى الله من أجل شعبه راجياً إتمام مواعيده الكريمة للآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب وقبول الرب صلواته إذ أرسل ملاكه فخلصهم دا ٣ :٢٥ و٢٨ وتنشدها الكنيسة تمجيداً للرب الذى نزل إلى الجحيم «المرموز إليه بأتون بابل» وكرز للأرواح التى فى السجن ١بط٣ :١٩ وشكراً له على تنازله العظيم لخلاصنا.

بعد ذلك يبدأ برفع بخور باكر وبعد قراءة التسابيح والتماجيد الخاصة به يقرأ البولس نصفه الأول بنغمة الحزن والنصف الآخر بنغمة الفرح.

رتبت الكنيسة أن تنشد الترانيم الروحية والألحان الكنائسية فى يوم سبت الفرح بالطريقتين المحزنة والمفرحة وكذلك المزامير وسائر الفصول الإنجيلية. إشارة إلى أن المسيح كان لا يزال مدفوناً فى القبر فى مثل هذا اليوم وإعلاناً وتبشيراً بقيامة المخلص التى تحتفل بتذكارها فى مسائه.

بعد رفع البخور تصلى صلاة الساعة الثالثة والسادسة ثم يبدأ بعمل «الأبوكالبسيس» باليونانية وهو «سفر الرؤيا» فيقرأ هذا السفر بأكمله على الزيت فتوضع المنائر وعليها الشموع والسرج منارة بالزيت.

تقدس الكنيسة فى هذا النهار الزيت الذى تستعمله فى مسحة المرضى وفى رشم الأصحّاء أيضاً ولما كان كل شىء يقدس بالدعاء وبكلمة الله ١تى٤ :٥ رتبت الكنيسة قراءة سفر الرؤيا عليه مع تبريكه بالصلاة والدعاء «ويدعى تقديس الزيت عند العامة بعمل الأبوكالبسيس من باب التغليب لأن هذا السفر يُقرأ على الزيت وقت تقديسه» أما تفضيلها إياه على سواه

(١) لإحتوائه على ما يناسب عملها ويدل عليه راجع رؤ ٢

(٢) لتضمنه أموراً كثيرة عن غلبة المسيح الذى كان ميتاً وهو حى إلى أبد الآبدين رؤ١ : ٨ ونصرته على الهاوية والتنين رؤ ٢٠ :١ ـ ٣ وفرح الكنيسة بالخلاص الذى صنعه المسيح والمجد الذى كالمها به راجع رؤ ٤ و٥، ٧، ١٢، ١٥، ١٦، ١٩ والمواعيد الكريمة التى نالتها بموته والبركات التى وعدت أن تتمتع بها يوم عشاء عرس الحمل فى القيامة العامة رؤ٧ :١٤، ١٩ :٧ و٨

(٣) تقرأه الكنيسة لتحريض بنيها على عبادة الله وتمجيده والاتكال عليه والانتظار بصبر ظهور المسيح ملكوته «كما تنتظر قيامته» ص١٤ :١٢ و١٣، ١٦ :٢٥ ولتذكيرهم بأنه رؤيا خاتمة وكمال كل الكتب كما أن المسيح كمال الأنبياء وبموته أكمل المكتوب وأنه سيأتى على السحاب وتراه كل عين ويكمل كل مقاصده نحو العالم والحكم الأخير على جميع الناس فطوبى للذين يصنعون وصاياه لكى يكون سلطانهم على شجرة الحيوة ويدخلون من الأبواب إلى المدينة رؤ٢٢ :١٤.

وبعد نهاية صلوة الأبوكالبسيس يحتفل بالقداس الإلهى وتصلى صلوة الساعة التاسعة.

أمرت القوانين الكنائسية بإنتهاء القداس فى هذا اليوم قبل الساعة السادسة من النهار وذلك حذرا من امتداد الوقت إلى الليل الذى فيه يحتفل بقداس العيد فيكون التناول حصل مرتين فى يوم واحد وهو ما لا يجوز قانوناً راجع دسق١٨ و٣١



الفصل الرابع عشر

«وضع الصور فى الكنائس»

لا يخفى أن الإنسان حسى لا تؤثر فيه إلا المحسوسات وهذا التأثير يتم بواسطة المحسوسات عندما يقوم بها الموضوع المحسوس. ولما كانت الصور من الموضوعات المحسوسة التى تمثل أمام أعيننا حقائق تاريخية ثمينة كان إتخاذها من الأمور الجائزة بل الواجبة حتى إذا رآها الإنسان انطبعت فى مخيلته تلك الحقائق التى ترسمها وأعادت إلى ذهنه شيئاً من آثار من تمثلهم.

نعم أن للإنسان عقلا يدرك به حقائق الأمور ويميز به الواضح منها والمستور غير أنه لا يستطيع أن يدرك ما هو غير منظور أمامه ليرتسم صورته فى ذهنه ويذكره متى أراد إلا بوسائط حسية ورسائل تلائم طبيعته. والحس باب التصور وبه نعاين الخلائق وبمشاهدتها نستدل على معرفة الخالق. فكل الكائنات المنظورة هى بمثابة صور أو نظارات للإنسان يرى بها خالقه. قال الرسول لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرتة السرمدية ولاهوته حتى أنهم بلا عذر رو١ :٢٠

ولأجل هذا طلب موسى بإلحاح من الله أن يريه وجهه خر٣٣ : ١٨ فأجابه إلى سؤاله ع٢١ ـ ٢٣ وقد أصر توما على عدم الإيمان بالمسيح ـ مع سمعه من التلاميذ خبر قيامته ورؤيتهم إياه ـ أن لم يره بعينيه فترفق المسيح بضعفه وظهر له وأراه نفسه. حينئذاك قال ـ بعد أن سمع ورأى ولمس ـ ربى وإلهى يو٢٠ :٢٥ ـ ٢٩.

على أن الله تبارك إسمه لعلمه بما للموضوعات المحسوسة من التأثير على

نفس الإنسان لملائمتها لطبيعته كان يستعمل الإشارات والرموز والأشكال فى ظهوره لشعبه. فقد ظهر لإبراهيم فى هيئة ثلاثة رجال تك١٨ :١ ولأشعياء فى شكل رجل جالس على كرسى عال وأذياله تملأ الهيكل أش ٦ :١ . ولدانيال فى صورة شيخ زى لحية بيضاء ٧ :٩ . بل لما أراد أن يعلن القضاء الأخير على بيلشاصر صور له يداً تكتب على مكلس الحائط٥ :٥ كما رسم أمام عينى حزقيال النبى صورة المدينة وأبنية الهيكل وأمره. أن ترسم هذه أمام عيون بنى إسرائيل ص٤١ و٤٣

وقد شبه الرب يسوع نفسه بشمس مل٤ :٢ ونور يو٨ :١٢ وراع يحمل خروفه الضال لو١٥ :٥ ، يو١٠ : ٨ ، ١٤ :٦ وقد أوضح الرسول بأنه صورة الله غير المنظور ١كو١ :١٥ ، ٢كو٤ :٤. وبهاء مجده ورسم جوهره «أو صورة أقنومه» عب١ :٣ الذى إذا كان فى صورة الله. أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا فى شبه الناس فى ٢ :٧ ومعنى ذلك كما يقول البروتستانت أنفسهم «أن المسيح صورة ذاته تعالى... أى أن المحجوب عن أبصارنا قد أعطانا صورته أو رسمه فى المسيح والمراد إعلان الله ذاته لنا فى إبنه. وهذا يوافق قول يوحنا. الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبر يو١ : ١٨ وقوله من رآنى فقد رأى الآب يو١٤ :٩ وأيضاً من رآنى رأى الذى أرسلنى يو١٢ :٤٥. على عب١ :٣ صحيفة ١١».

وقد ورد فى الكتاب المقدس ما يثبت جواز إتخاذها أو تعليقها فى الهياكل أنظر خـــر ٢٥ : ١٨ ـ ٢٢ و٤٠، ٢٦ ،١ : وع٢١ و ١مل٦ :٢٣ ـ ٣٥ ومز١٧ :١٥ وغل٣ :١ وقد وضع البروتستانت أمام هذه الآيه الأخيرة على ما جاء فى عد٢١ :٩ من أمر الحية النحاسية.

هذه هى تصريحات الكتاب بشأن الصور أما زمن وضعها فى الكنائس المسيحية فيصل بالرسل أنفسهم. للكنيسة على ذلك أدلة قوية وحجج قاطعة لا تقبل الجدل كما سترى.

أولاً: أقوال الآباء فى الأجيال الأولى. قال إكليمنضس من آباء الجيل الثانى فى كتابه المربى ف٣: أن المسيحيين كانوا يرسمون صورة سمكة أو حمامة على الخواتم إشارة إلى مياه المعمودية التى كسبوا بها الحيوة كما يكسب السمك الحيوة بالماء. وقال ترتليانوس معاصره تدل على ذلك الصور نفسها التى على كؤوسكم إذ يظهر فيها ما يدل على ذلك الخروف. كتابه فى المعمودية رأس ٧: وقال فى رأس ١٠ إذ كان يؤيده الراعى الذى تصورونه على «كأس» والقديس أغسطينوس تكلم عن تصوير الأيقونات تصويراً لطيفاً معتبراً مثل عناصرها الأولى وكذلك الذهبى فمه فى موعظة ٨٧ أشار إلى أنه فيها تعليمات لكى نصور النفس ثوباً نظير ثوب المسيح قائلا. لأنها تقدر أن تصور ذلك متى أرادت ليس بالألوان والدهون كما ترسم الصور بالفضيلة والوداعة والتواضع(١)

ثانياً: التاريخ قال ابن العبرى فى كتابه مختصر الدول إن ابجر ملك الوها أرسل فيجا ـ رسولاً ماشياً على قدميه ـ إلى المسيح يدعوه إلى مدينته فأرسل إليه السيد صورته مرسومة على منديل وفى جماد أول سنة ٣٣١: و١٦ طوبه سنة ٦٥٩ ش و١١ يناير سنة ٩٤٣م بعد ما حل للروم أرذن وميافا يقين ونصيبين وقتلوا وسبوا طلبوا منديلا من كنيسة الرها ـ كان المسيح مسح به وجهه فارتسمت فيه صورته ـ على أنهم يطلقون جميع من سبوا فاستفتى الخليفة وأرسل المنديل لهم وأطلق الأسرى(٢)

(١) عن ريحانة النفوس للبروتستانت وجه ٦٥

(٢) مرآة الحقائق الجليلة وجه ٣٣٣

وقد شهد التاريخ أيضاً بأن الوثنيين فى الجيل الثانى شكوا المسيحيين لأنهم كانوا يسجدون للصلبان وعابوهم على إتخاذ الصور «راجع مقالنا عن الصليب فى الجزء الأول» وأن قسطنطين زين جميع الأبنية العمومية والكنائس التى بناها فى عاصمته بأيقونات أخذت مواضيعها من الكتاب المقدس «راجع دائرة المعارف جزء ٦ تحت كلمة تصوير».

ثالثا: الآثار. تدل بأنه قد وجدت قطع زجاجية وسرج وجواهر كريمة منقوش عليها أهم أمور العهدين القديم والجديد ووجدت صورة المسيح حال كونه جالساً على الجبل تصدر منه أربعة أنهر. وبيده قضيب أو صليب وصور أخرى بشكل راع أمامه خرافه يرعاها ويحمل أحدها [١]

وقد وجدت فى مقبرة القديس كالستوس برومية صور الاحتفال بتقديم الذبيحة وفى رأس الصورة رسم المخلص وعلى بعض القطع الزجاجية صورة العذراء مع الطفل يسوع تُقدِّم لها أوانى الطيب والأكاليل دلاله على إكرامها فأكد دروسى الأثرى الشهير أن هذه الأيقونات صنعت فى القرن الأول[٢]

هذا وقد قرأنا فى مجلة الهلال سنة ١ عدد ١١ مقالة عن الصور أثبت بها صاحبها أن المسيحيين فى الجيل الأول كانوا يرسمون صورة المسيح «الرأس فقط» ويجعلونها وساما يعلقونه على صدورهم كعلامة تعارف وقد عثر أحدهم ويسمى «داجار» على وسام كان معرضاً للبيع ضمن العادات فى سوق رومية فابتاعه باعتبار أنه نوع من النقود القديمة ولكنه وجد أخيراً ـ بعد أن أزال الصدأ الذى كان قد غشاه وعرضه على بعض علماء الآثار ـ أن الصورة المرسومة عليه

(١) هذه الصور مرسومة فى كتاب قصص مقتطفة من تاريخ الكنيسة للبروتستانت فى صفحة ٦ و٧ و٩

(٢) مرآة الحقائق الجلية صفحة ٢٣٥ دائرة المعارف العربية تحت أسم أيقونات.

مأخوذة عن رأس المسيح واستدلوا بتقليد لا يزال اليهود يتناقلونه مفاده أن اليهود الذين تنصروا فى القرن الأول اصطنعوا وساماً على أحد وجهيه صورة المسيح وعلى الآخر رموزه وكانوا إذا سافر أحدهم حمل ذلك الوسام فى باطن كفه شعاراً يعرفه به المسيحيون وقد حلت رموزه وترجمت هكذا «المسيح الملك أتى السلام وصار نوراً للبشر ولا يزال حياً» قال صاحب الهلال أننا لو تأملنا فى أشكال الوسامات نجد أنها متقاربة وكلها تشبه صورة المسيح فى الكنائس القديمة وأن هذه الصورة منقولة عن وصف لطولوس أحد معاصرى المسيح وقد ذكروا أنه رآه رأى العين وكتب فى وصفه رسالة إلى المشيخة الرومانية. وقد أثبت أحد العلماء أن الصورة المشار إليها لم تكتب فى القرن ال١٦ لأن الآثار كانت فى هذا القرن باللغة اللاتينية ولا فى القرون الوسطى لأن شكل الصورة وما حواه لنقش حولها من الحروف يمنع اصطناعها فيها فلا يبقى معنا إلا عصر قسطنطين الأكبر والقرن الأول للميلاد وأخيراً أثبت أنها من القرن الأول. ثم بحث فى دلالة الصورة وما عليها من النقش القديم فبرهن أن المسيحيين رسموا صورة المسيح قبل القرن الثانى للميلاد بشهادة أوسابيوس أحد مؤرخى الكنيسة الذى قال أنه كانت فى عصره صورة المسيح منقولة عن تقاليد قديمة. قال وإذا تقدمنا خطوة أخرى نرى أن وسام «داجار» أقرب أن يكون كعلامة كان يحملها الرسل الأولون عند إرسالهم من فلسطين لتبشير الأمم لكى يتعارفوا فيما بينهم ويعرفهم بها المؤمنون. وما على ذلك الوسام يفيد «أن المسيح الملك أتى السلام وهو نور العالم وقد تجسد حياً» أليست هذه العبارة مختصر نبوة أشعياء التى تنبأ بها عن المسيح وسائر النبوات التى تشير إلى أن المسيح سيأتى رئيساً للسلام ونوراً للعالم أش٩ :٦، ٤٩ :٦ وأيد ذلك قول الرسول أن الرب جعله نورا للأمم لو٢ :٣٢ وأع١٣ :٤٧ وختم ذلك العلامة كلامه بقوله إذا صحت هذه

المقدمات كانت النتيجة أن وسام «داجار» وأمثاله من أثمن التحف لانه من بقايا القرن الأول» وقد جاء فى مجلة اللطائف المصورة تاريخ أول مايو سنة ١٩٢٢ تحت عنوان «صور الرسل» بينما كانت الفعلة فى رومية يحفرون فى الارض لوضع أساس لجاراش أوتومبيلات عثروا على دهاليز وأقبية فأبطلوا العمل وجاء رجال المتحف التاريخى فعاينوا الآثار ونظفوا ما عليها من طين وتراب فظهرت على الجدران صور بالألوان تمثل السيد المسيح ورسله الكرام وقد قال الخبيرون أنها من الصور التى صورت فى العهد الرومانى المعاصر للمسيح واستدل على صورتين كبيرتين للرسولين بطرس وبولس وتمثلهما أصدق تمثيل وتعتبر هذه الصور الآن من أثمن التحف الأثرية المسيحية التى عثروا عليها إلى يومنا هذا وبعض صور السيد المسيح تمثله يرعى الغنم صفحة١٢ .

رابعاً: اعتراف البروتستانت أنفسهم. قد شهد مؤرخوا البروتستانت وعلماؤهم بهذه الحقائق وأثبتوها فى كتبهم فقد جاء فى كتاب قصص مقتطفة من تاريخ الكنيسة لهم طبع سنة ١٨٨٢ مانصه

«وجدت فى سراديب رومية صورة سفينة بمعنى أن الذين للمسيح يسافرون إلى السماء كما تسافر السفينة إلى ميناها البعيد قاطعة لجج الأبحر الشاسعه. ووجدت كذلك رسوم تشير إلى العازر فى اليوم الأخير .ووجدت أيضاً صورة فلك نوح والحمامة طائرة بجانبه ونوح مادد يده ليدخلها إليه إشارة إلى المسيح الذى يفتح ذراعيه بقبوله الآتين إليه ثم وجدت صورة ظريفة فى عدة أماكن وهى صورة الراعى الصالح الذى ذهب ليفتش عن خروفه الضال .

فالـظاهر أن المسيحيين القدماء كانوا يتأثرون جداً من محبة المسيح الذى أتى ليفتش على الضالين ويردهم من الظلمةإلى النور ومن الموت إلى الحياة فكانوا

يكثرون من نقش هذه الصورة الشخصية اتباعاً للمثل القائل «من أحب شيئاً أكثر من ذكره» صفحة ٨٢ و٨٣[١] وقال موسهيم فى شرحه طقوس مسيحى الجيل الثانى والثالث «أن المسيحيين كانوا يرسمون الصليب على المعمدين. وكانو يرسمونه تذكاراً دائما لموت المسيح قال. ولا أخاصم بغيرة وحدة الذين يظنون أن المعابد كانت مزينة أحياناً بصور وغير تحف» راجع صفحة ٧٦ و١١٠، ١١٢و١١٣ وشهد صاحب ريحانة النفوس « أن المسيحيين فى القرن الثالث كانوا يرسمون صورة حمامة على خواتمهم . وأن الصوركانت تصنع تذكاراً لحوادث تاريخية ذكرت فى الكتب المقدسة كصورة عماد المسيح وولادته. قال. ولقد إستحسنت ذلك الكنيسة لأجل الجهلة الذين لا يقدرون أن يقرآو الكتب المقدسة فكانت تلك الصورة إشارات إلى أعمال موجودة فى الكتاب المقدس وذلك كصورة آدم وحواء يأكلان من الشجرة المنهى عنها. ويوسف يباع لعبودية مصر. وداود يقاتل جليات وسليمان يكرس هيكله والمسيح يموت على الصليب وجهه ٦».

خامساً : إجماع سائر الكنائس الرسولية شرقاً وغرباً عليها ولكن من غرائب البروتستانت أنهم بينما ينكرون على الكنيسة إكرام صور الشهداء والقديسين نراهم هم أنفسهم يرسمون الصور ويضعونها على كتبهم ومجلاتهم ويعترفون بفائدتها ويشهدون بوجودها فى الكنيسة منذ العصر الرسولى كما رأيت وترى من أقوالهم. بل يعظمون التماثيل والمنحوتات لعلمائهم وعظماء رجالهم وكبار قوادهم ويزينون بها محافلهم وقاعاتهم وينصبونها داخل كنائسهم بانجلترا وأمريكا وغيرهما» ويرفعون لها قبعاتهم ويحنون رؤوسهم إجلالاً وتعظيماً وربما كانوا من الملحدين الذين لا يقرون بالله ولا يعترفون بدين. والأغرب منه أن تلك

مرآة الحقائق الجلية وجه ٣٣٩

الكنائس تقيم لهذه التماثيل الاحتفالات السنوية تخليداً لذكرى أصحابها !!! ـ ويندون ويغضبون علينا إذا رأونا نجل شهداءنا أبطال المسيحية وفاتحى عهد السلام الذين جادوا بدمائهم الزكيـة لأجل شهادة يسوع ولأجل كلمة الله رؤ ٦ :٦ ، ٢٠ :٤ مع أنـك ترى معابد الكنيسة الأسقفية مزينة بصور المسيح ورسله وقديسيه .

«الغاية من وضعها فى الكنائس»

غاية الكنيسة من اتخاذ الصور ووضعها فى الكنائس هى :

أولا : ـ لتعليم العامة من المؤمنين وإرشادهم إلى السير فى طريق الكمالات المسيحية بواسطة النظر إلى تلك الصور غل ٣ :١ وهذا عمل حميد شهد بصلاحيته ونفعه البروتستانت كما قال صاحب ريحانة النفوس « وكان المقصود منها « الصور » إنما هو تعليم العامة ـ الذين لا يعرفوا القراءة. مالا يقدرون على تحصيله من الكتب وذلك كما تُعلّم الحوادث التاريخية الآن للأولاد بواسطة الصور قبل أن يتعلموا القراءة صفحة ٦٢ » فهى إذاً بمثابة كتب المسيحيين الأميين الذين إذ يرون صور أصحابها يقرأون فيها صور الفضيلة ويمجدون الله فى قدسه الذين جعل مسرته بهم مز ١٦ :٣ على وفق قول النبى سبحوا الله فى جميع قديسيه مز٥٠ :١ « طبعة رومية » بل هى كخريطة ترى الناظر موقع البلاد الجغرافى أو كجريدة مصوره يقرأ فيها الجاهل صور أمور كثيرة وحوادث شتى لم يعرفها إلا بالسمع . أو كدليل يرشدهم إلى عنصرها الأصلى فهى للنظر كالكرازة للسمع.

ثانياً : ـ لتزين المعابد بها وهذا أمر صرح به الله نفسه لموسى خر ٢٥ : ٩و١٨ ، ٢٨ : ٢ وسار عليه داود وسليمان إذ وضع بموجب أمر الرب وحسب

الرسم الذى أعطاه الله لداود أبيه كثيراً من صور الملائكة والثيران والأسود والنباتات والزهور والنخيل وكل البيت كان منقوشاً بالصور المغشاة بالذهب راجع ١مل ٦ : ١٨ الخ وأى ٢٨ : ٢٨و٢ أى ٣ : ٥، ٦

ثالثا: ـ للتذكار فهى كمذكرات لسائر المؤمنين الذين إذ ينظرون إليها يذكرون أعمال الله العظيمة وأعمال قديسيه العجيبة فتتحرك فى قلوبهم حاسات الإيمان والرجاء والمحبة بمراحم الله الجزيلة وشعائر الغيرة والحمية والإقتداء بمناكب قديسيه الحسنة وأعمالهم الصالحة التى مجّدوا الله بها وفقا لقول الرسول عب ١٣ :٧

ولا يخفى أن عمل الصور للتذكار فضلاً عن كونه مجمعا عليه فهو مطابق لتعليم الكتاب ومأمور به من الله نفسه فقد أمر موسى بعمل الفصح دائما ليكون تذكاراً لعبور بنى إسرائيل بحر سوف خر ١٢ :١٤ ويصنع أهداب وتعليقها فى أذيال ثياب الكهنوت. ولماذا ؟ قال الله. لتكن لكم هدبا فترونها وتذكرون كل وصايا الرب وتعملونها ولا تطوفون وراء قلوبكم عد ١٥ : ٣٩ ــ ٤١ » وبطرق مجامر قورح وجماعته تذكاراً لبنى إسرائيل لكى لا يقترب رجل أجنبى ليس من نسل هرون ليبخر بخوراً أمام الرب عد ١٦ :٤٠ ويحفظ المن تذكارا نظريا لذاته خروج ١٦ :٢٣ ويحفظ عصا هرون علامة لبنى التمرد فتكف تذمراتهم عنى لكى لا يموتوا عد ١٧ :١٠ ونقش أسماء أسباط إسرائيل الإثنى عشر على صورة القضاء ليحملها هرون عند دخوله إلى القدس للتذكار أمام الرب دائما خر ٢٨ :٢١ و٢٩ وتبعا لهذا سار رجال الله فى العهد القديم : فدعا يشوع الإثنى عشر رجلا عند عبور الأردن وقال لهم إرفعوا حجارة لتكون هذه علامة فى وسطكم . إذا سأل غدا بنوكم عنها. تقولون لهم إن مياه الأردن قد

إنفلقت أمام تابوت عهد الرب. فتكون هذه الحجارة تذكار لبنى إسرائيل إلى الدهر يش ٤ :٦و٧ . وهكذا لما قطع معهم عهدا ليعبدوا الله ولا يتركوه أخذ حجراً وقال لهم أن هذ الحجر يكون شاهدا علينا لأنه قد سمع كل كلام الرب الذى كلمنا به فيكون شاهدا عليكم لئلا تجحدوا إلهكم يش ٢٤ :٢٧ نصب داود تذكاراً عند رجوعه من آرام فى وادى الملح ٢ صم ٨ :١٣

وعلى هذا المثال ترسم الكنيسة لبنيها صور المسيح مصلوباً وصور والدته العذراء ورسله القديسين وشهدائه الأبرار وتعلقها فى أماكن العباده لتذكرهم بمحبة يسوع لهم وبما احتمله من الآلام المبرحة لأجلهم وبما قاساه أولئك القديسين أبطال المسيحية وجنود الرب الصالحين فى سبيل نشر الإيمان وبما كانوا عليه من التقى والصلاح وإنكار الذات ولسان حالها يقول لهم مع الرسول عن المسيح. يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم غل ٤ :١٩ أذكروا محبة يسوع لكم وآلامه لأجلكم ها أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً غل ٣ :١ فتأملوا فى جراحاته المقدسة وآلامه الخلاصية واذكروا أنكم بجلدته شفيتم أش ٥٢ :٥ ، ابط ٢ :٢٤ فتمثلوا باللهّ كأولاد أحباء وأسلكوا فى المحبة كماأحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله طيبة اف ٥ :٢ لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا. ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع الذين من أجل السرور الموضوع أمامه إحتمل الصليب مستهيناً بالخزى فجلس فى يمين عرش الله . فتفكروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلوا وتخوروا فى نفوسكم عب ١٢ :١ــ ٣ وعن رسله وقديسيه.. هكذا. «أذكروا مرشديكم» «هؤلاء» الذين كلموكم بكلمة اللهّ أنظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم عب ١٢ : ٧ تمثلوا بهم كما تمثلوا هم بالمسيح ١ كو

١١ :١ وما تعلمتوه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه فىّ فهذا افعلوا فى ٤ :٩ لأنهم جعلوا أنفسهم قدوة حتى تتمثلوا بهم ٢ تس ٣ :٦ .

وهم عند ما يرون صورالمسيح مصلوباً ترتسم فى أذهانهم. كما رسمت أمام عيونهم - صورة الآمه وصلبه وموته فيتولد فيهم روح الإنسحاق والخشوع والندامة على الخطية التى سببت الموت لإبن الله ومن ثم يعيشون فيما بعد لا لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام ٢كو ٥ :١٥ مقاومين حتى الدم مجاهدين ضد الخطية عب ١٢ :٤ ماسكين بالحياة الأبدية التى دعوا بها ١تى ٦ :١٢ لابسين كمختارى الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة كو ٣ :١٢ .

رابعاً : للإعتراف بفضلهم وإحياء ذكرهم . لا يخفى أن القديسين هم أحباء الله وأحباؤنا وفعل المحبة يدعونا أن نصنع صورهم أو نأخذ رسمهم لنكون على الدوام متذكرين أحبائنا بعد رقادهم كما جرت العادة بين الأصدقاء وبعضهم إذ يأخذ الواحد منهم رسم صديقه إذا افترقا لحفظها ذكراً للصداقه والمحبة والإخلاص. وكما أن نجماً يمتاز عن نجم فى المجد وصديقاً يُفضّل عن صديق فى الولاء وسيداً يُهاب عن سيد فى الإحترام والهيبة. وكما أن المخلص يرى أن أفضل ذكرى لصديقه أو سيده الذى أخلص له وأحسن إليه إنما هى صورته وكلامه ولذلك يتلف على نيل كليهما للتحفظ بهما . ولما أن الكنيسة تعتقد اعتقادا ثابتاً لا يتزعزع أن الرب يسوع هو مخلص الكنيسة ومؤسسها ١كو ٣ :١١ واف ٥ :١٣ وموجدها من العدم وحافظها من الانحلال والتلاشى . وأن الرسل والقديسين والشهداء هم ناشروا تعاليمها وموطدوا دعائمها اف ٢ :٢ وحافظوا إيمانها ومعتقداتها من الضلال وهى مدينة لهم أجمعين بخلاص أنفس المؤمنين وإذاعة نور الإنجيل ورفع منار الدين . رأت من الواجب عليها

اعترافاً بفضلهم أن تتحفظ بصورهم وكلامهم تذكاراً لمآثرهم وأعمالهم وجهادهم من أجلها وإقتداء بسيرتهم وتقواهم وتمثلا بإيمانهم عب ١٣ :٧ ففعلت وعلقت صورهم فى الكنائس . وهى تقدم لها أنواع الكرامة والإحترام اللآئق بأربابها . وهى إذا لم تفعل ذلك عدت ناكرة الجميل جاحدة الفضل والمعروف ناكرة إحسان ومروءة محبيها وحافظى إيمانها . فأى غضاضة إذا هى قامت بالواجب عليها ذمة وشرعاً لمن فداها بذاته وجاهدوا فى سبيل الزود عن حياضها وأقل شئ وأسهله أن نحتفظ بصورهم وتعاليمهم التى أبقوها من بعدهم زخرا ونورا يبدد من طريقها ظلمات الحيوة.

على أن الكنيسة تفعل ذلك وفقاً لقول الوحى . ذكرالصديق للبركة ١م ١ :٧ والصديق يكون لذكرى أبدى مز ١١٢ :٦ وتمثلا بالله الذى كتب أمامه سفرتذكره للذين اتقوا الرب وللمفكرين فى إسمه مل ٣ :١٦ ونقش أسماؤهم فى السموات لو ١٠ :٢٠ فى سفر حيوة الخروف رؤ ١٣ : ٨ ، ٢١ : ٢٧ وحفظ لهم إكليل البر الذى يهبه لهم فى ذلك اليوم ٢تى ٤ : ٨ مكافأة لهم على أتعابهم مت ١٩ : ٢٨ و١بط ٥ : ٤ ورؤ ٢ :١٠ وتضحية نفوسهم من أجل كلمة الله وشهادة يسوع رؤ ٦ :٩ .

«الغاية من إكرامها»

أما إكرامها فهذا راجع إلى أصحابها الذين نكرمهم لذواتهم كلما وقع نظرنا على صورهم ؛ ولا قيمة للصور عندنا من حيث كونها مواد ملونة مرسومة على قماش أو ورق أو خشب . ولسنا نقول بتحويل هذه المواد إلى أجساد وأرواح طاهرة. بل نقول أنها تذكرنا بالأشخاص أنفسهم الجديرين بكل تعظيم وإجلال. ونحن نشبه الصور بالكتابة فكلاهما عبارة عن خطوط مستقيمة

أومنكسره إو منحنيه مرسومه على ورق أو خلافه وكلاهما يمثل فى الذهن أمورا معينه. فكتاب العهد الجديد مثلا يتلو علينا ما أتاه المسيح وهو على الأرض من آيات بينات وخوراق ومعجزات وكذلك يتلو علينا ما أتاه الرسل الأبرار من صالح الأعمال. وما قالوه من حكم إلهية . ولا شك فى أن الكتاب الطاهر بإعتباره ورقاً لا قيمه له. وإننا مع ذلك نعتنى به كل الإعتناء ونكرمه كل الإكرام وليست الصور إلا كتاباً يعلمنا بأبلغ عبارة - وهو صامت - ما كان عليه أولئك القديسون من الطهر وإنتقاء. وما قاساه الشهداء من الاضطهاد والعذاب من أجل كلمة الله فنقتدى بأعمالهم وننسج على منوالهم عملا بقول الرسول عب ١٢ :٧» إذ كثيراً ما تكون الصور أبلغ وأوفى من المقالات المطوله فضلا عما لها من مزية السهولة فى الفهم والتمثيل . فالصور إذاً كالكتاب المقدس وجب أن تكرم وتعظم .

تصرح الكنيسة بإكرام الصور لإن الكتاب أجازه وأتاه رجال الله قديما . فموسى أكرم التابوت ـــ الذى كان مصنوعاً من الخشب ومطلياً بالذهب ـــ لأنه كان يمثل حضور الله فى وسط بنى إسرائيل عد ١٠ :٣٥و٣٦ . ويشوع لما ذهب لمحاصرة أريحا أخذ التابوت باحتفال عظيم وكان الكهنة يهتفون أمامه وبنو إسرائيل يرنمون قدامه يش ٦ :١٢ وداود الملك أصعد التابوت من بيت عوبيد إلى مدينته بفرح وكان كلما خطا حاملوه ست خطوات يذبح ثوراً وعجلا معلوفا وكان داود يرقص بكل قوته وأصعده وجميع بيت إسرائيل بالهتاف وبصوت البوق ٢ صم ٦ :١٢ - ١٨ حتى أن امرأته لما سفهت عمله وشبهته بالإماء قال لها «إنما أنا أمام الرب أرقص وإنى أتصاغر دون ذلك وأكون وضعيا فى عينى نفسى وأما عند الإماء التى ذكرت فأتمجد ع ٢١و٢٢

وقد كان هذا التابوت موضوع إكرام بنى إسرائيل قاطبة فكانوا يدعونه

تابوت عهد الرب واسم رب الجنود الجالس على الكاروبيم اصم ٤ :٤ ، ٢صم ٦ :٣ وفى وقت الحرب كانوا يحملونه ويقولون وهو يدخل فى وسطنا ويخلصنا من يد أعدائنا ١صم ٤ :٣ ولما تضايقوا من كسرة الفلسطينيين لهم أحضروه إلى المحلة وكان عند دخوله إلى المحلة أن جميع إسرائيل هتفوا هتافاً عظيماً حتى إرتجت الأرض ولما علم أعداؤهم بمجيئه لهم خافوا وقالوا قد جاء الله إلى المحلة وقالوا ويل لنا من ينقذنا من يد هؤلاء الآلهة القادرين ١صم ٤ :٤ ـ ٨ ومثلهم قال أهل بيتشمس، من يقدر أن يقف أمام الرب الإله القدوس هذا ١صم ٦ :٢٠

واكراما للتابوت أيضاً إمتنع سليمان عن قتل ابياثار الكاهن بدليل قوله ولست أقتلك فى هذااليوم لأنك حملت تابوت سيدى الرب ١ مل ٢ :٢٦.

على أن هؤلاء جميعا لم يكرموا التابوت إلا لأن الله أكرمه إذ دعا عليه بإسمه ٢ صم ٦ :٢ وصنع بواسطته آيات وعجائب ١صم ٥ :١ ـ ٨، ٦ : ١ ـ ١٥ وبارك الذين أكرموه ٢ صم ٦ :١١و١٢ كما غضب على الذين أهانوه فضرب الأشدوديين بالبواسير ١صم ٥ :٦ وكذلك أهل جت من الصغير الى الكبير ع ٩ وأهل عقرون ع ١٠ ـــ١٢ كما ضرب ٥٠٠٧٠ رجلا من أهل بيتشمس لأنهم نظروا إليه ١ صم ٦ :١٩.

فمن هذا يتضح أن إكرام صورة المسيح وغيرها جائز بل واجب ومفيد مرضى الله وإن الذى يهينها يرتكب إثما فظيعا.

وهنا تسائل لماذا يجوز لشعب الله قديما وفى مقدمتهم الأنبياء والملوك أن يكرموا التابوت وغيره من الأنبياء المقدسة التى تقدست بحلول الله فيها خر ١٩ :١٢ ولا يجوزلشعبه حديثاً أن يكرموا صورة المسيح ورسله وقديسيه بل ولماذا

لاتكرم هذه الصور كسائر الأشياء المقدسة المكرسة لعبادته كالإنجيل والصليب والأوانى المقدسة مادام إكرامنا لها عائداً إلى أصلها وبالتالى إلى الله نفسه.

« رفات القديسين وآثارهم »

أما رفات القديسين وآثارهم فنحن نجلها ونحترمها وننزلها منزلة الاعتبار للأسباب الآتية:

إولاً : تمثلاً بالله الذى أكرم فى أعين العالم كل بقية من بقايا قديسيه وكل أثر من آثارهم كما نرى ذلك واضحاً فى الكتاب المقدس .

ففى العهد القديم قد أكرم الله عظام النبى اليشع بإقامة الميت بواسطتها ٢ مل ١٣ :٢٠ و٢١ ورداء إيليا لما ضرب به اليشع الماء وإنفلق إلى هنا وهناك فعبر ٢مل ٢ :١٤ وكما أمر باحترام الأماكن المقدسة التى تباركت بحضوره فيها خر ٣ :٥ ويش ٥ :١٥ وتهدد بالقتل من لا يحترمها خر ١٩ :١٢ .

وفى العهد الجديد نرى أن مناديل بولس ومآزره صنع بها قوات غير معتادة. إذ كان يؤتى بها إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض وتخرج منهم الأرواح الشريرة اع ١٩ :١٢ .كما برئ كثيرون كانوا مرضى ومعذبين من أرواح نجسة بظل بطرس اع ٥ :١٥ و١٦ وثياب المسيح حالما لمستها النازفة الدم للوقت جف ينبوع دمها وبرئت من دائها مر ٥ :٢٥ ـ ٢٩ .ويشهد التاريخ: بأن جثة بوليكاربوس تلميذ يوحنا الرسول وأسقف أزمير لم تعمل فيها النار مراراً إبان اضطهاد مرقس أوريليوس «قيصر ١٦١ ـ ١٨٠ » ضد المسيحيين.

ثانياً: إقتداء برجال الله القديسين وشعبه المختار فى العهدين فإن يوشيا الملك الذى أتى من اليهودية إلى السامرة أحرق جميع عظام الموتى ولم يمس بأذى عظام النبى رجل الله ٢ مل ١٣ :١٧ ، ١٨ وقد أكرم موسى عظام يوسف

ونقلها معه إلى أرض كنعان خر ١٣ :١٩ وقد أنبأ التاريخ أن مسحيِّى أزمير حفظوا رفات جثة بوليكاربوس لكى يجتمعوا كل عام فى يوم وفاته ويحتفلوا بتذكار نياحته[١] وغير ذلك كثير سمح به الله إحياء لذكرى قديسيه .

«الاعتراضات والرد عليها»

أولا : يعترض البعض بأن الكتاب نهى عن الصور فى خر ٢٠ :٤و٥ . والحقيقه أن الكتاب صرح باتخاذ الصور كما رأيت ولكن البروتستانت تصرفوا فى الآية المذكورة بحسب أغراضهم لجعلها حجة ضدنا. أما الترجمة الصحيحة لهذه الآية بحسب النسخة السبعينية فهى ΟⲨΝΟΙ ΗⲤ ⲈⲒⲤ ΟⲈⲀⲨⲦⲰ ⲈⲒⲆⲰⲖΟΝ ΟⲨⲆⲈⲦⲒⲀⲠⲦΟⲤ ΟⲘΟⲒⲰⲘⲀ

وتعريبها حرفياً « لا تصنع لك صنماً ولا تمثالا ما ... الخ فلفظة صورة ـ التى يقول بها البروتستانت ـ لا أثر لها فى الأصل اليونانى والآية تنهى عن صنع التماثيل وعبادتها لا عن إتخاذ الصور وإكرامها ولأجل هذا ترذل الكنيسة الأرثوذكسية عن التماثيل وتتخذ الصور. وقد قال العلامة جراسموس أحد آباء الكنيسة اليونانية[٢] فى الكتاب الإلهى يوجد إختلاف عظيم فيما بين الصنم والصورة « أى الأيقونة » فإننا نجد أن الصنم يراد به معنى رديئاً شنيعاً جداً وأن الصورة فيراد بها معنى مستحسناً بديعاً لأنه الله تعالى صنع الانسان على صورته ومثاله « تك ١ :٢١و٢٧ » لا على الصنم وابن الله الآب هو صورة أقنومه « عب ١ :٣ » وصورة الله غير المنظورة والحكمة هى شعاع النور الأزلى ومرآه

---

(١) راجع السكنسار القبطى ٢٩ أمشير ورسالة كنيسة أزمير إلى كنائس البنطس فى هذا الصدد تاريخ أو سابيوس مجلد٤ .

(٢) فى رده على الكاثوليك راجع الهدية سنة ٧ عدد٣٥ .

العقل التى بلادنس وصورة صلاحه «حكمة ابن سيراخ ٧ : ٢٦ » ونحن قد لبسنا صورة آدم الترابى وسنلبس أيضا صورة السماوى اكو ١٥ : ٤٩ والذين سبق الله فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة إبنه رو ٨ : ٢٩ أما أصنام الإثم على أيدى مز ١٣٤ : ١٥ و ١٦ فهى مرذولة والذين يسجدون لها مز ٩٦ :٧

يتضح مما تقدم أن كل تمثال ممنوع من الكتاب وليس كل صورة كذلك. وبعبارة أخرى أن الصور نوعا منها ما يتخذللعبادة كالتماثيل خر ٢٢ :٤ وتث٤ :١٦ وامل ١١ : ١٨ وخر ٢٢ :٤ ودا٣ :٥ ، رو ١ :٢٣، اكو٨ :٤ ومنها ما يتخد كوسائط لتمجيد الله وعبادته كالصور. فالأول مرذول ومنهى عنه . والثانى جائز ومقبول ومصرح به ومن هذا النوع صنع الكروبين بأمره تعالى خر ٢٥ : ١٨ ورفع الحية النحاسية فى البرية عد ٢١ : ٨ وعليه يكون معنى الوصية ألا تتخذ من دون الله آلهة أخرى لامن الخليقة السموية ولا من الخليقة الأرضية «حسية كانت كالانسان والحيوان والشجر والنباتات أو غير حسية كالحجارة والمعادن وغيرها » ولا من الخليقة المائية «أى الأسماك وغيرها » وبالتلى تنهانا هذه الوصية عن عبادة المخلوقات بدلا من الخالق كما وعن عمل منحوتات لها أو تماثيل أو تصاوير وعبادتها كما فعل بنو إسرائيل خر ٣٢ :١ — ٨ وإذ ذاك يكون استعمال الصور الشريفة فى الكنيسة مثل صور السيد المسيح والعذراء والرسل والقديسين والشهداء ليس مضاداً للكتاب بل موافقاً له وإلا كيف أمر الله موسى بعد إعطائه الوصايا العشر حالاً بصنع الكاروبين للمظللين بأجنحتهما على الغطاء فوق التابوت وهما كما لا يخفى ملا كان خر ٢٥ : ١٨ . ألعل الله ناقض ذاته أم نسى « أستغفره تعالى » ماأمر به أولا؟

كذلك قد رسم لموسى صورة المسكن وأمره بصنعه قائلا له :

«حسب الرسم الذى أريك إياه على الجبل . وموسى لم يبدأ بعمل المسكن والتابوت إلا بعد أن أراه الرسم بعينيه خر ٢٥ :٤٠ ، ٢٦ :٣٠ واع ٧ :٤٤ وعب ٨ :٥ ثم أن سليمان بعد ما بنى الهيكل للرب نقش فيه صورة كروبيم وجميع حيطان البيت فى مستدير رسمها نقشا بنقر كروبيم ونخيل وبراعم زهورمن داخل ومن خارج ١مل ٦ :٢٣ ــ٣٥ أفليس الكاروبيم صورة شئ مما فى السماء أعنى الملائكة ؟ أوليس النخيل والزهور صورة شئ مما فى الأرض ؟ أفلعل سليمان كان جاهلا الوصية الثانية حينما بنى البيت على أن سليمان نفسه صنع كل شئ فى البيت بأمر الله نفسه حسب الرسم الذى أعطاه لداود أبيه ١ أى ٢٨ :١١و١٩ .

وإذا كان اللهّ نفسه أمر موسى وسليمان بأن يصنعا الصور مع كل ماكان عليه الشعب فى العهد القديم من حال الطفولية والميل السريع لعبادة الأوثان فكيف لايجوز لنا نحن شعب العهد الجديد وقد بلغنا درجة الادراك الروحى بنعمة المخلص أن نزين هياكلنا وكنائسنا بصور الفادى وملائكته وقديسيه »

على أننا لو سلمنا جدلا عن الآية تنهى عن الصور فليس ذلك على اطلاقه بل أن إتخاذها للعبادة كما يتضح من نفس الآية « لا تسجد لهن ولا تعبدهن » وقصده من هذا تحذير شعبه من التشبه بالأمم فى عبادة الآلهة الكاذبة صنع أيدى الناس راجع تث ٤ :١٥ ـ ١٩ والبروتستانت أنفسهم يشهدون بهذا فقد قالوا فى تفسيرهم إياها ما نصه أى لاتتخذ شيئا من ذلك للسجود أو العبادة بدليل قوله بعد هذا « لا تسجد لهن لا تعبدهن » ولكن بعض العبرانيين الأقدمين «كبعض البروتستانت الآن » أخذوا الكلام على إطلاقه فمنعوا من صناعة النحت والتصوير ولو لمجرد الزينة. على أن موسى نفسه أمر بصنع الكاروبيم لمجرد الزينة والإشارة. ونرفع الحية النحاسية للرمز وأقام سليمان تماثيل

أسود على جانبى كرسيه وثيرانا تحت بحر النحاس وجميع حيطان البيت فى مستديرها رسمها نقشا بنقركروبيم ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج ١ مل ٦ :٢٩ صفحة ٤٠٥ وقالوا فى درس أحد ٢١ ديسمبر سنة ١٩١٣ صفحة ٣. الوصية الثانية لا تحرم الصور والتماثيل إذا عملت لقصد الزينة والتذكار ولكنها تنهى عن عبادتها وقد أمر الله موسى أن يصنع كروبيم على التابوت وحية من النحاس ولكن لما عبدها بنو إسرائيل سحقت » وروزتمور قال فى حواشيه على العهد القديم فى شرح هذه الآية . « أنه يفهم بسهوله أنه ليس المراد تحريم كل الصور كما زعم بعض المفسرين بل صور الله الحق إذ كان فى الهيكل نفسه صورة الكروبين . وفى تفسير« لا تسجد لهن » . قال : يعنى لا «تعبدهن» لئلا تخالف الوصية إذ قال أنا الرب إلهك غيور فإن لفظة غيور يوصف بها للزوج الذى يغار على امرأته فهكذ ا الله لا يحتمل شريكا له فى العباده التى يطلبها من الناس وهذاما أراد أن يبينه هنا لليهود فإنه لم يأمرأن يعبد فقط بل أن يُعبد وحده أيضا ويأبى إشراك آلهة آخرين معه بعبادة أو تقديم جزءً من العبـادة المتوجـبه له لتمـاثيـل آلهه أخرى » بل لوثر نفسه زعيم البروتستانت قال « أن مراد الله فى الوصية الثانيه انهى عن عبادة الأوثان مجلد ١ صفحة ١٩٤

ثانياً : يعترض بأن وضعها فى الكنائس يؤدى إلى عبادتها وهو اعتراض سخيف لأننا لم نسمع قط أن مجرد اتخاذ شئ يقود لعبادتها لذا لم نرى ولم نسمع أن وضع الصورفى الكنائس أدى يوما ماإلى عبادتها ومتى وأين سمع أن المؤمنين عبدوها أو أن الكنيسة قالت بعبادتها .

إن الكنيسة لا تجهل الغرض من وضعها البتة وهى أحكم من أن تنخدع بل قالت و تقول بجواز اتخاذها فى أماكن العبادة للأغراض. التى ذكرناها آنفاً

ووافقت عليها البروتستانت أنفسهم كما رأيت ومع كل فإن لوثر نفسه قال «إنه مسموح لكل مسيحى أن يتخذ صور القديسين لأنها حروف هجائية تذكرنا بالمرسومين عليها وتشخصهم لنا بل أكثرمن ذلك قال « من هوالذى بلغ به العمى إلى هذا الحد حتى يرى أنه من الخطأ تصوير الحوادث التاريخيةالمسيحية ونقشها ووضعها فى البيوت والهيا كل المقدسة أنا لا أرى خطأ فى ذلك(١).

ثالثاً : يعترض أن التبخير لها والسجود أمامها هما عبادة. وتفنيداً لذلك نقول ان التبخير أو السجود أمام الأيقونات فليس بنوع العبادة حاشا فإن هذا محفوظ لله وحده والكنيسة تتجنب من يقدمه لغيره تعالى ولاتعتبره مسيحياً قط وإنما نحن نبخر أو نسجد أمامها كما نسجد أمام صور الملوك والأمراء والرؤساء إظهاراً لا حترامنا للمصورين فيها أنفسهم وليس لذات الصور أى لألوانها ومادتها. ولكن بما أنهم ينكرون علينا هذا العمل بادعاء أنه مخالف للوصية فنحن ندحض نكرانهم من نفس الكتاب المقدس وقبل ذلك نوضح معنى السجود فنقول مع أحد العلماء « إنه عندما يجتمع شمل الناس تجمعهم رابطة المحبة والصداقة يسلم بعضهم على بعض ويقبل بعضهم بعضاً وهذا الفعل يدعى بالعبرانية واليونانية سجوداً وعليه يكون معنى السجود للأيقونات عبارة عن مصافحة وتحية وسلام وليس لذات الصورة وما تكونت منه بل لذات الأشخاص المرسومين فيها».

أما الكتاب فإنه يعلمنا أن السجود نوعان. سجود العبادة وهذا محفوظ لله وحده مت ٤ :١٠ وغير جائز تقديمه لغيره مز ٨١ :٩ وسجود إكراما. وهذا جائز تقديمه للملائكة والناس وقد أجازه الله نفسه وصرح به راجع تك

---

(١) راجع wiener comparat Sgmboli D. werscie kirch P. 153.

٢٧: ٢٩ ، ٤٩ : ٨ وخر ١١ : ٨ ،١صم ٢ :٣٦ ، أش ٤٩ :٢٣، ٦٠ :١٤ ، رؤ٣ :٩ .

وقد قدم الناس السجود للملائكة والأنبياء والرسل ولم يذم الله الذين أتوه قديماً وحديثاً : فإبراهيم سجد للملائكة تك ١٨ :٢ وكذلك لوط تك ١٩ :١ ويشوع ٥ :١٤ ويوحنا رؤ ١٩ : ١٠ ,٢٢ : ٨ ،وبلعام عد ٢٣ :٣١ ورئيس الخمسين لإيليا النبى ٢مل ١ :٣ والمرأة الشونمية لا ليشع ٢ مل ٤ :٢٧ ونبوخذ نصر لدانيال ٢ :٤٦ وشاول لصموئيل النبى ١ صم ٢٨ :١٤ وكرنيليوس لبطرس اع ١٠ :٢٥ وحافظ السجن لبولس اع ١٦ :١٩

وقدموه أيضاً لمن كانوا أكبر منهم مقاماً أو للمساوين لهم أو للأدنى منهم ولم يغضب الرب عليهم فإبراهيم سجد لشعب الأرض تك ٢٣ :٧و١٢ ويعقوب والجاريتان وأولادها وليئه وأولادها ويوسف وراحيل لعيسو تك ٣٣ :٣، ٦٣ :٧ وإخوة يوسف لأخيهم تك ٤٢ : ٦ ويوسف ليعقوب أبيه تك ٤٨ :١٢ وموسى ليثرون حميه خر ١٨ :٧ كما سجد هو وهرون أخوه لبنى إسرائيل عد ١٤ :٥ وراعوث لبوعز ٢ :١٠ وداود ليوناثان ١صم ٢٠ :٤١ ولشاول ١صم ٢٤ : **٨** وسجدت ابيجايل الكراملية لداود. ١صم ٢٥ :٢٣ وسجد له أيضاً عماليقى**٢** صم١ :٢ وابن يوناثان ٢صم ٩ :٩و٢٨ وصيبا ٢صم ١٦ :٤ وارونة ٢**صم** ٢٤ :٢٠ وبنو إسرائيل لابيشالوم ٢ صم ١٥ :٥ وسليمان الملك لأمه ١**مل** ٢ :١٩ وسجند له أدوينا أخوه ١مل ١ :٥٣ وسجد بنو إسرائيل للرب **وللملك** ١أي ٢٩ :٢٠

وقدمه الملوك والأنبياء والكهنة لبعضهم بعضاً فاخيمعص **ابن** صادوق الكاهن سجد لداود النبى ٢صم ١٨ : ٢٨ وناثان النبى سجد **لداود أيضاً** ١ مل ١ :٢٣ وبنو الأنبياء سجدوا لا ليشع النبى ٣ مل ٢ :١٥ .

فمن هذه الآيات الواضحة تعلم أن السجود لغير اللهّ جائز وان اللّه لم يغضب عل الذين آتوه بل رضى عنهم لأنهم به أكرموا رجاله ٢مل ١:٣١ وتقديمهم إياه لرجال اللّه وللملوك والأنبياء كان تعظيماً وتكريما لاعبادة وبالتالى مصافحة وتحية ١ صم ٢٠ :٤١

رابعاً : يعترض أن السجود وإن جاز للناس فلا يجوز لصورهم لأنه عبادة صنمية وضد الوصية . ورداً عليه نقول أن الكتاب قد أجاز السجود للأشخاص ولصورهم كما وللأشياء المقدسة المكرسة للّه راجع خر ٢٣ :١٠ ومز ٥ :٧، ٩٩ :٥، ٩٦ :٩، ١٣٢ :٧، ١٣٨ :٢ ، ١ أي ١٦ :٢٩ ولا يخفى أن المراد بقول النبى اسجدوا لموطئ قدميه فى هذه الآيات هوالتابوت نفسه بدليل قول داود نفسه فى ١ أى ٢٨ :٢

واعتراف البروتستانت أنفسهم الذين وضعوا شاهداً على مز ٩٩ :٥ و١٣٢ :٧ مشيراً إلى ما ورد فى ١ أى ٢٨ :٢ وعلى هذه ما جاء فى تلك الآيتين .

عدا ذلك فإننا نقرأ فى الكتاب

(١) أن يعقوب سجد لرأس عصاه تك ٤٧ :٣١ فهل كان هذا السجود للعصا أم لسيادة يوسف ذاته ؟

(٢) أن موسى كان يكرم التابوت ويقول له عند ارتحاله. قم يارب إلى ربوات ألوف إسرائيل عد ١٠ :٣٥ ومعلوم أن التابوت لم يكن اللّه بل كان يمثل وجود اللّه فى وسط بنى إسرائيل. فهل أخطأ موسى بقوله لهذا وخالف الوصية أن موسى نفسه وهرون سجد أمام خيمة الشهادة عد ٢٠ :٦ فهل ترى موسى وهرون بسجودهما أمام باب خيمة الاجتماع الذى كان مزينا بصور الكروبيم قد

تجاوزا الوصيــة الثانيــة؟ وإذا كان هذا مخالفا لوصية الله فكيف ترائى لهـما مجد الرب؟!.

(٤) أن يشوع وقومه أكرموا التابوت وسجدواله اليوم كله إلى المساء يش ٧:٦و٧ فهل كان ذلك مخالفا للوصية؟

(٥) أن الأنبياء والملوك كانوا يؤدن له الإكرام اللائق والكهنة كانوا يسيرون أمامه بملابسهم الكهنوتية وبأيديهم المجامر يبخرون ويسجدون أمامه ويقدمون له الذبائح ٢ صم ٦ :١ الخ و١مل ٨ :١ ـ ٥ فهل أخطأ جميع هؤلاء ضد الوصية وكيف قبل الله تسبيحهـم أمامـه وبـارك الذيـن قدموه وتقبل تقدماتهم ٢ صم ٦ :١٧

لا يخفى أن هذه الصورة كانت ولا تزال موضوع إكرام المسيحيين وحبهم وتوقيرهم وقد أيدت ذلك شهادة الآثار وأثبته البستانى فى دائرة المعارف « راجع جزء ٦ تحت كلمة تصوير ».

فمن هذا البيان الوجيز يرى الإنسان إذا أراد أن ينصف عقله ويستعمل ذمته أن الكنيسة لا تعبد الصور ولا تبخر أو تسجد لها سجود العباده لأنها تعتقد أن البخور والسجود لله وحده . ومما يدل على ذلك ما ينطق به الكاهن ساعة التبخير فى صلواتة إذ يعطى المجد ليسوع الذى صلب عنا ويسجد له ويطلب له ولشعبه مغفرة الخطايا[١] فهل هذا القول وتلك العبارات يصدقان على الصور أم هما خاصان بالله جلت قدرته . وأى خطأ أوضلال إذا قدمت الكنيسة البخور والسجود لله وهى متجهة نحو صورة المسيح مصلوبا وهل فى تلك الطلبات التى يتلوها الكاهن وقت التبخير ما يدعو إلى استهجان عملها . أو ليس ما

(١) راجع ذلك تفصيلا فى كتاب البصخة وجه ٦٥ ــ ٦٨

تعمله يشبه ما عمله موسى ويشوع وداود وكهنة إسرائيل الذين كانوا يقدمون البخور والسجود أمام التابوت ويذبحون له الذبائح كما رأيت . على أن لوثيروس نفسه اعترف بجواز السجود للأيقونات وهذا كلامه « إنى إذا سجدت قدام أيقونة المسيح المصلوب إنما أكون سجدت لذات الفادى بتكريمى الخشبة ومن فهم خلاف ذلك فقد أخطأ وإذا وجد من تورط بمثل هذا التكريم وانتقل منه إلى التعبد المحض فقد تجاوز الحد واقتضى اصلاحه ولا يليق بنا أن نرذل تكريم الأيقونات إذا وجد من أساء التصرف به . وإذا كان هناك من يدرك حقيقة تكريم الأيقونات وانتهى به الأمر إلى أن عبدها فهل نلزم لذلك بالكف عن تكريمها ؟ هب أنه وجد من أساء بزيجة سنها الله فهل تهجرون بسبب فعلة نساءكم « يا رجال المجلس الارليمندى » وتطردونهم من بيوتكم؟ وإذا وجد من أساء تعاطى الخمر فهل تهرقونها على الأرض وتنقطعون عن شربها مكتفين بالماء[1] هذه شهادة زعيم البروتستانت . فما قول المعترضين ، وأخيرأنقول إن الله قبل عبادة بنى إسرائيل المقدمة له تعالى أمام التابوت الخشبى لأنها راجعة إليه كذلك يقبل عبادتنا المقدمة لذاته العالية أمام صورة صلبه لأنها صادرة من قلب طاهر . كما أن التابوت كان يمثل وجود الله حتى دعوة رب الجنود كذلك صورة الصلب تمثل أمام أعيننا الحسية صلب المسيح وما له من المزايا العظيمة الممثلة فيها وكما أن أولئك كانوا يبخرون ويسجدون أمام التابوت كذلك نحن نبخر أونسجد للمسيح أمام صورته وهوعائد لالذات الصورة بل لذاته العالية ونقرأ الفصول النبوية والإنجيلية المناسبة للصلب لنتمثل ونتشخص

---

(١) راجع الجزء الأول من تاريخ الاصلاح المطبوع فى بيروت سنة ١٨٧٦ صفحة ٦٤و٦٥ فى موضوع المباحثة التى جرت بين لوثيروس ومجلس أو ليمندا البروتستانتى وكارلو أستاذ زعيم الاورليمندين.

كيف صلبوا رب المجد وكيف تمت فيه النبوات وبواسطتها نرسل المجد الذى صلب عنا .

«ولنا على من ينكر علينا ذلك أن يعتبر أحد أمرين إما أن اليهود كانت عبادتهم ممتزجة بالعبادة الوثنية لأنهم كانوا يكرمون الكاروبيم ويخرون ويسجدون أمام التابوت. أو أن الكنيسة المسيحية سقطت فى هذه العبادة عينها لأنها تكرم صورة المخلص وقديسيه وهذا مما لانخال المنكر يقول به وإما أن يقول أن إكرام هذه الصور صالح وجيد وحميد وهو المقصود من كلامنا ــ فليخش الله الذين يكرهون صورته الإلهية لئلا يكره صورتهم البشرية .



الباب التاسع

(الصوم)

الصوم لغة الامساك وفى الإصطلاح الكنسى الإنقطاع عن الطعام مدة معينة من النهار فى آخرها يتعاطى الصائم مأكولات خفيفة خالية من الدسم حز٤ :١١ ودا١٠ :٢و٣ ـ ملائمة للصوم ومناسبة له وهو نوعان ـ كالصلاة ـــ أى خصوصى وعمومى أو إنفرادى وجمهورى.

الأولى : هو ما يفرضه المسيحى على نفسه أو بواسطة أبى ذمته فى ظروف خاصة . إما إستعداداً لرحمة اللهّ وغفران الخطية نح ١ :٤ أواستجلابا لرضاه يون ٣ :٥ أو النجاة من شدة والخلاص من تجربة أو ضيق اش ٤ :٣و١٦و٢أى ٢٠ :٣ أوطلباً للإستنارة والإرشاد الإلهى عز ٨ :٢١ودا ١٠ :٢ أوتأهباً لعمل مقدس واستعداداً لعمل خطير مت ٤ :٢ وأع ١٣ :٢و٣، ١٤ :٢٣ أو تذليلا للنفس وقمعاً للجسد مز ٣٥ :١٣ ، اكو ٩ :٢٧ أوزهداً وتقشفاً كما يفعل النساك والعباد الزهاد لو ٢ :٢٧

الثانى وهو ما فرض من اللهّ رأساً أو بواسطة رسله وخلفائهم على جميع المؤمنين الذين لهم إيمان واحد واعتقاد واحد لا ١٦ :١٩

والصوم بقسميه لازم وواجب لترويض النفس للتقوى التى لها موعد الحيوة الحاضرة والعتيدة ١تى ٤ :٧و٨ ولتمحيص الذنوب وتعظيم الثواب وإضعاف القوة الشهوانية فتنصاع للنفس الناطقة رو ٨ :٥ ـ ١٠ و١كو ٩ :٢٧ وتعبداً لله وتشبهاً بالروحانيين المجموع الصفوى ب ١٥ وجه ١٧٢ ـ١٧٤

ويستدل على وجوبه من أمر اللّه لشعبه قديماً وحديثاً لا ١٦ :١٩

ويؤا ١٤:١، ٢ :١٢ ـ ١٥ وزك ٨ :١٩ ومت ٦ :١٦ ، ٩ :١٥ ، اكـــو ٧ :٥
واستناداً على هذه الأوامر الإلهية وممارسة الآباء والأنبياء والكهنة والملوك وكل الشعب الإسرائيلى قديماً والرسل وسائر المؤمنين حديثا راجع « عدا الشهادات السابقة » خرو ٣٤ : ٢٨ وقض ٢٠ : ٢٦ واصم ٧ :٦ ، ١٤ :٢٤، ٣١ :١٣ ،٢صم ١ :١٢ ، ١٢ : ١٦ وامل١٩ : ٨وعــز ٥٩ ونح ٩ :١ ومــز ٣٥ :١٣ و٦٩ :١٠، ١٠٩ :٢٤واع ٢٧ :٩و٢١ واكو٧ :٥ و٢كو٦ :٤ ،١١ :٢٧

نتج من هذه النصوص الكتابية أن الصوم فريضة إلهية سنها الله وأمر بها شعبه قديما وحديثا وتبعا لهذه التصريحات الربانية تمارسه الكنيسة منذ العصر الرسولى كما تسلمت من الرب يسوع ورسله القديسين الذين مارسوه وحرضوا باستعماله.

هذا وبما أن الصـوم هو أحد أركـان الدين المسـيحى مت ٦ :١٦ لأجل إكتساب فوائده الروحية ومحبة الفضيلة ورغبة فى النمو فى الحيوة الروحية الصالحة ولأجل وحدة الإيمان وإرتباط المؤمنين الذين هم إخوة المسيح عب ٢ :١٢ وأبناء لأب واحد غل٤ :٧ وأغصان فى الكرمة الحقيقة يسوع يو ١٥ :٥ وواحد فى المسيح يو ١٧ :١١ وأعضاء بعضهم لبعض رو ٢ :٥ لهذا جميعه رتبت الكنيسه أصواما معينة فى أيام معلومة وفرضت على بنيها وكل عضو من أعضائها ممارستها ليكونوا جميعاً متحدين فى العبادة بفكر واحد ورأى واحد واهتمام واحد ٢ كو ١٣ :١١ وابط ٣ :٨ لحفظ وحدانية الروح لأنهم جميعا جسد واحد وروح واحد كما دعوا للرجاء الواحد أف ٤ :٤ وإتماماً للوحدة التى أشار إليها الرب يسوع يو ١٧ :١١

ولا يخفى أن للكنيسة سلطانا على فرض وصايا وسن شرائع مفيدة لبنيها

ونافعة لخيرهم الروحى ومساعدة على خلاص نفوسهم . » راجع الجزء الأول »
وأن كل تعاليمها وأعمالها موضوعة بإرشاد الروح القدس نفسه الذى كان ولايزال إلى إنقضاء الدهر يدبرها ويرشدها إلى سياسة شعبه وتدبير رعية الله التى إقتناها بدمه الكريم أع ٥ : ٢٨ فمن الواجب شرعا ـ ديناً وأدباً وعقلاً ـ قبول ما تأمر به وتفرضه « الكنيسة » كما أنه من الله نفسه الذى أمر بطاعتها وسماع كلمتها لو ١٠ :١٦ ووعد بالعقاب الصارم كل من يتعمد مخالفتها مت ١٨ :١٧ وقد أيد قولنا موسهيم المؤرخ البروتستانتى إذ قال. أما نظراً لنظام الكنيسة الظاهر و سياستها فلم يضع أمام المسيح ولا رسله وصايا «مكتوبة» بهذا الشأن فإذا إن كل ما فعله رسل يسوع المسيح بأمر وإرشاد إلهى كما لا يشك مسيحى بذلك يجب أن يحسب إليها نظام الكنيسة الأصلى التى اقتبسوها من كنيسة أورشليم التى أسسها ونظمها الرسل أنفسهم . ك ١قرن ١قسم ٢«ف ٥ وجه ٢٩ . وقال فى ف ٤ صحيفة ٤١ . ومن ملاحظات كثيره تتأكد بأن تلاميذ المسيح وأحبائه صادقوا فى أماكن مختلفة على إستعمال طقوس أخرى وذلك إما أنهم سمحوا بها للضرورة وأما أنهم استحسنوها لأسباب منيعة وجيده»

على أن الصوم مسلم به فى الكنيسة الجامعة منذ الزمن الرسولى وهى تمارسه من ذلك الوقت إلى الآن وإلى النهاية وقد قام به الدليل العقلى والنقلى والاجماعى واعترف بوجوبه البروتستانت ويمارسونه كما سترى وفى مقدمتهم الكنيسة الأسقفية راجع مقدمة الصلوة العامة وكنا نود الإسهاب فيه لولا أن كتابنا قاصر على شرح الطقوس . ولكن لما كان بعض إخوتنا البروتستانت يعترضون على التسليم بهذه الحقيقة أمام البسطاء والسذج من أبناء كنيستنا فنكتفى الآن بسرد خلاصة أقول علمائهم المثبتة لحقيقة الصوم وفوائده نقلا عن كتبهم:

أولا: جاء فى تفسير البروتستانت لإنجيل متى ما نصه : أن الصوم من الواجبات المسيحية الواجب ممارستها وهو عمل حسن تمارسه الكنيسة عندما تدعو اليها أحوالها. وهو ينفع حين يقترن بالحزن الروحى وإتضاع النفس والصلوة القلبية. والذى نعلمه من اختبار أولاد الله أنهم وجدوا من الصوم نفعاعظيما لهم والكنيسة كلها فى الأحوال التى يليق الصوم فيها صحيفة ٤٣و٢٢٦ وجاء فى وجه ٨٧. والصوم يساعد الإنسان على ممارسة التوبة والإتضاع لأجل رفع الضربات عنه .

ثانيا: جاء فى كتاب ريحانه النفوس . إن الامتناع عن الأكل «أى الصوم» المصحوب بالتواضع مع الصلوة لنوال المغفرة والنعمة مفيد ومطابق لكلام الله لأن بذلك يصير العقل أكثر استعداداً للتأمل فى الأمور السموية والقلب منسحقا وحزينا على الخطيئة ويسهل صرف الوقت فى قراءة الكتب المقدسة والتفكير فى الأشياء الروحية وفى تقديم صلوات خصوصية بالحرارة فصوم كهذا مقبول عندالله ومفيد للنفس الخ صحيفة ٤٥

ثالثاً : جاء فى كتاب كشف الظلام فى حقيقة الصلاة والصيام طبع بيروت سنة ١٨٥٦ ما نصه « مع أنه يجب على المسيحى الإنجيلى أن يرفض إستعمال الصوم إستعمالا فريسياً وأن لا يتكل عليه لأجل التبرير لا يجوز له أن يتغافل عن حقيقة الصوم ووجوبه لأن إستعماله اللائق هو من جملة الوسائط لقهر الخطية والنمو فى النعمة والقداسة. وإذا كان كثيرون من الناس يستعملون الصوم على طريقة غير لائقة فهذا لا يعذر الذين يمكنهم إستعماله عل حقه منفعة لأنفسم فإننا نخشى إن كثيرين من المسيحيين الحقيقيين يتغافلون عنه بالكلية وبذلك لا يفقدون منافعه فى أنفسهم فقط بل يجعلون عليهم سببا للتهمة من أخصام الإيمان الصحيح من أنهم يتبعون ديانة تعطيهم رخصة واسعة

للتمتع بما تشتهيه أجسادهم وربما كان السبب لتركه عند البعض الكسل الروحى ومحبة الراحة وأما عند الاكثرين فهو لأنهم لم يحصل لهم تعليم كاف وإنذار من هذا القبيل ولا يرون أن الصوم من واجباتهم ولا يعرفون كم هى الفائدة الناتجة من إستعماله نقول هذا وإن الإنسان الذى يطالع الكتب المقدسة بفكر خال من الغرض لا يستطيع أن ينكر وجود ممارسة الصوم ونرى المخلص يكلم تلاميذه عن الصوم كأحد الواجبات الدينية كما يتكلم عن الصلوة والصدقة صحيفة ١٠٨.

«وكذلك نرى وجوب الصيام مما يقتضيه كلام المسيح عن أن تلاميذه يصومون إذا ارتفع عنهم «مت ٩ : ١٥» وفى مكان آخر يصرح المسيح بفائدة الصوم وفاعليته فى ازدياد إيمان تلاميذه وقوتهم حيث يقول من جهة الأرواح النجسة. إن هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلوة والصوم «مت ١٧ : ٢١» وبحسب ما كان يُعلِّم الرب يسوع من جهة وجوب الصوم هكذا كان يفعل وكذلك تلاميذه لم ينسوا هذه التعاليم بعد صعود ربهم عنهم لأننا نقرأ فى أخبار الرسل أنهم كانوا يصومون كما نجد أيضا فى الرسائل عدة إشارات إلى هذه العبادة ويمكننا أن نقدم شواهد كثيرة من العهد القديم أيضا نوضّح أن الانبياء ورجال الله فى الزمان القديم كانوا فى بعض أوقات خصوصية يقرنون الصلوة بالصوم فى إقترابهم الى الله وكذلك يمكننا أن نقدم مثال يوحنا المعمدان الذى كان أعظم من جميع الأنبياء الذين سبقوه» صفحة ١١١

ونظرا إلى ماهية الصوم نقول أنه إنقطاع اختيارى عن الطعام وعن اللذات والتمتعات الجسدية إلى وقت معين ولأسباب خصوصية دينية وبحسب ذلك نقول أن مجرد تغيير نوع الطعام ليس هو صوما وكذلك لا يعد صوما أن يأكل الإنسان فى الليل ماله عادة أن يأكله فى النهار أو أن يأكل المقدار المعتاد عليه أو

أكثر منه مع تطويل مدة الفترة بين الأُكلتين كمن يصوم يوما ثم يستعيض ما فاته بالشراهة والنهمة فى اليوم الثانى الخ وإلا فإن هؤلاء يغشون أنفسهم ولا يحسب صوما مجرد الامساك عن الطعام إذا بقى الإنسان مهتماً بمصالحه الإعتيادية . إلى أن قال ان الصوم من الواجبات الدينية التى تختص بعبادة الله ولذلك اذاكان الإنسان يمارسه بالاستخفاف جاهلا حقيقته ومعناه أو يقصد التظاهر فيه يكون قد صنع إعانة باهظة فى حق العزة الإلهية وأنه لكى نصل الى معرفة الغاية التى تقصد فى الصوم يجب أن نذكر أنه يوجد فى الإنسان المتجدد بنعمة الله درجة فى المضادة بين الطبيعة الجسدية والطبيعة الروحية كما يوضح ذلك بولس الرسول بقوله أن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد غل ٥:١٧ وأنه مالم يلبس هذا الفاسد عدم الفساد وتتغير أجسادنا الحيوانية إلى أجساد روحانية لا نستطيع أن نهرب من محاربة الخطايا الكامنة فى أعضائنا والمحيطة بنا فى كل حين ولكننا بنعمة الله نقدر أن نصادر هذه الخطايا ونتغلب عليها

والعمل بذلك هو جزء عظيم من الخدمة المطلوبة منا فى هذه الحيوة وأن الغاية الوحيدة إنما هى المعونة للنفس فى ضبط الشهوات الجسدية واخضاعها لإرادة الله وأوامره فلهذه الغاية يفيدنا أن نمسك أحيانا إلى وقت ما عن الجسد لذاته الاعتيادية والقوت الذى به يتقوى لكى يتعلم الطاعة فى كل حين ويخضع بأكثرسهولة لسلطان العقل والنفس فلا نسقط إلى عمل ما يغيظ الله ويهلكنا إلى الأبد وبناء على ذلك يكون من الغايات العظيمة التى تقصد فى الصوم تضعيف قوة الشهوات الجسدية والرغائب الدنيوية لكى تقوى عليها الأشواق والعواطف الروحية ولكى تعتق النفس وتصعد بأجنحة الأيمان والمحبة نحو اللهّ المصدر لحياتها وأفراحها الطاهره ».

رابعاً: قد شهد بذلك مؤرخوهم راجع تاريخ الكنيسة تأليف البروتستانت المطبوع سنة ١٨٣٩ صفحة ١٠٠ وكتاب تعليم الرسل الاثنى عشر الذى كتب سنة ٩٦ مسيحيه وترجمه عن اليونانية يوحنا هوج البروتستانتى وطبعه سنة١٨٨٦ حيث جاء فى ص ٧: ١ وأما قبل العماد فليصم المعمد والمتعمد والآخرون الذين يقدرون وأوصى المتعمد أن يصوم يوماً أو إثنين من قبل الخ . وقال صاحب ريحانة النفوس أن يوستينوس الشهيد الذى توفى سنة ١٦٤ للميلاد تكلم عن الصوم مقروناً بالعماد فى أفسس واكليمنضس الاسكندرى يذكر أصواماً أسبوعية وترتليانوس ألف كتاباً فى الصوم سنه ٢٠٠ وفيه يوبخ كثيراً المسيحيين لقلة إهتمامهم بالصوم : وأوريجانوس تكلم عن الصوم كثيراً ولا سيما فى عظة ١٠ على اللاويين « ملخصاً عن وجه ٥٠و٥١»وغير هؤلاء كثيرون من علماء البروتستانت كموسهيم المؤرخ فى ك١ قرن ١ قسم ٢ف ٤ والقس بولص الذى قال فى جريدة المرشد عدد ٢٥ وما بعده فى يوليو ١٩٠٠

لا ريب أن الصوم أمر واجب ممارسته ولا ننكر أهميته وقد مارسه كثيرون من الأتقياء بل السيد المسيح نفسه وإنى لا أنكر قصورنا نحن الإنجيليين فى ممارسة الصوم. كما أننا مقصرون فى بعض الوصايا. على أنى أؤكد صوم البعض يوماً أو اثنين

خامساً : قد جاء فى مغنى الطلاب شهادات صريحة عن الصوم وفوائدة وهاك هى كما فى وجه ١٣٢ .

أولا : ـ إيضاح جوهره . من قول الوحى بلسان أشعياء النبى أليس هذا صوماً اختاره حل قيود الشر فك عقد النير واطلاق المسحوقين أحراراً وقطع كل نير أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائبين إلى بيتك . إذا رأيت عرياناً أن تسكوه وآن لا تتغاضى عن لحمك أش٥٨: ٦و٧

ثانياً : لا يجب أن يكون على سبيل التظاهر كما قال المسيح متى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين مت ٦ :١٦ ــ ١٨ بل يجب أن يكو ن لله زك٧ :٥ ومت ٦ : ١٨

(١) لأجل تأديب النفس . أبكيت بصوم نفسى مز ٦٩ :١٠

(٢) ولأجل اتضاع النفس أذللت بالصوم نفسى مز ٣٥ :١٣

(٣) وفى أوقات مناسبة مت ٩ :١٤ ومر ٢ : ١٨ ولو ٥ :٣٣

ثالثاً : تخصص فيه

(١) أزمة أحكام اللهَ ، حسب قول الوحى قدسوا صوماً نادوا باعتكاف وارجعوا إلىّ بكل قلوبكم بالصوم والبكاء والنوح يؤا :١٤ ، ٢ :١٢

(٢) والمصائب العامة كصوم داود على موت شاول ويوناثان وصوم أهل بايش جلعاد ١صم ٣١ :١٣ و٢صم ١ :١٢

(٣) وضيقات الكنيسة ستأتى أيام حينما يُرفع العريس عنهم .فحينئذ يصومون لو ٥ :٢٣ ــ ٢٥

(٤) وضيقات الآخرين مز ٣٥ :١٣ ودا ٦ : ١٨

(٥) والضيقات الخاصة كصوم داود حالما كان ابنه مريضاً ٢صم ١٢ : ١٦

(٦) ولدى اقتراح خطر كصوم استير أش ٤ :١٦

(٧) وحين رسامة خدام الكلمة وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه. فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى ثم صليا بأصوام واستودعاهم للرب اع ١٣ :٣، ١٤ :٢٣

رابعاً: يقترن

(١) بالصلاة عز ٨:٢٣ ودا ٩:٣

(٢) وباعتراف الخطية. فاجتمعوا إلى المصفاة واستقوا ماء وسكبوه أمام الرب وصاموا فى ذلك اليوم وقالوا هناك قد أخطأنا إلى الرب ١صم ٧:٦ ونح ٩:١و٢

(٣) وفى النوح يؤ ٢:١٢

(٤) وفى أعمال العدل والإحسان أش ٥٨:٦و٧ (٥) وفى الاتضاع تث ٩: ٨ ونح ٩:١

خامسا: المواعيد المقترنة به. حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك وتنبت صحتك سريعاً ويسير برك أمامك ومجد الرب يجمع ساقتك ـ حينئذ تدعو فيجيب الرب. تستغيث فيقول هأنذا. إن نزعت من وسطك النير والإيماء بالأصبع وكلام الإثم . وأنفقت نفسك للجائع وأشبعت النفس الذليلة يشرق فى الظلمة نورك ويكون ظلامك الدامس مثل الظهر. ويقودك الرب على الدوام يشبع فى الجدوب نفسك وينشط عظمك فتصير كجنة ريا وكنبع مياه لا تنقطع مياهه. ومنك تبنى الخرب القديمة تقيم أساسات دور فدور فيسمونك مرهم الثغرة مرجع المسالك للسكنى أش ٥٨: ٨ ـ ١٢ وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكى لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذى فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية مت ٦: ١٨

الأمثلة الخارقة العادة: المسيح صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة مت ٤:٢ وموسى خر ٣٤: ٣٨ وتث ٩:٩ و١٨ وإيليا ١مل١٩:٩.

أمثلته الأمية

(١) إسرائيل قض ٢٠:٢٦

(٢) ويهوشافاط وشعبه ٢ أى ٢٠ :٣

(٣) وعزرا ٨ :٢١

(٤) واستير ٤ :٣ و١٦

(٥) وأرميا ٣٦ :٩

(٦) وأهل يابيش جلعاد ١صم٣١ :١٣

(٧) وأهل نينوى يون٣ :٥ ــ ٨

أمثلة القديسين

(١) داود النبى ٢صم١٢ :١٦ ومز٩ :١ و٢٤ ونحميا١ :٤ واستير ٤ :١٦ ودانيال ٩ :٣ وتلاميذ يوحنا مت٩ :١ وحنة لو٢ :٣٧ وكرنيليوس اع١٠ :٣٠ والمسيحيون الأولون اع ١٣ :٢ والرسل ٢كو٦ :٥ وبولس ٢كو١١ :٢٧

سادسا: وأخيراً. جاء فى قاموس الكتاب تحت «حكمة صم وأصوام» ما ملخصه «إنه كان فى ناموس موسى صوم الكفارة لا ١٦ :٢٩ وكان اليهود يصومون فى الرابع والخامس والسابع والعاشر زك ٧ :٢، ٨ :١٩ كما كانوا يصومون الثانى والخامس من الأسبوع وصرح بعض الرؤساء بأصوام عامة فى أوقات خاصة نح ٩ :١، ٢ أى ٢٠ :٣ ورؤا ١ :١١ وغيرهما. ولم يقدر الصوم الخامس نح ١ : ١، ٢ صم ١ : ١٢ولو ٢ :٢٧ وغيرها. وغاية الصوم تذليل النفس والاتكال على القدير وكانوا يفرضون على أنفسهم صوماً إذا مات شخص معتبر ١صم٣١ : ١٣ ، ٢صم ١ :١٢ أو دنت مصيبة يون ٣ :٥ وأش ٤ :٣ وقبل الشروع فى الحرب ٢أى٢٠ :٣ وقض٢٠ :٢٦ أو قبل السفر عز٨ :٢١. وكان الصوم فى أيام ربنا من التقشفات المعتبرة مت٦ :١٦ وكان يوحنا وتلاميذه يصومون: أما ربنا فقد ذكر أنه صام أربعين يوماً مت٤ :٣. وبعد صعود الرب

أخذ التلاميذ يصومون ١ كو ٧ :٥، ٢كو٦ :٥ وقال الرب إن الشياطين لا يخرجون إلا بالصوم والصلوة مت ٩ :١٥ الخ صحيفة ٢٢ :

هذه أقوال البروتستانت ومنها يستدل

(١) أن الصوم مأمور به من الله

(٢) إن إستعماله واجب لأنه من الواجبات المسيحية المأمور بها

(٣) إنه من جملة الوسائط لقهر الخطية والنمو فى النعمة والقداسة

(٤) إن من يهمله يفقد منافعه ويجعل سبباً للتهمة من أخصام الإيمان بأنه يتبع ديانة ترخص التلذذ بما يشتهيه الجسد

(٥) يجب أن يمتنع فيه عن الأطعمة الدسمة لضبط شهوات الجسد وإخضاعها لإرادة الله وأوامره.

أما الأصوام المفروضة فى الكنيسة فهى كما سترى.



الفصل الأول

«الصوم الكبير»

لهذا الصوم المقام الأول والمنزلة الكبرى والأهمية العظمى بين كل الأصوام الكنائسية. لممارسة السيد إياه. ولأنه مرتب من الرسل القديسين أنفسهم: والكنيسة الجامعة تمارسه منذ العصر الرسولى والأدلة على ذلك كثيرة.

أولا: أوامر وقوانين الرسل. جاء فى أوامرهم ما نصه ليكن عندكم جليلا صوم الأربعين المقدسة قبل الفصح ويكون بدؤه يوم الإثنين التالى من السبوت

وكماله يوم الجمعة قبل الفصح وبعد هذا اهتموا أن تكملوا أسبوع الفصح المقدس وتصوموه بخوف وورع دسق ب١٨ف١٠. وفى ق٦٩ قيل أى أسقف أو قس أو شماس الخ لا يصوم الصوم الأربعينى المقدس وصوم الأربعاء والجمعة فليقطع — إلا من كان به ضعف أو علة مرض — وإن كان عاميا فليفرز. وقد أثبت ذلك ابن العسال بقوله والفرض على جميع النصارى هو صوم الأربعين التى صامها السيد المسيح له المجد المتصل آخرها بجمعة الفصح ب١٥ صحيفة ١٧١.

ثانيا: أقوال المجامع. ومنها مجمع لاذقية الذى قال لا يجوز أن يحل صوم الخميس الكبير من الصوم الأربعينى المقدس لئلا تحتقر الأربعين برمتها بل يجب أن يحافظ على الصوم الاربعينى المقدس برمته بتقشف ٥٠راجع ق٥٢

ثالثا: أقوال الآباء. فالقديس أمبروسيوس قال إن مخالفة الصوم الأربعينى المفروض على المؤمنين خطيئة ليست خفيفة فانه سنّة إلهية وترتيب من الرسل خطبة ٢٥. والقديس أغسطينوس يقول أن الصوم فى بعض الأيام دواء أو فضل وأما عدم الصوم فى صوم الأربعين فإثم عظة ٦٢ وأقوال الذهبى فمه عن هذا الصوم كثيرة جداً ومشهورة ولا سيما مقاله ٦ على الصوم.

رابعا: التاريخ: فقد جاء فى تاريخ الكنيسة، أن فى عصر بوليكاربوس تلميذ يوحنا الرسول وأسقف سميرنا وانيسيتوس أسقف رومية حدث شقاق بين مسيحى آسيا وباقى المسيحيين بخصوص عيد الفصح فان الأول على أثر إتمامهم وتذكر آلام الرب وموته يوم الجمعة العظيمة فكوا صومهم وعيدوا عيد الفصح وأدعوا أن تقبلوا ذلك عن يوحنا وفيلبس الرسولين وخالفهم الفريق الثانى خصوصاً مسيحيو رومية والأسكندرية وأورشليم لم يفكوا صيامهم إلا فى يوم

الأحد الذى يلى الجمعة المذكورة الذى صنعوا فيه ذكر قيامة فاديهم، قال موسهيم ذاكرا صوم جمعة الآلام فى عرض كلامه بخصوص شقاق الفريقين «وكان يختلف مسيحيو آسيا الصغرى فى حفظ هذا العيد عن غيرهم ولا سيما عن مسيحيٍّ رومية فكلاهما صام الأسبوع المسمى الكبير الذى مات المسيح فيه وحفظوا عيدا مقدساً وأكلوا خروف الفصح كما كان يفعل اليهود تذكارا لعشاء مخلصنا الأخير وهذا العيد ووقت موت المسيح كانوا يسمونهما الفصح وكان مسيحيو آسيا يحفظونهما فى اليوم الرابع عشر أو فى بدء الشهر الأول اليهودى فى الوقت عينه الذى أكل اليهود فصحهم فيه وفى اليوم الثالث من بعد هذا العشاء حفظوا تذكار غلبة المسيح على الموت أو تذكار قيامته وقالوا انهم أخذوا هذه العادة من الرسولين يوحنا وفيلبس وعضدوها أيضا بمثال المسيح ذاته الذى عمل فصحه مع اليهود ولكن المسيحيين الآخرين أخروا فصحهم — أى عيدهم الفصحى — إلى ليلة العيد المكرس لقيامة المسيح أو يوم السبت مساء. وهكذا جمعوا تذكارا موت المسيح مع تذكار قيامته مستندين إلى بطرس وبولس بإنهما أصل هذه العادة.

وقال معززاً رأى الفريق الأخير» المانع الاول هو أن حفظهم العيد فى ذات اليوم الذى فيه يظن أن المسيح أكل خروف الفصح مع تلاميذه منع صوم الأسبوع الكبير وحسب هذا الافطار عند المسيحيين الآخرين جرما عظيما وجه ٨٤و ٨٦ [1]

خامساً: شهادات البروتستانت: قال موسهيم المؤرخ البروتستانتى «أن المسيحيين القدماء كانوا يمارسون فى السنة صوم الأربعين المقدسة وفى

(١) عن مرآه الحقائق وجه ٢٧٠و٢٧١

الأسبوع يومى الأربعاء والجمعة ك١ قرن ١ قسم ٢ ف٤. وفى تاريخ الكنيسة المطبوع فى ڤالتا سنة ١٨٢٩ قيل فى ف٤ وأما الصوم فإنه كان جميعاً وسنوياً ففى الاسبوع صوم يومى الأربعاء والجمعة حتى العصر وفى السنة الصوم الأربعينى المقدس إقتداء بسيدنا له المجد الذى قال تعلموا منى: وقال صاحب ريحانة النفوس. أن القديس أمبروسيوس وباسيليوس الكبير ولاون لقبوه سنة إلهية وقالوا أنه ترتب من الرسل. وفى أيام أيريناوس الذى إستشهد سنة ٢٠٢ كانت جرت العادة فى الأماكن أن يصوموا قبل الفصح والاصوام التى كانت أكثر حفظا عند المسيحيين القدماء هو الصوم الأربعينى. وكون الصيام الذى قبل الفصح كان يحفظ عند القدماء هذا يتضح بشهود كثيرين كامبروسيوس فى الأعياد والأصوام رأس ١٠ والذهبى فمه موعظة ٤ على تك مجلد٢ وجه٣٧ ومقالة٩ وجه٦٠ وباسيليوس موعظة واحدة على الصوم. راجع وجه١٥ر٥٠و٥٣

سادساً: عدا ذلك جميعه فإن إجماع الكنائس الرسولية فى العالم على حفظه وممارسته من زمن الرسل والتسليم به لأكبر دليل على ذلك بل أن الكنيسة الأسقفية «وهى بروتستانية المذهب كما لا يخفى» تمارس هذا الصوم ومدته عندها ٧ أسابيع راجع الصلوة العامة صحيفة «زى. وحل»

أسباب حفظه. تمارس الكنيسة هذا الصوم أولا: تذكارا لصوم المخلص الذى صامه ثانيا: ذكرا لمراحم واحسانات الرب التى أفاضها علينا كما جاء فى أوامر الرسل. ثالثا: تمثلا واقتداء بالسيد المسيح. ومعلوم أن السيد المسيح له المجد لم يكن محتاجا فى جوهره للصوم وانما هو صام بالإجماع ليثبت فريضة الصوم بممارسته إياه وليرسمه بمثاله ويقدسه ومن الواجب أن نتمثل به لانه ترك لنا مثالا فى كل شيء لكى نتبع خطواته ١بط٢:٢١ وقد أمرنا أن نسلك كما

سلك ١يو٢ :٦ وبما أنه صام فيجب أن نصوم اذ ليس عبد أفضل من سيده ولارسول أعظم من مرسله كيف لا وقد طوب الذين يتمثلون به ويعملون ما تعلموه يو١٣ :١٥ ــ ١٧ .

أما مدة هذا الصوم فهى ــ ٥٥ يوما منها ٤٠ يوما مدة الصوم السيدى المفروض من الرسل. ثم أسبوع البسخة وهو الأخير منها وموضوع من الرسل أيضا وبه صار الصوم ٤٧ يوما.

أما الجمعة الأولى. فالبعض يقول أنها فرضت تذكاراً لخلاص مؤمنى أورشليم بواسطة هرقل[1] وتبرئه هذا الملك من قسمه لليهود بعد قتلهم ومن هؤلاء أبن العسال المجموع الصفوى وجه ١٧١ وابن المقفع م ٨ فى باب الصوم. وللبعض الآخر يقول أنها تهيؤ واستعداد وتأهب للصوم المشروع من الرسل وحباً فى الزهد والعفاف ومقدمة الصوم الكبير وغيرهما يقول أنها أضيفت لكمال الصوم ٨ أسابيع حتى يكون أربعين يوما كاملة باعتبار كل أسبوع ٥ أيام بعد إسقاط السبت والأحد اللذين لا يجوز الصوم فيهما كما نهى عن ذلك القوانين الرسولية والمجمعية ولا يحل فيهما الفطار لأنهما يتخللان أيام الصوم. ومن هؤلاء أبن المكين الذى يرفض بتاتا كونها لهرقل مستدلا على ذلك بما جاء فى أحد القوانين المنسوبة للملوك وهو «لتصم الرجال والنساء والصبيان والملوك الصوم الكبير ٨جمع أولها أواخر الشتاء وآخرها أوائل الصيف وفى كل جمعة ٥ أيام. وتفطرون السبت والأحد» لا تأكلوا فيهما دهونات: المجموع الصفوى وجه ١٧٧ الحاشية. وقد قال أن هذه الزيادة وبالتالى هذه الجمعة الأولى بدأت من زمن الأنبا ديمتريوس فى القرن الثانى وأنه

(١) والأروام الذين صاموها لأجل ملكهم لا يصومونها تماما بل جعلوها جمعة بياض.

هو الذى أضافها إلى الصوم باتفاق جميع آباء الكنائس الشرقية والغربية للسبب المتقدم وأن مجمع نيقية وكذلك المجامع التى بعده ـــ قبل الانشقاق ـــ أثبتت ما رتبه هذا الآب راجع جوابه على س١٢ جزء ٢ ب٦ ف١.

وللرأى الوسط هو المعول عليه ولا اعتراض على رأى ابن العسال فاستعماله جائز ومثله كثير فى الكتاب. ومن ذلك الصوم الذى فرضته أستير على شعبها لخلاصهم من المكيدة التى دبرها هامان لإهلاكهم فإنها لما نجت وشعبها جعلته فرضاً أبدياً على بنى جنسها تذكاراً لنجاتهم من أعدائهم وللخلاص العظيم الذى صنعه الرب بواسطة أستير ٤ :١٦، ٩ :٢٣ الخ ويحق لنا صومها كما حق لليهود أن يصوموا ـــ فرضاً أبدياً ـــ للصوم الذى فرضته عليهم أستير ٩ :٣٠و ٣١.

هذا مما يجب ملاحظته أن هذا الصوم كان فى بادىء أمره يمارس وحده عقب عيد الظهور الإلهى «الغطاس» مراعاة الزمن الذى فيه صام المسيح فإن صومه كان بعد العماد مباشرة مت٣و٤ ولكن بعد ذلك رأت الرسل على رأى ابن المكين أن ينقلوه من شهر طوبه «الذى يقع فيه الغطاس عادة» ويلحقوه بجمعة البسخة التى كانت تحفظ لوحدها ولا تكون إلا فى شهر برمهات أو برمودة لمناسبة وقوع عيد الفصح اليهودى فى إحداهما واستدل على ذلك مما جاء فى قوانين الرسل التى ذكرناها آنفا. وهذا ـــ كما قال ابن المكين ـــ كان لمنفعة المؤمنين الذين لو مارسوا الصوم الأربعينى بعد الغطاس ثم عيدوا ثم ابتدأوا بجمعة البسخة فيكون صوم هذه على سبيل الفضيلة النافلة وربما لا يحفل بها بعض المؤمنين كما أن البعض الآخر ربما أهمل ممارسته لعدم معرفته بزمانها لوجوده فى مكان سحيق ثم خشية من ضياع وملاشاة جمعة البضحة.نفسها

لعملها فى وقت منفرد لوحده. فالحاق الصوم بها يستمر المؤمنين على سياق الصوم الكبير من أهم الحكم بتدبير الروح القدس.

ولكن ابن المقفع وغيره من الآباء قالوا إلحاق الصوم الكبير بجمعة البسخة كان فى زمن الأنبا ديمتريوس فإنه لما تولى كيرلس البطريركية فى القرن الثانى وعمل حساب الأبقطى بإرشاد الروح القدس لضبط أيام الأصوام والأعياد ومعرفة أوقاتها وتعيين أزمانها ولموافقة عيد القيامة دائماً يكون الأحد ــ أى فى ذات اليوم الذى قام فيه المسيح كما أمرت الرسل ــ ألحق هذا الصوم بجمعة البسخة خوفا من ضياعها. وفقدانها وملاشاتها بطول الزمن بعملها فى وقت منفرد لوحده وسواء هذا أو ذلك فالنتيجة واحدة وهى أن الصوم الكبير ألحق بجمعة البسخة منذ العصر الرسولى وعليه أجمعت كل الطوائف النصرانية فإنها تعيد معنا فى الغطاس فى ١١ طوبة ق. ومع ذلك فلا تمارس الصوم بعده

وإذ تقرر ذلك بقى علينا أن نأتى على القوانين والأوامر الرسولية الخاصة بهذا الصوم وهى:

أولا: أن لا يحتفل فيه بأعياد الشهداء إنما يكون ذلك يوم السبت والأحد دسق٥١

ثانيا: ان لا يصير فيه زواج ولا دعوات «ولائم» ولا متكآت للشراب دسق٥٢: كما ولا يشرب فيه الكهنة نبيذا ولا يدخل فيه أحد حماماً.

ثالثا: أن يصام إلى الساعه ١١ عربياً وجمعة البسخة إلى النجم «أما من لا يستطيع ذلك فعلى قدر قوته وعلى الأقل لنهاية القداس ق٣٠ لباسليوس. ويستثنى من ذلك السبت والأحد فلا يجب الصوم فيهما لأن السبت خاص

باليهود والأحد عيد الرب وفرح روحانى مبشر بالقيامة العامة ولا يجب أيضاً الفطر فيهما لأنهما داخلان فى الصوم.

رابعاً: أن يصام بالزهد والتواضع واجتناب الشهوات. والنساء لا يلبسن فيه حليهن. وأن يلازم فيه العفاف للتفرغ للصوم والصلوة ١كو ٧:٥ وإلا فان صنعنا فيه إرادتنا بلذة فأين يكون فرحنا إذا أبصرنا القيامة ق٣٠ لباسليوس راجع المجموع الصفوى وجه ١٧٥و١٧٧

اما عدم أكل الأسماك فيه فإنه لما كان أكبر الأصوام وأهمها لممارسة السيد إياه وأصلياً أكثر من جميعها نهت الكنيسة عن تناولها فيه تمييزا له عن بقية الأصوام ودلالة على الزهد والتذلل فيه.



الفصل الثاني

«صوم يومى الأربعاء والجمعة»

تمارس الكنيسة صوم هذين اليومين من كل أسبوع منذ العصر الرسولى كما سترى: ـ

الأول «الأربعاء» لأن فيه تمت المشورة على موت المسيح كما هو واضح من قوله لتلاميذه. أنتم تعلمون أن الفصح يكون بعد يومين .وابن الإنسان يسلم ليصلب مت٢٦ :١ وهذا الكلام قاله يسوع يوم الثلاثاء مساء إذ كان يبتدىء يوم الأربعاء بحسب تقسيم اليهود لليوم الشرعى نظراً للأعياد من المساء إلى المساء فيكون قوله بعد يومين معناه بعد الأربعاء والخميس ـــ أى فى بداءة الجمعة إذا كان الفصح اليهودى يذبح. ومن قول القديس مرقس ١٤ :١ نفهم

أن المشورة على يسوع وتسليمه كانت قبل الفصح بيومين — أى يوم الاربعاء. ففى هذا اليوم ذهب يهوذا إلى رؤساء الكهنة واتفق معهم على تسليمه لهم فى مقابل ٣٠ فضة «أربعة جنيهات مصرية أو ٩٠ فرنكا».

الثانى «الجمعة» لأن المسيح فصحنا ذبح فيه ولا يخفى أن الله أمر شعبه قديماً أن يصوموا ويذللوا أنفسهم فى يوم الكفارة لا١٦ :١٩ وذبيحة الكفارة هذه كانت رمزاً للكفارة الأبدية عب٩ :١٢ ولهذا أمرت الرسل أن يصام هذان اليومان ويذلل المؤمنين أنفسهم فيهما تذكاراً للإهانات العظمى التى لحقت بالمسيح. أما الدليل على أن صوم هذين اليومين تسليم رسولى: ـ

أولا: من أوامر الرسل وهى. نأمركم أن تصوموا كل أربعاء وجمعة دسق٨ المجموع الصفوى وجه ١٧١ وق ٦٩ للرسل حيث قيل أى أسقف أو قس أو شماس الخ لا يصوم صيام الفصح الأربعينى المقدس ويومى الأربعاء والجمعة فليقطع وإن كان علمانيا فليفرز راجع ق٥١و٥٢ لمجمع لاذقية. وقد أثبت ذلك المجموع الصفوى راجع وجه ١٧و١٧٥

ثانياً: من أقوال الآباء: فالقديس بطرس الأسكندرى يقول ما من أحد يطعن علينا فى حفظ صوم الأربعاء والجمعة اللذين نصومهما فيوم الأربعاء نصومه لأجل المشورة الصادرة من اليهود على تسليم الرب. ويوم الجمعة لصلبه عنا ق١٥ : والقديس أغسطينوس شهد فى رسالة ٨٦ وثارفيلاكتوس وفكتور الإنطاكى على مر١٤ أن المسيحيين القدماء كانوا إعتادوا أن يصوموا يوم الأربعاء. وقال صاحب تحفة الجيل فى تفسير الإنجيل للكاثوليك وجه ١٠٣ أن أهل بولونيا وهولاندا وأكثر الشرقيين كانوا حتى الآن يمتنعون عن الأطعمة الفطارية يوم الأربعاء لأن جسد المخلص بيع فى مثل هذا اليوم، والقديس

ايرينيموس يقول: لا يجوز أن يحل صوم يومى الأربعاء والجمعة من غير ضرورة لازمة لأن فى الأول تواطؤ اليهود على تسليم الرب وفى الثانى صلب المخلص. والقديس أغنانيوس يقول فى رسالته ٥ اكرموا الأعياد ولا تحتقروا الأصوام ولا تهملوا صوم يومى الأربعاء والجمعة الخ. والقديس أثناسيوس يقول. لا تتعدوا صوم الرب أى الأربعاء والجمعة إن لم يكن عندكم عائق مرض ما خلا ٥٠ يوما من الفصح إلى العنصرة والقديس أبيفانيوس يقول أن المسيحيين القدماء كانوا يصومون هذين اليومين كما تسلموا من الرسل ممتنعين عن الأكل فيهما إلى الساعة التاسعة أما يوم الأربعاء فلأن المسيح الختن سلمه يهوذا فى مثل هذا اليوم وأما الجمعة فلصلب المخلص فيه ونحن لا نصومهما سنة للذى تألم لأجلنا بل لنتعرف بألم السيد ونقدم لله صوما مرضيا. فى هرقل ٧٥ وغير هؤلاء كثيرون كالقديس اكليمندس الاسكندرى على ق٦٩ للرسل. وإكليمندس بابا رومية ك٥ف١٤ و ٢٠ وك ٧:٢٤ فى الوصايا الرسولية وأغسطينوس ٨٦.

ثالثاً: من الإجماع العام وهو إتفاق سائر الكنائس المسيحية على أنه تسليم رسولى.

رابعاً: قد شهد التاريخ بحفظ هذين اليومين والصوم فيهما من بدء الكنيسة راجع موسهيم ق١

خامساً: من شهادات البروتستانت أنفسهم فقد جاء فى ريحانة النفوس ما نصه والظاهر أن الصوم الأسبوعى فى يوم الأربعاء الذى فيه تآمر اليهود على المسيح ويوم الجمعة الذى تألم وصلب فيه دخل الكنيسة باكراً فان ترتليانوس واكليمندس الاسكندرى وغيرهما فى الجيل الثانى يتكلمون على هذين اليومين إلى أن قال. وقد كانوا يمتنعون فيهما عن جميع الأطعمة إلى وقت

العصر كما نرى من كلام أبيفانيوس وكان ترتليانوس وغيره يحتجون بوجوب حفظ النهار كله الخ وجه ٠٥٤ وفى كتاب تعليم الرسل الاثنى عشر المطبوع بمعرفة البروتستانت[١] قيل لا يكون صومكم مع المرائين الذين يصومون الاثنين والخميس بل صوموا الأربعاء والجمعة. صفحة ٨ وجاء فى تاريخ البروتسانت المطبوع فى فالتا سنة ١٨٣٩ وجه ١٠٠ وهو يعدد مناقب المسيحيين الأول وفضائلهم وأما الصوم فإنه كان جميعاً وسنوياً. ففى الأسبوع كان يومى الأربعاء والجمعة حتى إلى العصر وفى السنة كان الصوم الكبير. وإذ تقرر ذلك فنلاحظ:

أولا: إن الرسل أمروا أن يصام هذان اليومان إلى الساعة التاسعة لأن الرب يسوع مات فى هذه الساعة ووهب الحيوة للخليقة مت٢٧

ثانياً: أمروا بأنه إذا اتفق يوم عيد «الشهداء» فى يوم الصوم الأربعاء والجمعة «فيصلوا ويتناولون من الأسرار المقدسة ولا يحلوا الصوم إلى الساعة ال٩ دسق ٣١ و٣٨ المجموع الصفوى ١٧٥

ثالثاً: إن هذين اليومين يصامان دائماً ما عدا إذا وقعا فى أيام الخمسين أو فى يومى عيد الميلاد والغطاس فلا يجب أن يصاما. أما إذا جاء عيد الميلاد فى يوم الجمعة فى السنة الكبيسة وكان ذلك اليوم ٢٩ كيهك امتنع فيه الفطار لأنه أبدل بيوم ٢٨ منه.



(١) كتب نحو سنة ٩٦م وترجمته من الأصل اليونانى الدكتور يوحنا هوج الانكليزى سنة ١٨٨٦.

الفصل الثالث

«صوم الميلاد»

رتبت الكنيسة هذا الصوم ليريض فيه المؤمنون أنفسهم للتقوى إستعداداً لعيد الميلاد ليستحقوا أن يسمعوا بشرى الملاك للرعاة. أنه ولد لكم اليوم:. مخلص هو المسيح الرب لو ٢ :١٢ وليشاركوا الجند السموى فى الفرح به وإعطاء المجد لله الذى جعل على الأرض السلام وبالناس كانت مسرتهم لو ٢ :١٣و١٤

قد ذهب البعض إلى أن هذا الصوم كان خاصاً فى مبدئه بالطغمة الاكليريكية ولإشتهارة وإستعمال أغلب المسيحيين القدماء إياه ورغبة فى إكتساب فوائد الصوم رتبه بصفة رسمية الأنبا خريسطو ذلو «١٦ فى عدد البطاركة» وجعله فرضاً عاماً على جميع أفراد الكنيسة على أنه توجد أدلة على وجوده فى الكنيسة الجامعة من قبل زمن هذا الآب.

أولا: من حفظ الكنائس المسيحية الأخرى له كالروم والسريان والأرمن وغيرهم فلو كان مرتباً من هذا الآب وهو كما لا يخفى كان بعد الإنشقاق لما تعدى كنيسته وبالتالى لما أجمعت الكنائس المذكورة على حفظه. فضلا عن أنهم يصومونه مثلنا ومدته عندهم كما هى عندنا «أربعون يوماً» ويؤيد ذلك أن صوم نينوى المحفوظ فى كنيستنا من قبل زمن هذا الآب غير محفوظ فى هذه الكنائس

ثانياً: آباء الكنيسة اليونانية يؤيدون ذلك فإن أحدهم الآب يوحنا مطران نيقية فى القرن الثالث عده من ضمن الأصوام المفروضة فى الكنيسة منذ القديم وأن المسيحيين أخذوه عن العذراء وإبن العسال أيضاً قد عده ضمن القديم الأصوام

المفروضة فى الكنيسة بقوله «ومن الأصوام ما جرى مجرى الأربعاء والجمعة وهو الصوم المتقدم للميلاد وأوله أول نصف هاتور وفصحه يوم الميلاد. المجموع الصفوى صحيفة ١٧٢»

ثالثاً: قد شهد البروتستانت بأن المسيحيين القدماء كانوا يصومون قبل عيد الميلاد «راجع ريحانة النفوس وجه ٥٤»

من هذه الأدلة المعقولة نعلم أن صوم الميلاد قديم وتمارسه الكنيسة منذ الأجيال الأولى. أما الغرض منه

(١) تذكاراً لمراحم الله بالجنس البشرى لو ١ :٥٤.

(٢) لذكرى الأيام الشقية التى سبقت مجىء المخلص وتذكاراً للخطية التى كنا مستعبدين لها وقد عتقنا منها يسوع المسيح ربنا غل ٣ :١٣.

(٣) إعرابا عن حبنا وطاعتنا للمولود من العذراء حبا لخلاصنا وشكراً لاحسانات الله العظيمة نحونا إذ أرسل إبنه مولودا من إمرأة مولودا تحت الناموس. ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى غل٤ :٤و٥.

(٤) وأخيراً كما يقول آباء الكنيسة اليونانية «مماثلة بموسى الذى لما صام اقتبل كلمة الله ـــ الوصايا العشر ـــ فى لوحى العهد ونحن بصومنا نقتبل كلمة الله الحى ليس مكتوبا فى ألواح حجرية بل متجسداً ومولوداً من البتول ونتناول جسده المقدس ودمه الكريم. لكى نؤهل لتلك المعاينة الخلاصية بأكثر إستحقاق ونظرا لعظم وأهمية الحادث الجليل «عيد الميلاد» الذى يحتفل بتذكاره فى آخر هذا الصوم رتبت الكنيسة صوماً يتقدمه لتهيئة النفس «راجع التحفة الزكية وجه ٣٣٢»

أما الثلاثة أيام الأولى منه فقد أضافها الأنبا أبرآم ملتمساً من الله أن لا

يجـرب الطائفة مرة أخرى كما جربها فى عهده إذ منحه القوة على نقل جبل المقطم

وليلاحظ هنا أن أيام هذا الصوم تكون عادة ٤٣ يوما ولكنها تكون فى بعض السنين ٤٢ وذلك فى السنة التى تتلو السنة الكبيسة «أى السنة التى يكون فيها النسىء ٦ أيام» لأن السنة الكبيسة تحدث فيها هذا التغيير الحق سنة ١١ وجه ٤١٤



الفصل الرابع

«صوم الرسل»

لا يخفى أن السيد له المجد لما سئل لماذا لا يصوم تلاميذك أجاب بأنه ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون مت ٩:‏١٥ وبناء على هذا التصريح الإلهى صام الرسل بعد صعود الرب عنهم كما يتضح من سفر الأعمال حيث قيل: أنهم بينما كانوا يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لى برنابا وشاول الخ. أع ١٣ :٢و٣ راجع ١٤ :٢٣ ولما مضى زمان طويل وصار السفر فى البحر خطراً إذا كان الصوم أيضاً قد مضى ولما حصل صوم كثير أع ٢٧ :٩ و٢١

من هذه النصوص الكتابية نستدل صراحة أن الرسل مارسوا الصوم بعد صعود الرب إتباعاً لأمره راجع ٢كو٦ :٥، ١١ :٢٧ وقد جاء فى أوامر الرسل تأييداً لذلك وهو «إنكم بعد أن يعيّدوا عيد العنصرة عيدوا أسبوعاً آخر وبعده صوموا لأنه من الواجب أن نفرح ونسر بالمواهب الممنوحة لنا من الله ونصوم

بعد فرحنا» المجموع الصفوى وجه ١٧٤ . وفى الحاشية منه قيل: وأيضاً كما صام موسى قبل خطابه للشعب بالناموس الذى أخذه من الله فى الخمسين وصام سيدنا قبل حلول الروح القدس عليه وقبل مخاطبته للعنصرة بالشريعة. هكذا صام الرسل لما حل الروح القدس عليهم فى الشعب قبل تبشيرهم للناس بالشريعة المسيحية. ونحن أخذنا عنهم. وفى قوانين منسوبة للملوك قيل «وصوم التلاميذ بعد العنصرة ـــ أى بعد الخمسين يوماً بعد سبوتها وآحادها».

أما أقوال آباء الكنيسة فتؤيد ذلك فالقديس اكليمنضس يقول. بعد عيد حلول الروح القدس نحل أسبوعا واحداً إظهاراً للفرح ثم نصوم صوم الرسل مبجلين إياهم نظرا لما احتملوه من العذابات لأجل المسيح. ويوحنا الدمشقى يقول إننا نتقشف فى صوم الرسل القديسين الخ. والذهبى فمه يذكر مؤمنى انطاكية به فى عظته على الروح القدس. وأحد آباء الكنيسة اليونانية يذكر هذا الصوم ضمن الأصوام المفروضة فى الكنيسة فقد قال. والذى يحقق ويثبت صحة هذا الصوم المنسوب للرسل هم أنفسهم. فانهم عينوا ورسموا برأى متفق وحتم عمومى أنه بعد مرور عيد الخمسين بسبته واحدة «أسبوع واحد» يجب على المسيحيين أن يصوموا، ودعوا هذا الصوم صوم البنديكوستى «الخمسين» ثم اورد نصهم المومى إليه بحروفه بقوله لأنه يوجد مسطرا فى الرأس الثانى من أوامر الرسل: إنكم بعد تعييدكم عيد العنصرة عيدوا سبته واحدة وبعد تلك السبته الواحدة صوموا لأنه من الواجب أن نفرح مسرورين بالمواهب الممنوحة من الله ونصوم بعد فرحنا.

قالوا فى الفصل السادس من أوامرهم: أن المسيحيين بعد أن يعيدوا سبته واحدة بعد عيد الخمسين يجب عليهم أن يصوموا وقد أوردوا مثالا لذلك موسى وإيليا اللذين صاما أربعين يوماً وإن أحدهما استحق أن يقتبل ألواح الشريعة فى

طور سينا. والثانى أهل لمعاينة منظر إلهى فى جبل حوريب. وذكروا صوم الثلاثة أسابيع التى صامها دانيال بقولهم إن ذلك الرجل قد صام عدة أسابيع لم يأكل فيها خبزا «وقتا ما» ولم يدخل فى فمه لحم ولا خمر. ووضعوا صيام حنة المغبوطة وصيام أهل نينوى وصيام أستير ويهوديت راجع البوق الإنجيلى جزء ٢ وجه٢٩ ــ ٤٣. وقد أحصاه ضمن الأصوام المفروضة أحد الآباء الذين تقدموا على زمان الذهبى فمه وباسيليوس وهو يوحنا مطران نيقية فى رسالة بعث بها إلى متقدم أرمينيا ليبطل بها عادة قومه الذين كانوا يصومون جمعة لم تأمر بها الكنيسة الجامعة وذلك بقوله «إنا لم نتسلم سوى صوم الأربعاء والجمعة والصوم الكبير الأربعينى المقدس وصوم جمعة آلام الرب الموقرة وصوم ميلاد المسيح وصوم الرسل القديسين وصوم والدة الإله»(١).

أما أن آباء الكنيسة لم يذكروا أن هذا الصوم رتبه هذا الأب أو ذاك القديس أو إنه أخد مبدأه من هذا أو ذاك العصر فلذلك ولا ريب برهانا على إنه تسليم رسولى وأن الرسل صاموه بعد الصعود ولذا أغفل الآباء التكلم عن مبدئة وأكبر دليل على ذلك إجماع الكنائس الرسولية على حفظه وممارستها إياه فى الوقت الذى تمارسه فيه كنيستنا (٢) هذا ومما يجب ملاحظته هنا: ــ

أولا: إن الرسل لم يسموا هذا الصوم باسمهم بل أن آباء مجمع نيقية ــ على ما قال أحد الآباء ــ هم الذين عينوه باسمهم إكراما لهم وقد كان قبل زمنهم يدعى صوم العنصرة. ولذا حددوا إنه بعد مرور الخمسين يصوم عموم المسيحيين هذا الصوم إلى يوم عيد الرسل.

---

(١) مرآة الحقائق الجليلة وجه ٢٧٥

(٢) التحفة الزكية للأرواح وجه ٣١٣

ثانيا: إن أيام هذا الصوم تزيد وتنقص وذلك لسببين أوضحهما أحد العلماء أولهما لكون آخرها مرتبطا بعيد الرسولين بطرس وبولس يقع دائما فى ٥ أبيب. الثانى مرتبطا بعيد العنصرة «الذى يقع فى الخمسين بعيد القيامة والمذكور عيد العنصرة يتقدم ويتأخر تبعا لعيد القيامة وذبح خروف الفصح فإذا تقدم أحد العنصرة وبالتالى عيد القيامة وذبح الفصح اليهودى» زادت أيام صوم الرسل وإذا تأخر نقصت إذ أمرت الرسل أن لا نعيد القيامة إلا بعد الفصح اليهودى لا قبله ولا معه والثانى لإرتباط هذا الصوم مع رفاع الفطر وهذا يطول ويقصر تبعا لعيد القيامة وذبح الفصح الذى يسبق الصوم الكبير وعدد أيامها ٨١ يوما فمتى تقدم عيد القيامة قصر رفاع الفطر وبالتالى زاد صوم الرسل. وبالعكس وذلك حسب القاعدة الحسابية التى وضعها الأنبا ديمتريوس الكرام التى بموجبها يكون الفصح فى أوقات معينة وموافقا لليوم نفسه الذى قام فيه المسيح(١).



الفصل الخامس

«صوم العذراء»

لهذا الصوم شأن كبير عند جمهور المسيحيين القويمى الرأى والحسنى العبادة حتى أن الأكثرين يصومونه بزهد وتقشف ـــ بل أيضا يوجد بين جمهرة المسيحيين من يعظمه ويصومه كما يصومه المؤمنون الأتقياء فلا يتناولون فيه سوى الخبز والملح والماء وقد عده ابن العسال ضمن الأصوام المفروضة فى الكنيسة راجع المجموع الصفوى ب١٥ وجه١٧٣.

---

(١) راجع الحق سنة ٥ وجه ٢٥٣ وسنة ١١ :١٤

أيام هذا الصوم ١٥ يوما أولهما أول مسرى وآخره ١٥ منه أى فى اليوم الذى فيه تحتفل الكنيسة بعيد انتقال العذراء. وقد نسب إلى العذراء أو دعى بإسمها ــ ليس لأنها وضعته أو فرضته على الكنيسة ــ بل لأنه ينتهى بعيدها. فنسبته إليها كما قال بعضهم هى على سبيل تعيين الزمن لمناسبة حلول عيدها فى آخر يوم منه وقد سمته الكنيسة بإسمها إكراماً لها وتخليدا لذكراها المطوبة من جميع الأجيال لو٢ : ٤٨ .

وهو على ما يظهر قديم جدا فى الكنيسة حتى أن بعضهم قال أن الرسل هم الذين رتبوه بعد نياحة العذراء إكراما لذكرها وهو الرأى المعول عليه بدليل أن جميع الكنائس المسيحية تصومه. وبديهى أنه لو لم تكن كذلك لما أجمعت هذه الكنائس على حفظه مع ما نرى بينها من الاختلاف. قال أحد آباء الكنيسة اليونانية «أن هذا الصوم يصير لاقتبال عيدى التجلى والعذراء ومن اللازم أن تذكار هذين العيدين يتقدمهما صوم: الأول لاستنارتنا والثانى لطلب الشفاعة» وقال غيره «لا يخفى أن أرباب البصائر السليمة يحسب عندهم مناسبا ولائقا أنه كما تصير تنقيات متقدمة وصيامات سابقة فى أعياد ربنا يسوع المسيح هكذا يليق فى أعياد أمه الطاهرة. وتوجد شهادات موثوق بها من آباء مجمع القسطنطينية تؤيد ذلك وتدل على اعتبار هذا الصوم أكثر من صوم الرسل» راجع البوق الإنجيلى جزء ٢ وجه٤١ ــ ٤٣ ويكفى دليلا على قدمه أن المجمع الثانى المسكونى ثبته وأمر به كما يتضح ذلك من شهادة دردتاوس أحد علماء اليونان مرآة الحقائق وجه ٢٧٦

على أننا لو سلمنا جدلا أن هذا الصوم لم يتكلم عنه أحد فى الأجيال الأولى فيكون سكوتهم دليلا على قدمه وإنه اتصل إلينا بموجب التقليد

وإن فرضنا أيضا أنه لم يصل إلينا بالتقليد فيكون فضيلة مقدسة وعادة صالحة يمارسها القويمو الرأى تذللا للرب. والعبادة الصالحة تعتبر ناموسا كما يقول القديس باسيليوس «إن الأمر الأول والأعظم فى مثل هذه الأمور هى العادة الموجودة عندنا والتى يمكننا أن نوردها ولها قوة الناموس» وقد قال البعض إن العذراء هى التى باشرت هذا الصوم وعنها أخذه المسيحيون القدماء ووصل إلينا بالتقليد من سلف لخلف إلى يومنا هذا. وأن النساك ومحبى الفضيلة كانوا يصومونه بنوع خاص بتذلل وزهد عظيمين والكنيسة قبلته وعممته وحفظته وصارت تمارسه إقتداء بالعذراء. والكتاب يأمرنا بالإقتداء بقديسى الله عب ٦:١٢ ، ١٣ :٧ والرسول أمر تلميذه تيموثاوس وكذلك أمر المؤمنين بأن يتمثلوا به كما تمثل هو بالمسيح راجع ٢تى٣:١٠ ، ١كو٤:١٦ ، ١١ :١ وفى ٣ :٧، ٤ : ٨ و٩ ،٢تس٣:٧ وبما أن الكتاب يقول حسنة هى الغيره فى الحسنى غل٤ : ١٨ لهذا وجب علينا أن نصوم تشبها بسيرتها وتمثلا بإيمانها.



الفصل السادس

«صوم نينوى»

هذا الصوم تمارسه الكنيسة السريانية من قدم وعنها أخذته كنيستنا فى زمن الأنبا أبرآم «٦٢ فى عدد الآباء» الذى فرضه على أبناء الكنيسة كما يقول ابن المكين مريدا بذلك اتفاق الكنيسة القبطية مع أختها السريانية فى صومه لائتلاف المحبة ولما بينهما من وحدة التعليم الأرثوذكسى وقد قبلته الكنيسة بدون أن تغير فيه شيئا وذلك نظرا للمواهب التى أعطيها وللعجائب التى أظهرها

الله على يديه ومنها نقل جبل المقطم المعروف ولقبوله أيضاً صوم الجمعة الأولى من الصوم الكبير ومن ذلك الوقت تمارس الكنيسة هذا الصوم: ـــ

أولا: تشبهاً بأهل نينوى الذين لما أنذرهم الله بخراب مدينتهم وانقلابها بعد أربعين يوماً بواسطة يونان النبى صاموا بتذلل وانسحاق وبكاء ونحيب طالبين إلى الله أن يرحمهم ويغفر لهم. فرحمهم وندم على الشر الذى عزم أن يفعله ولم يفعله يون٣ :١٥ و١٦ ولا يخفى أننا بشر نخطئ كل يوم ودائماً تحت خطر التجارب وإنذارات الله نحونا راجع يؤ٢ :١٢ ولو ١٣ :٣ واع٣ :١٩ ولهذا أوجبت الكنيسة على بنيها أن يصوموا الثلاثة الأيام استدراراً لمراحم الله.

ثانياً: لتذكيرهم برحمة الرب وشفقته على الخطاة معلمة إياهم أن الله مستعد أن يقبلهم متى رجعوا إليه بكل قلوبهم وبالصوم والبكاء لأنه رحيم بطئ الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر يؤ٢ :١٣ فلا يحقد إلى الدهر ولا يغضب إلى الأبد مز١٠٣ :٩ ومراحمه لا تزول مرا ٣ :٢٢

أما كونه ٣ أيام فأولا كما قال بعضهم لأن هذا العدد معتاد استعماله فى أعمال كثيرة. ثانيا لنتذكر يونان النبى ومكوثه فى جوف الحوت ٣ أيام و٣ليال وذلك يسوقنا إلى ذكر موت المسيح وقيامته فى اليوم الثالث. ثالثا لأن يونان نفسه كان آية للمسيح ومثلا لموته وهى المسألة المعول عليها وهى أيضاً الآية العظيمة التى رسمت لنا طريق الرب يسوع كقوله مت١٢ :٢٩ و٤٠ على إننا نجد لهذا الصوم مثيلا فى الكتاب فإن المسيح أبقى الذين تبعوه ٣ أيام صائمين ثم أشفق عليهم مت١٥ :٣٢ وقد كان فى قدرته أن يقيتهم من أول ما شعروا بالجوع.

رتبت الكنيسة هذا الصوم بعد عيد الغطاس وفى غضون أيام الرفاع لأسباب أوضحها ابن المكين بقوله:

(١) ان ذلك اتباعا للوقت الذى أظهر فيه أهل نينوى التوبة والاستغفار.

(٢) لتنبيه المستغرق فيما جرت عادة الأكثرين اعتماده فى أيام الرفاع.

(٣) لنتذكر بها فائدة الصوم وضبط الشهوات والرجوع عن الانهماك فى الملذات وكونها ترد غضب الله وترفع سخطه كما نجت نينوى من الإنقلاب الذى كان مزمعاً أن يحل بها.

هذا ومما يجب التنبيه إليه أن هذا الصوم يعتبر فى منزلة الصوم الكبير فلا تؤكل فيه الدهونات ولا الأسماك وذلك على ما قال ابن المكين «أنه لما كان أهل نينوى قد تلافوا ما أنذروا به بالصوم والبكاء والنوح والرجوع عن الخطية وبما أن الذى يناسب ذلك هو الإمساك عن الزهومات ومواصلة الإمساك عن الأكل إلى آخر النهار لهذا سلكت الكنيسة هذا المسلك فى ٣ أيام نينوى بخلاف غيرها من الأصوام التطوعية التى ليست فى رتبة القروض الواجبة:



الفصل السابع

«صوم البرامون»

برامون لفظة يونانية صحتها باراموني ومعناها لغة خلاف أو فوق العادة. وفى الاصطلاح الكنائسى استعداد العيد أو ما قبل العيد. أو سهر أو تيقظ. وهو يطلق عادة على الاستعداد الذى يسبق عيدى الميلاد والغطاس فقط وقد تخصص

الاستعداد لهذين العيدين دون غيرهما لرفعة مقامهما وشرفهما الإلهى وفضلهما عن سواهما كما يقول علماء الكنيسة. أما الأول فلأن السمائيين والأرضيين فرحوا فيه بتجسد الكلمة الأزلى لخلاص العالم لو٢ :١٠ و١١ والثانى فلسبب ظهور سر الثالوث الأقدس مت٣ :١٦ و١٧ وقد أمرت الرسل أن يصام يوم البرامون إلى المساء استعدادا للعيد. راجع دسق ب ١٨ والمجموع الصفوى وجه ١٧٢ وكل الكنائس المسيحية أجمعت على حفظه وممارسته والكنيسة الأسقفية تحفظ هذا اليوم وهو يسمى عندها السهر أو يوم الصوم الذى يسبق العيد راجع «الصلوة العامة المتقدمة وجه «حل».

يعتبر هذا الصوم فى مقام الصوم الكبير فلا يؤكل فيه شئ من الزهومات أو الأسماك وغيرها مما يؤكل عادة فى الفطر وقد يكون البرامون يوماً واحداً أو يومين أو ثلاثة أيام والعلة فى ذلك على ما قال الآباء هى «أن البرامون نظير يوم من أيام الصوم الكبير كما قلنا فإذا جاء العيد يوم السبت يكون البرامون يوما واحدا «الجمعة» وإذا كان الاحد فيكون يومين «الجمعة والسبت» وإذا كان الاثنين فيكون ثلاثة أيام «الجمعة والسبت والأحد» إنما إذا لم يكن العيد فى يوم السبت والأحد المنهى عن الصوم والفطر فيهما وكان بعدهما إقتضى أن نجتازهما كما نجتاز نظيرهما فى الصوم الكبير «راجع الحق سنة ٣وجه ٢٧».

أما الغاية من الصوم فى هذا اليوم فهى طلب الاستعداد. وقد جاء فى سنكسار ١٠ طوبة إننا نصوم برامون الميلاد والغطاس تبرواً من أن تنسب لنا الشراهة بإفطارنا فى نصف ليلة العيد ولذا رسم لنا أن نتقدم هذين العيدين بالصوم «البرامون» فيكون عوضا عنهما وكمل لنا القصدان قصد الصوم وقصد العيد.

الاعتراضات والرد عليها

أولا: يعترض البعض بأن الصوم لا يحسب صوما مجرد الإمساك عن الطعام إذا بقى الانسان مهتما بمصالحه الاعتيادية بدليل ما جاء فى لا١٦ :٢٩ واش٥٨ :٣ ودحضاً لهذا الاعتراض نقول:

ليس فى الكتاب نص ينهى عن الشغل الاعتيادى إبان الصوم بل بالعكس نرى فى العهدين ما يستدل منه على جوازه حتى فى مصالح الإنسان غير الاعتيادية.

(١) فى العهد القديم. نرى أن نحميا وقومه كانوا يصومون وهم يشتغلون فى بناء السور نح٤ :٢١ .وعزرا كان صائما هو والذين كانوا معه من بنى إسرائيل فى أثناء سفرهم من بابل إلى أورشليم عز٨ :١٥ ـ٢١ واستير واليهود صاموا ولم ينقطعوا عن العمل فى أشغالهم الاعتيادية التى كانوا مناطين بها فى سبيهم اش٤ :١٦ ودانيال كان ماشيا على نهر دجلة وهو صائم دا ١٠ :٢ ـ ٤ وصام بنو إسرائيل فى زمن صموئيل النبى وهم فى الحرب مع الفلسطينيين ١ صم٧ :٥ ـ ١٣ وصاموا أيضا بناء على أمر شاول أثناء اشغالهم فى الحرب مع الفلسطينيين ١صم١٤ :٢٤ ـــ ٢٦ وكذلك فى زمن يهو شافاط الملك فى حربهم مع بنى عمون ٢أى٢٠ :٣.

ولقد كان عند اليهود أصوام كثيرة أسبوعية وسنوية زك٨ :١٩ ولو١٨ :١٢ فهل كانوا يمتنعون عن العمل أثناء أيام وشهور الصوم ذلك مما لا يسلم به العقل.

(٢) فى العهد الجديد. نرى أن المسيح أجازه ضمن كلامه عن كيفية الصوم فقد قال وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك وأغسل وجهك لكى لا

تظهر للناس أنك صائما مت٦ :١٧ و١٨ ولا ريب أن أعظم واسطة لإخفاء الإنسان صومه خروجه للعمل أمام الناس كالعادة فلم يطلب المسيح من الصائم حبس نفسه فى مخدعه أثناء صومه كما طلب منه فى الصلاة مت ٦ :٦. وهذا دليل على إباحة الشغل الاعتيادى إبان الصوم وإلا لم يكن من موجب لقوله. لكى لا تظهر للناس صائما فإنه سواء غسل الانسان وجهه أو لم يغسل. دهن رأسه أو لم يدهن ما دام محتجباً عن الناس بالعكس أن احتجابه عن الشغل خلافاً لعادته مدعاة لاستلفات الأنظار إليه والسؤال عنه لمعرفة سبب إمتناعه عن العمل.

وفى سفر الأعمال نقرأ أن الرسل والمؤمنين لم يمتنعوا عن العمل إبان صومهم أع ١٣ ١٤ والقديس بولس ورفاقه كانوا صائمين أثناء سفرهم إلى رومة اع٢٧ :٩ وقد ذكر كاتب الأعمال الصوم ليس لأن الذين فى السفينة كانوا صائمين بل لأن تلك الظروف وافقت أوقات الصوم باعتراف البروتستانت أنفسهم [(١)].

وليس فى رسائله إشارة إلى إمتناعه عن التبشير وصنع الخيام أثناء أصوامه الكثيرة التى كان يمارسها ٢كو ٦ :٥، ١١ :٢٧. أن الشغل كان «حتى فى الجنة» ولا يزال بركة ومجلبة لرضى الله الذى حتم على الإنسان أن يأكل خبزه بعرق جبينه تك٣ :١٩ ومن لا يشتغل لا يأكل ٢تس٣ :١٠ و١١ وقد قال أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل يو٥ :١٧ وهو يسر بالعمل وبالعاملين المحبوبين مت٢٥ :٢ و٢٤ ولو١٩ :١٣ ويمقت البطالة والكسل ويذم ويرزل الكسالى والبطالين مت٢٠ :٣ ـ ٦، ٢٥ :٢٦.

---

(١) راجع مجلة المرشد شهر سبتمبر سنة ١٩٠٠

أما ما جاء فى لاويين ١٦ :٢٩ فلا يؤخذ دليلا على عدم جواز الشغل إبان الصوم لأن ذلك الاعتكاف كان لظروف خاصة ولغرض خاص أيضاً وهو التأمل روحياً فى الكفارة الأبدية العظيمة التى كان يوم الكفارة رمزاً إليها وأراد الله تنبيه أذهان شعبه إليها وإعداد قلوبهم لقبولها بهذا الاعتكاف والتأمل. ونحن نصوم مثل هذا الصوم يوم الجمعة الكبيرة ونتذلل فيه ونعتكف عن كل عمل ذكراً لموت يسوع على الصليب كفارة لخطايانا ١يو٤ :١١ .

أما ما جاء فى أشعياء ٥٨ :٣ فلم يكن نهياً عن العمل. بل كان توبيخاً لشعبه لإنشغالهم فى عمل مسراتهم واهتمامهم بالجسديات وإفتكارهم فى الأرضيات مما لا يلائم الصوم الذى هو حزن، وتذلل، وزهد، وعفاف، بل لأن صومهم كان ظاهرياً. خارجياً فقط حيث كانوا محبين لأنفسهم وأغراضهم الجسدية دون طلبهم مجد الله، فداسوا البائس، وازدروا بالفقير، مما هو واضح صراحة فى نفس الاصحاح. نقول هذا عن الصوم الإجتماعى. أما الشخصى فأمر الشغل فيه وعدمه موكول لظروف الإنسان وإرادته وقدرته.

ثانياً: يعترض أيضا بأن الصوم لا يجب أن يتكرر سنوياً عليه نقول: إن الصوم كالصلاة فكما أننا نكرر كل أسبوع الاحتفال بالصلوة الجمهورية وجمع التبرعات الخيرية ١كو١٦ :١ و٢ كذلك نكرر الصوم الجمهورى كل أسبوع وكل سنة أيضاً. وفى الكتاب أدلة على ذلك.

(١) يوم الكفارة فقد كان يكرر سنوياً لو١٦ :١٩ الخ وكذا الأعياد والمواسم الأسبوعية والسنوية.

(٢) من قول الله أن صوم الشهر الرابع وصوم الخامس وصوم السابع وصوم العاشر يكون لبيت يهوذا ابتهاجاً وفرحاً زك٨ :١٩ ولو١٨ :١٢ فهذه

الأصوام كانت فرضاً سنوياً يمكن القول بأنها لم تفرض إلا أيام السبى لأن الكتاب يعلمنا خلاف ذلك باعتراف البروتستانت قابل شاهد زك٧: ٥ مع اش٥٨: ٣

(٣) نقرأ فى الكتاب أن اليهود كانوا يصومون ويعيدون تلك الأصوام التى صاموها فى أيام المحنة تذكاراً سنوياً لخلاصهم من هامان اش ٤: ٣ و٦، ١٩: ٢١ و٢٧.

(٤) قد جاء فى سفر الأعمال ما نصه ولما مضى زمان طويل إذ كان الصوم أيضاً قد مضى اع٢٧: ٩ و٢١ وهذا دليل على أن ذلك الصوم كان يمارس سنوياً فى الكنيسة الاسرائيلية وأن الكنيسة المسيحية قبلته ومارسته لأن الرسل مارسوه ولم ينتقضوه ولا عارضوا فيه.

هذا ولا يخفى أن الصوم فضيلة والبروتستانت يسلمون قولاً وعملاً بوجوب تكرار ممارسة الفضيلة فإنهم يكررون طلب الأصوام من أبائهم كلما دعت الحاجة راجع تفسير مت٦: ١٧ و١٨ ويقيمون الاحتفال كل أسبوع للصلوة الجمهورية ويجمعون الصدقات لذلك وفى أمريكا يعيدون كل سنة عيد الميلاد «Ghristmas» فلماذا يجوز لهم أن يفعلوا ذلك وينكرون علينا تكرار ممارسة فضيلة الصوم هل الصوم عندنا رذيلة لا يجوز العودة إليها وفضيلة عندهم واجب تكرارها؟

ثالثا: يعترض أيضا بأن الصوم لا يجب ممارسته إلا فى زمن الشدائد والضيقات.

هذا اعتراض باطل ويدل على أن قائله «كالنوتى لا يعرف الرب إلا وقت الغرق» وينطبق عليه القول المأثور. صام وصلى لأمر كان يطلبه. فلما انقضى

الامر لا صلى ولا اما. وكما يدل على جهله بحقيقة الصوم وأنواعه. إذ قد أوضحنا فيما مر أن الصوم كالصلوة منه ما هو شخصى يمارسه الإنسان تبعا لظروفه الخاصة ومنه ما هو جمهورى تمارسه الجماعة للعبادة. ولا يخفى أن العبادة لله واجبة فى الشدة أو الرخاء والاقتراب من عرش الله بالصوم والصلوة لازم فى السراء والضراء حسب تعليم الكتاب ١كو٧:٥ فإذا كانت الصلوة واجبة فى كليهما وجب كذلك الصوم فى الأول تعبداً وفى الثانى تذللاً واسترحاماً واستغفاراً.

على أننا لا نرى فى كلام المسيح عن الصوم تقييداً بهذا الظرف دون غيره وإذا قلنا بعدم جواز الصوم فى غير وقت الشدة جاز القول كذلك عن الصلوة لا سيما وفى الكتاب تصريح بذلك فقد قال الرسول أعلى أحد بينكم مشقات فليصل ـــ أمسرور أحد فليرتل يع٥:١٣ فاذا أخذنا هذا القول على ظاهره وجب أن لا يصلى المؤمن إلا فى هذه الظروف فقط وهذا مالا يقوله المعترض نفسه. ولكن قصد الرسول أن الصلوة غريزية فى الانسان ودليل على أنها مرضية لله وهو قادر عليإإزالة كل أسباب الكدر ويجعلها وسائل بركة ٢أى٢٣:١٢ ومز٣٤:٤ ،١٠٧:٦ و١٣ و٢٨ وكذلك الصوم. لأن تعليم المسيح فيهما واحد

وقد قال الكتاب بصريح العبارة أن من لا يصلى إلا وقت ضيقة فقط لا يسمع الله صراخه أى٢٧:٨ و٩ ومز١٨:٤١ وار١١:١١ وكذلك من لا يصوم إلا عند الشدة وهذا ماقاله الرب «حين يصومون لا أسمع .صراخهم ار١٤:١٢».

ثم أننا لو سلمنا بهذا المبدأ وهو أن المسيحى غير ملزم بالصوم إلا فى زمن الضيقات لرأينا أنفسنا ملزمين بالصوم دائماً لأننا دائماً فى ضيق، من جهة

الجسد، فى حرب مع العالم فى قتال مع الرؤساء والسلاطين مع أجناد الشر الروحية، مع الشهوات الشبابية، فى شرور من قبل الناس وفى اضطراب من جهة الضمير لاسيما وللمؤمنين نصيب مضاعف من ضيقات العالم لو١٦ :٣٣ وكثيرة هى آلام الصديقين مز٣٤ :١٩ لهذا كان الصوم لازما ليس فى الضيق فقط بل فى السعة أيضا ولهذا فضل على ذاك وله أجر وثواب وجزاء من الله مستطاب مت٦ : ١٨ وإذا لم نصم لنتخلص من ضيقات العالم. فلنصم تشبهاً بالإله الذى صام ٤٠ نهاراً وأربعين ليلة مت٤ :٢

لا ننكر أن البعض من شعب الله مارس الصوم تبعاً للظروف والأحوال التى صادفته ولكن البعض الآخر صام فى ظروف عادية. وإلا فما هو الضيق الذى وقعت فيه حنة بنت فنوئيل التى لبثت ٨٤ سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلا ونهاراً لو٢ :٣٦ ــ ٣٨

وما الذى أصاب كنيسة أنطاكية من المشقات حتى كانت تمارس الصوم فى إبان خدمتها للرب اع١٣ :٢؟ بل ما الذى إرتكبه الزوج والزوجة حتى أوجب عليهما الرسول التفرغ للصوم والصلوة ١كو٧ :٥؟ وهل كان المسيح فى إضطرار لما صام ٤٠ يوما وما معنى قوله للصائم «وأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية» وما هى الظروف التى ألزمت الرسولين أن يصوما فى كل كنيسة ذهبا إليها لرسامة الرعاة لها اع١٤ :٢٣؟

حقاً أن كان الصوم لازماً ونافعاً فى زمن التجارب للأشخاص أو للجماعات طلباً للإنقاذ من ضيق أو للخلاص من شدة. فهو لازم أيضاً للعبادة لأنه قسم من أقسامها وركن من أركانها كالصلوة أو الصدقة مت٦ :١ ــ ٩

رابعاً: يعترض البعض بأن الكتاب لم يعين وقتاً للصوم ورداً على هذا الاعتراض نقول.

أما أن الكتاب لم يعين أوقاتاً للصوم الشخصى فمسلم به: ولكن للصوم العمومى أو الجمهورى فان الله نفسه قد عين أوقاتاً له أنظر لا١٦ :٢٩ واش٥٨ الخ وزك٧ :٤ ، ٨ :١٩ ولو١٨ :١٢ وفى العهد الجديد نرى أن المسيح عين الزمان الذى يمارس التلاميذ فيه الصوم ـــ وهو بعد إرتفاعه عنهم مت٩ :١٥

ومع ذلك فان المسيح لما تكلم عن الصوم تكلم عنه كمبدأ يجب العمل به وكفضيلة يجب ممارستها وترك لتلاميذه أمر تعيين أوقات العبادة وغيرها كما فوض إليهم أمر تدبير رعيته وساسة كنيسته وهؤلاء كان من وظيفتهم ترتيب العبادة والتعليم والسياسة فى الروحيات بإعتراف البروتستانت أنفسهم على اع١٤ :٢٣ ومن بعد حلول الروح القدس عليهم أخذوا فى وضع الترتيبات اللازمة لسياسة الكنيسة وتنظيم هيئة عبادتها كحفظ يوم الأحد الذى لم يتكلم المسيح عنه بشئ وتخصيصه للعبادة الجمهورية التى لم يعين لها المسيح وقتاً. وجمع التبرعات لفقراء الكنائس فإنهم خصصوا له اليوم الأول من الأسبوع ١كو١٦ :١ وتعليم المعموديات ووضع الأيدى وغير ذلك مما نرى الإشارة إليه فى أعمال الرسل ورسائلهم اع٢ :١٣ و١٤ ، ١٥ :١٦ الخ و١كو١١ :٣٤ وعب٦ :٢ و٣وتى١ :٥

هذا ولما كان الصوم خصوصياً وعمومياً كالصلوة وكان الصوم العمومى لا يمكن ممارسته إلا إذا كانت له أيام معينة وضعت الكنيسة تلك الأصوام بأمر الله للعبادة والاتحاد يو١٧ :٢١ ، رو١٥ :٥ و٦ ، ١كو١ :١٠ ، اف٤ :٣ و٤ ورتبت أيضاً أن تكون عمومية وقد مارس الرسل تلك الأصوام بعد إرتفاع العريس عنهم كما نوه الرب اع١٣ و١٤ و٢٧ وأمروا المؤمنين بها ١كو٧ :٥ وقد ذكر أبيفانيوس فى ارطقة ٧٥ «أن المسيحيين كانوا يصومون الأربعاء والجمعة والأربعين المقدسة من ذلك الوقت»

وما دامت الترتيبات الكنسية من وضع الرسل أو خلفائهم بارشاد الروح القدس اع١٥ : ٢٨ فالخضوع لها واجب لأن من أطاع الكنيسة أطاع المسيح الذى أمر بالطاعة لها مت١٨ :١٧ وقد أمر الرسل أن نطيع لا رؤساء الكنيسة فحسب. بل الرؤساء والحكام المدنيين أيضاً وان كانوا وثنيين لأن من يقاوم السلطان يقاوم اللّه لأن السلطان مقام من اللّه رو١٣ :١ وتى٣ :١ وا بط٢ :١٤ و١٨ .

وفى الكتاب نرى أن استير ومردخاى فرضت على شعبها صوماً لخلاصهم من مكيدة هامان واليهود أوجبوا على أنفسهم وعلى نسلهم أمور الأصوام من دور إلى دور اش٩ :٩ و٢٨ ـ ٣١ وصار ذلك الصوم فريضة دهرية على اليهود إلى هذا اليوم فاذا كانت أستير جعلت ذلك الصوم فريضة دهرية واليهود قبلوا شريعتها ألا يجوز للكنيسة وقد فوض الرب إليها أمر تدبير رعيته بسلطان خاص ـ أن تجعل الصوم الذى مارسه السيد فريضة دهرية تذكرنا برحمة اللّه العظيمة نحونا. ثم ألا يجوز أن نخضع لوصية الرسل التى هى وصية الرب والمخلص. ونمارس الصوم فى أوقاته المعينة لاسيما وقد حددت أيامه لتأكدها من الفصول الملائمة له.

ولماذا يسوغ للبروتستانت أن يضعوا ترتيبات لعبادتهم ويعينوا أوقاتاً للصلوة الجمهورية والإجتماعات الروحية والأصوام العمومية ولا يجوز للكنيسة ـــ التى أخذت التعليم من الرب نفسه رأساً وسلمتنا ما تسلمته منه ـــ أن تضع ترتيباً للصوم؟

خامسا: يعترض بأن المسيح لم يحتم بالصوم بل تركه لحرية الانسان وارادته وحسب إستحسانه بقوله «متى صمتم» أى متى أردتم أن تصوموا فلا تكونوا عابسين الخ. وهذا قول مردود: ـــ

(١) لأن كلام المسيح هنا إنما المراد به الصوم الشخصى لا الجمهورى الذى تعينه الكنيسة وتدعو بنيها لممارسته للعبادة وشتان بين هذا وذاك فالأول يمارس فى ظروف خاصة وبحسب إرادة الانسان حقا. أما الثانى فليس كذلك بل تمارسه الكنيسة للعبادة وهو كالصلاة الجمهورية.

(٢) لأن تعليم المسيح عن الصوم كتعليمه عن الصلاة والصدقة سواء بسواء فاذا كانت الصلاة والصدقة واجبتين كان ذلك الصوم واجبا محتما لأن المسيح كما قال. متى صليتم. ومتى صنعتم صدقة. قال متى صمتم.

(٣) لأن المسيح تكلم عن الصوم كفريضة من فروض الدين واجب ممارستها. وكركن من أركان العباده واجب أداؤه وكذلك شرح واجبات الصائم وكيفية الصوم كما تكلم عن الصلوة والصدقة ولا ريب أن المسيح بشرحه تلك الواجبات صرح ضمناً بوجوب الصوم وإلا فلا معنى لتعليمه عن الصوم كإحدى الواجبات الدينية مادام ليس واجباً ومتروكاً لارادة الانسان ويكون كلامه عن تلك الواجبات لغواً.

على أن البروتستانت يعترفون بوجوب ممارسة الصوم وأنه من الواجبات الدينية التى تختص بعبادة الله راجع شهادتهم فى وجه ٤٢٣ وما يليه.

وأما لفظه «متى» فى قول المسيح متى صمتم: التى يرتكز عليها المعترض فهى للتحقيق لا للشك وما بعدها يكون فى حكم الواقع المقرر أو الواجب المحتم وقد ورد مثلها كثيراً فى الكتاب. من ذلك قول المسيح: متى جلس ابن الانسان على كرسى مجده مت١٩ : ٢٨ وقوله متى جاء ابن الانسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه مت٢٥ :٣١ وكذلك قوله متى صليت ومتى صنعت صدقة قوله لبطرس وأنت متى رجعت ثبت اخوتك لو٢٢ :٣٢ وقول

الرسول متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضا معه فى المجد كو٣:٤
وبديهى أن كل ما جـاء بعد ـ متى ـ من الآيات السابقة حقائق مقررة ووقوعها محتم.

سادسا: يعترضون بأن مجرد تغيير للطعام ليس هو صوما بل يجب الإمساك عن الطعام إلى وقت ما.

ونقول نحن أن الكنيسة تعلم أن الصوم هو الامتناع عن الطعام مدة معينة من النهار فى آخرها يتعاطى الصائم مأكولات خالية من الدسم أو ملائمةللصوم فهو امساك وتغيير للطعام فى آن واحد. ولها على ذلك أدلة:

(١) من تصريح الله فأنه لما أراد أن بنى إسرائيل يحزنون على خطاياهم ويتذللون أمامه أمر النبى حزقيال ألا يتناول فى صومه «وقد كان إمساكا عن الطعام وقتا من النهار»أاطعمة غير التى إعتاد تناولها أمره أن يأكل متذللا حنطة. وشعيراً، وفولاً وعدساً ودخناً وكرستة «أى كموناً» حز٤:٩ مما يعيرنا به بعض المعترضين جهلا: بقولهم «هو ربنا قال كلوا فولا وعدسا»

(٢) من ممارسة رجال الله إياه فى العهد القديم بهذه الكيفية فداود إمتنع عن اللحوم أثناء صومه كما يتضح من قوله ركبتاى إرتعشا من الصوم ولحمى هزل عن سمن مز١٠٩:٢٤ وحسب طبعة رومية سنة ١٨٥٤ ركبتاى ضعفتا من الصوم ولحمى تغير من أكل الزيت مز١٠٨:٢٣ ودانيال صام ٣ أسابيع وصومه كان مع تغيير الطعام أى الإمتناع عن اللحوم وشرب الخمور وتناول النباتات والبقول بدليل قوله لم آكل لحماً ولم اشرب خمراً ولم أدهن بدهن دا ١٠: ١٢ وعلى هذا المنهج سارت الكنيسة فى أصوامها فهى تأمر بينها

بالصوم الانقطاعى وتطلب منهم فى أيام تذللهم أن يأكلوا ما صرح به الله واستعمله رجاله الأتقياء.

ولا يخفى أن الصوم عبارة عن تذلل وإذلال الجسد أو النفس لا يقوم بتناول ما لذ وطاب من الطعام والشراب «عند حل الصوم» فانه كما قال البروتستانت لا يعد صوماً أن يأكل الانسان فى الليل ماله عادة أن يأكله فى النهار أو أن يأكل مقدار المعتاد عليه أو أكثر منه مع تطويل مدة الفترة بين الأكلتين كأنه يصوم يوما ثم يستعيض مافاته بالشراهة والنهم فى اليوم الثانى.

فليس بهذا يقوم الصوم بل بالامتناع عن الأطعمة اللذيذة التى تثير كامن الشهوات الجسدية التى تمنع عن أعمال العبادة وتؤخر عن التقرب إلى الله وتطفئ أشواق النفس الروحية على وفق قول الرسول ١بط٢:١١ والإستعاضة عنها بالبقول والنباتات وما يماثلها مما يلائم طبيعة الصوم ويتفق مع الغرض منه.

سابعاً: يعترضون بقول الرسول لا يحكم عليكم أحد من جهة أكل أو شرب الخ كو٣:١٦ سيأتى الرد على هذا الإعتراض وبيان غرض الرسول هذا من القول فى كلامنا على الأعياد.

ثامناً: يعترضون أيضا بأن المسيح قال ما يدخل الفم لا ينجس الانسان مت١٥:١١

أن كلام المسيح هنا خارج عن موضوع الصوم لأنه إلى ذلك الوقت لم تكن تأسست كنيسة المسيح بل ما دعى إليه

(١) إعتقاد الكنيسة والفريسيين بأن من الأطعمة ما هو نجس بالذات وأن هذه تنجس آكلها كما أوضح الرسول بطلانه فى ١تى٤ : ٤

(٢) إعتراض الفريسيين على تلاميذ الرب لعدم غسل أيديهم قبل الأكل

مت١٥ :٢ فردهم المسيح بهذا القول والمعنى أن الانسان لو أكل الطعام بأيدى نجسة «غير مغسولة هنا توجد جملة ناقصة وكان ضميره نجسا لا يتطهر وإنما الذى ينجسه هو ما يخرج من قلبه من الشرور»

(٣) توبيخ الفريسيين الذين كانوا يغسلون أيديهم رياء وينتقدون على من لا يغسل كبرياء بينما قلوبهم مملوءة سما ودعلرة واختطافاً راجع مت٢٣ :٢٥ و٢٧، ٢٨.

تاسعاً: يعترضون بأن أكل البقول دليل على ضعف الإيمان كقول الرسول أما الضعيف فيأكل بقولا رو١٤ :٢

هذا الكلام لا علاقة له بالصوم مطلقاً بإعتراف البروتستانت «أنفسهم» انظر تفسيرهم الآية ذاتها صفحة ١٩٦ وإنما كان حسما لخلاف وقع بين المتنصرين من اليهود والأمم فالمتنصر من هؤلاء كان يأكل شيئاً من الأطعمه لعلمه ان لا شيئ من المأكولات محرم فى الانجيل والمتنصرين من أولئك لعدم تمكنه من معرفة التعليم المسيحى كان يمتنع عن بعض الأطعمة لاعتقاده أنها نجسة بالذات كما فى كو ٢ :١ ويأكل البقول ما أشبه من الخضروات لعله فى الشريعة الموسوية قد حرمت كثيراً من الطيور والبهائم والأسماك ولم تحرم شيئاً من البقول فاعترضت الأمم على اليهود واحتقروهم ولما بلغ ذلك مسامع الرسول كتب إليهم موبخاً إياهم على احتقارهم إخوتهم فى الإيمان مشيراً بمعاملة هؤلاء الضعفاء بالرفق واجتناب هذه المباحثات الغبية خيفة أن يوجد ذلك فشلا عندهم أو شكاً فى نفوسهم.

على أن دانيال ورفاقه إمتنعوا عن أكل اللحوم وشرب الخمور فى قصر ملك بابل واقتصروا على أكل القطانى دا ١ : ٨ ـ ١٦ فهل كانوا ضعفاء الإيمان؟

عاشراً: يعترضون بأن الصوم يجب لله وحده أما أنتم فتصومون للعذراء والرسل.

حقاً أن هذا محض إفتراء لأننا لا نصوم إلا لله والذى له وحده تجب العبادة دون سواه أما نسبة هذين الصومين للعذراء والرسل فلذلك لأن ختام كل منهما يقع فى يوم عيدهم ودعتهما الكنيسة باسمهم تكريماً لهم وتخليداً لذكرهم. وما تسميتها بإسمهم إلا من باب تسمية الشئ بإسم واضعه ومعلوم أن إسناد الشئ لواضعه أو قائله لا يوجبه دائماً له والأمثلة على ذلك كثيرة منها تسمية التوراة بتوراة موسى خر١٥ :١ وتث ٢٢ :١ وشريعة موسى مل٤ :٤ ونشيد الأنشاد لسليمان ١ :١ ومزامير داود وأسفار الانبياء فإذا قرأنا أو رتلنا أو صلينا بهذه المزامير لا نكون حقاً قرأنا أو رتلنا أو صلينا لموسى وداود ولغيرهما ومثل ذلك صوم الرسل والعذراء.

وبفرض أن الرسل والعذراء صاموا أو أمرونا بالصوم أو وضعوه لنا فأى غضاضة على الكنيسة إذا هى صامت إقتداء بهم والكتاب يعلمنا أن حسنة هى الغيرة فى الحسنى وقد أمرنا أن نقتدى بقديسى العلى عب١٣ :٧ وشعب الله قديماً مارس صوم استير ومردخاى لأنهما صاماه وبه خُلصنا من الخطر الذى كان يتهددهما وشعبهما.

حادى عشر: يعترضون بأن الامتناع عن بعض أطعمة قد خلقها الله لنتناول بالشكر مناف لتعليم الكتاب الذى قال إن كل خليقة الله جيدة ١تى٤ :٤ و٥

فنقول إن كلام الرسول هنا بالاجماع إنما المقصود به طائفة من المبتدعين الذين ظاهروا فى أوائل الكنيسة كالسيمونيين والنيقولاويين والأبونيين والاشنيين وغيرهم ممن انسلخوا عن الإيمان وخرجوا على الكنيسة فأنكروا الزواج ومنعوا

عن بعض الأطعمة كاللحوم والخمر وما أشبه مدعين إن أمثال هذه ما خُلقت من الإله الصالح بل من الإله الشرير «الشيطان» فمن ثم هى رديئة فى ذاتها فيجب تحاشيها لأنها تفسد من يتصرف بها كما يظهر من قول الرسول ومن أقوال الآباء كالذهبى فمه وثاوفيلاكنوس وامبروسيوس وغيرهم: قال القديس اغسطينوس والاشارة إنما هى إلى هؤلاء الذين لا يمتنعون عن مثل هذه الأطعمة قمعاً لشهواتهم أو مراعاة لوهاء غيرهم بل لزعمهم أن اللحوم بنفسها نجسة ولنكرانهم خالقها هو الله قال ايريناوس من سانور تينوس ومرقيون كان مخرج الذين يدعون متعففين الذين يمتنعون عن الزواج ويلغون ما رتبه الله من القديم ويلومون الذى خلقهما منذ البدء ذكراً وأنثى لقيام النسل وينهون عن أكل الحيوانات ويجحدون فضل الله الذى خلق كل شئ.. قال القديس أبيفانيوس فى كلامه على مرقيون أن هذا الملحد يمنع عن أكل الحيوان مدعياً أن من يأكل اللحوم يذنب كمن يأكل النفوس. وفى كلامه عن أتباع مانى قال أن هؤلاء يزعمون أن من يأكل لحماً يأكل نفساً فيذنب بذلك حتى يتحول إلى ما أكل فإن أكل ثورا «أى لحم ثور» يتحول إلى ثور وإن أكل لحم خنزير يتحول إلى خنزير وهلم جرا ومن يتخذ إمرأة ينقلب فى الآخرة إلى جسد إمرأة ويتزوجها هو نفسه ويزعمون أيضاً أن الإله الصالح خلق النفوس والإله الشرير فطر الأجساد ا.هـ. إلى أن قال من هنا يظهر أن الهراطقة المومى إليهم كانوا يحرمون اللحوم لسببين حسب زعمهم أولهما كون اللحوم من الإله الشرير ثانيهما كون من يأكل لحم حيوان يقتل نفس هذا الحيوان ويأكلهما فيذنب ذنب قاتل الخ «تفسير الرسائل وجه٥٣٦».

هؤلاء الذين أرادهم الرسول بكلامه وحذر المؤمنين من الإنقياد إلى ضلالهم مفندا أضاليلهم بحجج ثلاث «الأولى أن الله خلق الأطعمة بخلاف ما زعموا

وغرضه فيها أن يتناولها المؤمنين شاكرين له تعالى عليها الثانية. كونها فى نفسها جيدة لا شر فيها لأن الله نظر كل شئ خلقه فإذا به حسن جداً فلا يحسن نبذها ورذلها كما زعموا بل يجب قبولها مع الشكر عليها. الثالثة. كون تناولها لا إثم فيه ولا شر لا بل هو مقبول عند الله وحسن لديه» «الكتاب ذاته صحيفة ٥٣٧».

أما الكنيسة فقد منعت بعض أطعمة فى بعض أيام لا لنجاسة ذاتية فيها. حاشا لأنها تتناولها فى غير الصوم بل لعدم ملاءمتها للصوم الذى هو زهد وتذلل ولقهر الجسد واستعباده وإخضاعه للروح. ولاظهار توبة بنيها وإعلان طاعتهم. وهى تفعل ذلك تمثلا بالله الذى أمر شعبه أن يمتنع عن أكل بعض الأطعمة حفظاً لقداستهم الرمزية أنظر تك ١:٢٩ ، ٣:١١ ، ٩:٤ وخر١٢: ١٠ ،١٣: ٦ ، ٢١ : ٢٨ ، ٢٢ :٣١ ،٢٩ :١٤ وتشبهاً برجاله القديسين فداودإامتنع عن بعض الأطعمة مز١٠٩ :٢٤ ودانيال إمتنع عن التناول من أطايب الملك دا ١ : ٨ و١٢ وكذلك أولاد الركابيين إمتنعوا عن شرب الخمر ار٣٥:٥ و٦ .

أضف إلى ذلك أن الرسل أنفسهم منعوا المؤمنين من تناول بعض الأطعمة أع٥:٢٠ ولماذا يمتنع الرسل عن الدم والمخنوق وعن أكل ما ذبح للأوثان رؤ ٢:٢٠ ولا تمنع الكنيسة عن بعض الأطعمة بضع أيام لمنفعة بنيها؟ وكيف حرم الرسول عن نفسه أكل اللحم لئلا يعثر أخاه ١كو٨:١٣ ولا تقدر الكنيسة أن تمنع تناوله إلى زمن وجيز؟ ولماذا أيضاً يستطيع الطبيب أن يمنع مريضه عن أكل اللحم وشرب الخمر لمنفعة الجسد ولا تستطيع الكنيسة ــ وهى طبيب روحى لأولادها ــ أن تنهى عن مثل ذلك لخير النفس والجسد معا؟

ثانى عشر: يعترضون بأن الصوم ترتيب بشرى فلا يجب العمل به هذا اعتراض غريب لأننا نخضع لأحكام وأنظمة وترتيبات الحكام والرؤساء المدنيين . أفلا نخضع بالحرى لرسل ربنا ومن أخلفهم من الرؤساء الروحيين.

إن الكنيسة لم ترتب الصوم إنما الذى وضعه وأمر به هو الله نفسه كما رأيت مما مر بك أما الكنيسة فقد رتبت أوقاته ووجب قبول هذا الترتيب (١) لأن الرب أمر بالطاعة للكنيسة مت١٨ :١٧ (٢) لأن الترتيب نفسه صالح ومفيد لبنيان جسد المسيح وآيل لمجد الرب وخلاص النفوس والكتاب أمرنا بالخضوع لكل ترتيب بشرى من أجل الرب ١بط٢ :١٣ فكم بترتيبات الرسل الموضوعة بإرشاد ومصادقة الروح القدس! على أن التقيد بأوامر الرسل والعمل بها واجب إطاعة لأمر الرب واقتداء برجاله القديسين فقد أمر الله موسى أن يضع للشعب نشيداً يسبحونه جميعهم تث٣١ :١٩ ــ ٢١ وقد كان بنو إسرائيل مع كهنتهم مقيدين فى التسبيح لله بمزامير داود ٢أى٧ :٦ وحزقيا الملك أصدر أمراً للكهنة بأن لا يسبحوا الرب ويحمدوه إلا بكلام داود٢ أى٢٩ :٣٠ وقد شهد نحميا أن اللاويين لا يحمدون الرب إلا بحمد داود نح١٢ :٣٦ وكذلك حبقوق النبى ما كان يسبح إلا بمزامير داود ٣ :٩ وعليه قال الرسول ليكن لكل واحد منكم مزمور ١كو١٤ :٢٦ واف٥ :١٩ وكو ٣ :١٦ وشهد يوحنا فى رؤياه أن المؤمنين فى السماء لا يسبحون إلا بتسابيح النبى موسى والخروف رؤ١٥ :٣

ثالث عشر: يعترضون بأن الصوم مضعف للصحة.

هذا إعتراض باطل ينقضه علم الطب «والهيجين» فضلا عن الكتاب. فقد ثبت طبياً بالاجماع أن الصوم مفيد للإنسان وأكل البقول أنفع لصحة الأبدان

ومن أعظم الوسائط لإطالة الحيوة وتلك حقيقة مسلم بها ومعترف بصحتها فلا حاجة إلى إطالة الكلام فى تأييدها.

أما الكتاب فإنه مؤيد لهذه النظرية وشاهد بصحتها لأن الطعام الأصلى للإنسان كان من الفول وليس من اللحوم وقال الله لآدم قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزراً... لكم يكون طعاما تك١ :٢٩ وسار القوم على هذه الوصية من آدم إلى نوح حيث صرح الله لهم بتناول اللحوم بعد الطوفان إذ قال الرب كل دابة حية تكون لكم طعاماً كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع تك٩ :٣ ومن ذلك الزمان أخذت أعمار الناس فى النقصان.

إن دانيال ورفاقه الثلاثة لما رفضوا الأكل من أطياب الملك واقتصروا على أكل القطانى ظهروا عند نهاية العشرة أيام أجمل منظراً وأحسن صحة وأسمن جسماً من كل الفتيان الآكلين من أطايب الملك وأعطاهم الله معرفة وعقلاً فى كل كتابة وحكمة دا ١ : ٨ ـ ١٧ ثم أن دانيال نفسه كان صائماً ثلاثة أسابيع أيام لم يأكل طعاماً شهياً ولم يشرب خمراً ولم يدهن بدهن وأخيراً أتاه ملاك وقال له لا تخف يا دانيال لأنه من اليوم الأول الذى فيه جعلت قلبك للفهم ولاذلال نفسك قدام إلهك سمع كلامك وأنا أتيت لأجل كلامك دا ١٠ :٢ ـ ١٣.

وقد شهد الأطباء بفائدة الصوم ولذا تراهم الآن يعالجون بعض الأمراض بالصوم ويصرحون للمرضى بتناول النباتات ويمنعونهم عن أكل اللحوم بتاتاً لأنها من أشد الأخطار على الصحة.

أما ضعف الصحة وذبول الجسم واصفرار الوجه فليس سببه الصوم بل عدم الصوم وبالتالى التنعم والتلذذ بالأطعمة الكثيرة الشهية. وكم من شاب نراه

محدوب الظهر مقوس القامة كأنه فى الثمانين من عمره مع أنه لا يصوم يوماً واحداً فى السنة فى حين يكون والداه أحسن منه صحة وأقوى بدناً وأكثر نشاطاً وعافية مع أنهما لم يعصيا فريضة الصوم يوماً واحداً: والمشاهد أكبر دليل على ذلك: فالفلاح الذى يعيش ليل نهار فى حراسة الأرض وفلاحتها ولا يتناول إلا الأطعمة التافهة البسيطة لأصح جسماً من أكلة اللحوم.



الباب العاشر

«الأعياد»

الأعياد حفلات عمومية تقام بطرق مختلفة فى أيام معينة من كل سنة وتسمى تلك الأيام أعياداً وهى على العموم قسمان الأول مدنى ليس لنا أن نبحث فيه لأنه خارج عن موضوع كتابنا والثانى دينى وهو الذى خصصنا هذا الباب لشرحه وبيانه فنقول:

إننا إذا طالعنا الكتاب المقدس نجد أن الله سبحانه وتعالى فرض أعياداً على شعبه فى العهد القديم ليحتفلوا بها باقامة الشعائر الدينية، والانعكاف على الأعمال الصالحة المرضية، والاعتكاف عن كل عمل دنيوى. وأول الأعياد التى أمر بحفظها وتقديسها والاحتفال بها هو العيد الاسبوعى ـ السبت ـ الذى إستراح فيه وقدسه وباركه خر٢٠ : ٨ ـــ١١ ثانياً عيد الفصح الذى هو أكبر الأعياد وأهمها وأعظمها عند اليهود خر١٢ :١٤ ولا ٢٣ :٤ و٥ ثالثاً عيد الأسابيع[١] أو عيد الحصاد خر٢٣ :١٦ ، ٢٤ :٢٢ رابعاً عيد المظال[٢] أو عيد الجمع فى نهاية السنة لاسيما اليوم الثامن منه عدد ١٦ و٣٤ :٢٢ لا٢٣ :٣٦ (خامسا) عيد تذكار هتاف البوق أو السنة الجديدة لا٢٣ :٢٤ (سادسا) عيد الكفارة عدد ٢٩ ولا٢٣ :٢٦ ـــ ٣٢ (سابعا) عيد رأس الشهر عدد ٢٨ :١١ (ثامنا) عيد الفرح اش٩ :١٦

---

(١) كان يوم عيد الحصاد اليوم الخمسين بعد عيد الفصح وكان يوما واحدا وهو اليوم الخمسين ثم صار بعد ذلك يومين.

(٢) راجع خر٢٣ :٣٤ وتث١٦ :١٣ و١٦ وكانت مدة هذا العيد أسبوعا كعيد الفصح.

وقد أمر الله بحفظ هذه الأعياد والاحتفال بها وحذر من إهمالها كما أنه عاقب من أهملها ولم يراع حرمتها بالرجم والقطع والجلد خر٢٠:١٠ ولا١٦:٢٩، ٢٣:٧ و٨ و٣٠ وعد١٥:٣٢ و٣٣ ، ٢٨: ١٨ ، ٢٥ وقد قدسها لذاته تعالى وخصها بإسمه بقوله مواسمى وأعيادى. وأعياد الرب لا ٢٣:١ و٤ و٣٧.

هذه أعياد العهد القديم وهذه أوامر اللّه الصريحة بوجوب إحيائها والاحتفال بها فى أوقاتها المعينة وهذه مواعيده الصالحة للمؤتمرين بأمره وهذه إنذاراته المريعة وعقوباته الصارمة التى فرضها وعاقب بها المخالفين والمهملين لتلك الأعياد ـ لم نذكرها هنا لنأمر أبناء الكنيسة بالعودة إليها بل لنبرهن على أن الأعياد وضعت من اللّه قديماً وجعلت فرائض على شعبه كسائر الفرائض الأخرى وكل منها يشير إلى عمل معين وحادث معلوم يجب تذكره على الدوام كما ترى من النصوص التى أشرنا إليها والتى سنذكرها فيما يلى. وبما أنها كانت ظلا للأعياد القادمة كما أن بقية الفرائض والطقوس القديمة كانت رموزاً للخيرات الآتية التى أسبغها علينا ربنا يسوع بموته وجب أن يستعاض بالثابت عن الزائل وبالحقيقة عن الظل ــ أى أن الواجب علينا أن نعيد ونحتفل بالبركات التى نلناها فى عهد النعمة.

لربما يقال إن العهد الجديد خال من الأوامر الشديدة بوجوب الاحتفال بأعياد معينة فى أوقات معلومة وجواباً على ذلك نقول أن المتأمل بعين سليمة من مرض الغرض يجد الأمر بالعكس والدليل على ذلك:ــ

أولاً: إن الرب يسوع نفسه قد أظهر اعتباره للأعياد وقدّسها بحضوره فيها وممارسته إياها راجع مت٢٦:١٩ ومر١٤:١٤ ولو ٢:٤١ ويو ٢:١٣، ٥:١ ،

٢:٧ و١٠ ، ١٠ :٢٢ فإن قيل أيضاً أن الرب وان إعتبرها إلا أنه لم يتكلم عنها بشئ. نقول ليس معنى هذا السكوت إنه قضى عليها والا لنهى عنها ومن المستحيل أن ينهى عنها أو يقضى عليها مادام أمر بها قديماً وفرض لها العقاب والثواب ومادام باركها بحضوره حديثاً وعظم شأنها وما دام ظهر نفعها لشعبه جيلا بعد جيل.

ثانياً: إن الرسل القديسين كانوا يحتفلون بهذه الأعياد وقد باركوها وأمروا بها صريحاً قولا وعملا وهم كما نعتقد لم ينطقوا بألسنتهم بل كانوا تراجمة ناطقين بالروح القدس فالرسول بولس أمر بتعييد عيد الفصح المجيد بقوله. إن فصحنا أيضاً المسيح ذُبح لأجلنا إذاً لنعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق ١ كو٥ :٧ و٨

عدا ذلك فإن الرسول نفسه كان يعيد مع المؤمنين فإنه لما كان فى أفسس أسرع إلى أورشليم ليحتفل بعيد العنصرة اع١٨ :٢١ وكذلك لما كان فى آسيا وعد مؤمنى كورنثوس بالذهاب إليهم بعد أن يعيد عيد العنصرة ١ كو١٦ : ٨

فمن هذا يستدل صريحاً على أن الأعياد مأمور بها فى العهد الجديد ومصرح بممارستها وان الاحتفال بها كان فى أوقات معلومة معينة غير أن قوماً إدّعوا أن الرسول نهى عن الأعياد فى كو٢ :١٦ وهو إدعاء غريب فإن الرسول لا يريد بنهيه هذا الاعدم مجاراة المؤمنين لليهود فى شئ من أعيادهم القديمة ـ من سنوية وشهرية وأسبوعية ـ واعتبارها فريضة ثابتة وواجبة على المؤمنين بدليل قوله «التى هى ظل الأمور العتيدة عدد ١٧» وبما أن تلك كانت ظلاً للأمور العتيدة فقد أبدلت بما هو أفضل وأكمل وأتم. فكلام الرسول إذاً لا ينفى الأعياد المسيحية التى تمتاز عن تلك فى الغاية والكيفية وإلا للزم بطلان حفظ

يوم الأحد لأنه ذكره ضمن الأعياد التى نهى عن إستعمالها وهذا لا يقول به مسيحى ـــ ثم أن الرسول نهى المؤمنين عن الخضوع لأحكام بعض اليهود الذين كانوا يعسلمون المؤمنين من اليهود أنفسهم أن يحفظوا الناموس حسب شريعة موسى اع١٥ :١ وليس حسب تعليم المسيح كو٢ : ٨ كما تحصل فى أمور الختان اذ كان قوم من اليهود أزعجوا المؤمنين قائلين إنه إذا لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا اع٥ :١ و٢٤ والبروتستانت يسلمون ويعترفون بهذه الحقيقة بدليل أنهم وضعوا شاهداً على آية الاعتراض ما جاء فى اع١٥ :١ و٢٤.

ومما يحسن ملاحظته أن جميع الكنائس الرسولية فى العالم تعتقد بالأعياد وتحتفل بها وقد شهد البروتستانت بأن هكذا كان اعتقاد الكنيسة الجامعة. فقد جاء فى تاريخ الكنيسة المطبوع بمعرفتهم سنة ١٨٢٩ ما نصه «وأما الاعياد التى كانوا يعيدونها فهى الفصح، والعنصرة، والتجلى، والميلاد» فالفصح لتذكار قيامة مخلصنا والعنصرة لتذكار ظهور سيدنا المسيح ثم لظهور النجم للحكماء ولظهور الثالوث الأقدس عند معمودية ربنا. ولأول أعجوبة أجراها فى قانا الجليل وأظهر بها مجده والميلاد لتذكار ميلاد مخلصنا المبارك إلخ وجه ١٠٠. وقد شهد موسهيم المؤرخ البروتستانتى بأن الأعياد كانت ولا تزال تُمارَس فى الكنيسة منذ العصر الرسولى بقوله«إن مسيحى القرن الأول اجتمعوا للعبادة فى اليوم الأول من الأسبوع اليوم الذى به استرجع المسيح حياته. ويظهر أنهم كانوا يحفظون يومين سنويين دينيين الواحد تذكاراً لقيامة المسيح والثانى تذكاراً لحلول الروح القدس على الرسل. وجه٤٢ «انظر أيضاً كتاب أوسبيوس ك ٤ ص١٥» وقال أيضاً. إن الأعياد السنوية المحفوظة عند مسيحى هذا القرن «الثانى» هى تذكار موت المخلص وقيامته وحلول الروح القدس على الرسل ك ١ قرن٢

قسم١ف٤. وقال أيضاً. فى أكثر جماعات المسيحيين كان يحفظ خمسة أعياد أى تذكار ميلاد المسيح وتذكار آلامه وموته لأجل خطايا البشر وتذكار قيامته وتذكـار صعـوده إلى السماء وتذكار حلول الروح على خادميه ك٢ قرن٤ قسم٢ف٤.

يظهر من هذا أن البروتستانت يشهدون بأن منشأ الأعياد قديم فى الكنيسة وبالتالى من عصر الرسل. على أنه ليست الكنيسة الجامعة فقط التى تمارس الأعياد وتحتفل بها بل إن الكنيسة الأسقفية تعتقد بها أيضاً وتحتفل كل سنة بنفس الأعياد التى تمارسها كنيستنا وعندها من الأعياد السيدية والخاصة بالشهداء ما ينوف عن ٣٣ عيداً: راجع مقدمة الصلوة العامة: وكذلك الكنيسة المشيخية تعترف بوجوب ممارسة الأعياد والاحتفال بها فقد قال مؤلف كتاب اللاهوت البروتستانتى «إن بعض الكنائس الإنجيلية «البروتستانتية» تعتبر بعض العوائد الكنائسية التى تسلمت منذ القديم فى الكنيسة المسيحية مما لا يضاد مطلقاً الكتاب المقدس كاعتبار عيد الفصح وعيد الميلاد وغيرهما باب ٥ف٣وجه٤٧. هذا وغيره كثير سيأتى بيانه بأكثر إيضاح فى الفصول الآتية.

«الغاية من الأعياد» إن غرض الله من رسم الأعياد والإحتفال بها هو (١) إحياء ذكرى نعمه وعجائبه خر١٢:١٤ (٢) تذكير الخلف باحسانات الله وعنايته بشعبه خر١٢:٢٢ ــ ٢٧، ١٣: ٨ و١٤ وتث٣٢:٧ ومز٤٤:١ (٣) جعلها واسطة فى حفظ شريعة الرب خر١٣: ٨ ــ ١٦.

وقد شهد البروتستانت بأن تلك الأعياد كانت لتأدية الشكر لله على ما نالوه من المراحم والآيات الطبيعية والسماوية واعترافاً بجوده ورحمته: كما كانت تذكاراً لغربتهم فى البرية كما ولعبادة الإله الحق ولتجديد وتقوية ربط الوحدة على خر٣٣ صفحة ٤٢٨ و٤٢٩.

هذا هو غرض الكنيسة من إقامة الأعياد فهى تحتفل بها تذكاراً لمنح الله وبركاته الإلهية التى أفاضها على كنيسته بغنى رحمته فى إبنه المحبوب الرب يسوع وتنبيها وعظة للمتأخرين بما جرى من الحوادث الخطيرة فى الأيام الغابرة مهما قدم عهدها وطال زمنها ـ ولولا الأعياد لإندثرت تلك الحوادث العجيبة التى تذكرنا دائماً نعم الله بنوع حسى يرسم فى الذهن صورة محبته. بل لأصبحت أثراً بعد عين لا يعرفها واحدا من المسيحيين ولا وصل خبرها للمتأخرين من المؤمنين جيلاً بعد جيل وفضلاً عن ذلك فإن الأعياد تبث روح الدين وتربى عاطفة التقوى وحب الفضيلة فى قلوب الصغار والكبار وتجعل شريعة الرب فى فمهم خر١٣: ٨ ـ ١٦ قال أحد الآباء قد وضعت الأعياد لغاية نبيلة معروفة ـ أى لكى يتمكن بها المؤمنون من عبادة الله وإكرامه وتذكر أسرار التجسد والفداء وأعمال وأولياءالله العظام وحياتهم اللامعة بالقداسة والورع فيجنوا من هذه العبادة وذاك التذكر أثماراً لذيذة تطيب بها قولبهم وتخشع نفوسهم ويشتد أزرهم بتأملهم صلاح الله ونبالة قديسيه وبسالتهم فى مصارعة الشهوات واستماتتهم فى طلب رضى البارى العزيز وإحتقارهم كل الدنيويات حباً به «رفيق العابد وجه٣٣٣». وقد شهد البروتستانت أيضاً بالغرض الذى ترمى إليه الكنيسة من هذه الأعياد فقد قال صاحب ريحانة النفوس «أن الأعياد التى كانت عند المسيحيين الاولين كانت تحفظ باعتبار واحترام عظيمين وكان المقصود بها إنتشار روح التقوى بواسطة مراجعة الحوادث والتعاليم العظيمة المدلول عليها بهذه الاعياد ولا ريب أنه قد حصل من ذلك منفعة فى تلك الاعصار الأولى وكذلك من عيد الميلاد قبل أن صار حفظه عمومياً وجه ١٨ و١٩ فكأن الأعياد تاريخ فعلى منظور محسوس ناطق يساعد التاريخ المكتوب المطوى فى سطور الكتب المجهول من العامه وقليل العلم من بنى الإنسان بل هو

تاريخ يقرأه الجهلاء والعامة بمايرونه ممثلاً أمامهم فى تلك الحفلات المقدسة التى تقام فى أوقاتها المعينة من كل عام. ولا تظن واحداً من العقلاء أو الجهلاء من المؤمنين ينكر فائدة هذه الأعياد ما دام الرب أمر بها وباركها والرسل مارسوها ومادام هذا غرضها ومازالت ترمى إلى هذا القصد الشريف من التعليم وإحياء ذكرى تلك النعم والبركات التى هطلت من عند أبى الأنوار.

وإلى هنا نكتفى بهذا البيان الوجيز ونتقدم إلى ذكر الأعياد الموجودة فى الكنيسة فنقول: ـــ

إن هذه الأعياد نوعان. سيدية وهى الخاصة بالسيد المسيح وغير سيدية وهى الخاصة بالعذراء والرسل القديسين والشهداء ثم أن الاعياد السيدية ١٤ نصفها أعياد كبيرة والنصف الآخر أعياد صغيرة. وهى بحسب ترتيب زمن حدوثها[١] فالكبيرة هى:

(١) البشارة (٢) الميلاد (٣) الغطاس (٤) الشعانين (٥) القيامة (٦) الصعود (٧) العنصرة

والصغيرة هى:

(١) الختان (٢) دخول السيد الهيكل (٣) دخوله أرض مصر

(١) أما ترتيبها بحسب زمن ورودها فى السنة فهو كما يأتى مع اليوم الذى يحتفل فيه بها (١) الميلاد ٢٩ كيهك (٢) الختان ٦ طوبة (٣) الغطاس ١١ منه (٤) عرس قانا الجليل ١٢ منه (٥) دخول السيد الهيكل ٨ أمشير (٦) البشارة ٢٩ برمهات (٧) الشعانين الأحد السابع من الصوم (٨) خميس العهد اليوم الخامس بعد الشعانين (٩) القيامة الثامن بعد الشعانين (١٠) أحد توما ثامن القيامة (١١) الصعود ٤٠ بعد القيامة (١٢) العنصرة ٥٠ القيامة (١٣) دخول السيد أرض مصر ٢٤ بشنس (١٤) التجلى ١٣ مسرى.

(٤) حضوره فى عرس قانا الجليل (٥) التجلى (٦) خميس العهد (٧) أحد توما. ولنبدأ أولاً بالكلام عن الأعياد الكبيرة.



الفصل الأول

«عيد القيامة»

إن النهار إذا قيس بالليل ظهر بينهما فرق عظيم وبون شاسع وإذا كان كل يوم يبعث فى قلوبنا فرحاً بسر من الأسرار فعيد القيامة يبشرنا بكمال جميع الأسرار وتمامها. وأى يوم مثل هذا اليوم أسراره.

المقدسة بنسبة دقائقه. عيد باهر فيه أشرقت أنوار القيامة وسطعت على جميع شعب الله وجلت بأشعتها دجى الظلمات. فيه سحق يسوع رأس الحية وحطم متاريس الجحيم وقام منتصراً على الهاوية ناقضاً أوجاع الموت اع٢ :٢٤ فلا شوكة للموت ولا غلبة للهاوية اكو١٥ :٥٦ به كان فرح السمائيين والأرضيين وتهليل نفوس الآباء والأنبياء والصديقين وإتمام أمانيهم راجع اش٦٠ و٦١ و٦٢ ومز ١١٨ :٢٤ ولهذا يدعوه آباء الكنيسة بأسماء تدل على سمو منزلته فالذهبى فمه يدعوه إكليل الأعياد وأعظمها ويوم الرب العظيم، والقديس اغريغوريوس النزينزى يسميه ملك الأعياد وعيد الأعياد خطبة ١٩ والقديس يوستينوس بعيد الفصح المجيد لأن خروف الفصح اليهودى كان رمزاً إلى المسيح فصحنا أيضاً الذى ذبح لأجلنا اكو٥ :٧ وفى مقدمة هؤلاء يدعوه النبى اليوم الذى صنعه الرب وفيه يجب أن نسر ونفرح مز١١٨ :٢٤ فلا بدع أن كان عيد القيامة يفوق سائر الأعياد ويسمو عليها كما تفوق الشمس سائر

النجوم كيف لا هو تأكيد وتحقيق لإيماننا وعربون لقيامتنا ١كو١٥ :١٤ الخ...

ولا يخفى أن الفصح بالسريانية معناه السرور والابتهاج وقد كان عيد الفصح ولا يزال فى الكنيسة عيد الفرح والبهجة والمسرة وقال صاحب تاريخ الانشقاق «لعيد الفصح المقدس المنزلة الأولى فى أعياد المسيحيين من الأزمنة الرسولية عينها بحسب شهادات الرسول برنابا ق١٥ وأغناتيوس للمنفيسيين ف٩ ويوستينوس احتجاج ١ :٦٧ وبلينوس رسالة ١ :٩٧ وغيرهم. ولم يكن يعيد الفصح لتذكار قيامة الرب مرة فى السنة فقط بل كان يعيد ذلك التذكار الخلاصى كل أحد فكان يوم الأحد يعيد أيضاً من جميع المسيحين يوم فرح وبهجة بالصلوة وقوفاً وبلا صوم. ترتليانوس فى الإكليل ١ :٣ وايريناوس وغيرهما غير أن عيد الفصح كانت له شعائر خصوصية فى قلوب المؤمنين جزء١ وجه٣١.

تحتفل الكنيسة بهذا العيد تذكاراً لقيامة الرب من بين الأموات بمجد عظيم لأجل تبريرنا رو٤ :٢٥ محرضة بنيها على شكر الله الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلنا ١بط١ :٣ر٤

ويرجع وضع هذا العيد فى الكنيسة إلى الرسل أنفسهم بدليل أمر الرسول للمؤمنين بقوله. أن فصحنا أيضاً المسيح ذبح لأجلنا إذاً لنعيد بفطير الإخصلاص والحق ١كو٥ :٧و٨ والكنيسة تمارسه وتحتفل به من العصر الرسولى بدليل.

أولاً: ما جاء فى أوامر وقوانين الرسل وهو يجب عليكم يا أخوتنا الذين اشتريتم بالدم الكريم دم المسيح أن تعملوا يوم الفصح بكل إستقصاء واهتمام عظيم من بعد طعام الفطير «بعد عيد اليهود». ولا تصنعوا عيد قيامة ربنا

ومخلصنا يسوع المسيحإلا فى يوم الأحد لا غير وأنتم مسرورن بأن يسوع قام من الموتى وهو عربون لقيامتنا ويكون لكم هذا ناموساً أبدياً إلى أن يأتى الرب الخ دسق٣١ المجموع الصفوى ب١٩ وجه١٩٨ وجاء فى ق٧ للرسل ما نصه «كل أسقف أو قس أو شماس يعيد الفصح مع اليهود الخ.»

ثانياً: من أقوال آباء وعلماء الكنيسة فى الأجيال الأولى وقد مر ذكر شهاداتهم ونزيد عليها شهادة أوريجانوس إذ قال أن عيد القيامة كان محفوظاً فى الكنيسة ويحتفل به كغيره من الأعياد ضد ملتيوس ك٨ صحيفة ٣٩٢ والذهبى فمه يقول: إن القيامة لسر محقق وعيدها أعظم الأعياد لنكرمه بأعمال صالحة ترضى الله.

ثالثاً: من أقوال البروتستانت وقد مر ذكر بعضها ونزيد عليها هنا ما قال صاحب كتاب ريحانة النفوس عن هذا العيد وهو بنفسه «وبسبب الفوائد العظيمة التى حصلت للجنس البشرى بموت المسيح كانوا فى هذا العيد يظهرون كل نوع من الفرح ويمتنعون فيه عن الصوم وعن جميع علامات الحزن وكانوا يصرفون هذا اليوم بالمسرات الروحية وعلى هذا المنوال كانوا يحفظون عيد العنصرة» صحيفة١٥. وفى وجه١٣ قال وقد جمعنا هذين العيدين «القيامة والعنصرة» لأن الظاهر أن إبتداءهما كان فى زمن واحد فالأول منهما كان تذكاراً لموت المسيح وقيامته والثانى لحلول الروح القدس على التلاميذ وبيان أنهما حفظاً قديماً جداً حتى أنه يوجد برهان على أنهما كانا فى الجيل الأول وربما فى أيام الرسل وقال أيضاً «أن المسيحيين الأولين كانوا يعيدون عيد الفصح بإحتفال عظيم بسبب إعتبارهم الكلى لقيامة المسيح فقد كانت القيامة حسب

رأيهم وحسب تعليم بولس أيضاً بمنزلة حجر الزاوية فى الديانة المسيحية المقدسة لأن إيمانهم ورجاءهم كانا مؤسسين على صحة هذا الحادث وبه ظهر المسيح منتصراً على الموت والجحيم والشيطان وجميع جنود الظلمة وبه أيضاً تم عمل الفداء العظيم حتى اغريغوريوس النزينزى يسميه ملك الأعياد وعيد الأعياد وفم الذهب يدعوه إكليل الأعياد وأعظم جميع الأعياد ويوم الرب العظيم إلى أن قال. وبما أن المسيح هو المرموز إليه بواسطة خروف الفصح الذى كان يذبح ويؤكل فى فصح اليهود كان موافقاً للطبيعة أن موت المسيح الذى كما يقول الرسول لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا «يحفظ له عيد عوض الفصح وجه١٤» وجاء فى كتاب تاريخ الانكليز المطبوع فى مالطة أن الأعياد التى كانوا يمارسونها هى الفصح والعنصرة والتجلى والميلاد ف٥ ق١عد٥

ثبت مما تقدم جميعه إن الكنيسة الجامعة كانت ولا تزال تمارس الاحتفال لهذا العيد السنوى من أول نشأتها. ومما يجب ملاحظته أن القوانين الرسولية أمرت:

أولاً: أن يحتفل بهذا العيد المجيد يوم الأحد لا غير.

ثانياً: أن يكون العيد فى الأحد الذى بعد فصح اليهود لا معهم ولا قبلهم دسق٣١ المجموع الصفوى وجه١٩٨. والقانون السابع الرسولى يحكم بفرز وقطع من يعيد الفصح مع اليهود قبل إستواء الليل والنهار الربيعى وقد يتأخر العيد عن فصح اليهود أسبوعاً واحداً أو إثنين تبعاً للقاعدة الحسابية المتبعة فى تعيين الصوم الأربعينى واليوم الذى يقع فيه العيد.

ثالثاً: إن الكنيسة تحتفل بهذا العيد ليلاً منذ القديم وتنتهى من القداس بعد

منتصف الليل مراعاة للوقت الذى قام فيه المسيح لأنه قام باكراً والظلام باق يو٢٠ :١ وطبقاً لهذا أمرت الرسل بالاحتفال به ليلاً حتى تنتهى الكنيسة من الإحتفال وإقامة الشعائر الدينية فى الوقت المناسب والموافق لقيامة المسيح عند صياح الديك دسق١٨ والمجموع الصفوى وجه ١٩٧ . ومعلوم أن صياح الديك يكون فى الفجر باكراً والظلام باق وبعبارة أخرى يكون فى نهاية الهزيع أو الهجعة الثالثة من الليل باعتبار تقسيم اليهود الليل إلى أربع هجعات راجع مز١٣ :٣٥ ولو١٢ : ٣٨ .

إن الكنيسة الغربية كانت متفقة معنا على إعتماد الحساب الابقطى فهى تعيد الفصح واستمرت هكذا حتى قام اغريغوريوس ١٣ بابا رومية وأدخل الإصلاح الغوريغورى فى حساب السنة ١٥٨٢ ومن هذا التاريخ إنقسمت الكنيسة فى التعييد إلى قسمين

(١) الشرقيون ويعيدون معنا على حسابنا الأصلى «الذى عينه مجمع نيقية»

(٢) الغربيون ويعيدون على حسابهم الجديد المسمى بالحساب الأفرنكى وعيدهم يتقدم غالباً عن الشرقيين أسبوعاً أو أكثر ذلك أنهم لما أصلحوا سنتهم بأن اسقطوا من الحساب بعض أيام وهى من الجيل ٢٠ هذا و٢١ صارت ١٣ يوماً سبقت شهور الروم كما فى كتاب مرشد الطالبين وجه٥٧٥ وكما ورد فى الحق ١برمهات سنة ٦١٦ للشهداء عملوا لهم قاعدة حساب جديدة للعيد أيضاً فبسبب الأيام التى سبقت شهور الروم ثم بسبب القاعدة الجديدة التى لهم صار عيدهم يسبق عيد غيرهم أسبوعاً أو أكثر إلى خمسة أسابيع وأحياناً يكون مع فصح اليهود مع إن القوانين نهت عن ذلك كما رأيت «راجع الحق سنة

١٢) واذ تقرر ذلك بقى علينا أن نشرح بعض الطقوس التى تمارسها الكنيسة فى ليلة عيد القيامة وما تشير اليه من المعانى الروحية فنقول:

أولا: أن الكنيسة لا تصلى المزامير ليلة عيد القيامة قبل تقديم الحمل كالمعتاد وذلك.

(١) لأنها رتبت ساعات معينة وخصصت لكل منها مزامير معينة أيضاً للصلوة بها (راجع الجزء الأول وجه١٢٨ ــ ١٤٠) والوقت الذى يحتفل فيه بقداس العيد ليس له مزامير خاصة به وبما أنها تسير فى عبادتها حسب النظام الرسولى فهى تؤدى صلواتها فى أوقاتها المعينة.

(٢) لأنها كما تسلمت من الرسل تحتفل بالقداس فى الآحاد نهاراً نحو الساعة ال٣ التى حل فيها الروح القدس على التلاميذ يوم الخمسين أع٢:١١ و١٢ وفى الأعياد الكبيرة الثلاثة ليلاً وبما أن الإحتفال بالعيد يكون ليلاً لم يكن مناسباً ولا ملائماً للنظام أن تصلى فى هذا الوقت المزامير الخاصة بالساعتين ال٣ وال٦ اللتين تصليهما عادة نهاراً قبل القداس.

(٣) لأنها تحتفل فى هذا العيد بقيامة فاديها وهى ترتل أناشيد المجد وترانيم البهجة فهى فى مقام فرح وتهليل والمزامير كما لا يخفى تحوى كثيراً من النبوات والرموز والعبارات التى لا تلائم روح العيد ولذا رأت الكنيسة أن تترك إستعمال المزامير لأوقاتها الخاصة بها واكتفت منها بما ينبىء ويشير إلى قيامة الرب كالمزامير ٢٤ : ٨، ٧٨ :٦٥، ١١٨ :٢٢ ــ ٢٥

ثانياً: إن الكنيسة تغلق أبواب الهيكل قبل عمل تذكار القيامة وذلك إشارة إلى غلق أبواب الفردوس بواسطة آدم كما أن فتحه يذكرنا بفتحه بواسطة المسيح وزوال العداوة التى تسببت لآدم وذريته بغواية أبليس وإتمام الصلح بين الله

والإنسان كما فى قوله للص اليوم تكون معى فى الفردوس لو٢٣ :٤٣ وفيه تعليم روحى لكل مؤمن أن يقترب من الله لأن قدس الأقداس السموى قد فتح عب٩ :١٢ و٢٤، ١٠ :١٩

ثالثاً: بعد غلق الأبواب ترتل الكنيسة بلسان الكاهن «أو رئيس الكهنة» من الداخل بصوت جهور «المسيح قد قام» فيجاوبه كاهن آخر من الخارج «حقا قام». وذلك إشارة إلى إذاعة بشرى القيامة بواسطة الملاك للنسوة اللآتى لما ذهبن إلى القبر ليطيبن جسد المخلص وسألن الملاك عنه جاوبهن قائلاً قد قام مر١٦ :٦ ولو٢٤ :٦

ثم بعد ذلك يتلى مز٢٤ :٧ الخ فيهتف الكاهن من الخارج أرفعوا أيها الملوك أبوابكم فيجاوب الآخر من الداخل وأرتفعن أيتها الأبواب الدهريات، ويبقى الحال على هذا بين الكاهنين أحدهما يسأل والآخر يجاوب إلى أن تنتهى هذه النبوة ويفتح على أثرها باب الهيكل وذلك على ما قال أحد العلماء هو أن رئيس الكهنة رسم للمسيح والهيكل رسم للسماء وهذه الترنيمة النبوية هى التى أنشدتها الملائكة عند صعود المسيح وذلك أن الملائكة التى نزلت لخدمة الرب صرخت إلى الرؤساء العلويين للتهيؤ والإستعداد لإستقبال الرب. وقد أجاب بعضهم على ذلك أيضاً بقوله «إن النبى ضمن نبوته هذه جهاد المسيح فى الصليب ومكافحته الخطية بالآلام وإنتصاره على الموت بموته الإختيارى وفوزه بالغلبة والظفر والفوز بالقيامة المجيدة وقد أقامه النبى مقام ملك ذهب لإخضاع ولاية شقت عصا الطاعة عليه فحارب الرجال وكافح الأبطال واقتحم الأخطار وهزم الأعداء شر هزيمة وعاد ورايات النصر تخفق أمامه فجاءت البشائر وعلت أصوات الفرح ونودى فى عاصمة مملكته لتستعد لإستقباله والإحتفال بقدومه الأمراء والعظماء وجميع أركان المملكة وتزين البلاط

الملوكى وتهيئ الطرق وجميع الأماكن المزمع أن يمر فيها هذا الملك إجلالاً وإكراماً فشاعت الأخبار وانتشرت فى أنحاء المدينة وأخذ الذين يجهلون عظمة هذا الفاتح وقوته يسألون الذين يعرفونه حق المعرفة وقد حضروا له مواقع كثيرة ورأوا بطشه وشدة بأسه فأخبروهم عن حروبه الكثيرة ونصراته السعيدة وما زالوا فى قيام وقعود وفرح ومرح حتى دخل الملك بموكبه العظيم وتبوأ عرشه فكان هذا المثال يطابق كل المطابقة لصفات آلام الرب وموته وقيامته إذ جاهد وغلب وحارب وإنتصر على قوات الجحيم ففرحت بذلك الجنود السماوية ومصاف الرسل الحواريين عرفوا مقداره وسمو منزلته وعظمة مقامه وجليل أعماله فوجب أن يقابل بهذا النشيد وقت القيامة لأنه يتضمن الأمجاد والكرامات التى نالها من الأرض والسماء لما إنتصر على الأعداء وغلب الموت والشيطان والخطية والعالم إذ إبتهجت الرسل وتهللت الملائكة وبدأ هؤلاء يبشر بعضهم بعضاً بهذا النصر العظيم ويحث كل منهم الآخر على الإستعداد والتأهب لملاقاته وإستقباله بما يليق لجلاله من الإكرام حين صعوده السماء وتبوئه أريكة مجده الأبدية.

رابعاً: أما الطواف بالأيقونة ليلة عيد القيامة فهو إشارة إلى ظهور الرب لتلاميذه وللنسوة بعد قيامته فى اليوم ذاته ولكثيرين من التلاميذ ولاكثر من ٥٠٠ أخ راجع مت٢٨ :١٧ ومر١٦ :١٤ ولو٢٤ :٣٤ و٣٦ ويو٢٠ :١٩ و٢٦ وأع١ :٣ و١كو١٥ :٥ و٦ ثم أن الكنيسة تجرى هذا الطواف من أول الخمسين إلى يوم الصعود وهى تتلو الأناشيد الكنسية والأغانى الروحية بصوت الفرح وآلات الحمد والتسبيح. وذلك إشارة إلى تردد الرب على تلاميذه بعد قيامته «إذ أراهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة بعد ما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله أع١ :٣ أما إبطاله من بعد عيد الصعود

فهو لتذكير المومنين وتعليم الجاهلين أن الرب يسوع صعد إلى السماء بعد الأربعين من قيامته لو٢٤ :٥١ وأع١ :٩

وأما غرض الكنيسة من الطواف بالأيقونة بالتراتيل وبصوت التهليل فهو لإعلان فرحنا وإظهار إبتهاجا بقيامة الرب بصورة فعلية تحرك قلوب المؤمنين على حمد الرب وتمجيده. ثم إشارة إلى قوله لتلاميذه. سأراكم وتفرح قلوبكم. ولا أحد ينزع فرحكم منكم. أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح يو١٦ :٢٠ ـــ ٢١ وهكذا صار. فإن التلاميذ لما رأوا الرب فرحوا يو٢٠ :٢٠



الفصل الثاني

«عيد الميلاد»

هو العيد السيدى العظيم مبدأ الأسرار الإلهية وينبوع النعم والبركات الخلاصية عيد ميلاد الكلمة الأزلى، الذى طربت له السموات وابتهجت الأرض إذ فيه تبدلت وحشة العدل بأنس الرحمة ونسخ نور النعمة ظلام الناموس وتمت النبوات وأنجزت المواعيد الإلهية، وتجلت الحقائق الروحية، تمحو بسناها الظلال الطقسية وفيه أعلنت محبة الله للإنسان فاطمأن جميع المنتظرين تعزية إسرائيل لو٢ :٢٥ وفيه ساوت الأرض السماء وشاركت السماء الأرض فسبحت الله الجنود العلوية هاتفة «المجد لله فى العلاء وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة» لو٢ :١٤. يوم عجيب سماء الوحى ملء الزمان إذ أرسل الله إبنه مولوداً من إمرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى غل٤ :٤ و٥

رتبت الكنيسة الإحتفال بهذا العيد للنعم التى هطلت فيه من عند أبى الأنوار ولتذكر بنيها بمحبة الله وتنازل إبنه الوحيد لخلاصهم مت١ :٢١ وأول من قدّس هذا العيد وإحتفل به هم الملائكة فى السماء الذين زفوا للعالم بشرى الفرح العام بولادة المخلص المسيح الرب لو٢ :١٠ واحتفال الملائكة بهذا العيد وفرحهم به كان تنفيذاً لأمر الله الذى سُر به أيضاً. وهذا يدلنا على فضله وإمتيازه عن بقية الأعياد وقد صار حقاً على الكنيسة المنشدة به أن تشارك الملائكة فى الفرح والإحتفال لكى تستحق أن تشترك معهم فى الأفراح السموية ممجدة الله الذى افتقد شعبه وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه ليضىء، على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت لو١ : ٦٨ و٦٩ ــ ٧٩

هذا وقد تسلمت الكنيسة حفظه والاحتفال به من الرسل أنفسهم بدليل ما جاء فى أوامرهم «يا أخوتنا تحفظوا فى أيام الأعياد التى منها عيد ميلاد الرب وكملوه فى اليوم ال٢٥ من الشهر ال٩ للعبرانيين الموافق ٢٩ من الشهر الرابع للمصريين. ولا تشتغلوا فى يوم ميلاد المسيح لأن النعمة أعطيت للبشر فى ذلك اليوم» المجموع الصفوى ب١٩ وجه١٩٧ و١٩٩.

وتدل أقوال الآباء وشهادات الطوائف الأخرى على أنه كان ولا يزال محفوظاً فى الكنيسة منذ الأزمنة الرسولية فالقديس باسيليوس يتكلم عن تقديسه وحفظه ق٣٠ راجع المجموع وجه١٩٨ والذهبى فمه يتكلم عن وجوده فى الكنيسة ويعدد فوائد الإحتفال به وإن لم يرتب بصفة رسمية فى كرسيه إلا فى أيامه بقوله «أنه وأن كانت لم تنقض السنة العاشرة منذ ظهر هذا اليوم وصار معروفاً عندنا فهو قد عُرف فوق للساكنين فى الغرب ونُقل إلينا قبل سنوات كثيرة ومع ذلك تعاظم بسرعة وأتى بأثمار يانعة وغزيرة بمقدار ما ترى الآن الكنائس ملآنة تكاد تضيق بجماهير المحتشدين. عظة ٢١ على الميلاد» أما

البروتستانت فهم يسلمون بوجوب تعييده راجع شهاداتهم السابقة وقال صاحب ريحانة النفوس أنه كان موجوداً فى الجيل الثالث إلى أن قال هذه الأعياد الأربعة. القيامة، والعنصرة، وجمعة الآلام، وعيد الميلاد. كانت موجودة فى الأربعة الأجيال الأولى وجه١٩ ـــ ٢٣ راجع أيضاً الصلوة العامة وجه ٥٣ و٥٤ وليس هذا فقط بل أن أهالى أمريكا وجرمانيا وانكلترا وألمانيا والدنمارك الذين معظمهم تابع للمذهب البروتستانتى يمارسونه سنوياً ويقيمون الاحتفالات الشائقة ويعطلون المصالح ويقفلون المدارس إجلالا له بل أن إحتفالاتنا لا تُذكر بجنب إحتفالاتهم الجامعة لكل مظاهر الإجلال والبهاء فيومه فى لندن مشهور كما أنه أمريكا من أتعب الأيام على رئيس الجمهورية لما يكابده فيه من عناء التشريفات ورد الزيارات حتى قيل ليس فى العالم ملك أو رئيس يفعل مثل ذلك الرئيس. عن مجلة الشرق والغرب عدد ١١٨ الصادر فى ١٠ يناير سنة ٩٠٧

على أنه إذا كانت شعوب الأرض ورؤساؤها يحتفلون بمولد ملوكهم سنوياً ويرون ذلك واجباً مقدساً أفلا يجب على المسيحيين أن يحتفلوا بميلاد من إحتفلت بمولده ملائكة السماء ـ ملك الملوك ورب الارباب ـ رؤ١٩ :١٦ واذ تقرر ذلك بقى علينا أن نلاحظ.

أولاً: أن الكنيسة ـ كما تسلمت من رؤسائها ـ تحتفل بإقامة تذكار هذا العيد، والغطاس أيضاً ليلا ذلك لأن ولادة المخلص كانت فى منتصف ليلة ٢٥ كانون الأول ـ ٢٩ كيهك وفى الكتاب إشارة إلى ذلك لو ٢ :٨ ـ ١٠ فمن قوله «وكان رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل وإذا ملاك الرب وقف بهم وبشرهم نستنتج أن ولادة المخلص كانت ليلا. وقد أيد ذلك القديس باسيليوس بقوله وأما يوم الميلاد والغطاس فإن آباء مجمع نيقية قرروا أن يتقرب فيهما

بالليل وذلك لا لكراهية الصوم بل لتمجيد العيد ق٣٠ راجع المجموع وجه ١٧٦ و١٩٨

ثانياً: إن الكنيسة تحتفل بهذا العيد فى ليلة ٢٩ كيهك من كل سنة وذلك لأنه اليوم الذى ولد فيه المخلص إلا أنه قد يقع العيد أحياناً فى ٢٨ منه وذلك فى السنة الكبيسة وهذا لأسباب أوضحها الآباء والعلماء وهى «أن البشارة بتجسد المخلص كانت فى ٢٩ برمهات وبما أن السنة الرابعة من الدرويكبس عليها يوم واحد ولا يصح إمتداد مدة إقامة سيدنا فى الحشاء عن ٩ شهور التى أقامها مدة الحمل به وأيضاً لا يمكن تغيير الختان عن ٦طوبة ولا دخول السيد الهيكل عن ٨ أمشير تحويل الميلاد عن ٢٩ كيهك كما اتفق سنة ميلاده لئلا يتغير الختان ودخوله الهيكل عن ميعادهما وإن بقى العيد فى يومه تزيد مدة إقامته فى الحشاء كميتها ولا يمكن إيطال يوم الكبيس لئلا تتحول السنين عن أوقاتها انتخبوا طريقة سياسية وهى أما أن يضموا يوم ٢٨ كيهك إلى ٢٩ منه ويجعلوهما يوماً واحداً وأما أن يعتبروا يوم ٢٨ بدل ٢٩ ويصير الأول هو ال٢٩ بذاته وبهذا الفن صارت السنين متساوية العدد واستمرت الروابط المتقدمة والمتأخرة فى مواعيدها المقررة. وقالوا إن السبب فى جواز التعييد فى ٢٨ بدل ٢٩ فى السنة الكبيسة هو أن ولادة المسيح كانت ما بين العشائين فمن ضم اليومين إلى بعضهما وإعتبرها يوماً واحداً يقول أن يوم ٢٨ يشبه بالمساء ويوم ٢٩ يشبه بالصباح والذى يقول أن ٢٨ حل محل ٢٩ يقول أننا عيدنا فى الميعاد عينه راجع الحق سنة ١٠ :٣١٧



الفصل الثالث

«عيد الظهور الإلهى «الغطاس»

تحتفل الكنيسة بهذا العيد سنوياً تذكاراً لعماد الرب ولظهور سر كان مكتوما منذ الدهور وأظهر بعماد المخلص هو سر الثالوث الأقدس الذى هو قاعدة إيماننا القويم وأساس الدين المسيحى المستقيم ذلك فإن الابن الكلمة ظهر فى الأردن متجسداً وتعمد فى الماء والروح القدس. ظهر بهيئة حمامة واستقر عليه وصوت الآب نادى من السماء: هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت مت٣ :١٧ . ولهذا يسمى بعيد الظهور الإلهى أى لظهور هذا السر العظيم فيه كما يسمى بالغطاس لأن الرب اقتبل فيه العماد بالتغطيس بالإجماع.

وقد أخذت الكنيسة الإحتفال به من الرسل أنفسهم بدليل ما جاء فى أوامرهم وهو بنصه: فليكن عندكم جليلاً عيد الظهر الذى هو الغطاس لأن الرب بدأ يظهر فيه لاهوته فى معموديته فى الأردن من يوحنا وأعملوه فى يوم ٦ من الشهر العاشر للعبرانيين ١١ من الشهر الخامس «طوبة» للمصريين دسق١٨ . ولا تشتغلوا في عيد الحميم لأن فيه ظهرت لاهوتية المسيح وشهد له للقيام ان هذا هو الله الحقيقى وإبن الله رسطب٦٦ . المجموع صحيفة ١٩٧ و١٩٨ وأقوال الآباء تؤيد ذلك فالذهبى فمه يقول «إن عيد الظهور الإلهى هو من الأعياد الأولية عندنا وقد تعين تذكاراً لظهور الإله على الأرض ومعاشرته للبشر. عظته العنصرة. راجع ١٥ على الظهور الإلهى» ومثله القديس اغريغوريوس الكبير فى مقالته على عيد الظهور وكذلك أوريجانوس والقديس أبيفانيوس راجع إتحاد الكنائس وجه٩٦

هذا ونلاحظ هنا مع أحد العلماء أن مسيحيي الشرق في الثلاثة أجيال الأولى كانوا يحتفلون بعيدى الميلاد والغطاس معاً تذكاراً لظهور سر التثليث ولكن لما تعين اليوم الذى ولد فيه المخلص وكذلك يوم عماده من مؤلفات اليهود التى جمعها تيطس الرومانى ونقلها من أورشليم إلى رومية جعلوهما عيدين يحتفلون بهما فى وقتين مختلفين ومن ثم نقلوا هذه الفريضة إلى الغرب بواسطة المواصلات التى كانت بين مدن آسيا الصغرى وبلاد فرنسا كما شهد كانيانوس راجع اتحاد الكنائس وجه ٩٦. وكان الغربيون ولا يزالون يقيمون فى هذا العيد سجود المجوس الذين بواسطتهم أعلن المسيح ذاته للأمم: عظات القديس أغسطينوس ٢٠٢ كما كان المسيحيون القدماء يعمدون الموعظين فى هذا العيد ولا يزال بعض المؤمنين يعمدون أولادهم فيه أيضاً.



الفصل الرابع

«عيد العنصرة»

هو عيد عظيم يحوى فى ذاته أسراراً عظيمة من العهدين وقد كان من أعياد الإسرائيليين الثلاثة الكبيرة «الفصح والحصاد[1] والمظال» خر٢٣ :١٤ــ١٧ وسمى عندهم عيد الجمع خر ٣٤ :٢٢ راجع لا٢٣ :٣٤ صنع تذكاراً لقبول موسى الشريعة التى وضعت أساساً لسياسة الشعب الدينية والمدنية عند مدخل

(١) سمى عيد الأسابيع خر ٣٤ :٢٢ وسمى فى العهد الجديد يوم الخمسين أع٢ :١، ٢٠ : ١٦ و١كو١٦ :٨ وهو آخر سبعة أسابيع بعد اليوم الأول من أيام الفطير خر ٢٣ :١٦ راجع لا ٢٣ :٢٥

رض الميعاد وتخلص من العبودية وكانوا يكرسون هذا التذكار شاكرين الله لإنتهاء الحصاد الذى يبتدىء فى جمع أبكار غلات الحقل خر٢٣ :١٦ ولا٢٣ :١٠ و١١ وفيه كانوا يقربون فى الهيكل التقدمات العديدة عن الخطية بخبز ترديد ٢٣ :١٧ و٢٠ كما أنهم كانوا يعيدونه بفرح عظيم إذ كان يذهب للإحتفال به فى أورشليم اليهود المتشتتون فى جميع أقطار الأرض أع٢ :٥

كان هذا العيد فى العهد القديم رمزاً لما صنعه السيد للجنس البشرى والكنيسة تحتفل به تذكاراً لتلك الأعجوبة العظيمة التى قدست العالم وفتحت طريق الإيمان وقدست الرسل بنوع خاص وهى حلول الروح القدس على جمهور التلاميذ بشبه ألسنة ناريه منقسمة كأنها من نار إستقرت على كل واحد منهم بينما كانوا مجتمعين للصلوة بنفس واحدة فى العلية فى يوم الخمسين أع٢ :١ ـ ٤

إن أصل وضع هذا العيد فى الكنيسة يرجع إلى الرسل أنفسهم وتدل شهادات الكتاب، واقوال الآباء والتاريخ على ان الرسل وضعوه واختلفوا به كما سترى:

أولاً : إن الرسول بولس بعد أن مكث فى أفسس أياما ودّع المؤمنين وأسرع بالذهاب إلى أورشليم قائلا لهم على كل حال ينبغى أن أعمل للعيد القادم فى أورشليم أع١٨ :٢١ وكاتب الأعمال قال: أنهم لما جاءوا إلى ميليتس عزم بولس أن يتجاوز إلى أفسس فى البحر لئلا يعرض له أن يصرف وقتاً فى أسيا لأنه كان يسرع حتى إذا أمكنه يكون فى أورشليم فى يوم الخمسين أع ٢ :١٦ ثم أنه لما كان فى آسيا وعد مؤمنى كورنثوس بالحضور عندهم بعد أن يعيد عيد العنصرة فى أفسس ١ كو١٦ :٧ و٨

ثانياً: قد أمرت الرسل بالاحتفال به كما يتضح من أقوالهم وهى «ومن بعد عشرة أيام بعد الصعود فليكن لكم عيد عظيم لأنه فى هذا اليوم فى الساعة الثالثة أرسل إلينا ربنا يسوع المسيح البار قليط[1] الروح المعزى وامتلأنا من موهبته وكلمنا بألسن ولغات جديدة كما كان يحركنا وقد بشرنا اليهود والأمم بأن المسيح هو الله. دسق٢١. ولا تشتغلوا يوم الخمسين لأن فيه حل الروح القدس على المؤمنين بالمسيح» رسطب ٦٦م١٩٩

ثالثاً: أما أقوال الآباء والتاريخ فهى تثبت أنه تسليم رسولى فاريجانوس قال أنه مُسلّم من الرسل أنفسهم ضد مليتوس ك٨ وجه ٣٩. ويوستينوس الشهيد راجع تاريخ أوسابيوس ك٤ ف٥ وأغريغوريوس فى مقالته على العنصرة. وعليه أجمعت سائر الكنائس الرسولية فى العالم. والبروتستانت أيضاً يشهدون بما قلناه كما اتضح من أقوالهم التى ذكرناها فى الفصل الأول ونزيد عليها هنا ما قاله صاحب ريحانة النفوس وهو «بما أن تأسيس الكنيسة المسيحية يحسب، ابتداؤه الحقيقى من وقت أن فاض الروح القدس وآمن به ٣ آلاف نفس فى يوم واحد يستحق هذا الحادث العظيم أن يذكر عوض القصد الأصلى الذى رتب لأجله عيد الفصح اليهودى صحيفة ١٤ و١٥ إلى أن قال وقد جمعنا هذين العيدين» القيامة والعنصرة» لأنهما رتبا فى زمن واحد فى القرن الأول صحيفة ١٥ وكذلك الكنيسة الأسقفية راجع الصلوة العامة و١٠٠٠



(١) هى لفظة يونانية أصلها بارا كليطون ومعناها المعزى يو ١٦ :٢٦

الفصل الخامس

«عيد الصعود»

هذا اليوم مجد بقية الأعياد وشرفها كما يقول الآباء لأن فيه صعد الرب إلى السماء بعد أن أتم عمل الفداء وأكمل كل التدبير الخلاصى من بعد أربعين يوماً من قيامته لو٢٤ :٥١ وأع١ :١ ـــ ١١ وتحتفل به الكنيسة تذكاراً لصعود الرب.

أولاً: تمثلا بالملائكة التى فرحت به واستعدت لإستقباله إستعداداً لائقاً بمقامه العظيم وجلاله المرهوب وأخذت كل منها تبشر الأخرى بقدومه راجع مز٢٤ :٧ الخ

ثانياً: تنفيذاً لنبوة داود التى بها دعا جميع الأمم للترنم لإسمه والاحتفال بذكرى صعوده بفرح وابتهاج مز ٤٧ : ٨

ثالثاً: طبقاً لما جاء فى أوامر الرسل وهو «من أول يوم من الجمعة الأولى أحصوا أربعين يوما إلى خامس السبوت«أى يوم الخميس» ثم إصنعوا عيد صعود الرب الذى أكمل فيه كل التدبيرات وكل الرتب وصعد إلى الله الآب الذى أرسله وجلس عن يمين القوة. دسق٣١ ولا تشتغلوا فى يوم الصعود لأن تدبير المسيح أكمل فيه المجموع الصفوى ١٩٨، ١٩٩

أما أقوال الآباء فتدل على سمو منزلته فى الكنيسة منذ القديم فالقديس كبريانوس يقول «ما من لسان بشر ولا ملائكى يستطيع أن يصف بحسب الواجب عظم الإحتفال والإكرام الذى صار الإله المتجسد بصعوده فى هذا اليوم لأنه لا يوصف ولا يدرك» والقديس أبيفانيوس يقول أن هذا اليوم هو مجد بقية

الأعياد وشرفها لأنه يتضح أن الرب أكمل فى هذا العيد عمل الراعى العظيم الذى أخبرنا عنه لو١٥ :٤ ــ ٧ والذهبى فمه يقول إن داود النبى تنبأ عن هذا الصعود الـذى رافقته مواكب رؤساء الملائكة بتسابيح وضياء ساطع ومجد عظيم لا يوصــف وحينئذ هتف الروح القدس آمراً للقوات العلوية «إرفعوا أيها الرؤساء أبوابكم»

وغرض الكنيسة من الاحتفال بهذا العيد ظاهر فإنها تقصد:

(١) تحريض بنيها على شكر وتمجيد الرب الذى أنهض طبيعتنا الساقطة وأصعدنا وأجلسنا معه فى السماويات أف٢ :٦

(٢) تعليمـهم بأن الذى إنحدر لأجل خلاصنا هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السموات لكى يملأ الكل أف٤ :٩ و١٠ فيجب أن يفرحوا لأن الرب ملك على الأمم. الله جلس على كرسى مجده مز٤٧ : ٨

(٣) تفهيمـهم أن يسوع هذا الذى إرتفع عنكم إلى السماء سيأتى هكذا أع١ :١١ للدينونة مت١٦ :٢٧



الفصل السادس

«عيد البشارة»

كان العالم قبل مجىء الرب سالكاً فى الظلمة جالساً فى أرض ظلال الموت اش ٩ :٢ ولو١ : ٧٨. وطالما اشتـهت الآباء والأنبياء أن يروا الرب متجسدا لو١٠ :٢٤ ولكن لما جاء ملء الزمان غلا ٤ :٤ أرسل الله ملاكه إلى العذراء

حاملا إليها بشرى تجسد إبنه الوحيد من أحشائها النقية لو١ :٢٦ فانتعشت القلوب وإطمأنت النفوس لأن إعلان مجيء الرب أفضل البشائر وأكثرها نفعاً وفائدة للجنس البشرى أجمع وأبهى الأخبار السارة وأجملها وقعا على القلوب الظمآنة والنفوس البائسة بل هى البشرى التى لم يسبق لها نظير ولن يكون لها مثيل على الأرض مرة ثانية.

لا يخفى أن الكنيسة هى القطيع الصغير الوحيد بين كل قطعان العالم بأسره الذى انتفع وأسرع بقبول تلك النعمة للبشر بها ولذلك كان من الواجب عليها أن تحتفل كل عام بذكرى هذه البشرى المفرحة تمجيداً للرب وإكراماً لتنازله وإعلان بشرى خلاصنا بواسطة ملاكه: وقد رتبت الكنيسة الإحتفال بهذا العيد.

أولا: تنفيذاً لصوت الوحى بلسان النبى أشعياء ٤٠:١٠ و١١، ٥٢:١، ٦٠:١

ثانياً: لأن هذه البشارة كانت قائمة الخلاص لأن عقب البشارة الولادة وعقب الولادة الكرازة وعقب الكرازة الفداء وبالفداء خلاص الجنس البشرى.

ثالثاً: تمثلاً بالعذراء التى لما زفّت إليها تلك البشرى الخلاصية وأذعنت لقبول السر الأعظم تهللت بالرب ومجدت الله قائلة. تعظم نفسى الرب. وتبتهج روحى بالله مخلصى لو١ :٤٦ و٤٧ فهى بذلك أعطت نموذجاً لشعب الله ليحذو حذوها. وإذا كنا نرى الآباء فرحوا وتهللوا بمجرد إعلان ذلك بالنبوة يو٨ :٥٦، ١٢ :٤١ والعذراء فرحت واستبشرت فكيف لا تفرح الكنيسة والمسيح لم يولد إلا لأجل خلاصها! وكيف لا يفرح السجين المحكوم عليه بالإعدام وقد بشر بمجيء ابن الملك ليخرجه من السجن ويخلص نفسه من الموت بموته

فداء عنه! ألا يكون ذلك اليوم لديه من أعظم الأيام ويجعله تاريخاً وتذكاراً يترنم بذكراه على مر الدهور والأيام؟

قال أحد الآباء بالحقيقة إن هذا اليوم هو بدء خلاصنا لأن فيه تجسد كلمة الله فى أحشاء العذراء الطاهرة إذ بشرها جبرائيل قائلا: ها أنت تحبلين وتلدين إبناً وتدعين إسمه يسوع إلخ. فنحن إذاً اليوم نعيد لورود عمانوئيل الذى يخلص الطبيعة البشرية ويرفعها إلى الرتبة السامية التى خسرتها بآدم. نعيد لننال طبيعتنا باتحادها بأقنوم الكلمة الأزلى فيا لها من نعمة لا يحيط بها وصف ولا يدرك سموها عقل بشرى.

على أن الكنيسة قد تسلمت الاحتفال به من الرسل أنفسهم فقد جاء فى أوامرهم ما نصه. وأول الأعياد السيدية عيد البشارة من الله سبحانه على لسان جبرائيل الملك للسيدة مريم البتول والدة المخلص فى ٢٩ برمهات دسق ٣١ المجموع وجه ١٩٧ وعليه الإجماع وقد شهد البروتستانت أنه كان فى الكنيسة فى القرن الأول الذى فيه صار عمومياً راجع ريحانة النفوس وجه ١٥ و٤٠، ٤١ . وإذ قد تقرر ذلك فلنلاحظ هنا إن الكنيسة:

أولاً: عينت يوم ٢٩ برمهات للإحتفال به وهو اليوم الذى اتفق فيه إعلان البشرى.

ثانياً: قررت الإحتفال به دائماً فى الصوم الكبير وذلك حسب القاعدة الحسابية التى لا يمكن إحداث أقل تغيير وتبديل فيها نظرا لمدة الحمل وهى ٩شهور فإننا لو حسبنا المدة من ٢٩ برمهات التى هى بدء الحمل به إلى يوم ميلاده المجيد لوجدناها ٩شهور تماماً.

ثالثاً: منعت الاحتفال به إذا جاء فى جمعة البسخة لإحتفالها بتذكار الآلام.

رابعاً: نهت عن أكل الزهومات وغيرها فيه وإن يكن عيدا سيديا إلا أنه داخل ضمن أيام الصوم المقدس التى لا يجب الفطر فيها كما لا يجوز الفطر فى يومى السبت والأحد لأنهما داخلان فيه دلالة على إحترامنا له وزهدنا فيه.



الفصل السابع

«عيد الشعانين»

شعانين كلمة عبرانية من. هوشعنا. معناها يارب خلّص مت٢١ :٩ ومنها أُخذت لفظة أوصنا اليونانية مت٢١ :٩ التى ترتلها الكنيسة فى هذا العيد وهو يأتى قبل الفصح بأسبوع وهو الأحد الأخير من الصوم واليوم الأول من أسبوع الآلام وفيه يبارك الكاهن أغصان الشجر من الزيتون وسعف النخل ويجرى الطواف الرمزى تذكار لدخول المسيح الاحتفال إلى أورشليم وذلك أن المسيح غادر بيت عنيا قبل الفصح بستة أيام وسار إلى الهيكل فكان الجم الغفير من الشعب يفرشون ثيابهم أمامه وآخرون يقطعون أغصان الأشجار ويطرحونها فى طريقه إحتفاء به وهم يصرخون «هو شعنا لابن داود مبارك الآتى باسم الرب هوشعنا فى الأعالى» مت٢١ :٩ وقد كانوا يدعونه قديماً بأسماء مختلفة منها أحد المستحقين وهم طلاب العماد الذين عرفوا الدين المسيحى وأرادوا اعتناقه فكانوا يذهبون ويطلبون التنصر بأمتعتهم يوم سبت النور طبقاً لاصطلاحات الكنيسة فى أول عهدها. وأحد غسل الرأس وهى عادة كانت لهم فى ذلك

الزمن إشارة للتطهير وأستعداداً للمتنصر. وأحد الأغصان. وأحد السعف. وأحد أوصانا: وهلم جرا. «دايرة المعارف مجلد ١٠ وجه ٤٦٨».

ولأهمية هذا الحادث الجليل رتبت الكنيسة الاحتفال بذكراه كل سنة وجعلته عيداً عمومياً من أعيادها الكبرى منذ القديم لأسباب منها.

أولا: ـ لتذكار بنيها بذلك الاحتفال العظيم الذى استقبل به يسوع حتى كلما حضروا يوم الشعانين حاملين أيديهم سعف النخل، وأغصان الزيتون. يتمثلون فى الحال ذلك الموكب البهيج والاحتفال المهيب وتلك الجماهير المحتشدة إحتفاء بقدوم يسوع فترتقى عقولهم إلى تلك الأيام التى نمت فيها أمور خلاصهم.

ثانياً: ـ لنرسم فى أذهانهم وجوب الاستعداد القلبى الدائم لاستقبال يسوع فى هيكل قلوبهم بمناولة جسده ودمه الأقدسين ببساطة ضمير وطهارة قلب كأطفال أورشليم.

ثالثاً: ـ لكى تعلمهم بهذا الإحتفال مطابقة الحقيقة المثال فإن خروف الفصح كان يجب أن يؤتى به فى اليوم العاشر من الهلال ويبقى محفوظا إلى الرابع عشر منه وفى مثل هذا اليوم نفسه دخل يسوع أورشليم بصفته حمل الله الرافع خطايا العالم يو١ :٤٤ وفى الرابع عشر منه ذبح لأجلنا ١كو٥ :٧

هذا ومع إن سعف النخل«وأغصان الزيتون» إستعملت فى الإحتفال الذى نعيد لذكراه. وإستعمالنا إياها يكون تشبها بمن سبقونا إلى العمل. ولكننا ننظر إليها نظرة روحية فإن سعف النخل يشير إلى الظفر وإلى الإكليل الذى يهبه الله للمجاهدين المنتصرين فيوحنا الإنجيلى رأى جمعاً كبيراً منتصراً كان سعف النخل فى أيديهم رؤ٧ :٩ وإلى وجوب الجهاد الحسن ١تى٦ :٢ لنيل إكليل

الحيوة الذى وعد به الرب الذين يحبـونه ١كو٩ :٢٥ ، ٢تى٤ :٧ و٨ ويع١ :٢ ، ١ بط ٥ :٤ ورؤ٢ :١٠ أما أغصان الزيتون فتشير إلى السلام كما أن عصيره يشير إلى القداسة لهذا لما أرسل نوح الحمامة عادت وفى فمها غصن زيتون أخضر تك٨ :١١ إشارة إلى حلول سلام الله على الأرض ولذا فالكنيسة تحرضنا على أن نتبع السلام مع الجميع والقداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب عب١٢ : ١٤ فإن ثمر البر يزرع فى السلام من الذين يفعلون السلام يع ٣ : ١٨.

أما ترتيل «أوصانا» فى أثناء الطواف فلأنها الترنيمة النبوية الوحيدة مز ١١٨ :٢٥ و٢٦ التى لاقى بها الشعب العبرانى يسوع يوم دخوله أورشليم مت٢١ :٩

إما أن الكنيسة تقرأ فصلاً من الإنجيل فى كل زاوية من زوايا الكنيسة فذلك لسببين. الأول للدلالة على وجوب إنتشار الإنجيل فى كل أقطار الأرض الأربعة. والثانى لأن كلا من الأناجيل الأربعة حوى خبر دخول يسوع أورشليم فهى تقرأ فى كل جهة فصلاً منها إشارة إلى أن بناء المسيحية شُيِّد على هذه الأعمدة الأربعة وبالتالى على يسوع نفسه حجر الزاوية أف٢ : ٢٠ الذى نادى به الرسل فى كل مكان رو١٠ : ٨ وكو١ :٢٣ وتنشد به الكنيسة الآن وإلى نهاية الأزمان.



الفصل الثامن

«الأعياد السيدية الصغيرة»

(١) «عيد التجلى»

تحتفل الكنيسة بهذا العيد منذ القديم بشهادة البروتستانت[1]

أولا : ـ تذكاراً لتجلى الرب على جبل مت١٧ ومر٩ :٢

ثانياً: ـ لتذكير المؤمنين بأن فى مثل هذا اليوم أظهر الرب مجد لاهوته الأزلى غير المنظور أمام بعض تلاميذه راجع مت١٦ : ٢٨ ، ١٧ :١ وأن تجليه أمامهم كان

(١) تثبيتاً لإقرارهم بأن المسيح ابن الله الحى مت١٦ :١٦

(٢) ليريهم أنه ليس إيليا أو يوحنا أو واحد من الأنبياء كما يقول الناس عنه مت١٦ :١٤ بل أنه رب السماء والأرض

(٣) ليريهم مجده قبل آلامه وسلطانه قبل صلبه وعظمته قبل إحتقاره حتى عندما يؤخذ للصلب يعرفوا أنه صُلب بإرادته

(٤) ليريهم مجد لاهوته قبل قيامته حينما يقوم بمجد لاهوته لكى يتأكدوا أنه لم ينل هذا المجد مكافأة له على جهاده بل إنه كان له ومعه عند الآب أزلياً يو١٧ :٥

ثالثاً: ـــ لتعليم الؤومنين بأن بهذا التجلى رأى الأنبياء الرسل وهؤلاء وأولئك والجميع رأوا ناسوته ومجد لاهوته وعلى هذه الصورة كان الجبل رمزاً إلى

---

(١) راجع مقدمة هذا الباب

الكنيسة لأن يسوع ختم عليه العهدين المقبولين فيها وأعلن بأنه هو الذى سلمنا إياهما:

هذا وقد أجمعت سائر الكنائس المسيحية على حفظه والكنيسة الأسقفية تحتفل بتذكاره سنويا راجع الصلوة العامة «جدول القرآت»

(٢) «عيد الختان»

كان الختان رمزاً للمعمودية وعلامة للتطهير، وختم عهد الله مع شعبه ـ أى به يصير اليهودى عضواً فى كنيسة العهد القديم وقد أعطى الله هذا العهد أولاً لإبراهيم تك١٧ :٢٦ وقد تنازل السيد بتدبيره الإلهى بقوله

(١) طاعة الشريعة التى من ضمن فرائضها أن يختتن كل ذكر فى اليوم الثامن من ولادته لا١٢ :٣

(٢) ليتمم كل بركما إعتمد للغاية نفسها مت٣ :١٥ ولولا ختانه لما قبله اليهود كواحد من شعب اللهّ ولا سمحوا له بالدخول للهيكل ولا سمعوه كمعلم عندما كان يخاطبهم وقد خُتن أولا لأنه كان مولوداً تحت الناموس غل٤ :٤ ثانياً ليشبه إخوته عب٢ :١٧ . ثالثاً ليعلمنا بمثله أن نحفظ الوصايا ولو كان دون حفظها آلام وعذاب.

وقد كان المسيحيون القدماء يحتفلون به بشهادة البروتستانت[(١)] ولا تزال الكنيسة تحتفل به وكذلك الكنيسة الأسقفية مع عيد دخوله الهيكل راجع الصلوة العامة وجه ٦٠ و١٧٧.

قال أحد آباء الكنيسة اليونانية[(٢)] «ومن مراجعة مؤلفات القديس بروكلس

---

(١) راجع شهاداتهم السابقة.

(٢) المنار سنة ٢ وجه ٢٤٩.

أسقف القسطنطينية الذى توفى سنة ٤٤٧ يستنتج أن هذا العيد كان محفوظاً ومعروفاً فى الشرق فى القرن الرابع. مجموعة الآباء طبعة باريس مجلد ٦٥. وأما فى الغرب فكان يعيد كعيد ثانوى. وبعد أن تقرر يوم ميلاد الرب تبعه بالطبع تذكار الحوادث التى تتعلق بحياته على الأرض المذكورة فى الإنجيل فتعين اليوم الأول من كانون الثانى «٦ طوبة» تذكاراً لختان السيد. وقد وردت إشارة إلى هذا العيد فى مؤلفات القديس إندراوس الدمشقى ومنها يظهر أن المسيحيين فى زمنه كانوا فضلاً عن التعييد لختان السيد كانوا يقيمون فى هذا اليوم تذكار القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة قيصرية مجموعة الآباء مجلد ٩٧» أما غرض الكنيسة من الإحتفال به.

أولاً: لتذكير بنيها أن الرب بختانه لم يكن محتاجاً للتطهير وإنما هو أكرم الشريعة التى كانت مفروضة على شعب الله قديماً ليعطى بذلك نموذجاً لإتمام الناموس وليعلمنا على سبيل الإشارة إلى وجوب ختان القلب بالروح رو٢ :٢٩، ٧ :٦ فإنه به أيضاً ختاناً غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح كو٢ :١١ و١٢ الذى هو الخليقة الجديدة غل٦ :١٥ وحفظ وصايا الله ١كو٧ :١٩.

ثانياً: لتحريضهم على التمثل بتواضعه العجيب فإنه كما قال الآباء فى ختانه كان أعظم منه فى ولادته فإنه بولادته أخذ صورة إنسان أما بختانه فأخذ صورة خاط.

(٣) «عيد دخوله الهيكل» ما قبل فى ختانه يقال عنه.

(٤) «عيد عرس قانا» تحتفل به الكنيسة تذكاراً للآية التى صنعها يسوع

فيـه يو٢ :١ ـ ١٠ وقد دُعـى العـيـد بإســم العـرس من باب إطلاق الظرف وإرادة المظروف.

إن يسوع صنع آيات كثيرة وفائقة الطبيعة ولكن الكنيسة تحتفل بهذه الآية دون غيرها

(١) لأنها باكورة الآيات التى صنعها حالما شرع فى دعوته الإلهية

(٢) لأنه بها أظهر مجده

(٣) لأنها فتحت طريق الإيمان إذ آمن كثيرون بواسطتها يو٢ :١٠ و١١

(٤) لأن يسوع بحضوره فى العرس باركه وبالتالى بارك سر الزواج الذى رسمه فى كنيسته وجعله سراً مقدساً جديداً.

(٥) «عيد دخوله مصر» إن دخول يسوع أرض مصر كان خيراً وتعزية وبركة لشعبها بعد تلك الضربات الشديدة التى أنزلها بهم كما أنه كان فاتحة حياة جديدة بدخول معرفة الرب فيها وتطهيرها من أدران العبادة الوثنية وقيل أن الأصنام سقطت فيها حال دخول السيد إليها وقد تنبأ أشعياء بكل ذلك راجع ص١٩ :١ و١٩ الخ لهذا رتبت الكنيسة الاحتفال بذكراه تمجيدا للرب وشكراً لإحساناته وتحريضاً لبنيها على وجوب الهرب من الشر تمثلا به.

(٦و٧) الخميس الكبير، وأحد توما. أما الأول فتقدم الكلام عليه[١] أما الثانى ويسمى الأحد الجديد تحتفل به الكنيسة منذ القديم بشهادة موسيهم راجع ك١ ف٤ وجه٧٦ تذكاراً لظهور المسيح للرسل وإعلان ذاته لتوما رأفة بضعفه وتثبيتاً لإيمانه وشكرا له على تنازله وحثاً لبنيها على الثبات فى النعمة بمواعيد الله الصادقة.

(١) راجع الباب الثامن

الفصل التاسع

«أعياد الرسل والعذراء والقديسين والشهداء»

نشأت المسيحية والاضطهادات تنتابها والدول تحاربها وذووا السلطة يقاومونها ويعملون على ملاشاتها وإطفاء نورها ولكن الله تعالى فى وسطها فلن تتزعزع مز٤٦ :٥ وأش١٢ :٦ وأبواب الجحيم لن تقوى عليها مت١٦ : ١٨ «فلم تنقض الاضطهادات لها عماداً ولم تهزم الدول لجيش انتشارها كتيبة ولا أطفأت عواصف الأهواء لنورها مصباحا بل ما كانت تلك المقاومات وهاتيك الاضطهادات إلا لتزيدها إنتشاراً ولمعاناً كالشمس ممزقة حجب السحاب. هازئة بسحوف الضباب. فكانت تلك الدماء التى أريقت سماداً لتربتها الخصبة فأينعت نفوساً طاهرة. ولاؤلئك البررة الأطهار الذين سيموا العذابات الفادحة والآلامات المبرحة من ظلمة الأشرار وقدمت أجسادهم طعاما للنار ـ عمدا تركبت على صخر الدهور يسوع فائبتتها القوة الإلهية حصناً منيعاً ومعقلا قويا يركض إليه المسيحيون إذ باتوا هيكل الروح القدس وأعضاء المسيح. وذلك التعليم الخلاصى شموعا مستها نار التجربة فازداد نورها قوة وأبصرها الدانى والقاصى. فهرعت إليها الأمم والشعوب من مشارق الأرض ومغاربها هربا من ليل الكفر الحالك فإستضاءت نفوسهم وأجسادهم معاً. نفوسهم بالدين القويم وأجسادهم بالحيوة المقدسة والعيشة الصالحة. وتم لهم بذلك الخلاص لأن الخلاص قائم على قاعدتين هما الإيمان، الأعمال الصالحة غل٥ :٦ ويع٢ : ١٨ الخ.

«غير أن هذا الخصب الكنائسى والمعقل الإلهى والنور الربانى أمور روحية تختلف عن المحسوسات وإختلافها من حيث أن المحسوسات رهين الفناء تبيد

عاجلا أو آجلا وأما هذه الروحيات فهى دائمة النمو إلى الأبد ونموها بتذكرها وللتعييد لها عاما فعلما أن هذا ما قاله العلماء.

والكنيسة التى إفتداها الله بدمه علمت ولم تزل تعلم أن الله عجيب فى قديسيه فلكى تزيد بنا نمو كلمة الخلاص عينت أياماً للإحتفال بذكر أولئك الجنود الصالحين وخصصت أياما دون أخرى للإنقطاع التام عن الأعمال للفروض الروحية والتحدث بأخبار أولئك المجاهدين المنتصرين الذين جاهدوا الجهاد الحسن وأكملوا السعى وحفظوا الإيمان وأخيرا حفظ لهم إكليل المجد الذى لا يبلى ٢تى ٤ :٧ و٨، ١بط٥ :٤ وهم سيحفون بعرش الله ويتبعون الخروف حيثما ذهب رؤ١٤ :٤.

قد رتبت الكنيسة منذ القديم الإحتفال بذكرى أولئك الأبطال إعتماداً على تعليم الكتاب وإستنادا على ما تسلمته من الرب يسوع نفسه ورسله القديسين فقد قال الوحى بلسان النبى. ذكر الصديق يدوم إلى الأبد مز١١٢ :٦ وقال بلسان الحكيم ذكر الصديق للبركة أم١٠ :٧ ودوام ذكر الصديقين بالإجماع لا يكون إلا بصنع التذكارات لهم فى أيام معينة. إحياء لإسمهم وتخليدا لذكرهم. وذلك بعمل الرحمة على إسمهم مت١٠ :٤٠ ــ ٤٢ مر٩ :٤١ وبحفظ صورهم وأقوالهم وتعاليمهم.

هذا وفى العهد الجديد نرى أن الرب يسوع مدح عمل المرأة التى أفاضت الطيب على جسده المقدس ولم يكتف بذلك بل أمر رسله ومن أخلفهم من بعدهم بإذاعة خبرها والتحدث بعملها بقوله. حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه ــ المرأة ــ تذكارا لها مر١٤ :٩ وقال الرسول اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله أنظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا

بإيمانهم عب١٣ :٧ ولا يُخفى أن بعض هؤلاء المرشدين كان رقد فى الرب مثل يعقوب الصغير أخى يوحنا والقديس اسطفانوس والقديس يعقوب أسقف أورشليم. فيما نذكر أولئك ونتأمل فى سيرتهم لنتمثل بإيمانهم؟ أليس بتذكرنا تاريخ حياتهم وما لاقوه من العذابات المرة لأجل المسيح. بل فقد قال الذهبى فمه «إنه لاشىء أنفع لنا من التأمل بسيرة القديسين وإعادة التبصر والتروى فى أعمالهم».

وقد أجمعت الشرائع المدنية على إكرام من أتى عملا جليلا أفاد زمته ونفع وطنه. وكل الشعوب والأمم على إختلاف نزعاتها وتباين معتقداتها تقوم بهذا الواجب نحو أفرادها العظام الذين خدموها وكانوا علة عظمتها ورقيها. فنصبت لهم التماثيل واحتفظت بأقوالهم وصارت تحتفل بذكراهم سنوياً فى أيام معينة. إعترافاً بفضلهم وتخليداً لذكراهم وهذا الواجب نفسه تأمر به الشريعة المسيحية رو١٣ :٧ ولا سيما من نحو رجالها القديسين الذين خدموها وجاهدوا فى إعلاء كلمتها ورفع شأنها ١كو١٦ : ١٦ وفى ٢ :٢٩، اتى٥ :١٧ وعب١٢ :١٧.

وإذا كان أهل العالم يحتفلون بذكرى أبطالهم ومشاهير علمائهم ونوابغ شعرائهم وكبار فلاسفتهم ويقرنون ذكرهم بالمديح والإطراء والإعجاب والثناء المستطاب ـ أفلا يجب على الكنيسة أن تحتفل بذكرى أبطالها الروحانيين وجند الرب الصالحين الذين ضحوا حياتهم فى سبيل تشييد المسيحية ورفع منار الإنجيل وإعلاء شأن الإيمان القويم وحفظوا لنا هذه الذخيرة التى نتمتع بها الآن بلا تعب ولا عناء راجع رؤ ٦ :٩، ١٢ :١١

بل إذا كان الله نفسه كتب سفر تذكرة للذين إتقوه وللمفكرين بإسمه

وذلك للتمييز بين الصديق والشرير وبين من يعبد الله ومن لا يعبده ملا٣ :١٦ الخ فكم أحرى بالكنيسة أن تقوم بهذا الواجب نحو هؤلاء القديسين الأفاضل الذين جعل كل مسرته فيهم مز١٦ :٣ والذين تساموا بالفضل والقداسة وإرتقوا أسمى درجات الفضيلة بل أحبوه حتى الموت ولم يحسبوا أنفسهم ثمينة بل بذلوها من أجله وهى أعز ما يملكون ومن أجل ذلك أهلهم لشركة ميراث القديسين فى النور كو١ :١٢ وحفظ لهم إكليل المجد ١بط٥ :٤ وجعل لهم أسمى مقام فى دياره يو١٤ :٣، ١٧ :٢٤ بل جعل لهم حظ الجلوس معه فى عرشه رؤ ٣: ٢١، ٧: ١٥ وأشركهم معه فى مداينة الناس والملائكة مت١٩ : ٢٨ و١كو٦ : ٢ و٣ لأنهم يستحقون رؤ٣ :٤.

إن الله تبارك إسمه صرح بإكرام قديسيه خر ٢٣ :٢٠ و٢١ ومز ١٠٥ :١٤ و١٥ وحسب إكرامهم إكراماً له واحتقارهم إحتقاراً له لو١٠ :١٦، ١تس٤ : ٨ بل أكرمهم فى أعين شعبه تك٢٠ :٧ و٨ وعد١٢ :٧ و٨، ٢مل١ :١٤، ١٣ :٢١، وأى٤٢ : ٨، ومت١١ :٩ ــ ١١ بل أكرم كل أثر من آثارهم[1] وحذر من إهانتهم تك٢١ :٢٤ قائلا لا تمسوا مسحائى ولا تسيئوا إلى أنبيائى مز ١٠٥ :١٥ وإن من يمسهم يمس حدقة عينه زك٢ : ٨ والذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً ٢تس ١ :٦ وفعلا عاقب الذين أهانوهم سواء فى حياتهم أو بعد رقادهم تك٤ :١٢، عد١٢ :٩ و١٠ وكذلك شعبه تك٨ :٢، ١٩ :٢ ويش٥ :١٤، ١مل١٨ :٧، ٢مل٢ :١٥، ٤ :٣٧، ٢٣ :١٧ و٢أى ٢٢ :٢٣ ــ أفلا يجب أن تتبع الكنيسة أوامر الله وتتمثل به وتقتدى بأولاده فى إكرام هؤلاء القديسين الذين عاشوا كغرباء فى العالم والعالم ذاته لم يكن مستحقا لهم عب١١ : ٣٨؟ وأخيراً ماتوا حبا فى الرب وكان موتهم كريماً فى عينيه

(١) راجع ما كتبناه عن الصور فى الباب الثامن.

ويُصنع سر الأفخارستيا ويؤلم الأغنياء ولائم وجه٢١ وجاء فى كتاب تاريخ الانكليز المطبوع سنة ١٨٣٩ وكانوا يكرمون الشهداء ويعربون عن ذكر يوم وفاتهم بمولدهم ويعيدون الأعياد عند قبورهم بغاية السرور والمحبة والإحسان.

إن كنيسة أزمير قالت فى شأن استشهاد بوليكاربوس أسقفها أنه بعد أن توفى ودفن كثير من المسيحين أن يضعوا بقية جثته فى مقام كريم فأبت اليهود ذلك وقالوا «كما يقول البروتستانت» لعل النصارى ينسون معلمهم المصلوب ويعبدون بوليكاربوس. قالت وإنما فعلوا هذا وهم لم يعلموا أن من المحال أن نترك المسيح الذى مات لأجل خلاص الناس ونعبد غيره فأما عبادتنا له فلأنه ابن اللّه وإما الشهداء تبعه وتلامذته فانا نحبهم كما يليق بهم لأنهم إقتدوا بمثال زعيمهم ومرشدهم ونود لو أن نكون نحن أيضاً مرافقين لهم وعاملين أعمالهم أهـ، ق٢ قسم٢ :ف٥ وجه١٠٠ و١٠١ وجاء فى كتابهم القواعد السنية «بينما كان أهل أزمير يعيدون لأسقفهم الشهيد بوليكاربوس تلميذ يوحنا الرسول إدعى عليهم اليهود بالعبادة الوثنية فأجابوهم برسالة مفندين هذا الإدعاء بما لفظه «إن هذا من الأمور المستحيلة لأن المسيح إنما هو موضوع العبادة ولا يمكن غيره أن يحل محله وله وحده نقدم سجودنا وأما الشهداء فهم موضوع مديحنا ومحبتنا له وجه١٠٠»[1]

«غرض الكنيسة من هذه الاحتفالات»

لا يخفى أن الناس فى كل زمان ومكان يحتفلون بالأعياد المدنية والغرض من إحيائها والاحتفال بها معلوم وهو تذكير الأحياء بمآثر وأعمال النابغين الذين أفادوا الهيئة الاجتماعية بثمرات قرائحهم ونتائج مجهوداتهم. كذلك

(١) راجع كلامنا عن السنكسار وتراجم الشهداء فى الجزء الأول.

الكنيسة تحتفل بأعياد رجالها القديسين الذين شادوا صروح المدنية على أسس الإنسانية ورفعوا قبب الفضيلة على دعائم الدين القويم والإيمان الصحيح وتنبيها وعظة للمتأخرين وترغيباً لهم فى الجرى على خطتهم.

أولاً: ـ إحياء لإسمهم، وتجديداً لذكرهم. وتخليداً لآثارهم مز١١٢ : ٦ .

ثانياً: ـ اعترافاً بفضلهم، ومكافأة لهم على أتعابهم.

ثالثاً: ـ لكى نتذكر أعمالهم التى آلت لمجد الرب وخير كنيسته فنمجد الرب ونشكره على نعمته وقدرته التى تلألأت فيهم وعجائبه التى صنعها بواسطتهم مز١٥٠ :١ .

رابعاً: ـ لتقربهم من الله الذى جعل كل مسرته بهم مز١٦ :٣ وكونه دعا ذاته باسمهم مت٢٢ :٣٢ .

خامساً: ـ للدلالة على أنهم وإن ماتوا فهم أحياء لو ٢٠ : ٣٨ وعب١١ :٤ بخلاف الأشرار مز١٠ :٤، ٩ :٥و٦ .

سادساً: ـ إعترافاً منا بالحيوة الأبدية التى فيها ينالون المجد الذى لا يبلى ١بط٥ :٤ .

سابعاً: ـ إحياء لذكر الفضيلة التى لبسوها كثوب فيعرف المسيحيون إن الفضيلة مكرمة وأصحابها مكرمون لدى الله والناس على الأرض وفى السماء.

ثامناً: ـ تمييزاً لهم عن الأشرار كما ميزهم الله فى الدنيا ملا٣ :١٧و١٨ وسيميز بينهم فى الآخرة كما يميز الراعى الخراف من الجداء فيقول للأشرار إذهبوا عنى... وللأبرار تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم مت٢٥ :٣٢ ــ ٣٤ .

هذا أما أعياد العذراء فما قلناه عن أعياد هؤلاء نقوله عنها ونزيد بأن الكنيسة تحتفل بها.

(١) إكراماً لها للنعم التى نالتها بما أنها والدة ربنا ومخلصنا.

(٢) تمثلا بالرب نفسه الذى أكرمها بخضوعه لها لو٢ :٥١ وبإجابة مُلتمسا فى عرس قانا يو٢ :٥ وباعتنائه العظيم بها وهو على الصليب يو ١٩ :١٦ و٢٧ وسُر بإكرامها ووعد بالغبطة للذين يحذون حذوها فى حفظ شريعة اللّه لو١١ :٢٧.

(٣) تنفيذاً لنبوتها بأن جميع الأجيال تطوبها لأن القدير صنع بها عظائم لو١ : ٤٨ و٤٩.

(٤) إقتداء بأولاد اللّه الذين أكرموها بإرشاد الروح القدس لو١ :٤٢ و٤٣.

والبروتستانت يعترفون ويسلمون معنا بوجوب إكرامها. قال صاحب ريحانة النفوس «بما أن العذراء المباركة هى والدة مخلصنا يسوع المسيح وفى ذاتها طاهرة وقد نالت نعمة من عند الرب فهى تستحق منا الكرامة. وجه٢٤».



الفصل العاشر

«عيد الملاك ميخائيل»

الملائكة ــ كما عرفهم اللاهوتين ــ هم جواهر روحية عتامة قد خلقهم اللّه أرواحنا خادمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص عب١ :١٤ ولتمجيده وإنفاذ أوامره وعمل مرضاته مز١٠٣ :٢٠ و٢١ وقد زينهم بطبيعة عاقلة شريفة أجل

وإكرام جداً من طبيعة النفوس من ١٠٤ :٤ وهم أكثر من أن يحصيهم عدد كما قال القديس دينوسيوس الاريوباغى.

بيد أن عددا منهم قد عصى الله ولم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم. فأوعز رب الجنود إلى ميخائيل الرئيس وجميع الملائكة القديسين فطردوهم من السماء وطرحوهم أرضاً رؤ١٢ :٧ ــ ٩ فهوى إبليس وجميع جنوده ساقطين من السماء مثل البرق أش١٤ :١٢ ــ ١٦ ولو١٠ : ١٨ وحفظهم الله إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام يه١ :٦. بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم وسلبهم محروسين للقضاء ٢بط٢ :٤.

ولما كان الملاك ميخائيل الرئيس وجميع الملائكة القديسين خلقوا ليسعفوننا ويعينوننا دا ١٠ :١٣ وينقذوننا من الشر وينجوننا تك٢٨ :١٦ ومر٣٤ :٧ ويحفظوننا فى كل طرقنا وعلى أيديهم يحملوننا مز٩٠ :١١و١٢ ويتشفعون فى الخطاة ويتوسلون لاستجلاب رضى الله علينا زك١ :١٢ و١٣ ويأتوننا بأجمل البشاير وأسر الأنبياء: من لدن أبى الأنوار مت٢٨ :٢ ولو١ :١٩ و٢٠، ٢ :١٠ ــ ١٣ لاق أن نكرمهم ونحبهم ونتغنى بفضلهم ونترنم بمديحهم. ولأجل ذلك عينت الكنيسة أياما مخصوصة من السنة تحتفل فيها بذكر أعمال ميخائيل الرئيس العظيم دا ١٢ :١ ورفاقه الصالحين ورسمت صور أشخاصهم التى تجلوا بها للقديسين خر٣ :٢ ويش٥ :١٤ ودا ١٠ :٥ ــ ١٤.

وغرض الكنيسة من إقامة الأعياد لهؤلاء الشهداء:

أولاً: لتذكر بنيها بما أتاه ويأتيه هذا الملاك الرئيس وشركاؤه من الخدمة الجليلة والاحسانات العظيمة للبشر.

ثانياً: تكريماً لهم وإعراباً عن شكرها لجميلهم واعترافاً بحسن صنيعهم

تشبيها برجال الله القديسين يش٥:١٤ ورؤ١٩:١٠ و٢٢: ٨ وباعتبار أنهم شركاء معنا عب١٢:٢٢.

ثالثاً: لحمل بنيها على التشبه بهؤلاء العلويين فى تمجيد الرب وخدمة شعبه والتحلى بفضيلة إنكار الذات وغيرها من الفضائل المسيحية كو٣:١٢ و٢بط١:٥ ليكونوا «مثلهم» بلا لوم وبسطاء أولادا لله بلا عيب فى وسط جيل معوج وملتو مضيئين بينهم كأنوار فى العالم فى٢:١٥ وذلك بما تسرده على مسامعهم من أخبارهم الجميلة وأعمالهم العظيمة وهى تفعل ذلك لتؤدى دينا عليهم لهم ولتكرم الله الذى اصطفاهم لخدمتنا وخصهم لحراستنا ووكل اليهم أمر صيانتنا مز٩١:١١و١٢ فهى لا تقيم عيدهم لعبادتهم. حاشا. إنما العبادة لله خالقنا وخالقهم وتكريمه وتمجيده وشكره على عنايته الخاصة بنا ورعايته الشاملة لنا.

وقد أجمعت معنا سائر الكنائس على وجوب إقامة الأعياد للملائكة وتكريمهم وبينها الكنيسة الأسقفية بل البروتستانت أنفسهم يسلمون معنا بذلك. وقد قال سبرجن القس البروتستانتى المشهور فى عظة له على عيد الميلاد ما نصه: لا ريب أن عبادة الملائكة من المخلوقات فى دين الله... ولكن ذلك لا يمنع من أن نحبهم ويقبح أن نعتزل حبهم فإن من تأمل صفاتهم ونظر فى أعمالهم المختلفة وإحسانهم إلى البشر لم يمكنه أن يعصى إغراء قلبه طبعاً بمحبتهم ومن حوادث التاريخ الملائكى ما فى آية هذه الموعظة وهو كاف لأن يحمل قلوبنا على حب الملائكة إلى الأبد. ومن أغرب ما يعجب منه شدة نزاهة أولئك الأرواح المقدسة عن الحسد ألم تر أن المسيح لم ينزل من السماء ليخلص من سقط منهم... ومع هذا كله لم يحسدوا الإنسان شيئاً ومع علمهم أنه «حقا ليس يمسك الملائكة» لم يتذمروا أقل تذمر لما أيقنوا أنه «يمسك نسل

إبراهيم» ومع أن السيد الأعظم لم يتنازل إلى أن يلبس صورة الملائكة لم يأنفوا من إعلان مسرتهم حين رأوه متوشحاً بهيئة طفل من البشر. ومثل نزاهتهم عن الحسد في الغرابة تنزههم عن الكبرياء إأنهم لم يستحيوا من أن يأتوا إلى الرعاة الوضع ببشارة الميلاد... وإذا ترويت كما ينبغى فى أسلوب قصهم ذلك الخبر لم تستطيع أن تمسك فؤادك من محبتهم فانهم سردوه بحبور لم يقدر على وصفه إلا أولئك الملائكة أنفسهم... أفلا تحب الملائكة بعدما عرفت هذا. أفلا ترغب فى الحصول على حبك إياهم وهو جزء مما تتوقعه فى السماء إنك تسكن هنا لك مع الملائكة الأطهار كما تسكن مع أرواح الأبرار المكملين. وما أحسن أن تنتبه أن أولئك الأرواح القدسية حراس لنا على مرور الساعات يحرسوننا فى ضوء الظهيرة وفى ظلال الليل ويحفظوننا فى كل طرقنا لئلا تعثر أقدامنا. ويخدموننا بلا إنقطاع. ويحملوننا إلى السماء بعد الوفاء. أو لم تعلم أن ملاك الرب حال حول خائفيه اهـ «كتابه المواعظ الميلادية وجه٢و٣و١٤٠».



الباب الحادى عشر

الفصل الأول

«الصلوة على أنفس الراقدين قبل دفنهم[1]»

الإحتفال بجناز الراقدين والصلوة عليهم قبل دفنهم عادة حميدة وصالحة نص عنها الكتاب، وأمرت بها الرسل، وقبلتها الكنيسة عموماً:

أولاً: أقوال الكتاب. فإننا نقرأ فى العهد القديم إن الآباء والأنبياء وشعب إسرائيل كانوا يحتفلون بموتاهم ويمارسون الأصوام ويقيمون الصلوات من أجلهم راجع تك٢٥:٩، ٣٥:٢٩، ٥٠:٧و١صم ٢٥:١، ٣١:١٣ و٢صم٣:٣٥ وقد حسب عملهم هذا مرضيا لله يستحقون عليه البركة وحسن الجزاء ٢صم ٢:٤ ـ ٦.

وفى العهد الجديد ما يشير إلى ذلك مر٦:٢٩ ويوسف ونقوديموس أنزلا جسد المخلص عن الصليب. واحتفلا بدفنه يو١٩:٤٠ و٤١ وهم يسبحون الله وينشدون التقديس المثلث «أجيوس ـــ قدوس» ولذلك حمل رجال أتقياء استفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة ا ع٨:٢

ثانياً: الأوامر الرسولية نصت عن ذلك فقد جاء فيها. إجتمعوا فى الكنائس واقرأوا الكتب المقدسة ورتلوا على من رقد فى الرب ثم إصعدوا قداس الشكر. وفى تشييع الراقد سيروا أمامه بالتراتيل فانه ـــ عزيز فى عينى الرب موت أتقيائه مز١١٦:١٥ وإن كان الراقد كاهنا فليحتفل به أمام المذبح ويبدأ رئيس الكهنة بالصلوة عليه ويقرأ الشمامسة الأقوال الزابورية والمواعيد الصادقة عن قيامتنا

---

(١) راجع ما كتبناه من الصلاة على أنفس الراقدين فى الجزء الأول.

العتيدة. أما إذا توفى أسقف فليمش أمامه الخور بيسكوبوس والأرشى دياكن كما يمشى البنون أمام جنازة أبيهم. واذا توفى أحد هؤلاء فليمش الأسقف كما يمشى الأب أمام جنازة إبنه. ولتتلى فى جنازة هؤلاء الصلوة كما يحق للمعلمين والآباء وليحضر جنازتهم كل الرعية لأنهم كانوا يدعونه أباً لجميعهم الخ راجع دسق١ و١٣ و٣٣ والمجموع الصفوى وجه ٢٠٥ ـ ٢٠٧

ثالثاً: إجماع الكنائس: أجمعت سائر الكنائس المسيحية فى العالم على هذا والبروتستانت ـ الذين ينكرون علينا ذلك ـ يصلون على موتاهم فى كنائسهم ويقرأون الفصول الإنجيلية والمواعظ الدينية المناسبة للمقام أما الكنيسة الأسقفية فهى تمارس الصلوة على الموتى بطقس خاص لا يختلف عما فى كنيستنا راجع الصلوة العامة وجه ٢٨٦ ـــ ٢٩٢ وغرض الكنيسة من إقامة الصلوة على الموتى والإحتفال قبل دفنهم:

أولاً: طلب رحمة الله للراقدين حسب تعليم الكتب فإن بولس صلى طالباً الرحمة لانيسيفورس ٢تى١ :١٦ و١٧ لثقتها فى مراحم عريسها السموى ولإعتقادها أن الجميع عنده أحياء حسب قوله لو٢ : ٣٨ فكما جاز لها أن تصلى عن الأحياء بالجسد جاز لها بالأحرى أن تصلى عن الأحياء بالروح وتقيم القداسات من أجلهم رجاء أن يرحمهم الله فى ذلك اليوم.

ثانياً: لتعزية الحزانى بكلمة الإيمان ومشاركتهم فى أحزانهم على وفق قول الرسول رو٢١ :١٥ و١كو١٢ :١٦

ثالثاً: لتذكير الأحياء من المشعيين بنهاية الحيوة جا٧: وحضهم على الاستعداد للموت والتأهب للذهاب إلى بيتهم الأبدى جا١٢ :٥ المصنوع بغير يد فى السماء ٢كو٥ :٢ وعب١١ :١٦، ١٣ :١٤

هذا ولأجل الفائدة نذكر الملاحظات الآتية:

أولاً: غسل الميت وتضميخ جسمه بالطيوب «هو عادة أدبية قديمة وجدت عند كافة الأمم كما كانت عند اليهود ولا تزال إلى الآن وهى وإن لم تكن من الأمور الدينية إلا أنها مستحسنة إستحساناً أدبياً وموافقة للذوق ولا تنافى اللياقة. نعم إن الجسم يرجع إلى التراب ولا يجديه الغسل فائدة ولكن ذلك من باب إكرام الروح الطاهرة التى كانت ساكنة فى هذا الهيكل الانسانى. هذا وإننا نرى فى الكتاب ما يدل على جوازها فإن مؤمنى يافا قد غسلوا طابيثا التى أحياها بطرس اع٩ :٣٦ ـــ ٤٠ فلو كانت غير جائزة لما أقدم على عملها المؤمنون فى أيام الرسل بل لنهاهم الرسل عنها. وقد جاء فى الأوامر الرسولية أن غسل الميت جائز لا ضرورى إستناداً على اع٩ : ٣٦ ـ ٤٠ المجموع الصفوى وجه٢٠٦

ثانياً: عمل التذكارات لأجل الاموات. أمرت القوانين الكنسية بعمل تذكار الثالث للراقدين تذكاراً لقيامة الرب فى اليوم الثالث والسابع تذكاراً للأحياء والأموات. والأربعين كالمثال الاول تك٥٠ رسطب ٦٧ المجموع وجه٢٠٦. والقديس باسيليوس يقول يجب أن تقام القداسات على الأموات فى الثالث والسابع والخامس عشر فى الكنيسة الجامعة ق٣٠

ثالثاً: صرف الروح. أما مسألة صرف الروح فهى ليست كما يوهم الخارجون على الكنيسة للتغرير بالبسطاء وإنما هى صلوة ترفعها الكنيسة من أجل الراقد فى اليوم الثالث وذلك تبعاً لأوامر الرسل التى ذكرناها آنفا والمقصود بها صرف روح الحزن عن عائلة الراحل وتعزيتهم بكلمة الله طبقاً لقول الرسول عزوا بعضكم بعضاً ١تس٤ : ١٨

«المقصود برش المياه فى غرفة الميت هو أن المياه اذا تقدست بكلمة الله

والصلوة ١تى٣:٥ تستطيع أن تنقى وتطهر وتقدس وتزيل الموانع المضرة والأسباب الضارة والبواعث المهلكة حز٣٦:٢٥، ٤٧ : ٨ وعب١٠ :٢٢[1]



الفصل الثاني

«التبخير على الأموات»

تقدم الكنيسة ـــ استناداً على تعليم الكتاب ملا١ :١٠ و١١ ـــ البخور لله فى أثناء عبادتها وبالتالى فى أثناء تأدية شعائرها الدينية وممارسة طقوسها الكنسية ولا يخفى أن الصلوة من أجل الموتى سواء فى الكنيسة أو فى البيت أو فى االمدافن «طقس كنائسى تمارسه الكنيسة مصحوباً بالبخور وما يظهر للناس أن الكاهن يبخر على الأموات «أو على مدافنهم» هو خلاف الحقيقة لأن الكاهن فى حال صلواته عن نفس الراقد يصحب تلك الصلوه بالبخور وذلك للدلالة على إرتفاعها كالبخور وجعلها باستحقاقات الفادى مقبولة لديه كبخور ذكى مز١٤١ :٢ صاعداً أمام عرش نعمته مع صلوات القديسين رؤ٥ : ٨، ٨ :٣

أما وضع البخور فى المبخرة حال ذكر إسم الراقد فذلك لأن الكاهن يطلب الرحمة عن أنفس المنتقلين كلٌ بإسمه وعندما يذكر الإسم يضع بخوراً ويصلى قائلا ما ترجمته «نيح» يا رب نفس عبدك «فلان» أعطه أن يجد رحمة فى ذلك اليوم مع قديسيك. وإن يكن لحقه توان أو كسل فاغفر له كصلاحك يا محب البشر لأنه ليس أحد طاهراً ولو كانت حياته على الأرض يوماً واحداً.

أما زيارة القبور والصلوة من أجل الراقدين هناك فهى عادة حميدة قديمة

(١) مرآة الحقائق وجه ٣٩٩.

أيضاً أشار إليها الكتاب راجع ٢صم٣ :٣٢ ويو١١ :٣١، ٢٠ :١ وقد دلت الآثار التاريخية على أن المسيحيين القدماء كانوا يحتفلون بإكرام الشهداء عند قبورهم وهناك تمارس فرائض العبادة بغاية السرور والمحبة والإحسان بشهادة البروتستانت «راجع تاريخ كنيسة المسيح البروتستانتى المطبوع سنة ١٨٣٩ وجه٤٢»

وقد جاء فى كتاب تعزية الإيمان فى المصائب والأحزان تأليف البروتستانت وهو يشرح كلام الإنجيل يو١١ :٣١ ما نصه «أنها تذهب إلى القبر لتبكى هناك» وليس إكرام الأعزاء بعد الموت حديثاً فالشرقيون القدماء وكل الأمم التى ورثت عنهم تلك العوائد القديمة كانوا يقدمون إكراماً مقدساً لموتاهم ووقاراً عظيماً لكل ما يتعلق بمدافنهم وكان ذلك من الأدلة القاطعة على محبة البشر لأعزائهم المتوفين. وقد إعتبروا إهمال أمور الدفن من المصائب العظمى فكانوا يتمنونه لأعدائهم ويكرهونه لأصدقائهم وكان إحتقار الأموات أكثر من إحتقار الأحياء. ولم يتركوا شيئاً من كل ما منه تعظيم بقايا أحبائهم وإكرامها وتزيين قبورهم. ومن المسلم به أن الأغنياء والعظماء كثيرا ما كانوا يتباهون ويفتخرون بذلك ويتظاهرون بأحزان قلما كانوا يشعرون بها حقيقة ومع ذلك لم يحسبوا فرق تلك العوائد إلا عداوة للمحبة البشرية وذلك لم تستهجنه الديانة المسيحية بل قدسته لكل مؤمن وأفضل الأماكن عندنا على الأرض ربوع الأحباء والأبناء ومحلات العبادة التى هى مقدس أفراحنا الروحية ومدافن أعزائنا الراقدين. وقال. فذهابنا مثل اليهود إلى القبر ولو فى الروح للتأمل والبكاء لا يعد من الأمور المستهجنة.

قال التعليم المسيحى الهولاندى. إنا خلقنا من تراب لنكون متواضعين ومتذكرين للموت ولابد أن نربح فوائد جمة من الالتفات إلى القبور التى أعددناها لأنفسنا والتى إستراح فيها أعزاؤنا الراقدون فإن الغنى المغرور فى زهرة

الصبـا والرجل المغـرم بنعـيم هذا العـالم ولذاته ربما يظنان أنه ليس فى تلك التأملات إلا ظلمات وأهوال ولكنى أعتقد كل الإعتقاد أن أكثر المتبصرين تلك المساكن الأخيرة لا تمر عليهم سنون كثيرة حتى يحسبوا ذكر الموت أهم أغراضهم. وقال يحسن بنا أن نذهب إلى القبر لنبكى ونتأمل فى آخرة الأحياء ونزور رمم أعزائنا الذين كنا نُسر بأننا خدمناهم ولا يكون ذلك الحزن عبثاً إذا عدنا عن قبورهم عازمين أن نخدم الاحياء ونشترك معهم فى البلية قبل رحيلهم إلى دار الأموات وإذا افتكرنا فى أولئك الراقدين وذكرنا أن أحزناهم بأعمالنا القاسية وأقوالنا المرة وأحكامنا الظالمة أو عدم شفقتنا فما أعظم ما نشعر من الأسف إذ فاتنا أو أن نطلب المغفرة منهم وبذلك تهذب أخلاقنا ونلجأ إلى التوبة والله الرحيم ليغفر لنا اهـ. صفحة ١٦٠ ـ ١٧٤



الباب الثانى عشر

الفصل الأول

«السجدة»

تمارس الكنيسة فى عصارى يوم أحد العنصرة صلوة السجدة تذكاراً لحلول الروح القدس على التلاميذ. وقد أطلق على هذه الصلوة إسم السجدة لأن الكنيسة تمارسها باحناء الرأس مع الركب «الركوع والسجود» لأنها «السجدة» رسم ونموذج ما تم للرسل اذ بينما هم يصلون فى علية صهيون حل الروح القدس عليهم. وهكذا نتوسل مثلهم باحناء القلب والجسم معاً ونسجد للروح القدس مستمدين الرحمة والغفران من أجل خطايانا وجهات الشعب طالبين من الله أن يخلق فينا قلباً نقياً وروحاً مستقيماً يجدده فى داخلنا ولا يطرحنا من قدام وجهه وروحه القدوس لا ينزعه منا مز٥١:١٠ و١١

تقسم رتبة السجدة إلى ٣صلوات تسمى سجدات على إسم الثالوث الأقدس وهذه الصلوات واحدة فى الترتيب ولا تختلف إلا فى القراءات اذ لكل منها فصول معينة من العهدين القديم والجديد رتبت الكنيسة قراءتها وقت ممارستها وهاك بيانها مع شرح معانيها.

«الصلوة الأولى» تفتتح بتقديم المجد للثالوث الأقدس والصلوة الربانية فصلوة الشكر ثم يرفع البخور لله وأخيراً تقرأ النبوة من تث٥:٢٢ الخ فالبولس من ١كو١٢: ٢٨ ـ ١٤ ـ ٣ فالمزمور ٩٧:٧ و٨ فالإنجيل من يو١٧ الخ.

«الصلوة الثانية» مثلها وفصولها النبوة من تث١٦: ١٨ الخ والبولس من ١كو١٤:٥ ـ ١٣ والمزمور ١٠٥:١٢ و١٣ والإنجيل من يو٥:٣٦ الخ فالطلبة.

«الصلوة الثالثة» النبوة من تث١٦ :٣ ـ ١٣ والبولس من ١كو١٤ : ١٨ ـ ٢٣ والمزمور٤٥ :١١ و١٢ والإنجيل من يو٤ :٥ ــ ٢٤ فالطلبة.

رتبت الكنيسة هذه الفصول النبوية والإنجيلية التى تقرأ فى صلاة السجدة لملاءمتها للغرض الذى تحتفل من أجله. فالفصول التوبة تتضمن إعطاء موسى الشريعة على الجبل وتعليم قومه بأن يحفظوها ويعملوا بها لينالوا بركة الله الموعود بها للمطيعين وحافظى الوصية وأن يعلموها لأولادهم لكى يتعلموا أن يتقوا الرب.ثم وصيته بعمل الفصح فى شهر أبيب تذكاراً لخروجهم من مصر.

وغرض الكنيسة من قراءة هذه النبوات:

أولا: لتعليم بنيها أن النعمة قد أُعلنت بالناموس والناموس قد أُكملَ بواسطة النعمة «الناموس بموسى أُعطى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا يو١ :١٧» وقال القديس لاون كما أنه لأجل خلاص الشعب الإسرائيلى فى يوم الخمسين بعد آلام الرب الخلاصية قد إنسكب الروح القدس على التلاميذ الأطهار وعلى الشعب المؤمن فى يوم الخمسين من قيامته حتى يعلم الشعب أن الناموس القديم كان معداً لخدمة الإنجيل وأن الناموس الجديد قد تأيد وتثبت بواسطة الروح القدس الذى به نثبت القديم أيضاً راجع يؤ٢ :٢٨ و٢٩ .

ثانياً: لتذكيرهم بأن موسى بعد أن أخذ الشريعة أنذر قومه بها وعلمهم إياها وأمرهم بحفظها وكذلك الرسل بعد أن أخذوا الروح القدس الذى جددهم وجدد فيهم معرفة الأسرار الجديدة بشرونا بها وعلمونا حقائق الإيمان وأمرونا أن نعبد الإله المحسن ذا الطبيعة الأزليه البسيطة المثلثة الأقانيم وإننا إذ إستضأنا بتعاليمهم فلنسجد للآب والإبن والروح القدس مبتهلين إليه أن يقدس قلوبنا ويطهر أجسادنا وأرواحنا.

أما الفصول الرسولية فرتبت لتذكير المؤمنين بالمواهب التى وزعها الله على كنيسته فى مثل هذا اليوم وإن هذه المواهب تفرقت بين المؤمنين مثل تفريق أعضاء الجسد التى تعمل لخير بعضها فالأعضاء كثيرة ولكن الجسد واحد وهكذا الحال فى الكنيسة التى هى جسد المسيح فإن المواهب الروحية فيها مختلفة ولكن الروح واحد وأن غاية هذه المواهب بنيان الكنيسة والواجب على كل عضو أن يستعمل موهبته الخاصة به لمجد الله وخير كنيسته قائلة لهم بلسان الرسول. ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضهم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة ١بط٤ :١٠.

أما المزامير فلأنها نبوة بالبركات التى تتمتع بها الكنيسة وحث على حمد الله وشكره عليها.

أما الفصول الإنجيلية فلأنها بالإجمال تتضمن صلوة المسيح إلى الآب من أجل حفظ تلاميذه وتقديسهم وتمجيدهم وكل المؤمنين معه فى السماء راجع يو١٧ وتعليمه السامرية بإبطال تقديم الذبائح فى عهد الشريعة الإنجيلية والاستعاضة عنها بالذبائح الروحية والعبادة القلبية المقترنة بالإيمان والرجاء والمحبة التى يجب أن تقدم لله من جميع الأمم بالروح والحق لأن الله روح والذين يسجدون له بالروح والحق ينبغى أن يسجدوا يو٤ :٢٠ ــ ٢٥

هذه هى السجدة وتلك معانيها. ونلاحظ هنا.

أولاً: تحتفل الكنيسة بممارسة صلوة السجدة فى عصارى يوم الأحد مع أن الروح القدس حل على الرسل صباحاً فى الساعة الثالثة اع٢ :١٥ وذلك

(١) لأنها فى الصباح تحتفل بقداس العيد الأسبوعى «الأحد» وعيد العنصرة ضمنا.

(٢) لأن الله قد أمر شعبه قديماً بعمل الفصح نحو غروب الشمس أى فى ميعاد خروجهم من مصر تث١٦ :٦ وفى الخمسين بعد الفصح أعطى الشريعة لموسى. وهكذا رتبت الكنيسة عمل السجدة فى العصر إشارة إلى أن يسوع فصحنا الذى ذبح فى مثل هذا الوقت «الساعة ٩ يو٢٧ :٤٩» أى الوقت الذى كان يذبح فيه خروف الفصح هو نفسه الذى «إذا ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس سكبه على تلاميذه فى الخمسين من قيامته اع٢ :٣٣».

ثانياً: تقدم الكنيسة هذه الصلوة مصحوبة بالبخور وذلك إشارة إلى إنتشار رائحة الروح القدس الزكية فى العالم.

ثالثاً: تحرق الكنيسة لبان البخور بالنار للدلالة على أن الله أعطى الشريعة لموسى فى الخمسين بعد تقدمة الفصح بين أصوات الرعد والبرق وكان جبل سينا كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان الأتون خر١٩ :١٦ ـ ١٨ وكذلك الحال لما أعطى الروح القدس يوم الخمسين بعد تقدمه فصحنا وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار وإستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس الخ اع٢ :١ ـ ٤.

رابعاً: عمل الرحمة مع الأحياء أو التصديق على الفقراء من أجل الموتى فى هذا اليوم وذلك ليس كما يوهم بعضهم بأن أرواح المؤمنين تسرح وتمرح فى الخمسين ثم تسجن فى هذا اليوم فيترحم عليها ـ كلا فإن هذا وهم بل خرافة يجب نبذها. وإنما لأنها أيام رفاع ولكثرة الفواكه فيها ـ والرحمة واجبة فى كل وقت ـ أوجبت الكنيسة على بنيها أن يكثروا من الرحمة واجبة فى

أوقات معلومة وهى التى يكون فيها الفقراء أحوج إلى الصدقة وأكثر لزوماً فى غيرها مثل أيام المواسم والأعياد والرفاع. «راجع الحق سنة ١٢».

هذا وعمل الرحمة مع الأحياء من أجل الأموات أمرت به الكنيسة إستناداً على قول الله نفسه خر٢٠:٥ و٦ ومن إحسانه إلى سليمان ورحبعام وأورشليم من أجل داود عبده ١مل١١:٢١ و١٣ و٣٢ وقد فهم آباء الكنيسة هذه الحقيقة كما فهمها رجال العهد القديم فإن داود صنع مع مفيبوشت معروفاً وإحساناً من أجل يوناثان أبيه ٢صم ٩:١ و٣، ٧ كما أنه بارك أهل يبيش جلعاد لدفنهم شاول وابنه ٢صم ٢:٥ و٦ وبوعز لم يترك المعروف مع الاحياء من أجل الموتى را ٢:٢٠ الخ وقد اعترف البروتستانت بذلك بقولهم «يجوز عمل الرحمة والمعروف والمصروف مع الاحياء من اجل الموتى كما فعل داود مع مفيبوشت من أجل يوناثان أبيه[1].

قال بعض العلماء أن عمل بعض أفراد الشعب فى تقديم الفاكهة والخبز إلى الكنيسة كيفما كانت غايتهم منه هو أثر من آثار الطقس اليهودى والمسيحى فالأول كقول موسى للشعب «فتأخذ من أول كل ثمر الأرض الذى تحصل من أرضك... وتضعه فى سلة وتذهب إلى المكان الذى يختاره الرب إلهك ليحل أسمه فيه وتأتى إلى الكاهن الذى يكون فى تلك الأيام... فيأخذ الكاهن السلة من يدك ويضعها أمام مذبح الرب إلهك تث٢٦:٢ ـــ ٤. والثانى ورد فى صفحة ٤٣ من تاريخ موسهيم عن عمل مسيحى الجيل الأول بعض الصلوات تقدم قرابين الخبز والخمر وأشياء أخرى لإعالة خدام الكنيسة والمساكين لأن كل مسيحى ان كان يستغنى عن شىء يأتى بعطاياه قرباناً للرب[2].

(١) راجع المرشد سنة ١٩٠٠

(٢) مرآة الحقائق وجه ٣٧١

وورد فى القانون ٢ و٤ للرسل تقدم إلى البيعة الحبوب والعنب فى أوانه وأما الفاكهة جميعها فترسل إلى البيت أوائل ناجمة للأسقف والقسوس لا إلى المذبح وهؤلاء يوزعونها على الشمامسة.



الفصل الثاني

«صلوة أبو تربو»

أبو تربو أحد المعترفين على يد دوكلتيان الامبراطور الرومانى الوثنى وقد زُجَّ فى السجن وعُذِّب عذاباً أليماً من أجل إعترافه بالمسيح ولما أُطلق سراحه على أثر موت هذا الملك الظالم الوحشى أخذ يجول المدن والقرى منادياً بالإيمان بالرب يسوع فحدث أنه بينما كان ماراً فى الطريق وإذا بكلب لقيه وهم بالفتك به فصرخ إلى الرب ملتمساً النجاة والخلاص من شره والانقاذ من مخالبه السامة فسمع الرب صوت تضرعه ومن ثم أرسل ملاكا فخلصه، ويذكر فى تاريخه أن الرب سر به وجعل فيه كل مسرته لقداسته مز١٦ :٣ فخاطبه بواسطة ملاكه بأن كل من عضه الكلب والتجأ إليه يشفيه بصلواته مت١٠ :٤١ و٤٢ ويع٥ :١١ وذات يوم جىء له بولد أزعجه الكلب فاستحضر سبعة أطفا ل وأخذ يصلى عليه باسم الرب وبعد الصلوة أمر الأولاد بأن يطوفوا حوله سبع مرات وهم يصلون «ألوى ألوى لما شبقتنى» إلهى إلهى لما تركتنى ثم صلى ثانية طالباً من الرب أن يرحمه ويشفيه من عضة الكلب ويحفظ قلبه من الجزع ولبه من الفزع وحواسه من التغيير فأجاب الرب سؤاله وشفى الكلب وبذا اشتهر اسم القديس وذاع صيت قداسته فكان كل من أزعجه أو عضه كلب يذهب اليه فيصلى عليه فيشفى بنعمة الله على يديه.

هذا ولما كانت الصلوة التى وضعها هذا القديس توافق صلوة مسحة المرضى رتبت الكنيسة لها طقساً خاصاً ذا فصول من العهدين وجعلت تمارسه من ذلك الوقت للمصابين وقد أتت بفوائد عظيمة وشعر بمفعولها ونتائجها العجيبة المؤمنون وغير المؤمنين أيضاً.

هذا أبو تربو وهذه صلاته والغاية منها. بقى علينا أن نشرح طقسها وما يشر إليه من المعانى الروحية فنقول:

أولاً: ـ يفتتح الكاهن الصلاة بالمجد للثالوث الأقدس فصلاة الشكر فالمزمور ٥١ وبعد قراءة البولس والإنجيل يقرأ الطلبة وعند قوله «يا من أرسلت ملاكك فخلص عبدك» يضرب بالعصا على الأرض وذلك مماثلة لما فعله هذا القديس إذ ضرب الكلب بأمر الملاك بالعصا فمات وإشارة إلى سيف الروح الذى هو كلمة الله الذى هو سلاح المؤمن الروح الذى به تطفىء سهام الشرير الملتهبة اف٦: ١٠ ـ ١٨

ثانياً: ـ يصلى الكاهن على الخبز والماء وذلك ليباركهما الرب ويجعلهما واسطة للشفاء كما صنع ايليا واليشع ١مل١٣، ٢مل٤.

أما كون عدد الخبزات خمس أو سبع فكلاهما إشارة إلى الخمس أو السبع خبزات التى أشبع بها يسوع الجموع مت١٤و ١٥

وإن الطواف حول المصاب سبع مرات يمينا ومثلها شمالا مأخوذ عن أمر الله ليشوع وقومه بالطواف حول أريحا ستة أيام كل يوم مرة وفى اليوم السابع وحده سبع مرات يش٦: ٣ و٤ وكما أن الله أمر أن يكون عدد الكهنة الذين يدورون حول المدينة سبعة ليهتفوا بالأبواق ويدعوا بإسم الرب ع١٣ كذلك أختير أن يطاف حول المصاب سبعة أولاد لنقاوة ضمائرهم وطهارة قلوبهم وهم

يطوفون مصلين بتلك الصلاة التى فاها بها يسوع على الصليب مت٢٧ :٤٦ وبها يستغيثون بالله مشتركين مع الكاهن فى الصلاة وأستدعاء نعمة الشفاء للمصاب. وكما أن أولئك الكهنة هتفوا فى آخر مرة فى اليوم السابع وعلى أثر هتافهم سقط السور عد ١٦ و٢٠ كذلك يهتف الأولاد فى آخر دورة والكاهن يصلى بإسم الرب وفى ذلك إشارة إلى قوة الله التى هى سر الشفاء وإلى الصلاة التى هى سر القوة قال الرسول إن أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون ٢كو١٠ :٤



الفصل الثالث

«الشفاعة»

الشفاعة لغة ـــ الطلب بوسيلة فيقال إستشفعت به أى طلبت الشفاعة وفى الإصطلاح الكنسى نوعان مطلقة وإضافية فالمطلقة خاصة بالرب يسوع الوسيط الوحيد بين الله والناس. والاضافية ما تثبت إلى غيره على سبيل المشاركة وهذه منها ما هو عام بين الناس وبعضهم ومنها ما هو خاص بأفراد مخصوصين معينين معروفين بين الله والبشر أو بين البشر وبعضهم وهى التى ندعوها شفاعة ونخصها بالقديسين فقط فنتوسط بهم إلى الله كما يجعل الله الملائكة واسطة فى إعلان إرادته أو ابلاغ أوامره للبشر مع أنه يكلمنا أحياناً بنفسه ونحن نستشفع بهم لديه بمعنى أن نسأله ما نحتاجه من النعم وما نرجوه من المراحم من أجلهم وهى جائزة عقلا ونقلا

أما الأول فكلنا يعلم أن الله تعالى قد جعل بين البشر تفاوتاً فى المقام والمنزلة

فالناس طبقات أو درجات تختلف كل واحدة عن الأخرى فى الكرامة والاعتبار إلى ان حكمة الله السامية جعلت صلة بين كل من هذه الطبقات وبعضها فالفقير يستمد حاجته من الغنى وهذا يساعد ذاك ولكن قد يحول دون الطلب ما يوجد بينهما من التفاوت فى الدرجة والمقام ولذا كانت الحاجة ماسة لواسطة يصل بها إلى غرضه والوسائط غير ممنوعة ــ كما يقولون ــ وأعظم واسطة بين الطرفين هى وساطة الإنسان لدى أخيه الإنسان. فاذاً لا بأس من أن يتوسط الفقير إلى الغنى بشخص آخر بغض النظر عما إذا كان الوسيط من أقارب الغنى أو إبنه أو أحد أصدقائه.

على هذا النحو نشعر ـ نحن كبشر ـ بضعفنا وفقرنا وعدم أهليتنا للمثول لدى عرش الله الرهيب وأستدعاء نعمه وعطاياه وإستجلاب عطفه ورضاه اى٤ :١٩ لأننا بالطبيعة خطاة. وتراب ورماد تك١٨ :٢٧ لأجل هذا نأتى إليه ونتشفع بقديسيه لديه لأن يرحمنا وينعم لنا بمغفرة خطايانا. وهذا ما كان ينشده أيوب فى بلواه بقوله لأنه ليس هو إنساناً مثلى فأجاوبه فنأتى جميعاً إلى المحاكمة ليس بيننا مصالح يضع يده على كلينا أى٩ :٣٢ و٣٣ راجع ١صم ٢ :٢٥

ونفعل ذلك لأن الله يُسر به ويرضاه بدليل قول النبى عن إسرائيل أنه قضى بإهلاكهم لولا موسى مختاره وقف فى الثغر قدامه ليصرف غضبه عن أتلافهم مز١٠٦ :٢٣ . وللكنيسة على ذلك أدلة كتابيه قاطعة لا تقبل الجدل أو النقض

(أولا) : من الكتاب الطاهر: ففى العهد القديم قد أمر الله بها صراحة فى قوله لأبيمالك الآن رد امرأة الرجل فإنه نبى فيصلى لأجلك فتحيا تك٢٠ :٧ وقد قال لاليفاز التيمانى ورفيقيه «قد احتمى غضبى عليك وعلى كلى

صاحبيك لأنكم لم تقولوا فى الصواب كعبدى أيوب: والآن فخذوا لأنفسكم سبعة ثيران وسبعة كباش وأذهبوا إلى عبدى ايوب وأصعدوا محرقة لأجل أنفسكم وعبدى أيوب يصلى من أجلكم لانى أرفع وجهه لئلا أصنع معكم حسب حماقتكم أى٤٢ :٧ و٨

وفى العهد الجديد قال القديس يعقوب صلوا بعضكم لاجل بعض لكى تشفوا يع٥ :١٦ وطلب بولس الرسول من تلميذه تيموثاوس أن تقام طلبات وتوسلات وابتهالات وتشكرات لاجل جميع الناس لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله ١تى٢ :١ ـــ ٢ وقال يوحنا الرسول إن رأى أحد أخاه يخطىء خطيئة ليست للموت يطلب فيعطيه حيوة للذين يخطئون ليس للموت ١يو٥ :١٦

(ثانياً) : ـ من صلاة الملائكة والقديسين عنا دائما. ففى العهد القديم نرى أن موسى كان يصلى دائما من أجل شعبه خر٣٢ :١١ و١٢ وعد١١ :٢ وتث٩ : ١٨ وصموئيل النبى كان يصلى لاجل اسرائيل دائما حتى قال لهم مرة. وأما أنا فحاشا لى أن أخطىء الى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم ١صم٧ :٩ و١٠، ٢٢ :٢٣ وكما كان هذان يصليان إلى الرب من أجل شعبهما وهما فى الجسد هكذا يصليان بعد انتقالهما بدليل قول الله نفسه «وان وقف موسى وصموئيل أمامى لا تكون نفسى نحو هذا الشعب أر١٥ :١ وسليمان صلى الى الرب من أجل شعبه ١مل٨ :٢٢ و٢٨ وكذلك حزقيا الملك الصالح صلى من أجل شعبه. فسمع الرب له وشفى الشعب ٢ أى٣٠ : ١٨ ـ ٢٠ ونحميا ١ :٦ وعزرا ١ :١٠.

وفى العهد الجديد نرى أن اسطفانوس قد صلى من أجل راجميه أع٧ :٦٠ وبولس كان يذكر دائماً المؤمنين فى صلواته رو١ :٩ وكو١ :٩، ٢تى١ :٣ الخ.

على أن هؤلاء لا يصلون لأجلنا فقط بل يتوسطون فى تقديم صلواتنا لله وذلك واضح من قول يوحنا عن ال٢٤ شيخاً والأربع حيوانات أنهم أخذوا كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءه بخوراً هى صلوات القديسين رؤ٥: ٨ وقوله. بعد فتح الختم السابع. جاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخره من ذهب وأعطى بخوراً كثيراً لكى يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم على مذبح الذهب الذى أمام العرش رؤ٨: ٣و٤

وقد اعترف البروتستانت أن الشيوخ هنا هم نواب الكنيسة فقد جاء فى تفسيرهم الرؤيا «إن القيثارات والتسابيح والجامات الذهبية للتبخير وقيل هنا أنه قدمت منها صلوات شعب الله المتألم فى الأرض فهذه الصلوات بعد ما جمعت من جامات الشيوخ وضعت فى يد المسيح الوسيط العظيم فهو قدمها لله بخور استحقاقه ويقول أن الشيوخ هنا هم نواب عن الكنيسة. اهـ».

(ثالثاً) : من استشفاع الملائكة والقديسين لشعب الله. ففى العهد القديم نرى أن إبراهيم تشفع لأجل سدوم تك ١٨: ٢٣ ولوط لأجل صوغر تك١٩ : ١٨ ويهوذا لأجل بنيامين تك٤٤ : ١٨ وموسى من أجل شعب الله مراراً خر٣٢ وعد١٤ وتث٩ ومن أجل هرون أخيه عد١٢: ١٣ وفى ذلك قال. فصليت لأجل هرون فقبل الله صلاتى مع أنه غضب عليه ليبيده تث٩: ٢١ لأجل بنى إسرائيل قال المرنم أنه لولا موسى مختاره وقف فى الثغر قدامه ليصرف غضبه عنهم لأهلكهم مز١٠٦: ٢٣ وصموئيل من أجل قومه ١صم ٧: ٩، ١٢: ٢٣

وفى العهد الجديد نرى أن بولس تشفع فى الرجال الذين كانوا معه فى السفينة وقبل الرب شفاعته بدليل قوله. ها قد وهبت لك جميع المسافرين معك أع٢٧: ٢٤

أما القديسون الراقدون فيستدل على شفاعتهم

(١) من قول أصحاب أيوب، ادع الآن. فهل لك من مجيب والى أى القديسين تلتفت أى٥ :١

(٢) من شفاعة الشيوخ فى الكنيسة رو٨ :٣ و٤

(٣) من شفاعة الملاك عن أورشليم فإنه صلى الى الرب قائلا: يا رب الجنود إلى متى لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التى غضبت عليها هذه السبعين سنة زك١ :١٢ وقد قبل الله شفاعته وأجابه الى سؤاله قائلا قد رجعت إلى أورشليم بالمراحم فيبنى بيتى فيها يقول رب الجنود عد١٦.

(رابعاً): من استشفاع الكثير من شعب الله بالملائكة والقديسين. فقد طلب بنو إسرائيل من موسى أن يصلى لأجلهم ليرفع عنهم الحيات فصلى موسى لأجل الشعب عد٢١ :٧ ــ ٩ وطلب فرعون كثيراً من هرون وموسى أن يصليا عنه ليرفع عنه الضربات خر٨: ٨ و٢٨، ٩: ٣٨، ١٠: ١٧ الخ وبنو إسرائيل لما أخطأوا إلى الرب بطلبهم لأنفسهم ملكا وسطوا صموئيل فى الصلاة عنهم واستجلاب رضى الله عليهم بقولهم صل عن عبيدك إلى الرب إلهك حتى لا نموت ١صم ١٢ :٩ كما طلب شاول منه أن يذهب معه إلى بيت الرب ويصلى لأجله، ويربعام ملك إسرائيل لما شلت يده إذ رفعها على النبى طلب إليه قائلا تضرع إلى وجه الرب إلهك وصلى من أجلى فترجع يدى إلىّ فتضرع رجل الله فرجعت يده إليه وكانت كما فى الأول ١مل١٣ :٦ وحزقيا الملك لما تهدده سنحاريب بعث إلى أشعياء النبى قائلا ارفع صلوة من أجل البقية الموجودة ٢مل١٩ :٤ فصلى وقبل الرب شفاعته ٢أى٣٢ :٢٠ وحزقيا الملك لما ضايقه نبوخذ نصر طلب من أرميا أن يصلى لأجله ولأجل شعبه أر٢٧ :٣

ويوحانان بن قاريح وكل رؤساء جيش إسرائيل وشيوخ الشعب قالوا لأرميا النبى ليت تضرعنا يقع أمامه فتصلى لأجلنا إلى الرب إلهك لأجل كل هذه البقية ارميا ٤٢ :٢ والمرأه الشونمية استغاثت باليشع ليشفى ابنها فصلى وقام الولد حياً ٢مل٤ :٢ .

أما فى العهد الجديد فنرى أن سيمون لما وبخه بطرس وزجره لتجرؤه على طلب مواهب الله بالمال طلب من بطرس أن يصلى إلى الرب من أجله لكى لا يأتى عليه شيء مما قاله أع٨ :٢٤ بل أن بولس الرسول نفسه طلب من المؤمنين أن يساعدوه بالصلوة كما وأن يصلوا من أجل القديسين رو١٥ : ٣، ٢كو١ :١١ ، ٢تس٣ :١ واف ٦ : ١٩ وطلب من فليمون قائلاً اعد لى منزلاً لأنى أرجو أننى بصلواتكم سأوهب لكم فل١ :٢٢ وطلب أيضاً إلى تلميذه تيموثاوس أن يصلى من أجل الملوك وكل من فى منصب ولأجل جميع الناس ١تى٢ :٢ وقد كانت الكنيسة تصلى بلجاجة إلى الله من أجل بطرس أع١٢ :٥

وإذا كان بولس نفسه طلب من المؤمنين أن يصلوا من أجله أفلا يجب أن يطلب المؤمنين صلواته؟

وإذا ساغ لنا أن نستمد صلواته وهو فى الجسد الذى كان يئن متألما منه طالباً خلعه فكم بالأحرى يسوغ لنا أن نطلب صلاته هو وأمثاله من قديسى العلى وهم فى السماء؟ بل إذا كان هو إحتاج إلى مؤازرة المؤمنين له بالصلاة أفلا نحتاج نحن إلى دعاء وصلوات القديسين.

فإذا لم ينكر المخالفون هذه الآيات البينات فلا مندوحة لهم من الإعتراف بأن الإستشفاع بالقديسين الأحياء جائز ومفيد ولا نخالهم إلا معترفين. وإذ ذاك فلا يمكنهم أن ينكروا بأن الاستشفاع بالقديسين الراقدين جائز ومفيد أيضاً وقد

أثبتنا آنفاً بآيات ساطعة وبراهين قاطعة انهم يستشفعون بنا وإلا أى فرق بين هؤلاء وأولئك حتى يجوز الاستشفاع بالقديسين الأحياء ولا يجوز الاستشفاع بالمنتقلين منهم إلى السماء ونحن نعلم أنهم أحياء فى السماء وإن فارقوا جسد الخطية على الأرض والمسيح نفسه أعلن ذلك فقال. إن الله ليس إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء لو٢٠ : ٢٨

(خامساً) : وعلاوة على ما ذكر نأتى بشهادة الكتاب عن جواز الاستشفاع بالملائكة والقديسين الراقدين

(١) أن يعقوب أب الآباء طلب البركة من الملاك تك٣٢ :٢٦ وفى ذلك قال النبى جاهد مع الملاك وغلب. وبكى واسترحمه هو١٢ :٤

(٢) ولما بارك حفيديه أفرايم ومنسى قال الملاك الذى خلصنى من كل شر يبارك الغلامين. وليدع عليهما إسمى وإسم أبوى إبراهيم وإسحق تك٤٨ : ١٦ وموسى فى تضرعه عن شعبه استشفع بالآباء بقوله: أذكروا إبراهيم وإسحق ويعقوب الذين أقسمت لهم بذاتك وقلت لهم أكثر زرعكم خر٢٢ :١٣ فموسى هنا سأل الله أن يعفو عن شعبه إكراماً لقديسيه فأدرك ذلك لأنه قيل بعد هذا فندم الرب على الشر الذى قال أن يفعله بشعبه ولا يخفى أن هؤلاء الآباء كانوا رقدوا منذ زمان. ودانيال ورفاقه سألوا رحمة بشفاعة هؤلاء الآباء قائلين لا تنقض عنا عهدك ولا تنزع عنا رحمتك من أجل إبراهيم حبيبك وإسحق عبدك وإسرائيل قديسك دا ٣ :٣٥

وقد سأل دانيال الملاك أن يعطيه قوة فسمع له دا ١٠ :١٦ ــ ١٩ وداود النبى نفسه استشفع بآباء الأسباط بقوله أذكر جماعتك التى اقتنيتها منذ القديم وفديتها سبط ميراثك مز٧٤ :٢ والرب سمع له وذكر عهده مع ابراهيم

مز١٠٦ :٤٥ أشعياء النبى طلب رحمة الله لشعبه مستشفعاً بعبيده الأنقياء: قائلا ارجع من أجل عبيدك أسباط ميراثك أش٦١ :١٧ وسليمان صلى طالباً إنجاز وعد الرب لداود أبيه قائلا: من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك مز١٣٢ :١٠ ثم صلى قائلا أيها الرب الاله لا ترد وجه مسيحك أذكر مراحم داود عبدك ٢أى ٦ :٤٢، ويوحنا الحبيب نفسه استشفع بالسبعة الأرواح لكنائس آسيا قائلا: نعمة لكم وسلام من الكائن والذى كان والذى يأتى ومن السبعة الارواح التى أمام عرشه رؤ١ :٤

(سادساً): إن الله رحم البعض وخلص البعض الآخر من شعبه وأفاض عليهم من بركاته إكراماً لقديسيه الراقدين فانه تعالى.

(١) قد خلص شعبه من أيدى المصريين لمحنته للآباء اذ قيل فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب ونظر إلى بنى إسرائيل خر٣ :٦ وقال لاسحق لا تخف لانى معك وأباركك وأكثر نسلك من أجل إبراهيم عبدى تك٢٦ :٢٤

(٢) قد خلص أورشليم من يد أشور إكراماً لداود عبده قائلا: وأحامى عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسى ومن أجل داود عبدى ٢مل١٩ :٣٤ وكرر هذا القول لحزقيا ٢مل٢٠ :٦٠

(٣) رأف الله بسليمان لما أخطأ وسقط فى عبادة الاصنام من أجل داود أبيه قائلا: من أجل ان ذلك عندك... فإنى أمزق المملكة منك تمزيقاً وأعطيها لغيرك إلى انى لا أفعل ذلك فى أيامك من أجل داود أبيك ١مل١١ :١٢ ولما مزق المملكة أعطى سبطاً واحداً لإبنه قائلا لأجل داود عبدى الذى اخترته الذى حفظ وصاياى ولأجل أورشليم التى اخترتها ٢مل١١ :١٣ و٣٢ و٣٤، ١٥ :٤

(سابعاً): أن الله كثيراً ما أراد أن يرد غضبه عن شعبه لو وجد من يتشفع

لديه فيهم. كقول الله نفسه «وطلبت من بينهم رجلا يبنى جداراً ويقف فى الثغر أمامى عن الأرض لكى لا أخربها فلم أجد. خر٢٢:٣٠» وقوله طوفوا فى شوارع أورشليم وانظروا واعرفوا وفتشوا فى ساحتها هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل وطالب الحق فاصفح عنها ار٥:١

إتضح مما أوردناه جميعه من البراهين الكتابية التى لا تقبل نقضاً ولا تأويلا

(١) إن شفاعة القديسين جائزة ومفيدة ومصرح بها من الله نفسه

(٢) إنه من الواجب طلب صلواتهم كما أمر الله خر٢٠:٧ وأى٤٢: ٨

(٣) أنهم يصلون لأجلنا ويتشفعون فى البشر أمام الله

(٤) أنهم يقدمون صلوات المؤمنين إلى عرش الله

(٥) أن شفاعتهم مقبوله لديه

(٦) أننا بصلواتهم ننال أشياء كثيرة وبركات وفيرة

(٧)أن بشفاعتهم يرحم الله شعبه

(٨) أنه يسر بشفاعتهم عن الغير لا فرق بين الأحياء منهم والأموات:

(ثانياً) : من التقليد: فقد أثبت أن الاستشفاع بالقديسين أمر تقوى ومفيد. فأوسابيوس الذى كان فى القرن الثالث أوضح أن الاستشفاع بالقديسين قديم فى الكنيسة فقد قال فى كلامه عن مدافنهم «لأننا اعتدنا الإجتماع عند مدافنهم وتقديم الصلوات والنذور هناك وتكريم نفوسهم الطوباوية وقد أصبنا فى رسم ذلك «الاستعداد الإنجيلى ك١٣ :رأس١١ وقد أثبت أوريجانوس فى كتابه ضد جليوس فى كلامه عن الملائكة والنفوس المالكة مع الله «أنهم يساعدون من يريدون أن يعبدوا الله السامى ويسترضون عنهم ويقرنون صلواتهم مع صلوات أولئك إذ يسألون لهم شيئاً»

(ثالثاً) : من أقوال الآباء وهى أكثر من أن تحصى فى هذا الصدد ونذكر بعضها على سبيل المثال. فالقديس: كبريانوس فى كتابه إلى كرنيليوس قال «فلنذكر بعضنا بعضاً ولنصل بعضنا عن بعض دائماً وإذا سبق أحدنا الآخر من هنا إلى الحيوة الأخرى فليواصل محبته عند الله ولا يكف عن الصلوة من أجل الأخوة والأخوات لدى رحمة الآب. وقد ختم كلامه على العفة والعذارى هكذا فاذكرينا أيتها العذارى متى ابتدأ فيكن تشريف العذرية فى السماء» والقديس أثناسيوس الرسولى قال فى خطابه على الإنجيل عن والدة الإله. أيتها السيدة والملكة أم الله إشفعى فينا وغير هؤلاء كثيرون كالذهبى فمه والقديس باسيليوس والقديس أفرام والقديس أيريغموس واغسطينوس.

(رابعاً) : من أقوال المجامع ولا سيما المجمع الثالث القسطنطينى فانه يثبت هذه الحقيقة وإذا رجعنا إلى كتاب الخدم الإلهية «القداس» والتى بعضها من وضع الرسل أنفسهم نجد هذه الحقيقة مسطره بوضوح وجلاء

(خامساً) : من أقوال البروتستانت: أن البرتستانت وإن أنكروا ذلك لفظا إلا أنهم يعترفون به كتابة. فقد جاء فى كتاب قانون الإيمان الذى سنوه فى أغسطا ما نصه «نسلم بأن الملائكة يصلون عنا فان لنا فى ذلك شهادة زكريا حيث الملاك صلى عن أورشليم الخ» بل قد اعترفوا بوجود شفعاء غير المسيح وأن شفاعتهم غير شفاعة المسيح وهاك أقوال نقلا عن كتبهم. جاء فى مغنى الطلاب صحيفة ١٢٠ تحت كلمة ــ شفاعة ــ.

شفاعة المسيح أش٥٣ :١٢ وعب٧ :٢٥ ورو٨ :٣٤ و١يو٢ :١ أنظر لو٢٣ :٣٤
الشفاعة لأجل الملوك الخ ١تى٢ :١ ورو١٥ :٣ و٢كو١ :١١ وأف١ :١٦، ٦ : ١٨ وكو٤ :٣ و١تس ٢تس٥ :٢٥، ٣ :١ وعب١٣ : ١٨

شفاعة إبراهيم لأجل سدوم تك١٨ :٢٣ ولوط لأجل صوغر تك١٩ : ١٨ ويهوذا من أجل بنيامين تك٤٤ : ١٨ وموسى لأجل شعبه وأخيه وأخته خر٣٢ :١١ ، ٣٣ :١٢ وعد١١ :٢ ، ١٢ :١٣ ، ١٤ :١٣ وتث٩ : ١٨ وشفاعة صموئيل ١صم١٢ :٢٣ وداود ٢صم٢٤ :١٧ واسطفانوس اع٧ :٦٠ وبولس رو١٠ : ١ ، ٢تي١ : ١٨ ، ٤ : ١٦

وجاء في صحيفة ١٣٠ تحت عنوان الصلاة الشفاعية

المسيح قدم مثالا لها لو٢٢ :٣٢، ٢٣ :٣٤ ويو١٧ :٩ — ٢٤ الآمر بها١تي٢ :١ الخ - إلى أن قال - تقدم من خدام المسيح لأجل الرعية أف١ :١٦ ، ٣ :١٤ — ١٩ وفي١ :٤ . التشجيع بها يع٥ :١٦ و١يو٥ :١٦ نافعة لمقدمها أي ٤٢ :١٠ خطية التهامل بها١صم١٢ :٢٣ طلب الفائدة منها ١صم١٢ :١٩ وعب١٣ : ١٨ عدم نفعها لغير التائبين المتمردين أر ٧ :١٣ — ١٦، ١٤ :١٠

مثالها إبراهيم تك ١٨ :٢٣ — ٣٢... وموسى خر٨ :١٢ و٣٢ :١١_١٣ و١صم٧ :٥ وسليمان ١مل٨ :٣٠ — ٣٦ واليشع ٢مل٤ :٣٣ وحزقيا ٢ أي٣٠ : ١٨ وأشعياء ٢أي٣٢ :٢٠ ونحميا ١ :٤ — ١١ وداود مز٢٥ :٢١ وحزقيال ٩ :٨ ودانيال٩ :٣ واسطفانوس أع٧ :٦٠ وبطرس ويوحنا أع ٨ :١٥ وكنيسة أورشليم أع١٢ :٥ وبولس كو١ :٩_١٢ و٢تس١ :١١ وابفراس كو٤ :١٢ وفليمون٢٢ .

وفي صحيفة ٨٩ أثبتوا أن المرنسلين هم شفعاء ومن واجباتهم التشفع بالآخرين كو٤ :٣ وعب١٣ : ١٨ ويع٥ : ١٦ .

وفي صحيفة ٢٢٥ تكلموا عن شفاعة موسى لأجل مريم عد١٢ :٣ ولأجل الشعب عد١٤ :١٣

وفى صحيفة ٢٢٦ اعترفوا «بأن من امتيازات «حقوق» القديسين التشفع بالآخرين تك١٨ :٢٣ ـ ٣٣ وأش٦٢ :٧ وأن المسيح شفيع بهم رو ٨: ٣٣ وعب٧ :٢٥ وا يو٢ :١

الاعتراضات والرد عليها

أولا: ـ يعترف أن القديسين الراقدين لا يعلمون صلواتنا ولا يعرفون شيئاً عنا والعلم لله وحده.

إن كان ذلك على سبيل الاطلاق فأسلم. وإما إن كانت هذه المعرفة بواسطة فإنكر فإنهم يعلمون وهذا العلم ليس ذاتياً فيهم وإنما هو مفاض عليهم من أبى الأنوار الذى منه كل عطية صالحة وموهبة تامه، ومعرفتهم مستمدة منه بمعنى إنهم يعرفون الأمور الحاصلة بوحى إلهى فالعلم فى الله ذاتى فيه جل وعلا وأما فى القديسين فهو اكتسابى ومصدره الله على كل حال. والله يستطيع أن ينبىء قديسيه بما هو كائن وعتيد أن يكون كما أنبأ يوحنا وملائكة السبع الكنائس رؤ١ :١

على أن الكتاب الإلهى يعلمنا أن الملائكة والقديسين يسمعون صلواتنا ويعرفون بالأمور الحاصلة على الأرض فقد عرف يوسف بأن الله سيخرج شعبه من مصر وأوصاهم أن ينقلوا معهم عظامه تك٥٠ :٠ وعرف حلم فرعون وأنبأه به كما عرف حلم رئيس السقاة ورئيس الخبازين وأنبأهما بما سيحدث لكل منهما تك٤٠ و٤١ وصموئيل النبى عرق بوجود الأتن وأخبر شاول بها قائلا اصعد أمامى إلى المرتفعة فتأكل معى اليوم ثم أطلقك غداً وأخبرك بكل ما فى قلبك وأما الأتن الضالة لك منذ ثلاثة أيام فلا تضع قلبك عليها لأنها قد وجدت ١ صم٩ :١٩ .. واليشع النبى قد عرف بما فعله جحيزى تلميذه من أخذ

الثياب وغيرها من نعمان السريانى ٢مل٥: ٢٦ وعرف ايضاً بما كان فى قلب ملك آرام من جهة إسرائيل وأنبأ به ملك إسرائيل ليحتاط لنفسه ويتقى شره ٢مل٦ :١٢ . حتى أن ملك آرام دهش واستغرب ولما سأل عن سر ذلك قال له واحد من عبيده. أن اليشع النبى يخبر ملك إسرائيل بالأمور التى تتكلم بها فى مخدع مضجعك ع١٤ وعلم أيضاً أن الله قد دعا بجوع على الأرض سبع سنين وأخبر المرأة التى أحيا إبنها وأمرها أن تتغرب حيثما تريد ٢مل٨ :١١ وعلم بالرخاء الذى كان عتيداً أن يكون فى السامرة وأنبأ به شعب الله قبل حصوله بيوم ٢٠ مل٧ :١ ولما استخف جندى الملك بهذا القول ولم يصدقه أنبأه بأنه سيراه بعينه ولكنه لا يأكل منه ع١٩ فكان كما قال وداسه الشعب فى الباب فمات ع٢٠ : ولما أرسل ملك إسرائيل يفتش على اليشع عند حدوث الجوع فى السامرة عرف ذلك النبى وقبلما أتى الرسول إليه قال للشيوخ. هل رأيتم أن ابن القاتل هذا قد أرسل لكى يقطع رأسى. انظروا إذا جاء الرسول فاغلقوا الباب واحصروه عند الباب. أليس صوت قدمى سيده وراءه وبينما هو يكلمهم إذا بالرسول نازل إليه ٢ مل ٦ : ٣٢ الخ وعرف أن ملك آرام سيموت وأنبأ رسله بذلك ٢مل٨ :١٠ وعرف أيضاً أن حزائيل ملك آرام سيملك على إسرائيل ويعمل بهم شراً ويحرق حصونهم ويقتل شبابهم بالسيف ويحطم أطفالهم ويشق حواملهم ٢مل٨ :١٢ ودانيال عرف بحلم نبوخذ نصر وأنبأه به وأعلمه بما سيكون دا ٢ :٢٥.

هذا وفى العهد الجديد نرى أن بطرس علم بإختلاس حنانيا وسفيرة أمرأته من ثمن الحقل وعاقبهما شر عقاب أع٥ :١ ــ ١١ وقد عرف موسى وإيليا عند التجلى بإلهام من الله كما قال ترتليانوس مت١٧ :٦ كما قد عرف وقت

إنحلاله «موته» ٢بط١ :١٤ كذلك بولس الرسول قد عرف وقت رقاده ٢تى٤ :٦

إتضح من هذه الآيات أن القديسين يعرفون بما هو كائن ويكون بالنعمة المفاضة عليهم والمعرفة الإلهية الممنوحة لهم ١صم٣ :١٩ وانهم ينبئون الغير بما كان ويكون بل يستطيعون أن يستخبروا الإنسان بكل ما فى قلبه وإن قيل أن هذه المعرفة محصورة فى الأحياء فقط أما الأموات فلا يعرفون شيئاً «فنقول كلا لان الله الذى منحهم هذه المعرفة وهم فى الجسد حفظها لهم بعد خروجهم منه ولا يعقل أنه يسلبها منهم وهم مالكون معه فى السماء لا سيما وقد صرح الله نفسه بأنهم أحياء سواء كانوا فى الجسد أو خارجه كما قال الرب «وليس هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء» لو٢٠ : ٣٨

على أن هذه المعرفة هنا جزئية وستكون فى السماء كاملة حيث يخلعون هذا الغلاف الكثيف الذى يحجب عنهم نور المعرفة الكاملة على الأرض وقد أوضح الرسول هذه الحقيقة بما لا يدع مجالاً للشك راجع ١كو٨:٢، ١٢:١٣

ونأتى هنا على الأدلة الكتابية الدالة على أن الله لا يحجب عنهم نور العلم بخفايا المستقبل بعد مفارقة أجسادهم: ـ

ففى العهد القديم نقرأ

(١) أن صموئيل النبى عرف شاول وأنبأه بما سيصيبه فى المستقبل كقوله لماذا أقلقتنى بإصعادك إياى فقال شاول قد ضاق بى الأمر جداً. «فدعوتك لكى تعلمنى ماذا أصنع» فقال صموئيل ولماذا تسألنى والرب قد فارقك وصار عدوك وقد فعل الرب لنفسه كما تكلم عن يدى وقد شق الرب المملكة من يدك

وأعطاها لقريبك داود.لأنك لم تسمع لصوت الرب.. لذلك قد فعل الرب بك هذا الأمر اليوم. ويدفع الرب اسرائيل أيضاً معك ليد الفلسطينيين وغداً أنت وبنوك تكونون معى ١صم ٢٨ :١٥ــ٢٠

(٢) أن إيليا النبى عرف بعد انتقاله شرور يهورام بن يهوشافاط ملك يهوذا التى عملها وبعث إليه برسالة يعلنه بانتقام الله منه بسبب ذلك وأنبأه بالميتة التى يموت بها ٢أى٢١ :١٢ ــ وقد عرف الملاك مصائب أورشليم فتشفع فيها لدى الله زك١ :١٢

أما فى العهد الجديد فإن المسيح أوضح هذه الحقيقة باجلى بيان بقوله وأقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطىء واحد يتوب لو١٥ :١٠ وبديهى أن المعرفة علة الفرح وهو معلول بها فإذا لم يعرفوا بتوبة الخاطىء كيف يفرحون؟ ولكنهم يعرفون ولذلك هم يفرحون قال السيد. أنظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار «لأنى أقول لكم أن ملائكتهم فى السموات كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات مت ١٨ :١٠» وهذا دليل على معرفتهم بالأمور الحاصلة على الأرض ومنها الإهانة التى تقلق أولاده فيرفعونها إلى الله لأنهم وقوف أمامه يحامون عنهم بما أنهم موكلون لحراستهم ويطلبون الإنتقام ممن يؤذيهم

هذا وقد عرف إبراهيم بحالة الغنى ولعازر إذ كانا على الأرض لو١٦ :٢٥ فكيف عرف ذلك. وكيف تكلم عن موسى والأنبياء لو١٦ :٢٩ وهو لم يرهم؟

وقد عرف الشهداء تمهل الله على قاتليهم فصرخت نفوسهم بصوت عظيم قائلين حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضى وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض رؤ٦ :١٠

والملائكة فى السماء يقدمون صلواتنا لدى عرش الله رؤ٥: ٨ و٨: ٥ فاذا لم يعرفوا صلواتنا كيف يرفعونها إلى الله:

على أن علم القديسين كان مشهوراً ومعروفاً لدى العامة والخاصة من شعب الله قديماً وحديثاً ولذا كانوا يقصدونهم لينبئوهم بأمورهم فشاول دعا صموئيل ليعلمه بما يفعله ١صم ٢٨: واستغاث يهوشافاط بميخا النبى واستخبر ملك أرام من اليشع. هل يشفى من مرضه ٢صم ٨:٩ وكذلك عبيد شاول لما ضاعت الأتن قالوا هوذا رجل الله فى هذه المدينة والرجل مكرم. كل ما يقوله يصير. لنذهب الآن الى هناك لعله يخبرنا عن طريقنا التى نسلك فيها ١صم ٩ :٦ وقول أصحاب أيوب «ادع الآن فهل لك من مجيب. وإلى أى القديسين تلتفت» من أكبر الأدلة على ذلك

ثانياً: ـ يعترض بأن الرسول أعلن أن الوسيط الوحيد بين الله والناس يسوع المسيح ١تى ٣ :٥

أن كلام الرسول هذا عن وساطة يسوع التى ناب فيها عن البشر فى مصالحتهم مع الله الآب وبها أزال السياج المتوسط. أى العداوة أف٢ :١٤ إلخ كما برهن على ذلك بولس الرسول من مقابلته وساطة رئيس الكهنة فى العهد القديم مع وساطة المسيح فى رسالته إلى العبرانيين مبيناً أن وساطة يسوع لم تكن كوساطة رئيس الأحبار قديماً الذى كان يدخل إلى قدس الاقداس مرة كل سنة ليكفر عن خطايا الشعب بواسطة رش الدم بل هو وسيط عهد جديد أفضل من ذلك بما لا يقاس إذ قدم نفسه مرة واحدة فوجد فداء أبدياً عب٩ :١٢ الخ ووساطته واحدة مستمرة ومن حيث كونه وسيط عهد جديد ففضل توسطه عم الكل ومن حيث كونه قدم نفسه ترضية للعدل الالهى

ولمطاليب الشريعة بذبيحة نفسه فهو يريد خلاص الجميع لأن شفاعته كانت عن الجميع. وبهذا الإعتبار نحن لا نعرف وسيطاً آخر غير يسوع ولا مخلصاً سواه وهذا تعليم الكنيسة الجامعة الذى تنادى به على رؤوس الأشهاد وتلهج به فى كل زمان ومكان، وتترنم بذكره فى كل آن وآوان، بل تخاطب يسوع وسيطها الوحيد فى كل يوم فى قداساتها قائلة «لا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا رئيس آباء ولا نبى إئتمنتهم على خلاصنا بل أنت بغير إستحالة تجسدت وتأنست وأشبهتنا فى كل شيء ما عدا الخطية وصرت لنا وسيطاً مع الآب والسياج المتوسط نقضته والعداوة القديمة هدمتها واللعنة أزلتها وصنعت صلحاً مع السمائيين والأرضيين وجعلت الاثنين واحداً وأكملت التدبير بالجسد»

على أن وساطة المسيح هى واحدة فى جوهرها وغايتها ومع هذا فإنها لا تنفى وجود شفعاء غير يسوع بدليل: ـ

(١) أن الكتاب دعا الروح القدس شفيعا رو٨ :٢٦

(٢) والملائكة وسطاء ونوابا يقدمون لله صلواتنا وأن صلوات القديسين تقدم إلى الله عن يدهم أى بواسطتهم رؤ٥ :٨، ٨ :٥ ولكن بنوع يختلف عن وساطة يسوع وشفاعته بمقدار ما هو وسيط لعهد أفضل.

(٣) والبروتستانت يعترفون بذلك كما رأيت من أقوالهم التى أتينا عليها نقلا عن كتبهم ونزيد عليها هنا شهادة أخرى من إتفاق البشريين صحيفة ٢٢٥ حيث جاء فيه ما نصه «وقيل فى هذا المثل الوارد فى مت ١٣ :٤٩» أن إفراز الأبرار عن الأشرار يتم بواسطة الملائكة ونتعلم من أماكن أخرى أنهم أرواح خادمة لشعب الله فى هذا العالم غير أن خدمتهم غير منظورة.

ثالثاً: ـ يعترض بأن الكتاب يعلمنا أن المسيح هو الشفيع الوحيد وأنه حى ليشفع فينا وليس شفيع غيره رو٨ :٣٤ وعب٧ :٢٥ ، ١يو٢ :١

أن كلام الرسولين فى هذا الآيات إيضاح بأن شفاعة المسيح التى قدمها على الصليب هى شفاعة دائمة مستمرة ووساطته أبدية تشمل كل آت بالإيمان إلى المسيح كما هو واضح من نفس الآيات السابقة كما شملت الذين ماتوا على رجاء الإيمان به يو٢٠ :٢٩ و٢كو٥ :٧ و١بط١ : ٨ وعب١١ :٤٠ ولذا قال الرسول فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله اذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم عب٧ :٢٥ بإستحقاقات آلامه وموته على الصليب كفارة لخطايانا وليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً ١يو٢ :٢ أما شفاعته فى السماء الآن فهى كما يقول العلماء من باب التعريض وهى أن يطلب الطالب حاجته بدون تصريح بها وعلى هذا النوع يشفع المسيح فينا بمعنى أنه يكشف لأبيه عن سمات جراحه التى بها شفينا وآلامه التى تحملها لأجلنا أش٥٣ :٥ والتى كانت الواسطة لخلاصنا عب٢ :١٠ وليس بمعنى أنه يتوسط لاجلنا فى تقديم صلواتنا إلى الآب كما يفعل الملائكة أو كما توسط سليمان بابيه مز١٣٢ :١٠ ولا بمعنى ما كان على الأرض والا فيكون خلاصنا ناقصاً وموته عنا غير كامل وبالتالى يكون كلام الرسول أنه قدم نفسه ذبيحة فوجد فداءً أبدياً عب٩ :١٣) وهما لا حقيقة والنتيجة تكون شفاعة المسيح كشفاعة رئيس الاحبار قديماً حيث كان يدخل الى الأقداس كل سنة ليكفّر عن خطايا الشعب لعدم كمال تقدمته ولكن شفاعة المسيح كاملة ودائمة لأنه حى فهو يتراءى قدام أبيه ـــ أى يظهر لأبيه جراحاته وهى وحدها كافية لأن تحرك أحشاء رحمة إلهنا علينا وكلما نظر الله الآب جراحات إبنه الحبيب يذكر وساطته عنا وشفاعته فينا وموته لأجلنا فيشفق علينا ويرحمنا كما كان الحال

فى قوس قزح قديماً وهذا على وفق قول الرسول لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقة بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا عب٩ :٢٤

على أن شفاعة المسيح هذه ليست كشفاعة رئيس الأحبار قديما ولا كشفاعة القديسين إنما هى شفاعة غايتها الخلاص من الخطية والتحرير من العبودية والانتقال من الموت إلى الحيوة ومن ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان به غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين أع٢٦ : ١٨

أما شفاعة القديسين فهى عباره عن صلوة يقدمونها لأجلنا ليترأف الله علينا ويعطينا سؤلنا من أجل إسمه رؤ٥ : ٨ كنواب عن البشر رؤ٨ :٥ ونحن نستشفع بهم طالبين من الله أن يرحمنا وأن لا يردنا من أجلهم على مثال ما فعل سليمان مز١٣٢ :١٠ والفتية فى أتون بابل. وما هى «الشفاعة بهم» إلا إحدى أثمار الصليب وواحدة من نتائج الفداء الذى أنعم الله علينا به فى شخص إبنه المحبوب فشفاعة المسيح إذا لا تنفى وجود شفعاء غيره وبمعنى يختلف عن شفاعته كما ثبت ذلك من البراهين التى أوردناها سابقا.

على أن الرسول أثبت بعبارة جلية صريحة أن القديسين وسطاء بين الله وشعبه باعتبار كونهم وكلاء له ١كو٤ :١ ونوابا عنه فقد قال ولكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة.. إذاً نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله ٢كو٥ : ١٨ ــ ٢٠ فقوله هذا فى الأصل اليونانى يفيد معنى الشفاعة.

ولو سلمنا جدلا بأنه لا يوجد شفيع غير يسوع فماذا يقال عن شفاعة

الروح فينا رو٨ :٢٦ و٢٧ ؟ وما معنى السلام الذى أعطاه يوحنا لكنائس آسيا «من الكائن... ومن السبعة الأرواح التى أمام عرشه رؤ١ :٤» ؟

فإذا كان الروح يشفع فينا بمعنى «الكلمة» فتكون شفاعة المسيح غير كاملة وبالتالى بطل أن يكون هو الشفيع الوحيد ولكن إذا قلنا أن شفاعة الروح تختلف عن شفاعة المسيح والمراد بها التقوية والعضد وجاز لذلك تطلق عليه لفظة شفيع كان ذلك دليلا على جواز إطلاق لفظة شفيع على غير يسوع وبالتبعية كان إسنادها إلى القديسين جائزاً وأن اختلفت شفاعتهم عن شفاعة المسيح والروح القدس أيضاً أما كون المسيح شفيعاً بالمعنى الذى نطلقه على القديسين — أى بمعنى إنه يصلى لأجلنا أو يقدم صلواتنا لله الآب. فهذا تعليم أريوس وتفسير نسطورى بدعة شيطانية يجب رفضها ونبذها ومحاربتها لأننا.

(١) نكون قد جعلنا المسيح الكائن على الكل إلهاً مباركا رؤ٩ :٥ كاحد القديسين أو كأحد الملائكة المرسلين لخدمتنا عب ١ :١٤ والذين يتوسطون فى تقديم صلواتنا لله ويرجونه قبولها.

(٢) نكون قد فرقنا بين الله وإبنه فى الجوهر والقدرة والخيرية والعظمة والسلطان ونحن نقول بمساواته للآب مع الروح القدس كقوله أنا والآب واحد يو ١٠ :٣٠

(٣) نكون قد جددنا بدعة آريوس الذى فرّق بين الآب والمسيح.

على أن البروتستانت قد اعترفوا «عدا أقوالهم السابقة بوجوب إطلاق لفظة شفيع على غير يسوع وقد أطلقوها على الأنبياء والقديسين والخدام وهناك ما أوضحه العلامة متى هنرى فى خلال تفسيره لشفاعة الكرام لأجل شجرة التين «نستفيد من ذلك أن المسيح هو الشفيع أى الوسيط العظيم وهو أيضاً دائماً حى

لكى يشفع فينا وأن الخدام هم أيضاً شفعاء أى وسطاء وأنه يجب على الذين يفلحون الكرم أن يتوسطوا لأجله وأنه يجب علينا أن نصلى من أجل الذين نبشرهم» هذا ما قاله أكبر علماء البروتستانت وهو وحده كاف للإقناع.

رابعاً: ـ يعترض بأن الكتاب يعلمنا أن القديسين لا يخلصون إلا أنفسهم وببرهم وقد رفض الله شفاعتهم أر١٥ :١ وحز١٤ :١٤.

أن من يتأمل فى قول الله بعين سليمة من مرض الغرض يدرك لأول وهلة أن هذا القول لا ينفى شفاعة القديسين ولا يستنتج منه رفض الله شفاعتهم بل بالعكس فإنه يدل على جواز الاستشفاع بهم وأن شفاعتهم مقبولة وأنهم وقوف أمام عرش الله يسألون النعم للبشر والرحمة لشعبه. وإنما عدم قبولها هذه المرة ناشىء لأسباب منها.

(١) شر أولئك القوم وتعاظم إثمهم بتماديهم فى العصيان والتمرد على الله لدرجة نفذ معها الصبر وضاق منها الصدر

(٢) لنبذهم كل علاج قدم لشفائهم

(٣) لأن الشفاعة فيهم لا تفيدهم ما داموا مصرين على آثامهم ولم يظهروا ثمراً للتوبة ولا حزناً على الخطية ولا اجتناباً لها.

هذا ولا يعقل ان الله الذى حامى عن المدينة ليخلصها من أجل داود عبده وقبل شفاعة الملاك عنها وشفاعة موسى وصموئيل عن شعبهما قديماً وهما على الأرض بالجسد خر٣٢ :١١ و١٢، ١صم٧ :١٢ ومز٩٩ :٦، ١٠٦ :٢٣ يرفض شفاعة قديسيه وهم فى السماء إلا إذا كانت الحيوة الجسدية على الأرض أكثر قيمة فى نظر الله من حيوة الروح فى السماء وأنه يكرم قديسيه ويسمع تضرعاتهم ويقبل شفاعتهم طالما كانوا فى الجسد فقط وإذا ما خرجوا

منه أهمل شأنهم وصرف وجهه عنهم. وإذا كان الأمر كذلك «إذا الذين رقدوا في المسيح هلكوا «وإن كان رجاؤنا في هذه الحيوة فقط فنحن أشقى جميع الناس إذا لنأكل ونشرب لأننا غداً نموت» وهذا لا يقوله مسيحي يعيش ويموت على رجاء قيامة الأموات وحيوة الدهر الآتي:

وإذا تأملنا قليلا في آية الإعتراض رأينا أنها تدل في الحقيقة لا على رفض صلوات الأبرار بل على رفض الأشرار أنفسهم وأية شفاعة فيها عقاباً لهم على تركهم إياه ورفضهم لشريعته وسماع صوته ومخالفتهم لأوامره وعدم اجتناب نواهيه ومحظوراته وذهابهم وراء مشورات وعناد قلبهم الشرير انظرا ار١ و ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ :٢٣ ، ٢٤ الخ ٩ :١٣ الخ و١١ :١١ ، ١٣ :٢٢ ، ١٤ :١٠ إلخ فالعيب عيبهم وسبب الرفض هو من أجل بليتهم ار١١ :١٤ بدليل.

(١) نهى الله لأرميا عن الصلوة من أجلهم للخير ١٤ :١١ وتهديده بعدم قبول صلواته إذا هو صلى أو رفع دعاء من أجلهم قائلا ولا تلح عليّ لأني لا أسمعك ار٧ :١٦ .

(٢) تصريحه يرفض أية شفاعة فيهم سواء كانت من القديسين الأحياء أو الراقدين كقوله «وأن وقف موسى وصموئيل أمامي لا تكون نفسي نحو هذا الشعب ار١٥ :١ وخر١٤ :١٤ .

(٣) تصريحه لشعبه بأنهم إذا اتوا رأساً فانه لا يسمع صراخهم وإذا صاموا أو أصعدوا تقدمه لا يقبلهم بل بالسيف والجوع والوباء يفنيهم ار١٤ :١٢ .

على أنه لو لم تكن شفاعة القديسين مقبولة لديه لما نهى أرميا عن الصلوة من أجل شعبه وأنذره «حتى لا يصلي لأجلهم» وإذ صلى فلا يسمعه ار٧ :١٦ ، ١١ :١٤ كما صلى موسى عن شعبه للخير وقد وضع البروتستانت «دليلا على

ذلك» شاهد هذه الآية ما جاء فى خر٣٢:١٠ المتضمن شفاعة موسى عن قومه وما جاء فى ١يو٥:١٦ الخاص بعدم الصلوة من أجل الذين يخطئون للموت.

فقول الله إذا «وأن وقف موسى وصموئيل أمامى لا تكون نفسى نحو هذا الشعب فضلا عن دلالته على جواز الاستشفاع بالقديسين وقبول الله شفاعتهم من أجل الخطاة التائبين فهو مماثل فى معناه لقول الله لأرميا لا تصلى من أجلهم فإنى لا أسمعك ار٧:١٦ بدليل وضع البروتستانت شاهد هذه الآية على ما جاء فى أر١٥:١ وهو قوله «وأن وقف موسى وصموئيل الخ» فالغاية من النص الأول والثانى واحدة وهى عدم الصلوة من أجل الأشرار وبعبارة أخرى تصريح الله بعدم سماع الصلاة أو قبول الشفاعة عنهم عام لا خاص أى يشمل القديسين الأحياء والراقدين معاً.

أن غاية الله من نهى أرميا عن الصلوة وتصريحه بعدم قبول شفاعة موسى وصموئيل فيهم هى أن يكف النبى عن الإلحاح على الله من أجلهم كقوله «لا تلح على» وليمتنع القوم أنفسهم عن الاستشفاع بالقديسين فان ذلك لا يجديهم نفعاً ما دام الله وقد قضى بهلاكهم ولا ردا لقضائه.

وهذا يوافقه قول أصحاب أيوب «ادع الآب فهل لك من مجيب وإلى أى القديسين تلتفت أى٥:١ أى أنه لا فائدة له من الالتجاء إلى القديسين وقد حكم الله بعقابه جزاء شره على زعمهم كما يتضح من قولهم له «هذا نصيب الانسان الشرير من عند الرب. وهذا ميراث العتاه من عند القدير».

وفى العهد الجديد نرى أن المسيح لم يشأ أن يسأل من أجل العالم «الأشرار» يو١٧:٩ ويوحنا نهى عن الصلوة من أجل الذين يخطئون للموت ١يو٥:١٦.

أما سبب قبول الله شفاعة موسى وصموئيل قديماً فراجع إلى توبة الشعب نفسه لا لأن هذين الشفيعين العظيمين كانا حيين ولما ماتا مات الرجاء بشفاعتهما لأن القديسين أحياء سواء كانوا فى الجسد أو خارج الجسد وليسوا أمواتاً كما صرح الرب نفسه «أنا الرب إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب وليس هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء لو٢٠:٢٨» وهذا ما قاله أحد العلماء البروتستانت «كان لشفاعة موسى تأثير عظيم فعفا الرب عن الشعب وقوله ندم الرب عن الشرير يراد به أنه لم يعاقبهم عليه مع استحقاقهم إياه ولا يلزم من ذلك أن الله غير قصده لأنه كان عالماً أن موسى يشفع فى الشعب وأنه يقبل شفاعته لأن عقابه مشروط بعدم الشفاعة والتوبة وهنا الأمران فإن موسى شفع والشعب تاب على خر٢٢ :١٠ صفحة ٤٤٨ :٢.

وإذا أخذنا بقول المعترض من أن القديسين يخلصون أنفسهم ببرهم خر١٤ :١٤ لكان ذلك منافياً لتعليم الكتاب الذى ننادى به نحن وهم وهو إن الخلاص ليس ببر الإنسان الذاتى بل بالإيمان بالمسيح وحده والإتكال على بره ورحمته وإن ما نعمله من خير وصلاح وإنما من صلاح الله وجوده وعمل نعمته فى قلوبنا فهو العامل فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة.

وإلا إذا كان القديسون يخلصون أنفسهم ببرهم فما فضل النعمة إذا وما عمل الإيمان وقوته؟ الحق أنه ليس ولا واحد يستطيع أن يخلّص نفسه ببره. إنما الخلاص بالإيمان لأنكم بالنعمة مخلصون بالأيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله أف٢ : ٨ والا أن كان الخلاص ببر الإنسان فالمسيح إذاً مات بلا سبب غل٢ :٢١

أما قول الله عن القديسين أنهم يخلصون أنفسهم ببرهم فليس معناه أن

صلواتهم عن الغير لا تفيدهم ولا لأن برهم يخلصهم كلا بشهادة الكتاب من أن «بر الكامل يقوم طريقه أما الشرير فيسقط بشره بر المستقيمين ينجيهم أما الغادرون فيؤخذون بفسادهم. واستقامة المستقيمين تهديهم واعوجاج الغادرين يخربهم أم١١ :٣ و٥ و٦ والمعنى فى هذا واضح وهو أن كل واحد تنفعه أعماله وأنه إذا طغى وبغى واستمرأ مرعى بغيه ولم يرجع عن غيه فيهلك بشره بل لو قلنا أن المراد بقول الله «يخلصون أنفسهم ببرهم» أن صلواتهم لا تفيد غيرهم» أو أنها غير مقبولة لدى الله لكان ذلك منافياً لتعليم الكتاب أيضاً الذى يأمرنا أن يصلى بعضنا لأجل بعض. وأن صلوة البار تقتدر كثيراً فى فعلها يع٥ :١٦ بل لأمر الله نفسه. لأبيمالك بأن يرد امرأة الرجل ويصلى لأجله فيحيى تك٣٩ :٧ ولا أصحاب أيوب بأن يصعدوا تقدمة وعبده أيوب يصلى لأجلهم فيرضى عنهم أى ٤٢ :٧ بل لو كان الأمر كذلك لما خلص الله المدينة من أجل داود ولا قبل شفاعة الملاك عنها ولا شفاعة موسى وصموئيل عن شعبهما.

أن الله لا يناقض نفسه ولا يمكن أن يصرح بأمر وينقضه إلا إذا كان الأول الغرض منه خلاف الثانى حينذاك يصح التوفيق بين أن الله يقبل توسلاتنا إكراماً لقديسيه ثم هو يرفض شفاعتهم إذا هم شفعوا فى الأشرار الذين قال الله بعقابهم لعدم توبتهم فقد قبل توسلات سليمان إكراماً لداود أبيه مز١٣٢ : ١٠ وقَبِلَ استشفاع شعبه بموسى وعفى عنهم لأجل موسى مختاره الذى وقف أمامه عد٢١ :٧ ومز١٠٦ ، ٢٣ ولكنه رفض شفاعته عن مريم التى أهانت الرب وأمر بحجزها ٧ أيام خارج المحلة عدد١٢ :١٣

خامساً: ـ يعترض بأن اللـه لا يحتاج لواسطة البشر اذا أراد الخاطىء الرجوع إليه.

وكما أن الله تعالى لا يرفضنا إذا رجعنا إليه بأنفسنا كذلك لا يرفضنا بل يحسب أمراً كريماً - إذا طلبنا اليه أن لا يردنا من أجل قديسيه مز١٣٢ :١٠ الذين أحبهم ومجّدهم يو١٧ :٢٢ وخولهم حق الإشتراك معه فى الدينونة مت١٩ : ٢٨ وأعطاهم أن يدينوا ملائكة ١كو٦ :٢ و٣ وهم وقوف حوله بثياب بيض يتبعونه حيثما ذهب رؤ ٧ وتضرعاتهم تُرفع أمامه كبخور زكى رؤ ٥ : ٨ كما تُرفع صلواتنا إلى الله بواسطة ملائكته رؤ ٨ :٥ بل كما أنه كان يخاطبنا أحياناً بواسطة ملائكته وقديسيه الأنبياء والرسل رؤ ١ :١ و٢ هكذا لا مانع من أن نخاطبه أن يقبلنا بطلبات قديسيه كما كان بنو إسرائيل يخاطبونه بواسطة موسى خر٢٠ :١٩ الخ وعد٢١ :٧ والله يخاطبهم بواسطته

سادساً: - يعترض بأن الملائكة مرسلون لخدمتنا فهم واسطة لإبلاغ إرادة الله لنا لا للشفاعة فينا.

نعم هم مرسلون لخدمتنا وهم وكلاؤنا أيضاً وموكلون من الله لحراستنا مز٩١ :١١ ولهذا يجوز أن نتخذهم شفعاء لنا بل هم أنفسهم يشفعون فى البشر زك١ :١٢ ويفعلون ذلك بدون أن نطلب منهم رؤ ٨ :٥ وقد شفعوا عن أورشليم وقبل الله شفاعتهم

سابعاً: - يعترض بأن الله كان يخاطب شعبه قديما بواسطة الأنبياء ولكنه كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى إبنه الذى جعله وارثا لكل شىء عب١ :١ و٢ .

نعم أنه كلمنا بإبنه ولكن ليس بحسبما كان الحال مع الأنبياء بل بإعتبار إعلانه كل شىء بيسوع إبنه الذى كشف لنا عن محبة الله الآب بإتمام عمل الفداء يو٣ :١٩ فغاية الأنبياء كانت إرشاد الناس إلى المسيح وإعلان أمور

مستقبلة تتم فى حينها. أما يسوع فإنه إتى لا ليرشدنا إلى طريق الخلاص فحسب بل ليخلصنا من خطايانا. فكان مجيئه إتمام كلام الأنبياء بالعمل ومع ذلك فقد كان يخاطب شعبه بواسطة الملائكة والأنبياء كما كان يخاطبهم بذاته ومن هذا نعلم أنه يجوز لنا أن نطلب صلوات القديسين وأن نتشفع بهم الى الله كما يجوز لنا أن نخاطبه رأسا وكلاهما مرضى عند الرب ومقبول لديه.

ثامنا: ـ يعترض بأنه ليس بين الإنسان وبين الله حجاب.

ونحن نقول كذلك ولكن إذا كنت تشهد على نفسك أنك بار أمام الله ومستحق الوقوف أمام جلاله المهيب وأهل للإقتراب من عرش نعمته الرهيب فليس بينك وبين الله حجاب حقا ولكن إذا كنت تعترف معى وتقول مع إبراهيم خليل الله لما شرع يخاطب خالقه «شرعت أكلم إلهى وأنا تراب ورماد» ومع داود «أنا دودة لا إنسان وحقير» وجب علىّ وعليك أن نأتى إلى الله بعين الرجاء متوسلين إليه أن يقبلنا وألا يردنا من أجل قديسيه كما طلب سليمان مز ١٣٢ :١٠ وكما طلب دانيال ورفاقه دا ٣: بل كما طلب موسى خر٣٢ :١٣

ومع ذلك فماذا نقول فى هؤلاء الآباء القديسين الذين أتوا إليه متشفعين بقديسيه؟ وماذا نقول فى يوشيا الملك الصالح الذى لما قرأ السفر وخاف وسأل الله بواسطة خلدة النبية ٢ أى٣٤ :٢٢ ولماذا لم يسأل الله رأساً؟ ولماذا الكهنة الذين سأل بواسطتهم لم يسألوا الرب رأساً؟ فإنه قال لهم أذهبوا واسألوا الرب. وهم ذهبوا وسألوا خلدة النبية الخ:

وانه وإن لم يكن بيننا وبين الله حجاب فإن هذا لا يمنع أن نأتى اليه بواسطة فقد شفى المخلع بناء لطلب وإيمان حامليه مر٢ :٥ وشفى إبنة الكنعانية

لسؤال أمها مت١٥ : وأقام لعازر إكراما لأختيه يو١١ : وشفى عبد قائد المئة لوساطة اليهود مت٩ : كما شفى الأعميين والمريض عند بركة سلوام والبرص بدون واسطة

وقد غضب الله قديماً على شعبه وطلب أن يبيدهم خر٣٢ ولكنه عاد فندم لما تقدموا إليه تائبين وطلبوا رضاه بواسطة موسى.

تاسعاً: ـ يعترض بأن الاستشفاع بالقديسين يضاد ثقتنا بالله وينُقص من شفاعة المسيح.

كلا بل إنه مؤيد لثقتنا به تعالى ونحن لا نفعل ذلك إلا لثقتنا برحمته وبمحبته لقديسيه ودالتهم وإياه أكثر منا نحن الخطاة ولأنهم أعزاؤه الذين جعل فيهم مسرته مز١٦ :٣ وقد صرح بذلك وأعلن رضاه به تك١٩ :٧ وأى٤٢ : ٨ وإقراراً منا بضعفنا واعترافاً بعدم إستحقاقنا الوقوف أمامه والملائكة أنفسهم يغطون وجوههم من بهاء عظمة مجده.

إن يوشيا سأل الرب بواسطة خلدة النبية فهل كان ذلك لضعف إيمانه وثقته بالله؟ وبطرس سأل المسيح بواسطة يوحنا عمن يسلمه يو ١٣ : ٢٣ و٢٤ فهل كان ذلك لضعف ثقته بالمسيح أو إنه إذا سأل المسيح رأساً لا يجيبه. أم لأن يوحنا كان التلميذ الذى يحبه يسوع ع٢٣؟.

وهى إن الملك إذا أتيت إليه وطلبت منه أن يصفح عنى بواسطة أخوته أو أحد مشيريه أو عظماء مملكته كما لإبنه. كيف يكون ذلك مهينا للمسيح وهو نفسه أعلن بصريح العبارة «إن من يسقى أخاه كأس ماء بارد بإسم تلميذ «قديس» أجره لا يضيع» وكيف سأل بولس المؤمنين مراراً كثيرة مناشداً إياهم

بمحبة الروح أن يصلى لأجله ١تس٥:٢٥ ولماذا وسطهم فى الصلوة من أجله؟ على أنه لولا ثقتنا به وبمحبته لقديسيه لما عرفناهم ولا ذكرنا أسماءهم ولا استشفعنا بهم. ولماذا لم نذكر غيرهم؟ أيستطيع إنسان أن يتوسط لدى حاكم ما بشخص غير معروف عنده عزيز لديه. وإذا كان معروفاً ولكن لا محبة ولا دالة بينهما أيمكن أن يتوسط وإذا توسط أو تشفع فهل تُقبل شفاعته؟. كلا. فالدالة والمحبة عاملان قويان فى قبول الشفاعة. وهل من ينكر على أولاد الله محبتهم له ودالتهم وإياه وهل توجد دالة بين إنسان وآخر كالتى كانت بين الله وموسى عد١٢:١ ـ ٧ إننا لا نعرف فى إلهنا حسداً حتى يحسد أولاده إذا استشفعنا بهم أو أكرمناهم وهو علة هذا التكريم وإكرامنا لهم راجع إليه ولأجل اسمه. وتكريم للفضائل والمواهب التى خصهم بها دون غيرهم من البشر. وإذا كان أولئك يريدون أن يجعلوا الله حسوداً فنحن لا نعرف فى إلهنا إلا أنه صالح وإلى الأبد رحمته: وأخيراً هل من يقول أن طلب رحمة الله من أجل قديسيه أو الاستشفاع بهم لديه هو مخالف لتعليم الكتاب ومضاد لثقتنا به؟ إذا كان ذلك كذلك فيكون كل الذين ساروا على هذا المنوال قديماً وحديثاً حسبوا مضادين لله وغير مؤمنين به ولا واثقين بقدرته وشفاعته وبالتالى يكونون قد ضلّوا ولكن إذا قلنا هـذا عـن أولئـك فماذا نقول عن الله تعالى هل ضاده نفسه بنفسه أو ناقـض ذاتـه بذاتـه لأنه قال أحامى عن هذه المدينة من أجل داود عبدى.

إذا لابد لنا من الاقرار بأحد أمرين إما أن الشفاعة جائزة وممدوحة وثقتنا بالمسيح لا تمنع من أن نتشفع بقديسيه ما دامت راجعة إليه وما داموا هم يطلبون لنا النعم بإسم يسوع الوسيط الوحيد لا بإسمهم إما أن نقول أن ما أجازه

الله وصرح به نفسه واستعمله الآباء والأنبياء غير جائز وبذا نكون نحن أحكم أو أن أحكام البشر فاقت أعماق القدير.

«ملحوظة» أشرنا سابقا فى الكتاب إننا سنتكلم عن البتولية والرهبنة وسبب عدم زواج القسوس المترملين ونظرا لضيق المقام هنا سنتكلم ضمن مؤلف آخر إن شاء الله.

إنتهى الجزء الثانى

والحمد لله فى البداية والإنتهاء والشكر له فى السراء والضراء.

فهرست الكتاب

الموضـــــــــوع	الصفحة
مقدمة الناشر	٥
تصريح غبطة البطريرك	٦
مقدمة عن الأسرار	٨
الباب الأول ـ شرح طقس المعمودية	١١
الفصل الأول جحد الشيطان ماهية جحد الشيطان	١١
الفصل الثانى الأشابين «العّرابين»	١٩
الفصل الثالث شرح طقس صلوة جحد الشيطان	٢٥
الفصل الرابع وجوب عماد الأطفال	٣٣
الفصل الخامس أصحاب السلطة فى تتميم سر المعمودية	٣٧
الفصل السادس عدم إعادة المعمودية مرة ثانية	٣٩
الفصل السابع كيفية تتميم سر المعمودية	٤٥
الفصل الثامن وجوب العماد بالتغطيس	٥٠
الفصل التاسع شرح تغطيس المعتمد ٣ دفعات	٥٣
الباب الثانى ـ سر المسحة	٥٨
الفصل الأول سر المسحة مرتب من الله	٥٨

الموضـــــــوع	الصفحة
الفصل الثانى الميرون ومواده وواضعه وتاريخ استعماله	٦١
الفصل الثالث كيفية عمل الميرون	٦٦
الفصل الرابع شرح طقس قداس الميرون	٦٩
الفصل الخامس شرح طقس سر المسحة وكيفية تتميمه	٧٨
الباب الثالث ـ سر الزواج	٩٣
الفصل الأول الزواج والغاية منه	٩٣
الفصل الثانى الخطبة	٩٦
الفصل الثالث عقد الخطوبة	٩٩
الفصل الرابع عقد الأملاك	١٠٨
الفصل الخامس شرح طقس الأكليل	١١٧
الباب الرابع ـ سر التوبة أو الاعتراف	١٢٧
الفصل الأول التوبة وشروطها	١٢٧
الفصل الثانى الاعتراف ووجوب ممارسته	١٢٨
الاعتراضات والرد عليها	١٥٠
نتائج سر الاعتراف	١٥٣
الفصل الثالث واجبات وشروط المعترف	١٥٤
الفصل الرابع واجبات وشروط المعترف	١٥٩
الفصل الخامس سلطان الربط او التأديبات الكنسية	١٦٥

الموضـــــــوع	الصفحة

غاية الكنيسة من التأديبات الكنسية ١٦٩

الفصل السادس الحل الكهنوتى ١٧١

الباب الخامس ـــ سر مسحة المرضى ١٧٤

الفصل الأول المسحة سر مؤسس من الله ١٧٤

الفصل الثانى الأشخاص الذين يتم لهم سر المسحة ١٧٧

الفصل الثالث مكملوا هذا السر ١٨٩

الفصل الرابع واجبات الكاهن ١٩٢

الفصل الخامس شرح طقس سر المسحة ١٩٤

الباب السادس ـــ سر الكهنوت ٢٠٣

الفصل الأول الكهنوت سر ذو ثلاث درجات ٢٠٣

الفصل الثانى الوظائف الكهنوتية ٢٠٧

الفصل الثالث الرتبة الأولى «الأسقفية» بدرجاتها الثلاث ٢١٤

الفصل الرابع الرتبة الثانية «القسيسية» بدرجاتها الثلاث ٢١٧

الفصل الخامس الرتبة الثالثة «الشماسية» بدرجاتها الثلاث ٢٢٠

الفصل السادس شرح رسامة الشماس والقس ٢٢٢

الفصل السابع شرح تكريس الأساقفة ٢٢٩

الباب السابع ـ التقليد ووجوب التمسك به ٢٣٢

الموضـــــــــوع	الصفحة

الباب الثامن ـ أسبوع الآلام ٢٤٦
الفصل الأول الاحتفال به وغاية الكنيسة منه ٢٤٦
الفصل الثانى مواظبة الكنيسة على الصوم والصلوة فيه ٢٤٩
الفصل الثالث واضع ترتيب جمعة البسخة ٢٥٢
الفصل الرابع احتفال الكنيسة العام بجناز الراقدين ٢٥٤
الفصل الخامس شرح ترتيب البسخة ٢٥٥
الفصل السادس سبب إضافة ـــ مخلصى الصالح ٢٦٢
الفصل السابع شرح ترتيب صلوات يوم الخميس ٢٦٤
الفصل الثامن اللقان والغاية منه ٢٦٥
الفصل التاسع تعطيل القداس فى الثلاثة أيام الأولى ٢٦٩
الفصل العاشر الاحتفال بتذكار الصليب يوم الجمعة الكبيرة ٢٧٢
الفصل الحادى عشر شرح ترتيب يوم الجمعة العظيمة ٢٧٦
الفصل الثانى عشر سبت الفرح ٢٨٦
الفصل الثالث عشر شرح ترتيب تسبحة باكر سبت الفرح ٢٨٧
الفصل الرابع عشر وضع الصور فى الكنائس ٢٩٢
الباب التاسع ـ الصوم عموماً ٣١٧
الفصل الأول الصوم الكبير ٣٢٧
الفصل الثانى صوم يومى الأربعاء والجمعة ٣٣٤

الموضـــــــــوع	الصفحة
الفصل الثالث صوم الميلاد	٣٣٨
الفصل الرابع صوم الرسل	٣٤٠
الفصل الخامس صوم العذراء	٣٤٣
الفصل السادس صوم نينوى	٣٤٥
الفصل السابع صوم البرامون	٣٤٧
الاعتراضات والرد عليها	٣٤٩
الباب العاشر ـ الأعياد	٣٦٧
الفصل الاول عيد القيامة	٣٧٤
الفصل الثانى عيد الميلاد	٣٨٢
الفصل الثالث عيد الظهور الإلهى (الغطاس)	٣٨٦
الفصل الرابع عيد العنصرة	٣٨٧
الفصل الخامس عيد الصعود	٣٩٠
الفصل السادس عيد البشارة	٣٩١
الفصل السابع عيد الشعانين	٣٩٤
الفصل الثامن الأعياد السيدية الصغيرة ـــ عيد التجلى	٣٩٧
الفصل التاسع أعياد الرسل والعذراء والقديسين والشهداء	٤٠١
الفصل العاشر عيد الملاك ميخائيل	٤٠٩

الموضـــــــــوع	الصفحة
الباب الحادى عشر	٤١٣
الفصل الأول الصلاة على أنفس الراقدين قبل دفنهم	٤١٣
الفصل الثانى التبخير على الأموات	٤١٦
الباب الثانى عشر	٤١٩
الفصل الأول السجدة	٤١٩
الفصل الثانى صلاة أبوتربو	٤٢٤
الفصل الثالث الشفاعة	٤٢٦
الاعتراضات والرد عليها	٤٣٧

تم بحمد الله


مكتبة مارجرجس
١٧ شارع شيكولانى - شبرا
مصر ت: ٢٠٢٣٢٤٣